

ابكار السقاف

إسرائيل و عقيدة الأرض الموعودة

الناشر
عالم الكتب
٨٨ شارع عبد القادر عزي - بغداد

الطبعة الأولى

١٩٦٧

.....

الناشر

عالم الكتب

٣٨ شارع عبد الخالق

ثروت - القاهرة

.....

طبع بمطبعة

دار الصاوى للطبع

والتأليف

٨٩ شارع الشيخ ربحان

بعبدين - بالقاهرة

لفتة هامة :

لما كانت الصهيونية العالمية قد اعتمدت في بناء دعوتها السياسية على العقيدة الدينية المتغلغلة في صدر كل يهودى وكان هؤلاء يدعون ملكية فلسطين ومن الفرات إلى النيل عملاً بنصوص « التوراة » التى يتداولونها اليوم، وبالتالى، لما كانت هذه « التوراة » الحجة الوحيدة التى احتج بها الصوت الصهيونى يوم طالب بالاعتراف بقيام « دولة إسرائيل » فقد تعرض هذا الكتاب لتفنيد هذه « الحجة » واستدعى الموضوع طرح هذه النصوص أمام الرأى العالى وعرض ما نشتمل عليه من نظرة تتحدث من الزاوية اليهودية المحضة عن موسى وعن ابراهيم وهارون ولوط ، سلام الله عليهم أجمعين ، حتى يثبت للعالم أن « حجتهم » هذه معقوضة من الأساس بما تشتمل عليه من إسفاف فى حق هؤلاء الأنبياء الكرام مع إيماننا العميق بمصمتهم وتنزههم عما جاء فيها ، وحتى يعلم العالم أن الدين اليهودى الحالى لا يعود بأصوله إلى موسى ، عليه السلام ، وهو الذى برى منهم ونعتهم بالفسق و :

« قال رب إني لا أملك إلا نفسى

وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين » . . . (١)

إن الإسلام الذى يبسط جناحيه بالرحمة ويرفرف بالسلام يؤمن بتوراة هى على موسى قد أنزلت ولكنه فرّق بين « توراة موسى »

و« توراتهم » هذه المفتراة على موسى التي كتبها رجال « بيت يهوذا »
في أعقاب الأسر البابلي . . . لذلك حارب محمد ، صلى الله عليه وسلم ،
اليهود وسماهم كفاراً لسكذبهم على موسى ولنبتذهم إياه كما نبذوا من بعد
« روح الله » عيسى عليه السلام . . . وصدق الله العظيم إذ قال فيهم ؛
« ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا . . . وباءوا بغضب
من الله ! . ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله . . . ويقتلون الأنبياء
بغير حق . . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ! . . » (١)

وحقاً ! . .

حقاً ! . .

« . . لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ! » (٢)

(١) الآية « ١١٢ » من « سورة آل عمران »

(٢) الآية « ٨٢ » من « سورة المائدة » .

الاجساد

إلى القاتل ؛

« إن الشرَّ الذي وضع في قلب العالم العربي لا بد أن يُقتلع ! .. » *

جمال عبد الناصر

* « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون »

« حديث شريف » رواه البخاري ومسلم .

تحية

إلى ؛

من غاب جسداً وشعاً روحاً .. من دفننى لإخراج هذا
« الكتاب » ..

« عباس محمود العقاد »

تحية ..

تحية ، يعبق بها أرج الذكرى ، وشيع فيها عير
الذكريات ! ..

أبكار

« إن يهوديتنا وصهيونيتنا متلازمتان متلاصقتان ، ولا يمكن

تدمير الصهيونية بدون تدمير اليهودية ».

والله اعلم

إن اليهود يعتبرون أنفسهم سلالة «إسرائيل» وأنهم مهمما تباينت جنسياتهم واختلفت أصولهم «عبريون» كما يعتبرون «الأسفار الخمسة» صادرة عن موسى وأن النصوص منها إملاء «وحى إلهي» وضعتها الأجيال في إطار «العهد القديم» أو هذا «الكتاب المقدس» للدين اليهودي الحالي.. وعلى هذا الأساس يتمسكون بعقيدة «الأرض الموعودة» ويدعون ملكية فلسطين طبقاً لما جاء في «الأسفار الخمسة» من نصوص.. وهذا مما يجعل قضية فلسطين قضية دينية في المقام الأول ولذلك يجب أن لانسقط الجانب الديني في قضية فلسطين فإنما هو الأساس!..

ومن ثمّ فنحن إذ نتناول في بحثنا هذا «إسرائيل» مستهدفين العثور على منبت هذه «العقيدة»، «عقيدة الأرض الموعودة»، في سبر لأصول تكونها وفي تمحيص لأسباب نموها وفي تنفيذ لعوامل تطورها كمشكلة لم تتكوّن إلا من الرواسب التاريخية ولم تطف على صفحة الحاضر إلا من أعماق التاريخ، فليس إلّا لنجد أنفسنا قد تناولنا تاريخ «آباء التوراة» وتاريخ «موسى» نفسه في هذا البحث.. وهذا يحتم علينا أن نقول إننا إذ نتناول تاريخ «آباء التوراة» وتاريخ موسى في هذا «الكتاب» فليس إلّا لتناول ذلك من الزاوية اليهودية المحضة وكما جاءت به نصوص ما قد أشرنا إليه من «أسفار».. ومن

هنا منعنا أنفسنا كامل الحرية ومطلقها في نقد هذه « الأسفار » التي تنشرها الصهيونية العالمية في وجه العالم كسجلٍ شرعيٍّ يمنحها فلسطين ملسكا... فإيس إلا على هذه « الأسفار الخمسة » اعتمدت الصهيونية العالمية في بناء دعوتها وليس الا من نصوص هذه « الأسفار الخمسة » افتعلت صرح وليدتها « دولة إسرائيل !... »

أبهار السفاف

المحتويات

التمهيد :

من هم « العبريون » ؟ ومن هم « بنو اسرائيل » ؟
ومن هم « اليهود » ؟

الحقل التاريخي لمنطقة « الأرض الموعودة »

انحسار العصر الحجري الحديث عن دورة الفتوح لامتلاك
مفرق طرق عالم الشرق الاوسط القديم وتكشف المعالم الأثرية عن صراع
الافواج البشرية عبر المد الزمني منذ الألف العاشر ق . م . حتى نهاية
العصر البرونزي الرابع والآخر لامتلاك الناصية السياسية لهذا المفرق
الرئيسي ذي الاتجاهات الرابطة بين أطراف الشرق القديم . أثر الموجات
الناجمة من قاب شبه الجزيرة العربية في مجريات الأحداث السياسية لهذه
المنطقة . امتداد موجة عربية تحمل « قبائل كنعان » . امتلاك
قبائل كنعان الناصية السياسية لهذه الأرض التي عرفت بـ « أرض كنعان » .
استهداف الأمم المجاورة « أرض كنعان » هدفاً للسيطرة السياسية
على دنيا الشرق الاوسط القديم .

الإطار التاريخي لمنطقة « الأرض الموعودة »

العواصف السياسية على بلاد ما بين النهرين تدفع « آباء
التوراة » من الفرات الأدنى إلى أرض كنعان . مطلع « ابراهيم » على
التاريخ في أعقاب « الغزو الكاشي » للفرات الأدنى وانصبابه على السهل .

الفيضي لبلاد ما بين النهرين وضياع « مملكة أرض البحر »
رواية « التوراة » عن هذه الفترة. ارتحالات « أبرام »
عبر « أرض كنعان » حتى وادى النيل في مشرق الحكم الهكسوسى .
الحلم بامتلاك « أرض كنعان » والاراضى الواقعة من
الفرات إلى النيل يطوف على الجبين عوضاً عن ملك « أرض البحر » .

انبثاق فكرة « الأرض الموعودة »

« الوعد » بمنح « أرومة إسرائيل » كل « أرض كنعان »
والأراضى الممتدة من الفرات إلى النيل . مولد إسماعيل ، ونمو فكرة
« الأرض الموعودة » على مدارج الأيام . مولد إسحاق ، وطرده إسماعيل .
« اقربان البشرى » على « جبل ألريا » . اسم « يهود » يتجاوب همساً
فى مسمع التاريخ .

مولد يعقوب ، وخروج فكرة « الأرض الموعودة » من
الطور السلبى إلى الطور الإيجابى وتحول الفكرة عنها من الملك إلى الملك .
يعقوب ينتزع « البركة » من إسحاق .

المهد التاريخى لمولد « إسرائيل »

يعقوب يستبدل اسمه إلى « إسرائيل » . يعقوب أو
إسرائيل ينتزع إلى مصر تحت ظلال العصر الهكسوسى . جعلانات
العصر الهكسوسى تحمل بعض أسماء حكام الهكسوس ومن بين هذه
الاسماء اسم يعقوب ويوسف . سجلات « تحوت — موسى » الثالث
تؤيد وجود صاحبه هذين الاسمين من بين الحكام الهكسوس .

انشقاق التربة الزمنية عن « أبناء إسرائيل » واستيطانهم
وادى النيل خلال الاستعمار الهكسوسى للوادي ، وتراعى ألوان العزة
عليهم فى مصر . الغفوة عن « الأرض الموعودة » بالعزة فى مصر خلال

نيف وأربعة قرون من الزمن . تكون « نسل الاسباط الإثني عشر » إلى « بيوت » استقرت في « أرض غوشن » من شرق الوادي .

بزوغ شمس الإمبراطورية المصرية ، ورواح الغبار الهكسوسى عن انتشار « بيوت إسرائيل » في مصر القديمة خلال حكم الامبراطورية المصرية .

« بيوت إسرائيل » تهوى في عصر الإمبراطورية المصرية إلى مرتبة العبودية . هبات التذاكر عن « أرض الآباء » تنطلق بين « بيوت إسرائيل » . إرهاب الوعي « الإسرائيلي » في مصر إلى فكرة « الأرض الموعودة » خلال الحكم الحيثى لأرض كنعان . التدهور الاقتصادي في نهاية حكم « رع — موسى » الكبير . التوثب اللوى على الحدود المصرية من ناحية « أرض غوشن » من الجهة الشرقية للوادي يد الزمن تطوى رع موسى الثانى وتنشر منفتح الاول مهم منفتح الثانى . عودة موسى الى مصر .

اشتداد خطر الزحف اللوى على الحدود المصرية من جهة « أرض غوشن » .

طرد « بنى إسرائيل » من مصر

الخطر اللوى على الحدود المصرية يستدعى طرد هؤلاء الذين كانوا يسكنون « أرض غوشن » من شرق الوادي ومن حيث أقبل الغزو اللوى . انتصار مصر على لوبيا . « قصيدة النصر » التى ألقت بمناسبة انتصار منفتح على لوبيا .

الاماكن المصرية التى سلكها بنو إسرائيل عند طردهم من مصر والمدة الزمنية التى اقتطعوها فى هذا الترحال من مصر الى سفوح سيناء .

انحسار الزمن عن مطلع عقيدة « الأرض الموعودة »

تقنين الحلم القديم وابتعاث ربوبية « يهوه » من طيات الماضي السحيق . تحول الفكرة عن « الأرض الموعودة » من عقيدة متوارثة الى عقيدة دينية . تكون الكهنوت الإسرائيلي . قيام « مملكة كهنة » و « شعب مختار » و « أمة مقدسة » .
« بيوت اسرائيل » تطالب بـ « الأرض الموعودة » .

الزحف الإسرائيلي صوب « الأرض الموعودة »

التمرد الكهنوتي على موسى . الثورة الجماعية على موسى « الرب يأمر بموت دروز » . « واقعة إيهص » و « واقعة أذرع » ، وأثرهما في نفسية جماعة اسرائيل .

ارتسام رقعة « الأرض الموعودة » في إطار الفرات والنيل

اشتداد التمرد الكهنوتي على موسى وطفيان الثورة الجماعية عليه . « الرب يأمر بموت موسى » .
« يشوع بن نون » يعلن خبر غياب موسى في « جبل نبو » ومن حيث ان يعود .

بروز « يشوع بن نون » في إطار التاريخ الإسرائيلي

بدء حياة عقيدة « الأرض الموعودة » يشوع بن نون يتولى قيادة بني إسرائيل والعنق الاسرائيلي يسلس لقبضته العنان . تحول موسى الى مجرد رمز .

انحسار السجف السياسية والدينية عن يشوع بن نون القائد
الحربي والزعيم الديني الحقيقي لبني اسرائيل .

تكون الدين اليهودي الحالي وعودته بأصوله إلى يشوع

بنو اسرائيل في « أرض كنعان » . « عهد القضاة »
و « عهد الملوك » . امتلاك داود آخر حصون كنعان ، « صهيون » .
وفاة سليمان وانقسام مملكته الى مملكتين . في الشمال
« مملكة اسرائيل » . وفي الجنوب « مملكة يهوذا » .
« الغزو الاشوري » ، ومحو « مملكة اسرائيل » من خريطة
الوجود .

« الغزو البابلي » وانهيار « مملكة يهوذا » . أبناء يهوذا
يساقون أسرى الى « بابل » . هبات التذاكر عن « صهيون » تعصف
بأفئدة اليهوديين .

الايدي اليهودية تنشر القراطيس وتجري الاقلام .

بروز « الاسفار الخمسة » المكونة « التوراة » على صفحة
التاريخ الديني .

الرجوع الى اورشليم .

الغزو الروماني . هدم « المعبد » وتشتيت بني اسرائيل
في أرجاء الارض .

الايدي اليهودية تنشر القراطيس من جديد وتجري الاقلام
فتكتب الـ « مشنا » وتسطر « التلمود » البابلي والاورشليمي . أثر
الالتحام الكتابي في ارساخ عقيدة « الارض الموعودة » وتحويلها الى
عقيدة نفسية .

انتقال عقيدة « الأرض الموعودة » من المجال العاطفى إلى المجال السياسى

انبثاق « الصهيونية » .
ارتسام الحركة الصهيونية، شرقية وغربية وعالمية وحديثة ،
فى « مقررات حكاء صهيون »
امتداد رقعة « الأرض الموعودة » الى امبراطورية
يهودية عالمية .
ارساء حجر الاساس فى صرح « الامبراطورية اليهودية »
على قاعدة تطوى معها الفرات والنيل .
تعبيد الطريق الى « الامبراطورية اليهودية » عن طريق
افتعال « دولة اسرائيل » على أسس من نصوص « التوراة » أو « الاسفار
الخمسة » الاول من « العهد القديم » .
التعقيب :

عقيدة « الأرض الموعودة » فى ميزان التاريخ

« التوراة » تحت أضواء التاريخ .
تلاشى القدسية عن « الاسفار الخمسة » وبطلان نسبتها الى
موسى .
ذوب « الجنسية الاسرائيلية » فى تيار الزمن ، وتبدد
عقيدة « الأرض الموعودة » فى سراب التاريخ .

تمہید

يخوض الشرق العربي اليوم خضمّ مشكلات مختلفة تنفرد كل واحدة منها بلامح خاصة ، وتنسم في نفس الوقت بالخطورة والأهمية ولا تقتصر على دائرة واحدة من دوائر التفكير البشرى دون أخرى ، فهي تضرب بأعراقها في دوائر الاجتماع والاقتصاد والعلم والفلسفة والسياسية .

ولسكن ..

تفرّد من بين هذه المشكلات كلها مشكلة واحدة لا تعترم بحسب الخطورة ولا تنسم بحسب الأهمية وإنما تعدّ أكثر هذه المشكلات خطورة وأهمية بل وحيوية لارتباطها بطبيعة الحياة في الشرق الأوسط ولساسها للمبائر بهذا المزدحم الهائل للصراع البشرى في مختلف المرافق وسائر النواحي وهذه المشكلة هي ؛

مشكلة فلسطين

منذ زمن بعيد مداه في مدى التاريخ وأعقد مشكلة في جبين الشرق الأوسط إنما هي هذه المشكلة ! . إلا أنها الآن أمام الهدف الصهيوني العالمي الحالم باقامة امبراطورية يهودية عالمية تحكم العالم وتستعبد الشعوب الاسلامية والمسيحية على سواء قد ازدادت على تعقيد تعقيداً بما نسجته اليد الصهيونية حولها من نسيج حاكته من سحب الماضي المتوغل في القدم ، وجعلت سداه « عقيدة الأرض الموعودة » ولحمته تغفل هذه العقيدة الدينية ورسوخها في صدر كل فرد من أفراد الجماعة اليهودية . . وهذه ، سواء أخفاها اتقاء وتسترأ أم

جهر بها تيهًا وتفاخرًا، هي الغائلة بأن أرض فلسطين قد مُنحت لبني إسرائيل
منحة إلهية ومملكة أبدية لتكون عاصمة للمملكة اليهودية تشمل قاعدتها كل
الرقاع المترامية في إطار الفرات والنيل ! . .

ومن ثمَّ فالمشكلة مشكلة دقيقة وحرجة لاستناد الفكر
الصهيوني في دعوته إلى المصدر الديني المحض ولاستمداده مادته من المدد العاطفي
البحث بل ولاعتماد الصهيونية العالمية اعتماداً كلياً على هذين المصدرين مستهدفة
من وراء ذلك امتلاك العالم عن طريق امتلاك فلسطين أولاً ومن بعدها بلاد الشرق
الأوسط لتقيم على أنقاضها « الأمبراطورية اليهودية » التي حلم بها « هرتزل »
١٨٦٠—١٩٠٤ ، وليد الصهيونية البابلية وأبو الصهيونية الغربية والتي
رسم رقعته على صفحات كتابه « الدولة اليهودية »^(١) الذي كافى بمناوبة حجر
الأساس في افتعال « دولة إسرائيل » وجرَّ على العالم هذه الجريرة بحجة قلم
واحدة جاءت تقول ؛

« إن فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا ننساه ! . »

وبقينا أن حجة الصهيونية بادعائها الحق في امتلاك فلسطين
إنما هي حجة لا تقوم إلا على أساس من القول بأن أرض فلسطين هي الوطن
التاريخي « لبني إسرائيل » وأنها قد منحت لهم منحة إلهية وأبدية وهذه
الحجة لا تعتمد على أساس سياسي أو سند قانوني وإنما على مجرد دعامة دينية
كما أكد ذلك « هرتزل » نفسه في المؤتمر الصهيوني الأول الذي انعقدت منه
الأوامر في مدينة « بال » بسويسرا ، ١٨٩٧ م ، يوم وقف هو ، نفسه ، يرأس
هذا المؤتمر معرِّفاً ماهية الصهيونية وما تستهدفه حركتها بقوله ؛

« إن العودة إلى صهيون يجب أن تسبقها عودتنا إلى اليهودية! .
وإن هدف الحركة الصهيونية هو تنفيذ النص الوارد في الكتاب المقدس بإنشاء
وطن قومي يهودي في فلسطين ! . »

هذا القول المؤسف للهدف الصهيوني والرامي إلى إنشاء
وطن قومي يهودي في فلسطين تنفيذاً للنص الوارد في « الكتاب المقدس » كان
اللاهب الذي لفتح الذاكرة من كل فرد من أفراد الطائفة اليهودية بلفحات
الحنين إلى ما يعتبرونه الوطن المورث والموروث ، كما كان بدوره المادة الأساسية
التي أعدها « هرتزل » نفسه لا ببناء الصرح من « دولة إسرائيل » . . هذه
« الدولة » التي ما فتعت إلّا وارتفع الصوت الصهيوني يعلن العالم بإنشاء « الوطن
القومي اليهودي » في فلسطين تنفيذاً للنص الوارد في « الكتاب المقدس » ! .
وإشعاراً للعالم بقيام هذا « الوطن القومي اليهودي تنفيذاً للنص الوارد في الكتاب
المقدس » اتخذ الصهاينة من رداء الصلاة اليهودية المؤلف من اللونين الأزرق
والأبيض ، لـ « دولة إسرائيل » علماً ، ومن « نجمة داود » رمزاً ، ومن
« الشمعدان المقدس » ذى الفروع السبعة شعاراً ، بينما ملأوا أنفسهم أدق تمثيل
فصوريها بـ « الأفعى السامة » ! . هذه « الأفعى السامة » التي بدأ زحف رأسها
المميت من فلسطين والذي لن يعود للالتقاء بالذنب الباقي في فلسطين ،
وهذا يمثل سائر الجماعة اليهودية ، إلّا بعد تسميم العالم وإماتة كل من لا يمت إلى
الجماعة اليهودية بأوشاج قرابة أو نسب ، ثم التربع على أقباض بلاده وأشلاء أهله
تحت ظل ملك يهودي يحكم العالم كله من صهيون على عرش مساحته كل
الرقاع الممتدة من الفرات إلى النيل ! .

هذا الهدف الصهيوني السياسي البحت والمستمد معينه من
« الدينوع العاطفي » الخض بالإضافة إلى هذا الإشعار الديني من الجانب الصهيوني للعالم

في انشاء « وطن قومي يهودى » في فلسطين تنفيذاً للنص الوارد في « الكتاب المقدس » لا يحىء بالدلائل الكافية ، فحسب ، على أن اليهودية الحالية والصهيونية العالمية هما ، كما قال « وايزمان » زعيم الصهيونية الشرقية وأول رئيس « دولة اسرائيل » ، متلازمتان متلاصقان ، وانما هو يحمل البرهان القاطع على الاستغلال السياسى للعقائد الدينية في نظر معتنقيها ومن يؤمنون بها . فان هذا « النص » هو الدرع الوحيد الذى تدرأ به الصهيونية عن نفسها كل احتجاج وحجة وهو الأصل الذى انحدر منه وجودها وبه يقوم قيام كيائها الذى لا يتمثل إلا في هذا النداء الذى ترسله بين الآونة والأخرى بأن فلسطين قد منحت من الإله لإسرائيل منحة أبدية ! . ومن هنا كان قيام ممثلها ومندوب « الدولة اليهودية الحديثة » يجهر على منبر « هيئة الأمم المتحدة » عقب الاعتراف بهذه « الدولة » قائلاً :

« قد لا تكون فلسطين لنا على أساس حق سياسى أو قانونى ، ولكن فلسطين لنا على أساس حق روحانى ! . »

لا جدال في أن هذا « الحق الروحانى » مستمد من الإصحاح الخامس عشر من « سفر التكوين » وهو الذى أشار اليه مؤلف كتاب « الدولة اليهودية » ، من قبل ، وممثل « دولة اسرائيل » من بعد وهذا الإصحاح يقول ؛ « قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً ، لنسلك أعطى هذه الأرض . من نهر مصر الى النهر الكبير . . نهر الفرات ! . »

ولكن ! . .

حتى نبحت في أمر هذا « النص » وحتى نضعه في ميزان التاريخ سابرين ماهيته من حيث البطلان أو الاصابة ، نقول ، إن هذه الصيحة التى دوت بها جدران المؤتمر الصهيونى الأول ، وراح رجع صداها في أرجاء

« هيئة الأمم المتحدة » لم تأت نشازا وإنما كانت الترجيع الجديد لأصداء الماضي البعيد المتجاوب نفماً حبيباً في مسمع كل فرد من أفراد الطائفة اليهودية ، كما كانت المد الذي استمد الفكر الصهيوني منه جوهر دعوته ! فإن حجة الصهيونية في دعوتها إنما هي حجة دعائها الدين ، ومادتها هذا « النص » إلى جانب نصوص أخرى من « كتاب » غلف بالقدسية وحومت من حوله أنفاس التقديس ، تحمله الصهيونية يديها وتقدمه إلى العالم هادرة بأنه هو نفسه البرهان القاطع على حقها الشرعى فى امتلاك أرض فلسطين ولا لحسب هذه « الأرض » وحدها وإنما كل الرقاع الممتدة من الفرات إلى النيل ! . ثم إنها لم تقف عند هذا الحد وإنما هى لهذا « الحق الشرعى » الذى تدعيه قد سجلت وأعلنت عندما ارتفعت يدها وعلفت ، على مدخل الـ « كنيسة » ، هذه العبارة :

« حدودك يا إسرائيل من الفرات الى النيل ! . »

ومن ثم ، فإن فلسطين ليست هى كل « الأرض الموعودة » التى يدعى الصهاينة ملكيتها . . كلا ! .

« إننا لم نحقق بعد هدفنا وهو النصر النهائى . فنحن حتى الآن لم نحرر من بلادنا سوى قسم واحد فقط . وسنعمل الحرب حرفة يهودية حتى يتم تحرير بلادنا كلها ، بلاد الآباء والأجداد . . وسنحقق رؤيا أنبياء إسرائيل ! » ^(١)

بنى جريون

أو فى ذلك شك ؟ !

إن فلسطين ليست هى كل « الأرض الموعودة » ، وإنما

(١) مايو سنة « ١٩٤٩ » .

هي جزء منها... وعن هذا « الجزء » يتحدث الصهاينة في ترديد لتلك الصيحة التي انطلقت من « تل أبيب » تقول ؛

« إن إسرائيل بوضعها الحالي لا تمثل إلا خمس ما يجب أن تكون عليه أرض الآباء ! .. ومن ثم يجب العمل على تحرير الأربعة الأخماس الباقية » ^(١) ! .

منا حیم بیجن

...!

كلّا ، لن نسأل قائلين ؛ ما هي هذه « الأربعة الأخماس »
الباقية ؟ فها هي ذى أماننا منتشرة الخريطة الجغرافية الرسمية
المتبعة في المدارس اليهودية ، والتي تدرس اليوم للنشء في « دولة
إسرائيل » . . . فنحن نرى على هذه الخريطة قد رسمت رقعة « الإمبراطورية
اليهودية المرتقبة » ! . في إشارة إلى الأراضي الإسلامية المقدسة ، وفي
مقدمتها « المدينة المنورة » ! . إلى هذه المدينة الضائعة لضريح صاحب الرسالة
الإسلامية قد تطاول النظر الصهيوني فلم تتورع اليهودية عن أن تجعلها ضمن
هذه « الأربعة الأخماس الباقية » ! . . .

وأما إذا تساءلنا ؛ كيف سيكون العمل على « تحرير » هذه « الأربعة الأخماس الباقية » ؟ . فإن الجواب ما زال يدوّى فى أرجاء ال « كنيسة » مردها :

« إن إسرائيل ان يكتب لها البقاء ما لم تشن حرباً وقائية على الدول العربية ، وتعمل على مد حدودها داخل هذه الدول ، حتى تضمن سلامتها

(١) سنة « ١٩٥٣ » .

وتحقق الحلم الذى طالما راود فلاسفة الصهيونية ، ألا وهو إقامة إمبراطورية
إسرائيلية ممتدة الأرجاء ، تفرض سلطانها قوياً يخشاه الجميع ! .

وبذلك يتم تحقيق الميثاق الذى قطعه الرب مع إبراهيم ! . . » ^(١)

موسى شاريت

هذا بعض من أقوال زعماء الصهيونية العالمية كما سجلتها
محاضر « المؤتمر الصهيونى الأول » و « هيئة الأمم المتحدة » والبرلمان الإسرائيلى
ال « كنيست » .. وكلها ، مجتمعة ، تأتى بالأدلة القاطعة على أن الهدف الأخير
للاصهيونية العالمية هو امتلاك العالم عن طريق امتلاك بلاد الشرق الأوسط من
الفرات إلى النيل وما ذلك إلا تطبيقاً لما جاء فى ذلك « الميثاق » الذى سجلته
نصوص من « كتابهم المقدس » الذى عليه فى دعواهم يعتمدون والذى لم تتشكل
إلا من نصوصه « مشكلة فلسطين » ! . .

ومن هنا نستطيع أن نقول إننا لن نبتين أبداً مدى خطورة
« مشكلة فلسطين » على بلاد الشرق العربى إلا إذا عدنا إلى « الأسفار الخمسة »
التي تصدر « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى وإلا إذا نشرنا
أمامنا « تلمود » وإلا إذا استعرضنا محاضرات أو قرارات « حكماء صهيون »
المعروفة تحت اسم « بروتوكولات حكماء صهيون » .. حينئذ ، وحينئذ
فقط عندما نتناول كل ذلك على حدة فى معرض البحث ، بعد صفحات ،
سيتجلى لنا بوضوح تام الهدف الجوهرى للاصهيونية العالمية من وراء إقامة
« إمبراطورية يهودية » على أنقاض الدول العربية أولاً والدول الغربية آخراً

وحينئذ انك تفهم المعنى من استهدافهم استعباد سكان الدنيا جميعاً بعد استعمار دول الأرض جمعاء ! . .

هذا التماذى الصهيونى يدفعنا إلى أن نسأل أنفسنا ؛

ما هى الوسيلة الناجحة لسحق رأس هذه « الحية السامة » حتى يحف منها الجسم ويكف منها اللسان عن هذا الفحيج الذى يرسل شرر الشرّ ، وسموم العدوان فى كل متجه مهدداً روح السلام فى كل ناحية من أنحاء الشرق الأوسط بالخطر ؟ ! .

وما هو الموضع الباتر لاستئصال هذه الجرثومة التى استشرى تضخمها استشراء يحاول الفتيك بكيان المجتمع البشرى مهدداً حياته الاجتماعية والأخلاقية بالانهيار إن لم يكن بالفناء ؟ ! .

* * *

لا جدال أن القوة العسكرية كفيلة بسحق هذه « الأفعى السامة » ، رأساً وذنباً ! . . القوة العسكرية قادرة على إدالة « دولة إسرائيل » ونثر من تجمع فيها من اليهود جماعات وفرادى فى سائر أنحاء الأرض ، بيد أن الدولة العربية الكبرى تعتنق السلام مذهباً لا تريد حرباً ولا تقدم على الحروب إلا اضطراراً ، إما لرد عدوان أو لكف عداء . وهذا بالإضافة إلى أنها ترى أن « مشكلة فلسطين » مشكلة دينية فى الصميم استمدت مبدءاً وجودها من نصوص دينية بحجة ، هى التى تتخذ منها حجتها وهى التى يقوم عليها منطقها ، وهذا مما يجعل ساحة الحرب هو الورق وأما السلاح فهو القلم فليس للحجة إلا أن تقارع بالحجة وليس للمنطق

إلا أن يحارب بالمنطق ، وأما ما سوى ذلك من الوسائل فلن يكون إلا حلاً وقتياً ، والدولة العربية الكبرى لا تريد هذا الحل الوقتي ، فهي ترى أن « مشكلة » قد عقدتها نصوص سطرت ، زيفاً ، بمداد القدسية لن تزايل العالم ما لم تزل عن هذه « النصوص » هذه « القدسية » الوهمية التي ما لم تعرض أمام الرأي العالمي عرضاً تذوب به « عقيدة الأرض الموعودة » في سراب التاريخ كما من هذا السراب قد حيكت فان هذه « المشكلة » ستهجده ، حتماً ، مع الزمن وإلى التشكل من جديد ستعود جديدة مما سيعود بالعالم عامة وعالم الشرق الأوسط خاصة إلى التساؤل من جديد ؛

كيف يمكن أن تحل « مشكلة فلسطين » ؟ . .

من اليقين أنه طالما ظل الصدر اليهودي زاخراً بجملة هذه « العقيدة الدينية » فلن تحل ، قط ، « مشكلة فلسطين » حلاً حاسماً . قد يجترف التيار الزمني أطراف هذه « المشكلة » ولكنه لن يفتقر أصولها وليس إلا في توار فيه ستتوارى ولروح من الزمن هو مهما طال واستطال ومهما إلى آما دامت فلن تמיד في أعماقه أبداً هذه « المشكلة » التي ما لم تحل دينياً وتذوب منطقياً فلن تغيب مطلقاً من صفحة التاريخ السياسي . . ليس إلا تحت رماد الأيام سيختفي اللظى وحماس ينحسر الرماد ، يوماً ، عن هذا اللظى فتهب العاصفة من جديد وتندلع النيران ، ولن يكون لذلك من سبب إلا لأن هذه « العقيدة الدينية » قد ظلت مشتعلة الجذوة بين الجوانح اليهودية . .

ومن اليقين أننا ما لم نضع أمام الرأي اليهودي ، نفسه ، هذه « العقيدة » في ميزان التاريخ حتى يستبين لليهود جميعاً مدى الوهم الذي يتخذون منه سنداً فستظل هذه « الأفعى السامة » ترسل الفحيح وتدعى « الحق الشرعي » في

امتلاك فلسطين وهذه حقيقة نستطيع أن نقينها تماماً إذا اتخذنا المنطق أداة في تفكيرنا وأخذنا أحداث التاريخ ومجرياته شواهد . . فلقد قُروّضت ، من قبل ، لليهود ملكة وأديلت « دولة إسرائيل » ، ولقد نُثر هدم « المعبد الثانى » اليهود بعيداً وراء هذه البقعة من الأرض التى يدعون شرعية ملكيتها فغابوا ، فى توار ، فى تيارات الشعوب التى ينتمون بها عنصراً وجنسية ويتسمون بسمات المظهر الخارجى لأهلها من السحنة واللون واللغة . . ولكن ! . « المشكلة » قد ظلت هى هى . . وإلا فكيف يمكن لها أن تذوب وهى تتخذ مساندتها من عقيدة دينية تربتها النفس ، ومنبتها الجوارح ، تُروّيها العاطفة ، وبغذيتها الوجدان والجذور منها ، فى ميد ، قد تأصلت فى الصدور ؟ . . ومن ثم كان النقيض الذى زاد هذه « المشكلة » تعقيداً فى جبهة الزمان ! . فلقد حمل اليهود معهم هذه « العقيدة » وأحلوها معهم حيثما حلوا ، ومن نفوسهم لم تقتلع باقتلاعهم جماعات من فلسطين ، فلقد زادهم التشتت بها التصاقاً وتشبهاً ، ولها احتضاناً وصوناً بل وفى حنين يستحى الذكرى إلى عزة ولت انحمت عليها منهم الحنايا وكإرث عزيز توارثوه عن الآباء راحوا ، بدورهم ، بورثونه إلى أبنائهم ، الذين فى مسامعهم صبوا ، وهم بعد فى مهودهم ، أنغام الشوق إلى الوطن الموروث لهم « شرعاً » والمسلوب منهم « غصباً » ! . .

وبقيناً لقد انتشر أفراد الطائفة اليهودية بين الشعوب التى يحملون جنسياتها ، ثم هم قد احتسكوا بهم تحت مظهر واضح من الاندماج والاندغام ولكنهم قد ظلوا ، بالرغم من تفرقهم فى الشعوب ، وحدة تترابط تحت ظل التستر والاستتار ، بعروة يشدّ منها الوثاق الواحد إلى الآخر رباط قوى ومتمين ! . فقد لا يفهم الواحد من أبناء الطائفة اليهودية لغة الواحد الآخر من

نفس طائفته الدينية ، لاختلاف الوطن والجنس ، وقد لا تتجانس طبيعته وطبيعته الآخر لتباين النشأة والبيئة بل والطبع والمعايير .

ولكن ! . بالرغم من هذا الاختلاف والتباين فهناك رابطة تضامن تجمع بوتقتها بين أفراد هذه الطائفة جميعاً وهي هذه « العقيدة » ، عقيدة « الأرض الموعودة » ، التي لم يزد القشت أهلها إلا بها اشتغالا ! . فلقد صنعوا منها سلاحاً شحذوا منه النصـل على مشحذ الوجدان ، . ثم راحوا يربصون من ورائه حتى سنحت السانحة للانتفاض فهبوا لإقامة « دولتهم » من جديد . . وهكذا من جديد جابهت جبهة الزمن « مشكلة فلسطين » ! .

ومن ثم فإن الحل لهذه « المشكلة » ، وإن كان من مظاهره زوال « دولة إسرائيل » وعودة الجماعات اليهودية إلى البلاد التي تنتمي بجنسياتها إليها ، لا ينحصر إلا في حلٍّ واحد وهو حلُّ عقدة هذه « العقيدة » من النفس اليهودية نفسها ! . . وهذا أمر يحتم علينا أن نضع هذه « العقيدة » على بساط البحث وأن نسلط أضواء التاريخ عليها من كل جانب حتى يبين العالم أصل وجودها ، وأدوار نشئها ، وأطوار تطورها ، ويراها وهي تتكون في مجرى الزمن ، ثم وهي تتبلور عبر مجريات الأحداث السياسية من فكرة مبعدة إلى عقيدة دينية فإلى عقدة نفسية . .

ولما كنا لانستهدف إلا انتزاع الحقائق من صدر التاريخ فنحن نستهل بحثنا بهذا السؤال :

ما هو نصيب هذه « العقيدة » من الخطأ أو من الصواب ؟ . .

الجواب عن هذا السؤال يدفع بنا في الاحتكام إلى المنطق الصرف فنقول ؛

لا جدال في أنه حتى إذا صحت الحجة الصهيونية وعلى قاعدة ثابتة الأساس استقامت هذه « العقيدة » فليس في وسع الشعوب العربية الاعتراف للصهيونية بشرعية « دولتها » فالطوائف الدينية لا تمتلك بلداناً ، . . وأما ! .
أما إذا تداعت هذه « العقيدة » وتحت أشعة التاريخ ذابت وثبت بطلانها فليس في وسع الصهيونية نفسها إلا الانحناء أمام الشعوب العربية انحناء الاعتراف بأنها كانت أسيرة وهم قديم غشى منها الفكر ، وأسقم منها القلب بسموم العدوان السقيم ! . .
ولكن ! . .

أحقاً يجهل الفكر الصهيوني الحقيقة من هذه « العقيدة » ؟ .
كلا ؛ إن الفكر الصهيوني لا يجهل هذه الحقيقة وإنما هو لها يتجاهل وما ذلك إلا لأن هذه « العقيدة » لو تجلت أمام العالم على حقيقتها وتحت أشعة التاريخ ذابت الخيوط التي نسجتها في نسيج الزمن كقصص قدسية ، وتسلشت في محض وهم كما قد حيكت من وهم محض لوحت للصهاينة حجة وتهات وتصدعت من تلقاء نفسها « دولة إسرائيل » وانهارت منها الأركان ! . . وإلا فكيف لا ينهار من أساسه صرح « دولة » لا يقوم منه البنيان إلا على أساس هو نفسه نصوص غير شرعية من « كتاب » تنتفى ، بانتفاؤه عن موسى ، عنه القدسية انتفاء يجعل « دولة إسرائيل » تتحول إلى ذكرى باهتة في جبين الزمن ويجعل « الطائفة اليهودية » تستحيل إلى أطياف عابرة في جفن الغدا .

هذا هو السبب الذي يدفع باليد منها إلى أن نتناول نفس « المصدر » الذي انتزعت منه الصهيونية العالمية دعوتها ونستعحي منه

الحكم على نفسه بنفسه وعلى ما يحتويه من « نصوص » هي التي عقدت هذه « العقيدة » ثم ، بعد ذلك ، نستطيع أن نحكم على الدرجة التي يقف عندها هذا « المصدر » وبالتالي على الدرجة التي تقف عندها هذه « النصوص » في معيار التفكير السليم .

ولكن ..

محال أن تمتد اليد منا فن تناول « الكتاب المقدس » ، مصدر العقيدة اليهودية الحالية ، أو أن ننشر الصفحات من « الأسفار الخمسة » فيه إلا إذا عدنا بهذه « العقيدة » إلى الوراء وأرجعناها ، شيئاً فشيئاً ، إلى أصولها العريقة في القدم وتقهقرنا بها إلى ظروفها الماضية فليس إلا عندما نُذيب هذه « العقيدة » في التيارات التي انحدرت منها ، وليس إلا عندما نتغلغل بأسبابها في طبقات الماضي القصوى ونشق إلى العوامل التي جاءت بها غمار القرون الغابرة ونسلط عليها أضواء التاريخ الذي سبقها لنرى مولدها في مهد الزمن ونموها فتطورها على مدارج الأيام ، نستطيع أن نستجلي العنصر منها كبذرة أقيت في تربة الماضي وطوتها طياته خلال أطواء ليل « آباء إسرائيل » .. ليس إلا عن طريق هذه الوسائل سنعلم العنصر من هذه « البذرة » التي لن تكون إلا واحدة من اثنتين ؛

إما بذرة سليمة أقيت في تربة صحيحة ، وإما بذرة سقيمة لا نتناولها لنحلل منها العنصر الا ونجدها قد انحلت في يدنا ونحلت الى ..
لأشياء .

ومن هنا ينبثق احتياجنا إلى سلاح المنطق ومعمل الفكر وهو هذا القلم الذي نتناوله أداة نقاش به حجة الصهيينة في أسلوبهم الديني الذي

يضعونه أساساً لدعواهم السياسية .. بيد أننا قبل أن نلج إلى لجة البحث ونشر طيات « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى ، الذى يعرف بـ « العهد القديم » فى نسخته البروتستنتية وبـ « العهد العتيق » فى نسخته الكاثوليكية ، فى تركيز على « الأسفار الخمسة » الأوّل فى كل منهما ، وهى الأسفار المنسوبة إلى موسى ، نرى لازماً علينا أن نقول كلمة بخصوص هذه « الأسفار الخمسة » وهى؛

تتألف هذه « الأسفار الخمسة » الأوّل من « الكتاب المقدس » من مجموعة تسمى ، علمياً ، « التوراة » أى الشريعة .. ويسند اليهود هذه « التوراة » إلى موسى إذ يعتبرون هذه « الأسفار » صادرة عنه وحيّاً من الإله .. وأما الواقع التاريخى فيتنافر كل التنافر وهذا المعتقد الذى لم تنبثق إلا منه « مشكلة فلسطين » .. فإنما ، وإن كان جوهر التقاليد المدونة فى هذه « الأسفار » ونواة التشريع فيها تتصل بالزمان الذى بدأ فيه تاريخ « بنى اسرائيل » كجماعة منظمة ، إلا أنها بكل نصوصها قد كتبت بعد موسى بأكثر من عشرة قرون من الزمان والبرهان على ذلك مستمد من نفس ما تحويه هذه « الأسفار » من نصوص .. لا من الازدياد التدريجى فى الشرائع الذى سببته مناسبات العصور التالية على عصر موسى من اجتماعية ودينية والتى تظهر واضحة فيما ترويه هذه النصوص من روايات غسب ولا غسب من الازدواج للتواتر والاختلافات المتتابة بين النصوص الدالة على تمازج عدة تقاليد وعلى وجود أكثر من قلم جرى بتسطير هذه « الأسفار » .. كلا ! . وإنما لأن أسماء بعض القبائل والمدن التى تتحدث عنها هذه « الأسفار » لم يكن لها فى عهد موسى وجود ! .. وهذا بالإضافة إلى ذلك الحدث الذى يهتم به « سفر التثنية » ، وهو السفر الخامس من هذه « الأسفار » ، حديثه وهو حدثٌ قد حدث ، لاحتالة ،

بعد موسى بأجيال لأنه لا يتحدث لحسب عن وفاة موسى ودفنه في « أرض موآب » وإنما عن ضياع مكان قبره في ذلك المكان من الأرض .. ولما كان ليس هناك كائن ، كان من كان ، يستطيع التحدث عن نفسه بهذه الصيغة فنستطيع أن نقول إن الاعتقاد بنسبة هذه « الأسفار » إلى موسى ليس إلا اعتقاداً واهماً وباطلاً ، وأما الإصرار عليه فأصرار بتأرجح مكانه بين جهل بالتاريخ أو تجاهل للتاريخ ! . وإلا فأى برهان يمكن أن يقدم أقوى من هذا البرهان على انتفاء نسبة هذه « التوراة » إلى موسى من أن مؤلف هذا السفر الأخير من الأسفار المنسوبة إلى موسى لا يعرف مكان قبر موسى ؟ ! .

وفي الواقع أن هذه « الأسفار » ، التي تُكوّن الدين اليهودي الحالي ، لا تعود بوجودها إلا إلى عدة أقلام يهودية وهي على وجه التحديد أقلام « بيت يهوذا » دون سائر بيوت بني إسرائيل كما أنها لا تعود بتاريخ وجودها إلا إلى ما بعد الغزو البابلي لأورشليم « ٥٨٦ ق . م » .. ولم تُعرف إلا عند ما أعاد الفتح الفارسي ، « ٥٣٩ ق . م » ، الأسرى اليهوديين إلى أورشليم . . وإلى عدة عوامل تعود بذلك الأسباب فإنه لما لم يكن في وسع اليهود بعد إعادتهم إلى أورشليم أن يقيموا لهم دولة كتلك التي كانت لهم قبل الأسر ، وذلك لنضوب الثروة المادية وللافتقار في العدة والعدد ، فقد وجدوا أنفسهم في حاجة إلى تنظيم يهيء لهم أسباب الوحدة القومية ، فانحنى الكهنة يراجعون ماسطرتة الأقلام اليهودية من قبل يوم جرت وهي في الأسر تعبّد الطريق إلى عودة « بيت يهوذا » إلى الحكم من جديد ، فوجدوها كافية بالغرض . فان هذه الأقلام التي حرصت على تسطير أبرز الأحداث في تاريخ « بني إسرائيل » مستهدفة بذلك وضع قواعد حكم

دينى يقوم على المأثور من أقوال القدامى وتقاليدهم ، ثم حرصت على صيغ ذلك بصيغة شرعية فالتحذت محوراً اسم « شريعة موسى » ومرجعاً « أوامر الرب » هى أقلام ، ولا شك ، تمثل حجارة الأساس فى بناء صرح « بيت يهوذا » من جديد ! . . ، ومن ثم ما انتهوا من مراجعتها إلا وغلفوها بغلاف القدسية لتطلع على التاريخ الدينى فى نفس اللحظة التى دعا « عزرا » الجماعة اليهودية إلى الاستماع إلى ما قد أخذ يتلوه عليها من نصوص أسماها « شريعة موسى » ! .

ومن ثمَّ فإن الشريعة اليهودية الحالية التى يتداولها اليهود اليوم ويهلسها العالم من خلال طبائعهم وطبائعهم لا تمت الى موسى بأسباب ولا تعود بوجودها إلّا الى ما كتبه أقلام مؤلّفى هذه « الأسفار الخمسة » وفقاً لأهوائهم وسياساتهم ونسبوها ، افتراء على الله وافتراء على موسى ، إلى موسى وإلى الله ، ولم يكتفوا بما سطروه فيها من سخف والخلال وإنما نسبوها إلى الله على لسان موسى تطاولوا وبهتاناً وزوراً ! .

من هنا نستطيع أن نقول إننا سنبيح لأنفسنا التحدث عن « موسى » وعن « إبراهيم » وعن غيرها من « أنبياء الله » ، الذين سيأتى ذكرهم فى معرض البحث ، على ضوء ما جاءت به صفحات هذه « الأسفار » مع إيماننا العميق بعصمتهم وتنزههم عما جاء فى هذه « التوراة » المفتراة من سفه وخش وإسفاف ! . .

ولسكن ! .

ليس معنى ذلك أن الإسلام الذى يؤمن بموسى ، كنبىّ

وكرسول وككليم الله عز وجل ، لا يؤمن بتوراة هي على موسى قد أنزلت . .
كلّا ! . . إن الإسلام ، الذى يرفرف على سائر أرجاء الشرق الأوسط وييسط
جناحيه حتى أقاصى الشرق الأقصى ، يؤمن بالتوراة كـكتاب مقدس .
ولكن ! .

بأية « توراة » يؤمن الإسلام ؟ ! .

إن الإسلام يؤمن بالتوراة التى جاء فيها الإنذار بالرسالة
المحمدية والتبشير بها . . إلا أن الإسلام لا يؤمن ، قطعاً ، بتوراة مفتراة كتبها
رجال البيت اليهودى وفقاً لمقتضيات سياسة « بيت داود » من سلالة يهوذا ،
ثم تآدوا ونسبوها ، افتراء على موسى ، إلى موسى وجعلوها ، كفراً
منهم بالله ، صادرة إليه عن الله ! . .

وهنا . .

وهنا . . تنبثق أماننا حقيقة جوهرية وكأنما هي لم تطرق بعد الأذهان ،
إذ أنها لم تطرق من قبل الأفلام وهي أن الإسلام قد جاء ملفياً لهذا الدين
اليهودى العائد بوجوده إلى مؤلفي هذه « الأسفار » . . لذلك حارب
صاحب الرسالة الإسلامية يهود شبه الجزيرة العربية وسماهم كفراً إن لم يعترفوا
الإسلام ، هذا الدين الذى جعل اعتناقه صورة للعودة الى الدين الذى أوحاه
الله الى موسى . . والذى جاءت تحمل مفهومه هذه الآية ؛
« ان الدين عند الله الإسلام ! » ^(١) .

ومن ثمّ فإن الدين اليهودى الحالى دين ألقاه الإسلام

(١) « ١٩ آل عمران » .

وأبطله إبطالا كاملا ولو لم يكن الإسلام قد أبطله لما كان محمد ، عليه السلام ، قبل إسلام من أسلم من اليهود ، ولما كان قد أقرهم على نبذهم دينهم إلى دينه . . وهو دين الله الذى أوحاه إلى « الأنبياء » كافة ، ولذلك كانت هذه الآية ؛

« ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ! . . » ^(١) .
والكن ! .

الفكر اليهودى الذى لا يهمه من أمر دينه إلا عقيدة « الأرض الموعودة » يحاول استجماع شتات تفكيره ، فيثير أمامنا نقطة يحسب أنه قد أصاب بها بغيته إذ يشير لنا إلى الآية التى تقول بأن موسى قال لقومه ؛

« يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . . » ^(٢)

إن لنا فى هذا الصدد سؤالاً لا نلقيه لأنفسنا وإنما نلقيه إلى اليهود أنفسهم ، وهو ؛

من هم أولئك القوم ، « قوم موسى » ! . .
لا جدال فى أن « قوم موسى » ، بدليل النصوص اليهودية نفسها ، كانوا هم وحدهم « بنى اسرائيل » . . وحتى يتضح لنا ذلك تماماً

(١) ٨٥ آل عمران .

(٢) ٢١ المائدة

فنفترق ، بعد قليل ، بين « العبريين » وبين « بنى إسرائيل » وبين « اليهود »
نقول ؛ إن هذه الآية لا تحمل « وعداً » بامتلاك هذه « الأرض المقدسة » وإنما
هى تكتب لهم دخولها ومساكنة أهلها ، وتجعل لذلك شرطاً هو عدم
ارتداد « قوم موسى » عن موسى ، وإلا انقلبوا خاسرين . .

وأما إذا تثبت النكر اليهودى بفكرته فنستطيع
أن نأخذ بمطقة قائلين ؛ فلنفترض ، مجازاً ، بأن هذه الآية تحمل وعداً
فإنّ هذا « الوعد » قد غدا باطلا من الوجهة اليهودية ، ومن الوجهة
الإسلامية معاً ! .

فأما من الوجهة اليهودية ، فإن الإصحاح الأول الذى تعتمد
عليه الصهيونية فى ملكية هذه « الأرض » يقول : « قطع الرب مع ابرام ميثاقاً
قائلاً ؛ لنسلك أعطى هذه الأرض . . »

ومن هنا نرى أن هذا « الوعد » خاص بنسل ابرام
فقط . . وهل اقتصر « نسل ابرام » على إسحاق ؟ أم شمل اسماعيل وغير
إسماعيل ؟ ! .

وحتى يتضح لنا أنه ليس هناك شيء ، اليوم ، اسمه « نسل
أبرام » نقول إن من نفس سطور « توراتهم » تمنحى قدسية القول بأن فلسطين
هى للصهاينة ولليهود اليوم « أرض موعودة » ! . .

وأما من الوجهة الإسلامية فإنّ هذه الآية التى تقول بأن
موسى قال لقومه ؛ « يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة . . » فإنها آية لوتعمنا
فى معناها لأدركنا ، كما أشرنا قبل قليل ، إلى أنها قد كتبت « لقوم

موسى « دخولها ومساكنة أهلها ، لا امتلاكها ، كما قد جعلت لذلك الدخول شرطاً وهو عدم الارتداد والا انقلبوا خاسرين ! . . وأما و « قوم موسى » قد تمردوا على موسى وارتدوا عنه و ؛

« قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون . . » (١)
« يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون » (٢)

فكان رد موسى أن ؛

« قال ؛ رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ! » (٣)

ومن ثم ؛

« . . ضربت عليهم الذلة أين ماثقفوا . . .
وضربت عليهم المسكنة وباءوا بغضب من الله ! ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » (٤) .

ومن هنا نرى أن هناك تطوراً سار بهذا القول الكريم لاشتماله على شرط لم يلتزم به « بنو اسرائيل » فكان افتراق موسى عنهم ، كما إلى ذلك تشير الآية ، وكان نعتهم بالفاسقين وكان عقاب هذا الفسق أن ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله عميم .

(١) ٢٢ المائدة . (٢) ٢٤ المائدة .

(٣) ٢٤ المائدة .

(٤) ١١٢ آل عمران .

وعلى ذلك تنمحي ، أيضاً ، من وجهة النظر الإسلامية ،
الفكرة القائلة بأن هناك « أرضاً موعودة » لا تقوم لهم في الواقع ،
الآن ، وجود فحسب ولا لاتصافهم بالفسق فحسب وإنما لأن الإسلام الذي
ألغى الدين اليهودي الحالى إلفاءً كلياً بقوله « إن الدين عند الله الإسلام »
وبقوله « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فان يقبل منه وهو في الآخرة من
الخاسرين » قد أنهى ، بهذا الإلغاء ، الفكرة عن هذا « الوعد » إماماً
نهائياً ! .

وهكذا ..

هكذا تنمحي من الوجهتين اليهودية والإسلامية معاً
القدسية التي صاغتها الأقلام اليهودية من حول « أرض مقدسة » جعلتها وقفاً
على أبناء يهوذا وبذلك عقدت في جبهة الزمن عقيدة « الأرض الموعودة » ! .

وعلى هذا الأساس وبهذا اليقين نبدأ في استعراض فصول
هذه « الرواية » .. هذه الرواية التي لعبت ، منذ نُسجت في إبهار ظلمة اسرائيل
واستبهار ليل تاريخهم ، أخطر الأدوار على مسرح التاريخ حتى اليوم ! .

حرى بنا قبل أن نخوض إلى لجة البحث في تاريخ هذه
الطائفة الدينية التي أطلق عليها ، تجوزا ، اسم « الإسرائيليين » أن
نفترق بين « العبريين » وبين « بنى إسرائيل » وبين « اليهود » .. وهذا
بدفع بنا إلى إلقاء هذا السؤال ؛

من هم « العبريون » ؟

ومن هم « بنو إسرائيل » ؟

ومن هم « اليهود » ؟

الجواب عن هذا السؤال لا يأتي إلا من أنفاس التاريخ نفسه ! .

فأما « العبريون » فإن تاريخهم ، كما وُجد في آثار
« نارعم سن » ، يبتدىء بعشيرة من تلك العشائر التي انتشرت ، خلال الفترة
التاريخية لبلاد ما بين النهرين ، على حافة « الهلال الخصيب » .. وهذه
العشيرة عرفت تحت اسم « عبرو » تارة وتارة أخرى تحت اسم
« عبرو » وتارات تحت اسم « عبران » وذلك نسبة إلى جدها
الأعلى « عابر » كما سيتضح لنا ذلك بعد قليل .. وأما أول ظهور بعض
أفرادها على التاريخ فكان في مدينة « أور » على ضفة الفرات الأدنى وفي
السهل الفيضي الذي كونه رواسبُ النهرين في الجنوب فجعلت منه منطقة
مستنقعات وسميت ؛ « أرض البحر » .

ثم ..

ثم هاجر فريق من هذه العشيرة في أعقاب « الغزو

الكاسى « لبلاد ما بين النهرين وضياع مملكة « أرض البحر » ، ١٧٦٠ ق . م ، ونزلوا فترة بجوار « حاران » إلى شمال « الهلال الخصيب » بقيادة رئيس لهم ، لا نشق اليه ثنايا التاريخ القديم لبلاد ما بين النهرين إلا ويطلع علينا ، عبر الألواح الصاصالية ، حاملا نعت « داميق — ايليشو » وهذه كلمة بابلية معناها « خليل الله » . . ونحن لما كنا نعرف من « الأفلام المسماية » أن هذا النعت كان خاصاً بآخر ملك من ملوك « أسرة أرض البحر » الذى فرّ بعشيرته من أمام وجه الغزو الكاسى الذى اغتمر « أرض البحر » ثم ، بالتالى ، لما كنا نعرف أن هذه العشيرة التى نحن بصدد الحديث عنها قد ارتحلت من ضفة الفرات الأدنى إلى حافة الهلال الخصيب بقيادة رئيس لها كان يحمل نعت « خليل الله » فاننا نقف ، للحظة ، حيارى نجدخلالها أنه من الصعب أن نفرق بين الصورتين لهذا الرئيس الذى يطلع علينا من ثنايا الألواح البابلية كآخر ملك من ملوك « أرض البحر » فى نفس الوقت الذى يطلع علينا من ثنايا « سفر التكوين » كرئيس عشيرة حاملا لقب « العبرانى » واسم « أبرام » . . والذى ظل يترحل بجماعته من أفراد هذه العشيرة إلى أن استقر بهم الاستيطان فى « أرض كنعان » وإن كان هذا الاستقرار لم يخل من التنقل بين أرجاء هذه الأرض الفياضة بالخيرات ويتخذ مجراه تارة إلى غرب الأردن وتارة إلى شرقه وحينما آخر من شرقه إلى الحدود المصرية فألى التوغل فى أعماق الوادى الخصيب . . هذه الجماعة لم تكن بموجة بشرية أو قبيلة كبرى لها تقاليدها ولغتها الخاصة بها ، فليس هناك موجة أو قبيلة تسمى بهذا الاسم وإنما هو اسم خاص أطلق على هذه العشيرة نسبة إلى « عابر » وهو الذى ينتهى اليه نسب « خليل الله ابراهيم » .

هؤلاء هم « العبريون » ..

عشيرة إبراهيم هي ، وحدها ، التي حملت هذا الاسم وأما من تفرع عن هذه العشيرة من خلف فقد عُرف تحت أسماء أخرى كالعُمونيين والموآبيين من نسل عمون وموآب ابني لوط .. وهؤلاء مع العبريين قد ذابوا ، تاريخياً ، في تيار الزمن عندما طوتهم لجة الشعوب كأفراد ومن ثمّ فإن هذه العشيرة ، العشيرة العبرية ، ليس لها في واقع التاريخ الحاضر أى وجود ! .

وأما « بنو إسرائيل » فهم ، وحدهم ، أولاد يعقوب بن اسحاق وذلك نسبة إلى يعقوب الذى تغير اسمه ، كما يذكر الأصحاح الثانى والثلاثون من « سفر التكوين » ، إلى ؛ « إسرائيل » ..

أبناء يعقوب وهم « الأسباط » الإثنا عشر ، راوبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويساكر وزبولون من « ليثة » ودان ونفتالى من « باهة » وجاد وأشير من « زلفة » ويوسف وبنيامين من « راحيل » هؤلاء وحدهم هم ؛ « بنو إسرائيل » . ثم إن النسل من هؤلاء الأبناء ، وهو الذى كُونت به « بيوت إسرائيل » ، من بعد ، قد أضاف الى اسم بيته المشتق من اسم أبيه هذا الاسم ... وبذلك غدا نسل يعقوب من أبنائه وحدهم ، هم ؛ « بنو إسرائيل » .

هؤلاء هم « الإسرائيليون » ..

أولاد يعقوب بن إسحاق وحده هم وحدهم أصحاب هذا الاسم دون سائر العبريين من سلالة عابر ودون باقى أولاد إبراهيم من غير « سارة » . فأمّا إسماعيل وهو من « هاجر » وأمّا

زمران ويفشان ومدان ومديان ويشباق وشوح وهم من «قطورة» فليسوا
بالإسرائيليين ، ولا بالاسرائيليّ كل من تفرع عن هؤلاء من نسل .. بل حتى
نسل «عيسو» بن إسحاق نفسه ليس بالاسرائيليّ لأن عيسو قد تغير ، أيضاً ،
اسمه إلى «أدوم» وأصبح أولاده ونسلهم يعرفون بالأدوميين ... وهؤلاء قد
ذابوا ، تاريخياً ، في تيار الزمن وطوتهم لجة الأجيال كبيوت متفرقة بين
الشعوب ، ومثلهم كان الإسرائيليون ! .. فلقد بدأ ذوب بني إسرائيل في التيار
الزمني عندما تسرب عنصر الفناء في كيانهم عقب وفاة سليمان ، ٩٣٥ ق . م ،
وانقسام مملكته ، التي قام شاول بتأسيسها وأتم بنيانها داود ، إلى مملكتين
قامت إحداهما في الجنوب بمن تحدر من سبطى يهوذا وبنيامين واتخذت من
أورشليم عاصمة ولما كان سبط يهوذا هو المتوارث عرش هذه المملكة فقد
عُرِفَت هذه تحت اسم «مملكة يهوذا» أو «مملكة اليهودية» كما
قامت الأخرى في الشمال بمن تحدر من نسل الأسباط العشرة الباقين
واتخذت «السامرة» عاصمة وراحت تحكم هذا الشمال تحت اسم «مملكة
إسرائيل» .. ففي عام ٧٢١ ق . م احتل الآشوريون مملكتي إسرائيل
ويهوذا . ولما حاولت «مملكة إسرائيل» التمرد على الآشوريين قام هؤلاء ،
٧٠١ ق . م ، عازمين على محو أبناء إسرائيل من صفحة الوجود فاحتلوا هذه
«المملكة» احتلالاً كاملاً وأباحوها لجندهم واستباحوها لأنفسهم ثم قادوا
من تبقى من سكانها أسرى إلى العراق وأحلوا محلهم قبائل عربية جديدة جاءوا
بها من سورية وشبه الجزيرة العربية ومن العراق وبهذا محيت
«مملكة إسرائيل» من خريطة الوجود نهائياً .

ومن ثمّ فإن «بني إسرائيل» من نسل الأسباط العشرة

شئ، ليس له اليوم في ضوء النوافع التاريخي وجود ! .

وأما « اليهود » فينقسمون إلى قسمين رئيسيين ؛

قسم ينتسب إلى « يهوذا » ، رابع أبناء يعقوب ، ولم يكن يُنسب إليه إلا بعد أن أصبح اسمه علماً على الإقليم الذي قسم لأبنائه عند تقسيم الأرض بين « بيوت إسرائيل » ثم شمل هذا الاسم نسل بنيامين عندما تصافر هذا الفرع مع فرع يهوذا الذي نشأ منه « بيت داود » والذي ، بالتسالي ، نشأت به « مملكة اليهودية » أو بالأحرى « مملكة يهوذا » .. وهذا قسم باد ، أيضاً ، معظمه وذاب في تيار الشعوب باقية غداة اجتاحت الغزو البابلي هذه ، « المملكة » .. ففي عام ٥٦٧ ق . م احتل البابليون « مملكة اليهوديين » واستولوا على عاصمتها أورشليم . ثم لما حاول من كان قد تبقى من اليهود في هذه المنطقة التمرد على سلطان بابل في فلسطين عاد البابليون معتمدين هذه المرة أن يحلوا المشكلة اليهودية حلاً حاسماً فأحرقوا أورشليم وهدموا « هيكل سليمان » وأباحوا البلاد لأنفسهم واستباحوها لجندهم قتلوا من وقعت عليه يدهم من سلالة يهوذا ثم أخذوا ملكهم « صدقيا » وحوالى خمسين ألفاً من رجالهم أسرى إلى بابل حيث لم يسمع « أبناء يهوذا » إلا الجلوس على ضفة الفرات والتباكى على أورشليم الضائعة والترنم بذكرى « بيت داود » وذكريات « صهيون » .. ولكن ، مع هذا الترنم بدأ الحنين إلى « صهيون » وليصبح هذا الحنين إلى صهيون رمزاً للحنين إلى « بيت داود » ثم ليحس هذا الحنين إلى « بيت داود » رمزاً للحنين إلى عودة « مملكة يهوذا » أو هذه « المملكة اليهودية » وابتدأ الخيال مع هذا الحنين يمنح بالرؤوس اليهودية وبشكل

من الوهم روايات ومن هذه الروايات صوراً هي التي دفعت بالأيدي منهم إلى أن تنشر القراطيس وتُجرى عليها الأفلام في تسجيل لهذه الصور وفي تسطير هذه الأوهام التي سارت نحو هدف واحد هو عودة « بيت داود » على عرش اليهودية . ولكن أبت هذه الأفلام ألا أن تغمس بمداد القدسية ، ولكي يصبغوا غايتهم بالصبغة الشرعية نسبوها إلى موسى ! .

هذه الأفلام اليهودية ، التي جرت في المنفى البابلي تعد العدة لإعادة « مملكة يهوذا » على صفحة المستقبل ، هي التي جاءت بهذه « الأسفار الخمسة » التي نسبوها ، افتراء ، إلى موسى وحملوها ، زوراً ، هذا « الوعد الإلهي » الذي حولوه من فرد إلى فرد كما يحضروه في « نسل يهوذا » عامة وينتهوا به إلى « بيت داود » خاصة ! ..

إنّ « بيت داود » لما كان رمزاً لهذه « المملكة » فقد حصرت الأفلام اليهودية هذا « الوعد » في نسل داود ولعطوا قضيتهم صبغة شرعية رأى مؤلفو هذه « الأسفار » أن من صالحهم أن يبدأوا بإبراهيم ! . فجمعوا « الوعد » يأتي لإبراهيم باديء ذي بدء ثم حولوه إلى إسحق ليخرجوا منه اسماعيل ثم حولوه إلى يعقوب ليخرجوا منه « عيسو » وليحضره في سلالة يعقوب أو إسرائيل ثم حولوه إلى « يهوذا » الإبن الرابع ليعقوب ، ليحضره في نسله وهو « بيت داود » ومن « بيت داود » إلى نسل داود لينحصر بذلك في مملكة الجنوب دون الشمال ! .

وهكذا أعدت الأفلام اليهودية العدة لقيام « مملكة يهودية » صاغت حجر أساسها من مادة وهمية هي هذا « الوعد » بـ « الأرض الموعودة » ! . هذا « الوعد » الذي لم يكن في واقعه إلا العوبة من الأعياب

السياسة تتوارى خلف ستار من الدين وكان ، في صميمه ، وعداً سياسياً تابعاً لمآرب السياسة من « أبناء يهوذا » ومن أهل السكهنوت منهم الذين ما فرغوا من تسطير تلك الصحائف التي كونت « الأسفار الخمسة » إلا وكان الفتح للفارسي لبابل ، ٥٣٩ ق . م ، وإلا أعاد الفرس من تبقى من اليهود في بابل مرة أخرى إلى فلسطين .

ولكن ، هذا الحدث الذي يعتبر من أبرز الأحداث في تاريخ اليهوديين لم يعد عليهم بما استهدفوه في فلسطين من إعادة « دولة » كانت لهم فيها .. ومن هنا كان استشعارهم الحاجة الى توثيق عرى الرابطة القومية بين الأفراد برباط تتمثل في هذه « الأسفار » التي تناولها « عزرا » وأخذ يقرأها على اليهود ، في ذلك الاجتماع العام الذي دعا اليه ، بعض مقتطفات منها هي تلك التي اتخذت من عقيدة « الأرض الموعودة » محوراً وهي هذه التي ما انتهى من قراءتها إلا وأقسم اليهود على أن يتخذوا من هذه « العقيدة » دستوراً يسرون عليه ! . وبهذا عملوا ، فإنهم وإن كانوا قد ظلوا تحت الحكم الفارسي ، بالرغم من المركز الديني الذي منحه الفرس لهم في القدس ، لا قدرة لهم على إبراز نواياهم الى حيز الفعل فإنما العامل الزمني كان قد بدأ عمله في تحويل هذه للعقيدة إلى عقدة نفسية بدأت تستقر شيئاً فشيئاً في أقاصي الضمائر ويزيدها مرور الأيام تعقيداً على تعقيد ، ولا سيما عندما غزا المقدونيون فلسطين وألحقها الإسكندر ، ٣٣٢ ق . م ، بدولة الإغريق . وعند ما احتلها العرب الأنباط ٦٠ ق . م ، وأصبحت تابعة لعاصمتهم « بتراء » وعند ما احتلها الرومان وجعلوا منها ولاية رومانية في أوائل القرن الأول الميلادي .. ولكن ! . هذا اللغز السكامن تحت وماد الأيام كان لابد له من التأجج وهذا ما قد حدث فإن اليهود حاولوا في

هذه المرة استغلال المركز الديني الممنوح لهم لأغراض سياسية فهاجمهم «تيطس» ، ٧٠ م ، بمساعدة سكان البلاد العرب واحتلّ القدس ودمرها وهدم « الهيكل » وقتل معظم من كان فيها من اليهود وأما من ظل منهم على قيد الحياة ففر الى مصر وسورية وبلاد أخرى حيث بدأت تطويهم لجنة الأيام وإن كان هذا الحدث لم يحىء بنهاية التاريخ اليهودى من فلسطين إلا عندما جاءت آخر محاولة لهم لإحياء تراثهم فيها وذلك عندما أعلن بعض يهود القدس العصيان على الرومان ودعوا لقيام « مملكةهم » فهاجمهم « هادريان » ، ١٣٥ م ، ودمّر المنطقة اليهودية في القدس تدميراً شمل من كان قد ظل فيها من اليهود ، ثم أتمّ هدم « الهيكل » وبني مكان القدس مدينة جديدة . وهكذا أزال الرومان « مملكة يهوذا » من خريطة العالم القديم ولم تبق لليهود بعد هذه المحاولة قائمة في فلسطين ولم يظهر لهم أى نشاط سياسى استمد قواه من مدد دينى حتى العصر الحديث . .

هذا هو القسم الأول من « اليهود » ، . ولهذا قلنا إنه قسم باد معظمه وذاب في تيار الشعوب باقيه . .

وأما القسم الآخر فهو الذى ما زال باقياً ولم يزل منتشراً وهذا يتمثل في هؤلاء اليهود الحاملين لألوان من الجنسيات المختلفة الذين توارثوا الدين اليهودى الحالى عن أسلاف كانوا أنفسهم ينتمون إلى عدة شعوب كانت تسكن شرق أوروبا وتتكلم اللغة اللّيدية . . وهؤلاء ، لا تصالهم بالعبريين صلة عنصرية ولا بالإسرائيليين أوشاج قرابة تاريخية فانما هم ينحدرون من قبائل « الخزر » المنغولية المنتمية إلى سلالة القبائل

التركية التي كانت تسكن أواسط آسيا قبل ارتحالها إلى شرق أوروبا واحتلالها تلك المنطقة الفسيحة الواقعة بين جبال « الأورال » شرقاً ووسط أوروبا غرباً وشمال البحر الأسود جنوباً حيث أقاموا مملكة ضمت كل تلك الأرجاء. وكانت من قبل وثنية ثم انقلبت يهودية وهذا هو السبب المباشر في انتشار الدين اليهودي في كل تلك المناطق ثم في امتداده ، من بعد ، إلى سائر بلاد الغرب .

هذه هي الحقيقة كما يقررها التاريخ السياسي وهو يحدثنا عن تقهقر « قبائل الخزر » إلى شرق أوروبا ، عقب طردهم من آسيا في القرن الأول الميلادي ، سالكين الطريق الواقع شمالى بحر قزوين في اكتساح لذلك الشرق الفسيح من أرجاء العالم الغربى حتى أنه لم تنقضى سبعة قرون من الزمن إلاً وكانوا قد احتلوا كل تلك الرقاع التي أشرنا إليها وأسسوا مملكتهم الوثنية . . ولما كانت هذه القبائل قد طبعتها طبائع القسوة المتمطشة إلى إراقة الدماء التي كانت تتميز بها شعوب القبائل للمنغولية فقد رغب مسلمو الشرق في أن يرشدوا هؤلاء الخزر إلى سماحة الدين الإسلامى كما رغب مسيحيو الغرب ، بالتالى ، في أن يفسروا السلام في أرجاء هذه المملكة الدموية الطبيعة والطابع فكان ذلك ترغيباً لحاكم هذه القبائل في الإطلاع على الدين اليهودى . . وصادف الدين اليهودى من نفس « بولان » هوى ! . فلقد وجد ملك هؤلاء الخزر فى الدين اليهودى ، بما يحتويه من طقوس دموية وبما يشتمل عليه من شرائع ، تبيح كل كلمة فى قاموس الإباحية ، تفسيراً لأصول دينه الوثنى فاعتنق اليهودية ديناً ، ٧٤٠ م ، ثم تبعته حاشيته فشمبه ثم أعلنه ديناً رسمياً لقبائل الخزر . . .

منذ نهاية القرن السابع الميلادى حتى نهاية القرن العاشر عاشت هذه المملكة الخزرية ، التى قامت فى القسم الجنوبى من روسيا بين نهري النولجا والدون غامرة شواطئ البحر الأسود وبحر قزوين ، « دولة يهودية » لا يجلس على عرشها ملكٌ إلا إذا كان يهودياً حامياً لهذا الدين الذى أصبح دين هذا الشعب الذى تراوح عده بين ثمانية وعشرة ملايين وكل فرد فيه كان قد أصبح يهودياً والذى لا يعقل ، بداهة ، أن يسكون اعتناقه اليهودية كفيلا بتغيير جنسه ! . فهو ، من الوجهة العامة فى « علم الأجناس » ، شعب ينتمى إلى القبائل المنغولية التى كانت تسكن أواسط آسيا قبل ارتحاله إلى شرق أوروبا ثم تأسيسه فيها مملكة انقابت إلى « دولة يهودية » وإليها يعود الدين اليهودى بأسباب انتشاره فى أرجاء عالم الغرب وذلك عندما تعرضت هذه القبائل الخزرية لغزو الدولة البيزنطية والتحمت فى حروب مع القبائل الروسية التى كانت تسكن شمال هذه المملكة ، « مملكة الخزر » . . فاقدر هزم الروسُ الخزر وهوت عاصمتهم « انيل » وانطلق الروسيون فغزوا جميع الأراضى التى كانت تتسكون منها هذه « المملكة الخزرية » وضموها إلى الدولة الروسية وأصبح الخزريون رعايا الدولة الروسية . . ولما كانت هذه الدولة قد بدأ توسعها وامتداد رقعتها حتى أصبحت أقوى الدول فى شرق أوروبا فإن هذه الهزيمة التى حلت بالخزر وكان فيها انتهاء « دولتهم » وانتهى قوتهم الحربية هى التى أدت إلى تفشى الدين اليهودى وامتداده ليس فى شرق أوروبا وجنوبها الشرقى فحسب وإنما فى امتداده إلى سائر أنحاء العالم الغربى . .

حقيقة لقد ظل الخزر فى جنوب روسيا ، داخل نطاق الدولة الروسية ، المجموعة الجنسية المتماسكة بلغتها اللبدي ودينها اليهودى ولكن

حينما هُزمت روسيا من جيرانها الغربيين ونشأت إثر ذلك تلك الدول الكبيرة في الجزء الشرقى من أوروبا شهد العالم بنشأتها تفشى اليهودية بين الشعوب الواقعة على الحدود الروسية ! . فإن هذه الدول ، الغاليسية واللثوانية والبولندية والرومانية وغيرها من الشعوب الواقعة على الحدود الروسية ، لما كانت قد وقعت في غزواتها المتجهة إلى الشرق على حساب روسيا فقد انطلقت تضم إلى أراضيها مجموعات من هذا « الشعب الخزرى » . ثم ، بالتالى ، لما كانت حدود تلك المناطق للدول التى قامت فى شرق أوروبا تتغير تغيرات رئيسية ، خلال البضعة القرون التالية على تفكك الدولة الروسية ، فقد كان من نتيجة تلك التغيرات أن وُزع « شعب الخزر » ، الذى كان عدده يتضاعف تضاعفاً مطرداً ، على الحدود السياسية المختلفة والدائمة التغير فكانت أجزاء من أرضهم تُضم إلى روسيا ، وأخرى إلى رومانيا ، وأخرى إلى غاليسيا ، وأخرى إلى لثوانيا ، وأجزاء إلى النمسا ، وأخرى إلى أوكرانيا . . وهكذا وُزعت سلالة الخزر على سائر دول شرق أوروبا وبدأ عامل الزمن ، أيضاً ، يأتى هنا بأثره فذابت ، عن طريق الاختلاط ، الخصائص الخزرية فى الخصائص الجنسية للشعوب التى طوتهم تحت ظلالها . . وهذه السلالة من الخزر التى تجنست بالجنسيات البولندية والرومانية والأوكرانية والنموسوية واللثوانية ، وهى جنسيات الغالبية العظمى من الصهيونيين ، هى التى كونت هذه المجموعات المنتمية إلى جنسيات مختلفة والمنفصلة جغرافياً والمترابطة عقيدة من يهود سائر بلدان العالم الغربى ! .

هؤلاء اليهود الغربيون الذين هم من سلالة الخزر هذه التى وُزعت على الدول المختلفة فى شرق أوروبا هم الذين قد حاولوا ، كما يدل التاريخُ

الحديث ، الاتحاد مرة أخرى ليكونوا « دولة يهودية » على غرار مملكتهم تلك ، « مملكة الخزر » ، التي كانت تتحكم في شرق أوروبا . وهؤلاء هم الصهيونيون ! . هؤلاء الصهاينة الذين ، كما ثبت تاريخياً ، لم يهاجر أسلافهم إطلاقاً الى فلسطين ولا من فلسطين ولا تربطهم بفلسطين صلة قومية أو تاريخية ولا تصلهم بأهاها صلة وطنية أو لغوية على الإطلاق هم الذين استطاعوا أن يخفوا عن العالم علمهم أنفسهم بهذا الأصل الخزرى الذى ينحدرون منه تحت نداء مدوّ من الادّعاء بأن لهم « الحق الشرعى » فى امتلاك فلسطين على أساس أنها « أرض موعودة » لهم كمنحة إلهية أُعطيت لآباء لهم وأجداد ! . .

هؤلاء هم الصهاينة الذين تمكنوا ، اليوم ، من افتعال « دولة » لهم فى فلسطين ، ليست هى فى واقعها التاريخى إلا محاولة جريئة لتجميع هذه الجماعات المنحدرة من آباء وأجداد من الخزر لتعيد عهد « دولة الخزر اليهودية » ! . . والبرهان على ذلك هو أنّ هؤلاء الصهاينة أنفسهم قد رغبوا ، عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى ، فى جمع شتات الخزر الموزعين جنسيات مختلفة على دول العالم الغربى تحت ظل دولة يهودية تتمتع بالحكم الذاتى فى شرق أوروبا ، وليس إلا عند ما تبينوا استحالة تحقيق هذه الرغبة السياسية كان أن اتجه تفكيرهم إلى اختيار مكان آخر يمكنهم إنشاء هذه « الدولة » فيه فأسعفتهم قرائنهم بوسيلة نابعة من قلب دينهم ، ألا وهى « عقيدة الأرض الموعودة » ! . وهذه هى التى سنضمرها أمامهم ، بعد صفحات « فى ميزان التاريخ وهذه هى التى مكنتهم من اغتصاب أرض فلسطين ! .

هذا هو في ضوء الحقائق التاريخية أصل الصهاينة الذين
يدعون أن لهم « حقاً روحانياً وشرعياً في فلسطين » ! .

ولكن ..

حتى نبيّن تماماً أن الحركة الصهيونية التي مهدت لافتعال
« دولة إسرائيل » هي أحدث محاولة رمت الى جمع شتات السلالة الخزرية
وإسكانها في منطقة جغرافية غريبة عن وطنها التاريخي في أواسط آسيا وإنها
ليست في مداها الواقعي حركة دينية على الإطلاق وإنما حركة سياسية تتوارى
خلف ستار من الدين ولم تجد وسيلة إلى غايتها إلا في ادعاء أصحابها بأن العبريين
والإسرائيليين كانوا لهم آباء وأجداداً ، نستطيع أن نتساءل ؛

هل يُمكن للخيال ، مهما اتسعت أمامه آفاق التعليل
والاستنتاج ، أن يوجد صلة بين أسلاف هؤلاء الصهاينة من القبائل المنغولية التي
كانت تسكن أواسط آسيا وبين القبائل التي عاشت يوماً في المنطقة الجغرافية
المعروفة الآن باسم فلسطين قبل اعتناق الخزر الدين اليهودي بنحو ألفي عام
وأن ينحدر من سلالتهم هؤلاء الصهاينة الذين يدعون أن لهم حقاً شرعياً في
رقعة من الأرض . افعلوا فيها « دولة » بمدد نابع من « كتاب » افتراه رجل
الدين اليهودي على الله وموسى ممّاً ، ثم راحوا يحاولون تسنيد الأركان المتداعية
لهذه « الدولة » بمساند أخرى افعلوا ظاهرها من « الجنسية الإسرائيلية »
وأخفوها باطنها وهو « الجنسية الخزرية » متجاهلين بأنه ليس هناك في الواقع
التاريخي شيء اسمه « الجنسية الإسرائيلية » ! ..

هذا هو القسم الثاني من « اليهود » ، وتؤلفه السلالة
الخزرية الممثلة في هذه المجموعات المنفصلة من يهود العالم الغربي المنتمين إلى

جنسيات مختلفه تهزهم ذكرى ممالكه كانت لهم في شرق أوروبا وليس لها من ذكرى اليوم في جفن الزمن إلاّ جمهورية صغيرة تقع على مقربة من المنطقة الآسيوية التي نزحت عنها قبائل الخزر .

هذه الجمهورية اليهودية المشار إليها هي « يروبيجان » . . .
وهي واحدة من الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية وتبلغ مساحتها رقعتي بلجيكا وهولندا معا وتضم حوالى مئة ألف يهودى وقد أنشئت منذ حوالى ربع قرن من الزمن وأعلن إذ ذاك أن الغرض من إنشائها هو إعداد « وطن قومى لليهود » ..
ولكن . .

رغم قيام هذه الجمهورية في نطاق الاتحاد السوفيتى فإنّ الحكومة السوفيتية تعد الترويج للصهيونية جريمة معاقبا عليها حتى أنها أغلقت المدارس التى كانت تُدرس فيها اللغة العبرية ، ومن هنا نستطيع أن نلقى ضوءا على موقف الاتحاد السوفيتى يوم أيد مشروع تقسيم فلسطين تقسيما يسمح بإنشاء « دولة يهودية » فيهم ونفهم لماذا اتخذت الحكومة السوفيتية هذا الموقف بعد أن حرمت الصهيونية في بلادها رغم إقرارها « بإنشاء وطن قومى يهودى » لليهود في « يروبيجان » وذلك لتخلص من شر تحويل ذلك « الوطن القومى اليهودى » إلى « دولة يهودية » !

وأما القسم الأخير من « اليهود » فننتشر في دُول أوروبا الغربية . وهؤلاء ، كسلالة الخزر ، لا يمتون بصلة عنصرية أو صلة دم تاريخية إلى الشعوب السامية التى كانت تسكن فلسطين وإنما هم ينتمون إلى

جنسيات مختلفة اعتنق أسلافها الدين اليهودي ، وإلى مجزرة هادريان يعود السبب في تهويدهؤلاء .. فان على أثر مجزرة هادريان فر من نجا من اليهود خارج فلسطين هائمين على وجوههم يطوون صدورهم على تعاليم « التوراة » وأما رؤوسهم فممتلئة بأحلام « الأرض الموعودة » هؤلاء المشردون من اليهود إلى جانب التجار منهم وأسرى الحروب هم الذين قاموا بنقل هذا الدين إلى حيث انتقلوا بل بلغوا به إلى شعوب القبائل في شمال أفريقيا حتى مرا كش كما بلغوا به الصين والهند وإلى الأفطار التي تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط الشمالى وبذلك انتشر الدين اليهودي بين شعوب كانت تنتمى إلى كل الأجناس المعروفة ولذلك نجد في كل شعب من شعوب العالم وفي كل جنس من أجناسه المختلفة مجموعة تعتنق الدين اليهودي ديناً ! .

هؤلاء هم « اليهود » بما ينقسمون إليه من أقسام . . لا يؤلفون « شعباً » ولا « جنساً » وإنما هم يكونون « جماعة دينية » مكونة من عدة أجناس وأصول ..

وهؤلاء الذين تهودوا من ذوى الجنسيات المختلفة والأصول المتباينة والبيئات المتنافرة والذين لا تصلهم بالعبريين صلات قرابة أو عصبية ولا بأباء إسرائيل ولا بإسرائيل ولا بأبناء إسرائيل أو شاج نسب يسمون أنفسهم « عبريين » تارة و « إسرائيليين » تارة أخرى ويدعون أن فلسطين وطن موروث لهم عن آباء لهم وأجداد ومنحة إلهية جاء بها « الوعد » لهم على لسان هؤلاء الأسلاف ! .

من ثمَّ حتماً علينا ونحن إنما نلج إلى لجة التاريخ بحثاً عن

« الأصول » و « العوامل » و « الأسباب » التي عقدت في جبهة الزمن « مشكلة فلسطين » أن نعود إلى تلك العهود التي تقدمت مطلع هذه « المشكلة » على التاريخ وهذا يدفع بنا إلى التفاعل في عهود موعلة في القدم وأن نتبع المعاول الأثرية وهي تسير بنا على هذه الناحية التي يحدها شرقاً جبل الزيتون ويترامى عليها ظلال حوريب أو جبل صهيون في امتداد إلى البحر الميت حتى يغيب في وادي الأردن بينما تحمل منا اليد « الكتاب المقدس » للدين اليهودي الحالي وتنشر منه الصفحات بين دوى هدير الزمن في عبوره على هذه « الأرض الموعودة » وهو يقطع عليها الأجيال ! ..

الحقل التاريخي لمنطقة « الأرض الموعودة »

على صليلِ المعاول الأثرية التي أزاحت السُّجف الفاصلة بين التاريخ وبين ما قبله وبيننا وبين الزمن في ليله وَسَحَرَه وفجره نطلّ على الماضي من خلال الأطلال وعلى هذه الناحية من الأرض الفريدة في أهميتها التاريخية من حيث تمسك اليهود بشرعية ملكيتها نظوى التلال حتى يذنبى بنا الزمنُ عائداً إلى الوراء . .

ومن هناك . .

منذ بدأ هيكل هذه البقعة يتكون وتؤثر العوامل الجوية بفعلها فتنتحت فيه هذه المعالم من جبال وسفوح وأنهر ووديان وتظهر القبائل البشرية في تجمُّع وفي انفراط يبدأ بنا الزمنُ من لجة هذا الماضي البعيد له استرسال عابراً إلى التاريخ عبر عصور ما قبل التاريخ المنقسمة إلى أقسام رئيسية ثلاثة ، في تمهل عند كل عصر على حدة . فهو لا يقطع بنا « العصر الحجري القديم » طويلاً عهوده الثلاثة ، الأسفل والمتوسط والأعلى ، إلا ليهدينا إلى أول أثر لبقايا الإنسان قاوم تأثير الزمن فأماننا مطروحة العظام والآلات التي نحتها صاحب هذه العظام من أحجار الظران مهمة على شواطئ الأنهار وتحت طبقات سميكة من الحصى الذي دحرجته المياه ، دليلاً على أن وجود الإنسان لا يرجع إلى أزمان سحيقة سبقت هذا العصر الحجري الأول فحسب ،

وإنما على أن الجنس البشرى قد بدأ يرتقى أولى مدارج التطور في نفس هذا العصر الذى جاء فى نهاية تدهور عصر جليدى وبرهان ذلك نفس هذه الآلات التى لا ننالها إلا لنرى صورة إنسان ذلك العصر على صفحاتها والا لتبينه ، بالرغم من بدائية هذه الآلات الدالة على مستواه المنخفض فى شجرة الحياة ، إنساناً بدأ يسيطر بذاته على الحيوان وبدأت معالم البشرية تبرز فيه أوضح من ذى قبل .. هذه المعالم التى ما اشتد بروزها إلا وكان ذلك إيذاناً بانتهاء هذا العصر وبداية «العصر الحجري المتوسط» مع عصر جليدى آخر هو الذى دفع بإنسانه من غصون الأشجار إلى أغوار المغاور وطوايا الكهوف حيث عثرنا فيها على مجموعة من هياكله مطروحة الى جانب مخلقاته هى آلاته التى اصطنعها من النحاس ومن الحديد وتركها أكواماً تماسكت بفعل الترسيع المختلط بالمواد الجيرية .. هذه الأكوام من الرواسب هى سجلات تاريخ ذلك العصر وتاريخ إنسانه الذى تساوت مرتبته فى هذه المنطقة والمرتبة التى عليها فى غيرها من مناطق الشرق الأوسط القديم استجابة لوحدة الجو التى كانت فى كل هذه الجهات متشابهة ، وبالتالى ، لطبيعة الحياة التى كانت على ساحل البحر الأبيض المتوسط كله واحدة .. هذه الحياة التى امتدت خطاها الى أن تعلى مدارج التطور نحو رقى جديد ما بدأت معالمه تتسّم فى كل هذه الجهات بالوضوح إلا وكان ذلك الإيذان بانتهاء هذا العصر وبداية «العصر الحجري الحديث» . وهذا العصر الذى بدأ منذ حوالى عشرة آلاف سنة ق . م . هو فى الواقع فجر الأزمان الحديثة ، لا لأن بدايته تتفق مع عصر تدهور الجليد الذى ما زال إلى اليوم فحسب ، ولا لأنه عصر نهضة الصناعة وبداية استعمال المعادن من الذهب والنحاس فحسب ، ولا لارتباطه « بالعصر المعدنى »

الذى يليه ويتداخل فيه فحسب ، وإنما لأنه العصر الذى أخذت فيه الأحوال العامة للانسان تتغير تدريجياً ففيه أخذ أفراد القبائل يجتمعون فى قرى ويكونون « الشعوب » وفيه بدأت هذه الشعوب ، فيما بينها ، تاريخ التصارع والصراع على امتلاك رقاع هذه « الأرض الموعودة » ! .

منذ فجر التاريخ بدأت رواية الصراع على امتلاك هذه الرقعة من الأرض التى كانت بحكم موقعها الجغرافى جسراً يصل الشرق بالغرب والغرب بالشرق وممرأ من الجنوب ، حيث الجزيرة العربية ، حتى الشمال ، حيث أفريقيا الشرقية بينما كانت يد الزمن عاملة من خلال هذا العصر فى نشر طبقات من البشر أبت إلا الإحتفاظ لنا بسماهم وهى تطويعهم فى طيات هذه الناحية من الدنيا وخاصة فى كهوف « الكرمل » وفى جنوبى « الناصرة » ولتأتى المعاول الأثرية بهم إلينا وهى تطرح تراب الأجيال عن هياكل لهم وجاجم وجدناها متحجرة فى الكهوف وتزيح الركام عن طبقات أربع علت بعضها بعضاً فى « بيت يراه » دليلاً على أن هذه الرقعة من الدنيا قد امتلكها فى غضون هذه الفترة الزمنية شعبٌ تتالت عليها أفواجه من شبه الجزيرة العربية فى تدافع حتى بلغت فئات منه وادى النيل حيث حلت هناك قبائلى وفى أحضانه استقرت استقراراً امتد عبر مدى من الزمن غير قصير يدل عليه ما قد وجدناه من محلات لهذا الاستقرار فى العباسية والمعادى وحلوان . . هذا بينما كانت الأفواج التى تخلفت عن مواصلة الترحال إلى وادى النيل قد اغتمرت اغتماراً كلياً هذه الرقعة من « الأرض الموعودة » وانتشرت فى أرجائها لتصبغها بلون تحضرى

لم تهت ، بعد ، منه المعالم فما زالت معالم ذلك التحضر ، وخاصة في « جريكو » واضحة فيما تركه لنا هذا الوافد الجديد وراه من المعابد والمذابح والمحاريب التي غصت بها مناطق هذه الناحية غداة كانت القبول من هذه الأفواج ترح على هذه السفوح والوديان قبل أن تطويهم طياتها وتحفظ لنا يد الزمن بهياكلهم هذه وجماجمهم التي لانسلط عليها أضواء « علم الأجناس » إلا ونعود مقتنعين بأن العنصر من هذا الشعب كان « سامياً - حامياً » وإن كان لفظ « سامي » ولفظ « حامى » لا يجوز ، علمياً ، إعطاؤهما أية دلالة جنسية لأن غاية ما هنالك أنهما يمثلان فرعين من سلالة البحر الأبيض المتوسط كونا هذا الوافد الجديد الذي يطلع علينا من ثنايا العصر الحجري الحديث مستهلاً أول فصول رواية الصراع البشرى على ملكية هذه « الأرض » عندما راح مسلحاً بأسلحة أحدث مما سبقها وأكمل يغزو القبائل التي سبقته في الانتشار على هذه الرقعة ، ويقتطع عليها مراحل العصر الحجري الحديث حتى النهاية معلناً لنفسه حق امتلاك هذه الناحية من أرض تمثل مفرق طرق عالم الشرق الأوسط القديم ! .

بهذه المقدمة استهلّت السطور الأولى من قصة الصراع البشرى على هذه الرقعة من الأرض ، وهى قصة وإن تهت منها المعالم فى أبعاد ما قبل التاريخ إلا أنها قد أخذت فى الوضوح شيئاً فشيئاً بمطلع التاريخ غداة بدأت شبه الجزيرة العربية تقذف إلى خارجها موجاتها البشرية . .

في أعقاب ذلك التغير الذي طرأ على جو بلاد العرب خلال العصر الحجري الحديث ، نتيجة للتغير الذي طرأ على جو العالم وأدى الى ذوب ثلوج العصر الجليدي الأخير ، بدأت شبه الجزيرة العربية تنذف موجاتها البشرية الى خارجها . . فموجة الى وادي الفرات الأدنى وموجة أخرى الى وادي النيل ، وموجات أخرى تناهت لتجهز « الهلال الخصيب » وأكثر من ناحية من نواحي الشرق القديم بالسكان وتطبعه بالطابع العربي الأصيل . .

وهذا هو الواقع فإن جو شبه الجزيرة العربية لم يكن ، لشطر كبير خلال العصر الجليدي الأخير ، على النحو الذي نعهده الآن . . فقد كانت الرياح الغربية المشبعة بالرطوبة والبرودة تصل اليها وتنزل عليها ، في جميع فصول السنة ، الغيث المطير والحيط الهندي أو بالأحرى فرعها ، الخليج العربي ، كان بالربع الخالي فيها متصلا مما جعلها بأوساطها وأطرافها خضيرة التربة شجراء الأرجاء ، تكتنفها الغابات وتغلغلها الآبار وتجري على صفحاتها المياه بما كان فيها متفجراً من العيون . ولهذا كانت مزهوة مأهولة آهلة بالممران وعامرة بطبقات من البشر . . غير أن التغير الذي طرأ على جو العالم فأذاب ثلوج العصر الجليدي بالتدريج قد أصابها تدريجياً ، أيضاً ، بالتغير الكلي الذي جاء بآثره في غضون العصر الحجري الحديث فإن هذا التغير الذي وقع بفعل العوامل الطبيعية وأدى إلى انحباس المطر قد أدى إلى هبوب العواصف والرياح السوم وإلى هياج الحرات فجفت رطوبة التربة وزاد فيها الجفاف وتحولت إلى بيوسة أمات ، بالتدريج ، لزرع وهيئت سطح القشرة الأرضية فحولتها إلى رمال

وتراب ثم صحارى راح يشح فيها النبات ويحف فيها الماء . . هذا الجفاف الذى أصاب بلاد العرب وهبط بمستوى الماء فيها عدة أقدام وبُذِل ، بفعل تبدل جيولوجى يطرأ فى باطن الأرض ، طعم المياه وغَيَّر مجاريها وأدَّى إلى تحويل الأرض إلى بقاع صحراوية غاضت فيها الآبار واختفت فيها العيون كان له الأثر الفعَّال لا فى تاريخ العرب فحسب وإنما فى تاريخ الشرق الأوسط القديم على وجه التخصيص ، لأنَّ هذا الجفاف الذى أصاب شبه الجزيرة العربية قد جاء بآثره فى حالة الساكنين فيها فدفعهم التى التنقل منها إلى مواضع أخرى تتوافر فيها شروط الحياة ! .

ومن هنا بدأت شبه الجزيرة العربية تقذف إلى خارجها موجاتها البشرية . . وإذا كان علماء الشرق القديم يختلفون فى تحديد منطقة فى شبه الجزيرة كمنبع كانت لهذه الهجرات « السامية » المتتالية والمتوالية فذهب بعضهم إلى أن أواسط بلاد العرب ، ولا سيما منطقة « نجد » ، هو منبع الساميين بينما ذهب البعض الآخر إلى أن « العَرُوض » ولا سيما « البحرين » هو ذلك المنبع وذهب آخرون إلى أن الجنوب هو ذلك المنبع فليس الالتمتضاfer آراؤهم عند اليقين بأن الوطن الأصلى لجميع الساميين هو جزيرة العرب وأن من هذا ينبوع العربى قد تدفقت طبقات من البشر وسكنت كل بقعة اتسمت بالسامية وبرهان ذلك هو أن جميع الآثار السامية تشير إلى أن جزيرة العرب هى الوطن الأصلى الذى ظهر فيه الساميون فلقد ثبت ، علمياً ، أن هناك وحدة ملحوظة بين العناصر الانثولوجية لأقوام أكثر من ناحية من نواحي الشرق الأوسط القديم وليس

ذلك إلا لأن من هذا المنبع خرجت منذ منتصف الألف الرابعة ق . م تلك
الموجة التي اتجهت الى الشمال الشرقى وفى وادى الفرات الأدنى حلت ومنها
نشأت حضارة البابليين والآشوريين بينما اتجهت أخرى الى وادى النيل وفيه
حلت ومنها نشأت الأسرات الأولى فى مصر القديمة . . .

وهنا . . .

هنا ينبغى بنا أن نتهمل قليلا فنقول ؛

لا جدال فى أن وادى النيل كان مأهولا منذ عصور ما قبل
التاريخ بقوم من الجنس " الحامى " نشأ من البلاد نفسها ومن نفس القارة التي
يقع فيها هذا الوادى وينسب إلى لوبيّ أفريقيا الشمالية المسمين الآن بالبربر
كما ينسب الى " الصوماليين " من سكان أفريقيا الشمالية الشرقية غير أنه
عند نهاية " العصر المعدنى " نجد بعض التغير قد أخذ يدخل على هذا الشعب
الحامى الجنس الناشئ من طبيعة هذه القارة نفسها وأن هذا التغير ، الذى
كانت له مميزاته الخاصة التي تختلف اختلافاً بيناً عن الشعب الأصلي ، آسيوى
العنصر دخل وادى النيل خلال العصر الحجري الحديث كوجة امتدت فى
غير عنف من شبه الجزيرة العربية واغتمرت وادى النيل . وإذا كان علماء
التاريخ القديم يختلفون فى تحديد الجهة التي دخلت منها هذه الموجة العربية الى
وادى النيل فذهب بعضهم الى أنها جاءت عن طريق البحر الأحمر من
جهة " قفط " وأنها عن طريق أعلى وادى النيل اتجهت من الجنوب
عبر اليمن وأرض " بونت " فى الشاطئ الجنوبى للبحر الأحمر من الجانب
الآسيوى ودخلت الوادى حتى " القصير " على الشاطئ المصرى ثم تابعت المسير

إلى « أبيدوس » في مصر الوسطى ومن هناك غزت باقي الوادى بينما ذهب آخرون الى أنها اخترقت سورية وعن طريق فلسطين فسيناء دخلت شرقى الدلتا ومن ثم انتشرت فى الدلتا الغربية ثم الوجه القبلى ، ويعزز هذا الرأى الأخير أن الحضارة فى مصر قد بدأت فى الدلتا فى نفس الوقت الذى زحف العنصر العربى على الوادى ودخل مصر تدريجياً وبغير عنف وأحضر معه حضارة أرقى من حضارة الجنس الحامى الذى لم يكن يعرف إلا الآلات والأوانى الحجرية بينما تزداد معالم هذا العنصر العربى وضوحاً بالذين أسسوا الأسرة الأولى فى مصر ... فإن الذين أسسوا هذه « الأسرة » ، عام ٣١٠٠ ق. م ،^(١) وخلفوا أضرحة أبيدوس وقبور « نجادة » ليسوا إلا سلالة شعب عربى أدخل إلى الوادى معرفة المعادن وعلمه استخدام الذهب والنحاس والبرونز وفنّ البناء بالطوب وأدخل اليه الكتابة ، أداة كل تقدم وتنظيم ..

هذا الشعب هو الذى أصبح « الجنس الحاكم » وهو الذى وحد البلاد من أسوان إلى البحر الأبيض المتوسط تحت صولجان ملك واحد ظهرت فى عهده الكتابة المصرية وانفقت المصادر التاريخية على أنه « مينا » ..

وهنا .. لنا فى هذا الصدد ، كلمة وهى ؛ ألا يجب علينا أن نصحح أوضاعاً تاريخية نستبدل من جرائها نظرتنا إلى موحّد مصر القديمة الذى يطلع علينا ، تحت أحداث أضواء العلوم التاريخية ، عربياً ، وبالتالى إلى مصر بالذات التى تطلع علينا ، منذ فجر التاريخ ، عربية ؟ .

(١) كانت اتجاه علماء التاريخ المصرى فى بادىء الأمر إلى أن حكم « مينا » يقع فى عام ٤٧٧٧ ق. م. ولكن « المعهد الشرقى » بشيكاجو انتهى إلى تحديد عام ٣١٠٠ ق. م. وهو الذى يأخذ به علماء الآثار المحدثون .

لا جدال في أن الأثر السامى العربى قد ترك طابعه على مصر القديمة واضحاً في عهد الأسرة الأولى وأن وضوحه قد اشتد إبتان الأسرة الرابعة بالرغم من ذلك الاندماج الكلى الذى كان قد أصبح محسوساً بين « الجنسین » والذى كان يتخذ مجراه عبر الزمن بينما كانت شبه الجزيرة العربية تواصل قذف موجاتها لتمد الهلال الخصيب ، حتى منخفض نهري الأردن والعاصى بسورية ، بأفواج أخرى من البشر .. ومن أشد هذه الموجات هديراً كانت تلك التى امتدت ، حوالى عام ٢٥٠٠ ق . م ، وأحلت « الكنعانيين » فى سواحل البحر الأبيض المتوسط الشرقية وعلى شاطئ السهل الفلسطينى الذى لم يكن قد أُطلق عليه هذا الاسم بعد وكان يسمى إذ ذاك « شبلاح »^(١).

ومن هنا يستبين لنا تماماً أن « الكنعانيين » من أصل عربى بحث . فهم من القبائل العربية « البائدة » التى استوطنت هذه البقعة من الأرض وأنشأت فيها حضارة أثبتت الكشف الأثرية الحديثة تاريخها وامتدادها من غزة جنوباً إلى « رأس شمرة » شمالاً حيث عجمت بها شواطئ « البحر الميت » وتلال الأردن وواديه كما زخرت بها مداخل الأودية وأضفة الجداول وحواشى العيون بينما كان التيار الزمنى يسير هادراً على مناطق هذا المفرق الرئيسى لعالم الشرق الأوسط القديم ويققطع عليها « العصور البرونزية » عصرراً عصرراً حتى العصر الرابع والأخير الذى ينتقل بنا إلى مرحلة تنقلية جديدة امتدت من القرن الثالث والعشرين إلى القرن الحادى والعشرين ق . م . وهى الفترة التى ساد الكنعانيون خلالها هذه المنطقة وامتلكت قبضتهم تمام

(١) « SHEPLAH » ٤

الامتلاك الناصية السياسية لهذه البلاد بينما راحت يدُ الزمن من حولهم تُحوّل اسمها من « شبلاح » إلى « أرض كنعان » . .

هذه الأرض ، « أرض كنعان » ، هي الحقل التاريخي لمنطقة « الأرض الموعودة » وهى ، بالتالى ، الإطار الذى ظهرت فيه على التاريخ صورة العبريين ومن هنا يتحتم علينا كما نستبين تماماً هذه « الصورة » أن نظوف ، للمحات ، بأرض كنعان وعصر كنعان بل وبهؤلاء السكنعانيين أنفسهم الذين تواترت عنهم الروايات النابعة من قلب تاريخ هزته هزات الخيال فراح يروى أنهم عنصر يعود بأسباب انتشاره الى شخصية حملت اسم « كنعان » وأن كنعان هذا كان ابناً لشخصية أخرى حملت اسم « حام » وهذه رواية تدفع بنا إلى الإطراق قليلاً لنقول ؛

إننا إذا كنا نعرف أن الاسم الذى يُطلق على الأرض الواطئة هو « كنعان » ، كما لا تزال مادة كنع وقنع وخنع بهذا المعنى فى لغتنا العربية ، لا يسعنا إلا أن نُفكّر فى هذه الرواية التى تُجسّد هذا الاسم وتجعله أباً قبلياً جاء إلى مفرق الطرق هذا بأبنائه ، اليبوسى والعمورى والاروادى والعرقى والجرجاشى والحماشى والحوى والصمارى والسنى وحثّ وصيدون ، وأن إلى ما تفرع من هؤلاء الأبناء يعود بأسباب انتشاره هذا العنصر .. فهذه رواية وكأنما هى قد دلفت إلينا من عهود الأساطير لأن هذا العنصر لا يتجلى تحت ضوء التاريخ الحديث إلا سلالة موجة من « العرب البائدة » قذفتها شبه الجزيرة العربية إلى حيث امتدت بها الحياة إلى عهود

تركت منها الأثر في بعض ما تحمله جوانب هذه الأرجاء من أسماء ما زالت ، حتى اليوم ، بها عاقلة بما يقوم عليها من مدن وبما يجري عليها من أنهر وبما يشمخ عليها من جبال . ومثلاً على ذلك يأتي في المقدمة اسم « صهيون » ..

إن كلمة « صهيون ، نفسها ، وإن كنا لا نجد لها أصلاً متفقاً عليه في اللغة العربية ، عربية الأصل ، وأكثر الشراح يرجحون أنها من مادة الصون والتحصين . لأن هذا الجبل كان فعلاً من حصون الروابي العالية . والمقصود بالعربية هنا لغة الأصلاء من أبناء شبه الجزيرة العربية الذين سكنوا هذه البقعة من الأرض قبل هجرة العشيرة العبرية إليها بزمن غير قصير . وهؤلاء الأصلاء من « العرب البائدة » الذين أطلقوا على الأرض اسم « كنعان » ليلحق بهم هذا الاسم بينما اختفى معناه في طيات لغتنا العربية ولم تبق إلا مادته من خنع وقنع وكنع هم الذين أطلقوا على هذا الجبل اسم « صهيون » وليختفى ، اختفاء الأصل من كلمة كنعان ، الأصل من كلمة صهيون كاسم عربي قديم أطلق على هذا الجبل إلى جانب ما أطلق على بعض بقاع هذه الأرجاء من أسماء لأن كان أقدمها تلك التي جاءت للأنهر والجبال فإنما أحدثها هي تلك التي جاءت في غضون الألف الثاني ق . م للمدن مستمدة ، أصلاً ، من المذابح والمعابد والمحاريب . فلقد كان إذا طاب لأب قبلي مكاناً واعتزم فيه الاستقرار فأول شيء كان يبدأ به هو أن يقيم مذبحاً أو محرّاباً وبجانب هذا المحراب أو المذبح الذي يرتفع على مدارج الأيام إلى « بيت » يلي جانباً عصا الترحال لتتصرف به الأيام وهو إلى جواره قد خلد لا يغادره إلا غراراً وإلا لعودة إليه من جديد . . فقد كان قيام هذا « البيت المقدس » يكفل لمن يتيهه

مقاماً ويوطد له مكانة كانت قد رفعته اليها الأيام يوم نشرته أباً لقبيلة يقف هو فيها الكاهن والقاضي ، وبالتالي الملك والحاكم المطلق لمدينة لم تلبث أن نشأت بنشأة هذا « البيت » وعمرت بالعناصر المتفرعة من أنشأه كآب قبلى . . ومن أسماء هذه المدن المستمدة من هذه « البيوت » ما زالت ترن في مسمع الحاضر من شذوق ذلك الزمن البعيد أصداء تتجاوب من حول عدة « بيوت » . . منها « بيت يراه » و « بيت لحم » و « بيت اناث » و « بيت مرسيم » و « بيت شماس » وأما أوقع هذه الأصداء في مسمع الزمن فما زال « بيت إيل » أو بيت الإله ! .

وهنا . . هنا يتمهل بنا الفكر للحظة أمام هذا الاسم ، اسم « إيل » وهو الأصل من الكلمة العربية « إله » بينما يسبح منا التفكير مستعرضاً هذه القبائل من « العرب البائدة » التي ترنمت بهذا الاسم حتى تجاوب منه رجع الصدى بين أرجاء هذه البقاع منذ فجر الزمان حتى نضاه . هذا الاسم المدوى بالجلال والقداسة هو الذى حملته كنعان فى موكب التاريخ وعرفته خاصاً بالإله واختصته بساكن السماء الحاكم من ملكوتها هذا الوجود الذى له قد خلق والذى عن الإعتراف بألوهيته والاتجاه بالتعبد لم ينحرف فرع من فروع كنعان وعن التضافر من حول عبادته لم تشذ من المدن الكنعانية مدينة وذلك فى اتباع لمدينة « ييوس » العاصمة السياسية لهذه البلاد فقد كانت « ييوس » ، عاصمة كنعان بالأمس وأورشليم اليوم ، محوراً لعبادة « إيل » ومركزاً . .

وهنا عند ذكر « ييوس » نقول إنها مدينة استمدت اسمها

من قبائل اليبوسى وأنها كانت قاعدة لهذه القبائل من اليبوسيين ولم تعرف باسم «أورشليم» الا فى خلال تلك الفترات التى استغرقت المرحلة الأخيرة من العصر البرونزى الأوسط الى نهاية العصر البرونزى الرابع والأخير أى بعد الانصباب البشرى الذى اتخذ مجراه آتياً من سورية ومن بلاد ما بين النهرين وخاصة من ضفاف الفرات الأدنى فإن مما وجدناه من الكتابة الإسفينية ، التى نعرفها بالمسمارية ، وخاصة على ضفاف الأورنتس وفى « حمه » ، نعلم أن اللغة البابلية التى غدت حوالى الألف والأربعمائة ق . م لغة السجلات الرسمية فى « أرض كنعان » ، هى الدليل القاطع على أن مفرق الطرق هذا قد غدا ساحة للصراع البشرى فحيثما سرنا فى جوانب مفرق الطرق هذا وجدنا آثار التدمير تطلُّ علينا من أطلال الحصون ، ولا سيما فى « تل بيت مرسيم » بينما ينبعث من ثنايا الأنقاض رجع الصدى يحدثنا بسيرة هذا التنازع وهذا النزاع المستهدف من وراء ملكية مفرق الطرق الرئيسى هذا ذى الاتجاهات الأربعة الرابطة بين أطراف الشرق القديم إصابة الهدف المتمثل فى امتلاك ناصية الشرق الأوسط من كل الأطراف .

حرى بنا من ثم أن نحتكم إلى الآثار وعلينا أن نسير على هدى المعاول الأثرية فتبعض مرامى ذلك الارتحال « العراقى - السورى » الذى اشتد هديره إبَّان القرن الثامن عشر ق . م والقرون التالية غامراً من أرجاء الدنيا هذه الأرض ، أرض كنعان . . فإنما على هدى هذه المعاول الأثرية نرى أضواء التاريخ وتنحسر البقاع عن مدن مستقلة نراها قد نشأت على غرار ما قد ترك المرتحلة وراءهم من مدن الرافدين والتى لم تقم هنا إلا كما

قامت هناك من حول محراب أو مذبح كان ، حتماً ، أن يقوم بقيامه
« بيت » يتخذ للعبادة مكاناً وللتعبد قبله اتباعاً لتقليد قديم كان قد سار
به هناك العرف وكانت قد جرت هناك به العادة وهذا إذا استثنينا مدناً أخرى
كانت أسماؤها تستبدل بأسماء لم تكن في واقعها إلا تكراراً لأسماء مدن كانت
لم تنزل قائمة عهد ذاك في بلاد ما بين النهرين ، ومثلاً على ذلك تجيء في المقدمة
مدينة « ييوس » فإن هذه المدينة التي كانت قاعدة لقبائل الييوسى أو الييوسيين
لم تُعرف باسم « أورشالم » ، أى مدينة سالم أو مدينة السلام ، إلا غداة ارتحل
إليها المرتحلون من أبناء الرافدين ، وهم الذين أطلقوا عليها هذا الاسم الذى لم
يكن نفسه ، إلا رجوع الصدى لما كان هناك يتجاوب في جنوب الفرات من
اسم كانت قد أطلقته الإمبراطورية السوميرية على عاصمتها السياسية التى أنشأتها
على ضفة الفرات الأدنى والتي عرفت خلال العصور التاريخية للرافدين باسم
« أور » . . فمنذ حوالى الألف الخامس ق . م حتى مغرب الإمبراطورية
البابلية الأخيرة والآخرة فى القرن الخامس ق . م ظل عالقاً بهذه المدينة هذا
الاسم السوميرى والذى تجاوب رجح صداه على « أرض كنعان » فى عهد
كانت الأضواء المصرية نفسها قد انسابت عبر « بيت مرسيم » غامرة النواحي
الجنوبية من « أرض كنعان » فى امتداد صوب الشمال .

وفى الواقع أن الأضواء المصرية كانت قد انسابت إلى « أرض
كنعان » منذ أمد غير قصير وإن كانت خيوط امتدادها لم تتحدّد تحديداً
جائياً إلا فى عهد الأسرة الثالثة عندما نشطت التجارة نشاطاً تاماً بين مصر

وبين الرافدين . وكأنا « سنفرو » كان قد فطن إلى أهمية مفرق الطرق هذا فمهّد لامتداد السيادة المصرية عليه تمهيداً هو هذا الذى بنى فى « وادى طميلات » ، وهو الطريق الجنوبى عبر سيناء إلى فلسطين ، نقطاً محصنة تخلّلتها معابد « سبتو » ^(١) ، رب الشرق . وبذلك وطد سلطان مصر فى سيناء ونظم المواصلات وأمن القوافل فى صعودها من مصر وهبوطها إليها مستهدفاً إنشاء دولة متحدة ثابتة الدعائم عاصمتها مصر التى جعل منها قاعدة للحياة الإقتصادية ومحوراً لهذه الحياة فى عالم الشرق القديم مما تستطيع يدنا ، بهديه ، أن تمتد فترسم أشعة مصرية تنساب من النيل مخترقة شمال دمشق إلى أواسط تلك الرقاع التى سنعرفها من بعد باسم « فينيقيا » حيث تتلاقى بأشعة أخرى تنساب من الرافدين . .

هذا العهد الذى تتلاقى فيه أشعة النيل بأشعة الرافدين على « أرض كنعان » إنما هو ، نفسه ، نفس العهد الذى يمثّل التربة التى ألقيت فيها بذرة « الأرض الموعودة » فالزمن إنما هو الزمن الذى يتفق تاريخياً وعصر « آباء التوراة » .

الإطار التاريخي لمنطقة « الأرض الموعودة »

يستهل هذا العصر المعروف بالعصر البطريكي تاريخه بمن اليه ، كما يقول « العهد القديم » ، تعود بأبُوتها « إسرائيل » رجلاً وجماعة غداة استهل هذا « الأب » مطالعه على التاريخ من خضم ذلك الارتحال الذي اتخذ مجراه من ضفاف الفرات الأدنى إلى « أرض كنعان » . . فنحن اذ نفتنى خطى هؤلاء المرتحلة الذين تدافعوا قبائل وفرادى يجمع شعهم أكثر من قائد ويُوحد بين أهدافهم استهداف هدف واحد يتلخص في امتلاك رقعة من أرض جرى بينهم عنها التعبير بأنها « أرض اللبن والعسل تفيض » فليس إلّا لانتبجع من بين هؤلاء القادة فرداً واحداً يناديه التاريخ العبرى باسم ؛

تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر

ولكن ..

عند « عابر » ينبغي بنا أن نتمهل قليلا وأن نستعمل التاريخ عن الاسترسال، للحظة ، خلاها نستوضح الحقيقة من هذا الاسم . لا لأن « عابر » يُعرف باسم « هود » وإنما لأن الأقلام قد حارت بحثاً عن الأصل من كلمة « عبرى » حتى توقّف الكثير منها عند القول بأن « بنى إسرائيل » قد

عرفوا بهذا الاسم نسبة إلى أبيهم « تارح » لأنه قد عبر النهر ، أى أنه أتى من وراء النهر ، نهر الفرات ، إلى « أرض كنعان » . يَبْدُ أن إلى هذا السبب لا يعود اسم « عبرى » فليس هو بصفة لحقت بتارح ! كلا ولا هو باسم موجة بشرية أو قبيلة من القبائل التي كانت تواصل وراء العيش المسير وإنما هو ، كما يتجلى من ثنايا التاريخ ، لقب عائلة واحدة جاء بها « تارح » إلى « أرض كنعان » ولما كانت هذه تعود بنسبها البعيد إلى « عابر » . . . فقد عرف أبناؤها بالعبريين كما نسمع ذلك من الشفاعة السكنعانية غداة أطلقت على « إبراهيم » هذا النعت وعرفته « بالعبرانى » وليأتينا بذلك الدليل على أن هذه النسبة إنما هى نسبة إلى جدّ وليست نسبة إلى قوم وعلى أنه ليس إلّا إلى « عابر » ، هذا الجدّ الأعلى الذى ينتمى إليه أفراد العشيرة العبرية ، يعود السبب الحقيقى فى حملهم هذا الاسم الذى سبق أن ورد ذكره فى النصوص المصرية القديمة تحت اسم « خبيرو » ولا غضاضة فى ذلك ، لأنه ليس هناك أى اختلاف بين الكلمتين . فان حرف الـ « خ » يساويه حرف الـ « ع » فى اللغة العبرية التى كان لا بد أن يرجح فيها الحرف الأخير على الحرف الأول نسبة إلى « عابر » والتى جاءت ، بالتالى ، كفرع من اللغات السامية نسبة إلى تلك الشخصية التى تقف فى المنتصف من سلسلة نسبهم التى يرتقون بحلقاتها من عابر ، عبر « شالخ » و « ارفكشاد » إلى « سام » . .

و « سام » ؟ .

من هو « سام » ؟ .

ومن كان « سام » ؟ ..

سؤال ، نلقيه إلى مؤلف السفر الأول من أسفار « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى مع علمنا بأن شجرة الأنساب الواردة فيه لاتقوم على أسس علمية وإنما على بواعث محض عاطفية ..

ومن هذا المؤلف اليهودى يحىء الينا الجواب عبر الأصحاح العاشر من هذا السفر الأول من أسفار « الكتاب المقدس » ، « سفر التكوين » قائلا ؛ . بأن « سام » أبو كل بنى « عابر » .. وأن عابر هو ابن شالح بن ارفكشاد بن سام .. وهذا الجواب يُحتم علينا أن نناقش ، مناقشة علمية ، « قصة سام » ..

ولكن ..

نحن إذ نناقش « قصة سام » مناقشة علمية يتحتم علينا العودة إلى عهد متوغل فى القدم من تاريخ بلاد ما بين النهرين وبالتحديد إلى تلك الفترة الزمنية التى اتخذ فيها القدامى مساكنهم فوق مستوى تلك التربة الخصيبة التى كوّنها نهر الدجلة والفرات عند وصولها إلى البحر من تراكم الرواسب التى تحدرت مواردها من جبال أرمينيا ومن حيث ينبجس هذان النهران ، وحتى يصل بنا هذا التاريخ إلى سنة ٢٢٢٥ ق . م ، السنة التى حُددت فيها تواريخ الأسرة البابلية الأولى فى التقويم العالمى والتى تعد من أهم السنين فى تاريخ الشرق الأوسط لأنها السنة التى نادى خلالها « سومو — أبوم » العمورى بنفسه ملكا على بابل بعد أن قوض الإمبراطورية السوميرية

الأولى في «أور» وقضى على عائلتي «لارسا» و «إيسين» وبسط نفوذه على سائر أرجاء بلاد ما بين النهرين جامعاً في سلطان واحد وبصفة نهائية نهاية المنطقتين ! ..

حدث كهذا كان لا بد أن يُخلد اسم « سومو — أبوم »
في ذاكرة ذلك التاريخ . .

والآن ..

نحن إذ نعرف أن ترجمة اسم « سومو — أبوم » هي
الأب سام فليس إلّا لندرك بأن معرفتنا بترجمة هذا الاسم ليس ، نفسه ، إلّا
الضوء الذي نلقيه على « سام » هذا الذي يقول عنه مؤلف « سفر التكوين »
بأنه « أبو كل بني عابر » . .

أجل ..

لا جدال في أن تاريخ بلاد ما بين النهرين قد ضم أكثر من
واحد حمل هذا الاسم . بيد أن ذاك الذي ترك أثره في وعى الزمن ، بهذه
الصفة التي يذكرها مؤلف « سفر التكوين » ، كان « سومو — أبوم » أو
« الأب سام » هذا الذي حكم بلاد ما بين النهرين ، ٢٢٢٥ - ٢٢١١ ق م ،
وكان مؤسس الأسرة البابلية الأولى . . هذه الأسرة العمورية التي أنشأت
الأمبراطورية البابلية الأولى والتي جاء سادس ملوكها وأكثرهم في أفق التاريخ
تألقاً ، « حورآبي » ٢١٢٣ - ٢٠٢٠ ق م ، فزاد أثرها عمقاً في وعى الشرق
القديم عند ما أسس رسمياً وحدة هذه الأمبراطورية وغداة حفر على اللوح

الحجرى شريعته الوضعية وعلّق في معرض التاريخ هذا « القانون الموحد »
محتفراً به في جبهة الشرق القديم آثاراً عميقة الغور بعيدة المدى ..

والآن ..

الآن نعود إلى مؤلف « سفرُ التكوين » وهو يحدثنا عن
« تارح » بينما نُسّاس للمخيلة منا العنان أمام ما تصوّره نصوصه من صور
حتى المدى الذي نرى في مداه « تارح » شخصية محنة ومحسوسة ..
ومن هناك نبدأ نقف في من « تارح » الأثر وهو يسير عبر تلك الأمواج البشرية
في اغمارها « أرض كنعان » طويلاً بمصاه من هذه « الأرض » ناحية هي ،
على حد تعريف هذا المؤلف اليهودي ، كانت تلك الممتدة فيما بين مينائى صيدا
وغزة على شاطئى البحر الأبيض حتى سدوم وعمورة على ضفاف البحر الميت
مستصحباً ذويه وفي مقدمتهم ابنه الحامل ، عهد ذلك ، اسم ؛ أبرام ..

« أبرام » ؟ .

يقينا إن عند هذا الاسم ينبغى بنا أن نتمهل قليلا ونستهمل
التاريخ العبرى عن الاسترسال للحظات لنقول ؛

إن « أبرام » ، من سنعرفه من بعد باسم إبراهيم ، ليس
عنتاً في خضمّ هذا الارتحال بقصى كلاً ولا هو في أبعاد هذا الترحال بيمهد
لا ، وليس هو علينا بالرغم من تهافت أضواء التاريخ لهذه الفترة الزمنية
بغريب فليس هو بكيئونة سرايية الطيف يطويها عن الحقيقة تطاول

المدى الزمنى ويحجبها استبهار ليل الأساطير .

كلا ! . إن صاحب هذه الشخصية وإن بدأ ظهوره فى أفق الزمن فى سماء ملبدة بالغيوم فأنما سحجف التاريخ تنحسر عنه تمام الانحسار فى مغرب الحكم الحيتى ومشرق الحكم السكاسى لبلاد ما بين النهرين بينما يتراجع عنه جذراً مدّ الأساطير حتى لنراه ، فى بهرة الضوء السياسى للعصر ، يشق ثنايا التاريخ فى أعقاب الغزو الحيتى الذى اجتاحت الفرات الأعلى ويطلع علينا عبر المدّ السكاسى الذى اغتمر الفرات الأدنى مجترفاً « أور » ، هابطاً « أرض كنعان » بخطوات وثيدة متتدة ، ثابتة الحركة ، يحركها فكر ترامت أمامه الأهداف وفى وضوح ارتسمت بل وتحددت المعالم من هذه الأهداف ، وبرهان ذلك ما قد تركته هذه الشخصية وراءها على رمال الزمن من آثار تجافى تمام الجحافة ما قد جاء عنها من وصف فى سطور السفر الأول من أسفار « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى . .

يقيناً ، ليس هناك فى السجلات التاريخية لذلك العصر أى إلماح عن اسم « أبرام » . لا ، ولا هناك فى الوثائق الموثوق بها لذلك العهد عن هذا الاسم أى تلميح . فأنما أقدم نص ورد عن هذا الاسم جاء فى قائمة شيشنق الأول ، حوالى ٩٤٥ — ٧٤٥ ق . م ، مؤسس الأسرة الثانية والعشرين فى مصر القديمة وصهر سليمان وبالإضافة إلى ذلك حملت هذه القائمة صورة لإبراهيم غير أن الأثر الذى تركه صاحب هذا الاسم لا يحمل الدليل السكافى لحسب على أن حامله قد عبر حقيقة معبر الحياة وإما هو نفسه برهان على أنه لا يمكن أن يكون إلا لشخصية قد قدرت تمام التقدير ما فى

جمعيتها من إمكانيات ، وما تشتمل عليه إمكانياتها من قدرة . .
وهذا أمر يُحتم علينا مناقشة « قصة أبرام » ، أيضاً ، مناقشة علمية . .
ومناقشة « قصة أبرام » مناقشة علمية تحتم علينا العودة إلى
عهد آخر ممن في القدم من التاريخ السياسى لبلاد ما بين النهرين وعلى وجه
التحديد إلى سنة ١٩٢٥ ق . م وهى السنة التى دالت فيها دولة الإمبراطورية
البابلية الأولى غداة أغار الحيثيون على بابل وصارعوا « سمشو — ديتانا » ،
أى شمس الدين ، آخر ملوك هذه الأسرة العمورية حتى صرعوه . . ومن هنا
نبدأ فى تحسّس خيوط الأحداث التى لانضع عليها يدنا إلا لنراها وقد حاكت
أمامنا صورة لإبراهيم بريئة هى كل البراءة من كل ما قد ألقاه عليها مؤلف
« سفر التكوين » من تُرهات ، لا تبدو واضحة كل الوضوح إلا ونحن نتابع
مجريات الأحداث السياسية فى أعقاب الغزو الحيثى للرافدين . فلقد أعقب هذا
الغزو الحيثى ، الذى يقابل منتصف حكم الأسرة الثانية عشرة المصرية ، فترة
غير مستقرة ولا ثابتة اجتاحت فيها عجييج الفوضى بلاد ما بين النهرين مدى قرن
ونصف قرن من الزمان ساد خلالها الاضطراب قبائل البدو وعشائرم
حتى تدافعوا فراراً إلى « أوض كنعان » وليدفعهم هذا المعر الذى
يقود إلى مصر إلى قلب الوادى نفسه بل وإلى التوغل فى ارجائه جنوباً
بعيداً عن الدلتا . . وصورة حية لهؤلاء المهاجرين الآسيويين مازالت فى معرض
التاريخ معلقة فى مصر الوسطى كما حُفرت على جدران قبر كُشف ببلدة بنى حسن
وتعود بتاريخها إلى السنة السادسة من حكم سنوسرت الثانى ، حوالى سنة ١٩٠٠
ق . م ، أى بعد مرور خمس وعشرين سنة على تلك الغزوة الحيثية أو بالأحرى

من ذلك الاستيلاء الحيثي على بابل وهو الذي لا نحاول أن نلتقط من خلاله خيط الأحداث إلا ليأتينا سلساً عبر الوثائق المعاصرة لتلك الفترة الزمنية والتي عثرنا عليها على مسافة غير بعيدة من بابل . .

تزيح هذه الوثائق المسطرة على أكثر من لوح من الألواح الصلصالية الحجبَ عن الفترة التاريخية القائمة التي تلت هذا الغزو الحيثي للبلاد حتى الغزو الكاسي الذي اجترفها اجترافاً وبذلك تكشف لنا عن أحداث كانت حتى عهد حديث من عصرنا الحاضر محتجبة وراء غيم الزمان . . فهي تحدثنا عن أسرة حاكمة من أسرها المالكة تسميها هذه الوثائق الأسرة الثانية وتقول بأنها استولت خلال هذه الفترة الزمنية بين الغزوتين على أسفل بابل عند الفرات الأدنى في « أور » وحاولت حكم البلاد من تلك الجهة التي كونتها رواسبُ النهرين في الجنوب فجعلت منها منطقة مستنقعات وسُميت « أرض البحر » . . والألواح إذ تحدثنا هذا الحديث عن هذه الأسرة التي قامت خلال هذه الفترة القائمة من تاريخ البلاد تحاول جمع شعثه من تلك الجهة المسماة « أرض البحر » فليس إلا تهديفاً إلى أن هذه الأسرة التي استولت لردح من الزمن على أسفل بابل عند الفُرات الأدنى في « أور » قد حكمت منطقة « أرض البحر » لأكثر من قرن ونصف قرن من الزمان ، ١٦٢٥ — ١٧٦٢ ق . م ، وأن ملوكها الذين اقتصر عددهم على ثلاثة قد باشروا سلطة غير مستقرة ولا ثابتة حتى أغار الكاسيون وجاء « جنداش » ، مؤسس الأسرة الكاسية والثالثة في بابل ، وطرده الثالث والأخير من ملوك « أرض البحر » . .

ولكن ..

ثمة سؤال يطرأ على الذهن ، هنا ، وهو ؛

أىّ الأسماء كان يحملها هذا الملك الثالث والأخير من ملوك
« أسرة أرض البحر » الذى اضطره جنداش ، سنة ١٧٦٢ ق . م ، إلى مغادرة
« أرض البحر » ومفارقة « أور الكلدان » ؟ ..

سؤال ، لا تجيب عنه هذه الألواح التى تحت رياحُ الزمن
منها بعض السطور إلا من احتفاظها بالنعمة الذى كان يُطلق على هذا الملك
وهو ؛ « داميق — إبليشو » أى « خليل الله » ..

والآن ..

نحن إذا كنا نعرف أن آخر ملك من ملوك « أسرة
أرض البحر » كان نعت ، كما ورد فى الوثائق البابلية ، « داميق —
إبليشو » وأن ترجمة هذا النعت هى « خليل الله » وبالتالى ، أننا إذا كنا
نعرف أن هذا للنعت هو الذى يطلق فى المراجع الدينية على « ابراهيم » ، فلا
يسعنا إلا أن نقارن بين الوثائق البابلية وبين الأحداث التاريخية لإسرائيل
وبنى إسرائيل فى مصر الهكسوسية بينما نقف متسائلين أكان آخر ملك من
ملوك « أسرة أرض البحر » شخصاً آخر غير ابراهيم ؟ ..

أجل ..

لاجدال فى أن هذا النعت ، نعت « داميق — إبليشو » ،
قد عرفناه فى سجلات بابلية أخرى لملك آخر ورد ذكره فى « القوائم

الملكية » .. عرفناه في الفجر الباكر من تاريخ الرافدين وعلى وجه التحديد في أعقاب الغزو العيلامي الذي اجتاحت بابل ، حوالى سنة ٢١٤٥ ق . م ، غداة انصب العيلاميون بقيادة « كدرمابوك » وأسسوا مملكة لهم في « لارسا » توالى على حكمها ابنا « كدرمابوك » بالتتالى « واراد — سن » و « ريم — سن » . وهذا الأخير الذى استولى ، فى العام الثلاثين من حكمه ، على « ايسين » وقضى على استقلالها قد ذكر هذا المنعت ، سنة ٢١٣٢ ق . م ، بمناسبة انتصاره هذا الذى سجله على لوح صلصالى نقرأ عليه هذه العبارة ؛

« فى هذه السنة ... استحوذ الراعى « ريم — سن » على مدينة « داميق ايليشو » وغنم « ايسين » وامتلك كل ما فى ايسين » .^(١)

ولكن ..

هذا الملك العيلامى والثانى فى قائمة ملوك « لارسا » إنما هو قد هزم آخر ملك من أسرة « ايسين » وليس آخر ملك من ملوك أسرة « أرض البحر » . ومن هنا يتضح لنا أن « داميق — ايليشو » الذى هزمه « ريم — سن » العيلامى غير « داميق — ايليشو » الذى هزمه « جفداش — الكاشى » والذى إذا قمنا بعملية حسابية بسيطة وازنا فيها بين التاريخ البابلى وبين التاريخ الذى جاء فى « سفر التكوين » عن ابراهيم لتبيننا ان « داميق — ايليشو » أسرة « أرض البحر » ليس شخصاً آخر غير ابراهيم .^(٢)

(١) فى متحف اللوفر .

(٢) « BACKGROUND OF ISLAM » BY « PHILBY »

إن الفترة الزمنية من سنة ٢٢٢٥ ق . م ، وهي السنة التي أسس فيها « سومو — ابوم » أو « الأب سام » الأمرة البابلية الأولى ، إلى سنة ١٧٦٠ ق . م ، وهي السنة التي انهارت فيها أسرة « أرض البحر » ، تقع في مدى زمني مقداره أربعائة وخمسة وستون سنة . .

والآن لنحتفظ بهذا الرقم في ذاكرتنا بينما نتناول « سفر التكوين » لنقرأ في الإصحاح الحادى عشر منه هذه السطور ؛

« هذه مواليد سام — لما كان سام ابن مئة سنة ولد ارفكشاد . . وعاش ارفكشاد خمساً وثلاثين سنة وولد رعو . . وعاش رعو اثنتين وثلاثين سنة وولد سروج . . وعاش سروج ثلاثين سنة وولد ناحور . . وعاش ناحور تسعا وعشرين سنة وولد تارح . . . وعاش تارح سبعين سنة وولد أبرام . »

ومن ثم فالمدى الزمني من « سام » إلى مولد إبراهيم يقع في فترة تنحصر في ثلاثمائة وتسعين سنة . . إلا أننا إذ نتابع « سفر التكوين » فليس إلا لنقرأ في الإصحاح الثانى عشر منه هذه العبارة ؛

« وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران »

وإذن . .

نحن إذا أضفنا هذا الرقم الأخير إلى الرقم الأول من السنين من عهد « سام » إلى « مولد أبرام » لحصلنا على مجموعة من السنين تحمل نفس

الرقم الذى يسجله التاريخ البابلي من قيام « سومو — ابوم » إلى انتهاء حكم « داميق — إيليشو » . !

وهنا نعود فنحاول التقاط خيط الأحداث مرة أخرى فنقول ؛

إذا كان إبراهيم نفسه هو حقيقة ، آخر ملك من ملوك أسرة « أرض البحر » فلن يكون إلا بسبب سقوط هذه الأسرة وقيام الأسرة انكاسية حوالى سنة ١٧٦٠ ق . م ، وهذا يقابل مستهل حكم الأسرة الثالثة عشرة فى مصر أو بالأحرى بداية الحكم المكسوسى ، قد ارتحل « خليل الله » عن الفرات الأدنى إلى حاران فى « أرض كنعان » حيث ألقى جانباً فى هذه « الأرض » عصا الترحل بعد زيارة قصيرة الأمد لمصر التى كانت خاضعة ، آنذاك ، للحكم المكسوسى وهذا يطابق الأحداث التى نتحدث عنها بعض نصوص « سفر التكوين » .. فان قيام الأسرة الثالثة فى بابل حوالى سنة ١٧٦٠ ق . م يضع عصر إبراهيم مقابلاً للفترة الباكورة من العصر المكسوسى فى مصر الذى بدأ حوالى سنة ١٧٩٠ ق . م ويتفق وتاريخ اسرائيل وأبناء اسرائيل فى مصر حتى إننا نستطيع أن نقول إن من هنا قد التقطنا عقدة الأحداث فى نسيج الزمن ! .

وهكذا ..

هكذا يتراجع جذراً مد الأساطير عن « خليل الله » إبراهيم بل ونشاهد مطلع إبراهيم على التاريخ فى أعقاب « الغزو الكاسى » للفرات الأدنى وانصبابه على السهل الفيضى ابلادما بين النهرين وضياع مملكة « أرض البحر » . وهكذا تدلف إلينا الأدلة على وجوده كشخصية كان لها

شأنها الخطير في خلال تلك الفترة الحالكة من تاريخ الرافدين والنيل مما يجعل الحلم بامتلاك « أرض كنعان » والأراضي الواقعة من الفرات إلى النيل لا يبدو غريباً إذا كان قد طوف على الجبين عوضاً عن « مملكة أرض البحر » .

ولكن ! ..

نحن لا نكاد نلقى على هذه الشخصية أضواء التاريخ السياسي لبلاد ما بين النهرين إلا ويصطدم منا المسمع بما يحىء عنها من ذكر في السفر الأول من أسفار « الكتاب المقدس » للدين اليهودي الحالي . . هذا « السفر » المنسوب افتراءً إلى موسى ، عليه السلام ، والذي تكتنفه السداجة من كل جانب وتحف به روح البداوة من كل طرف حتى جانب مؤلفه التوفيق في التأليف وحتى جافته الحقيقة في سرد الوقائع مما يدل دلالة واضحة على أنه مكذوب على موسى وعلى الله ! ..

ولكن ..

بالرغم من فطرية الأسلوب في هذا « السفر » وبالرغم مما يكتنفه من غموض في التفكير ومن سداجة في التأليف وما يشتمل عليه من غلو ومن تناقض تكسرت حجة مفسريه على صخور الاستحالة كما يجدوا تبريراً لما يحكيه من قصص أو تاويلات لما يرويه من روايات جاءت متأخرة جداً من العهد التي يرويها فإن علينا أن نخلد إلى الصبر ونتمسك بأهداب الأناة والروية ونحن نجبر الخيلة منا على أن تجارى النصوص وتشهد ما تصوره من مشاهد . . وليس إلا تحت هذا اللون من الاعتبار نستطيع أن نقول اننا سنصنئ إلى رواية

التوراة عن هذه الفترة وهى تصور أمامنا خطوات أبرام عبر سطور هذا « السفر » وهى تسير فى اتباع خطوات « تارح » صوب هدف مرماء ناحية من « أرض » كان لها مغزاها السياسى فى تاريخ ذلك العصر فلقد ،

« أخذ تارح أبرام ابنه ولوطا بن هاران ابن أخيه وساراي كمنته امرأة أبرام ابنه فخرجوا جميعاً من « اور » السكلاانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك^(١) .

من « أور السكلدان » وأور السكلدان هو الموضع الذى يُسمى الآن « المقبر » والواقع على الفرات الأدنى عند ذلك السهل الفيضى الذى كان يُسمى « أرض البحر » جاء « أبرام » إلى حاران .. وفى حاران ، وكسائر بقاع « أرض كنعان » كانت حاران عامرة بآباء القبائل الذين كان قد حفر بهم الثراء المادى من كل جانب فرفع كل واحد فى قبيلته إلى مرتبة ممالك ، استرسلت فى مسيرها الأيام بهذا البيت البابلى الذى لقّب بالعبرى ، نسبة إلى « عابر » بينما راح مسيرها ، على حد تصوير النصوص ، يومض فى نفوس أهل هذا البيت وميض التنبيه إلى ما قد حفر بهؤلاء الآباء القبليين من ثراء مادى هو ، حتماً ، السبب الذى أسلم من كل أب قبلى زمام التملك والرخاء ! .. وهنا ..

هنا ، تحدثنا النصوص التى أمامنا ، وعليها نلقى مسئولية هذا الحديث ، أن الشرارة الأولى قد انطلقت فى مخيلة « أرومة إسرائيل »

وقدحت شرر الحلم باثراء مادّي تكون له به في « أرض كنعان » أبوة قبلية
على غرار ما لآباء القبائل فيها من حكم وملك وسلطان. وإنّ نحو بلوغ هذا
الهدف ، ما لبثت أن سمعت الخطى حثيثة بأبرام عبر سلسلة الأيام حتى اقتنت
يده ، خلالها ، المقتنيات المادية وامتلكت من النفوس العدد الوفير من العبيد
واستجلبت الجنود المرتزقة المتمرنين على حمل السلاح إعداداً نصيحة ارتفعت ،
باديء ذي بدء همساً ، وما سرى تجاوبها بين الأتباع إلاّ وسجل الزمن ؛

انبثاق فكرة « الأرض الموعودة »

تحدثنا النصوص العبرية بأن من شفقتي « أرومة إسرائيل » استهلت فكرة « الأرض الموعودة » تاريخ انبثاقها في أرجاء « أرض كنعان » بئس أنه لا بد لنا ، ونحن إنما نستهل البحث في تاريخ نشأة هذه « الفكرة » ومنشأها ، أن نطوف ، للحظة ، بالتفكير الإلهي والمعتقد الديني لذلك العصر لارتباط هذه « الفكرة » ارتباطاً كلياً بهذا المعتقد ولاتصالها اتصالاً مباشراً بهذا التفكير ..

من سجلات التاريخ الديني الكنعاني يأتينا البرهان على أن الإيمان بالله واحد مسكنه السماء كان الأساس الذي يقوم عليه صرح هذا الدين والفكرة الجوهرية التي تستدير من حولها العبادات ويقوم عليها نظام الكهنوت وتعلق بها من كل انسان الأهداب ! . وبينما تأتينا من السجلات الكنعانية هذه الأدلة فإنما مؤلف « سفر التكوين » يجعلها ممثلة في أحد ملوك كنعان وكهنتها ، فهو يقول لنا بأن « ملكي صادق » قد أخرج خبزاً وخمراً وخرج إلى أبرام مرحباً به .. ولما كان ملكي صادق ، ملك شاليم « كاهناً لله العلي » ، كما تقول النصوص العبرية ، فقد بارك أبرام قائلاً :

« .. مبارك أبرام من الله العلي مالِك السموات والأرض ^(١) »

(١) الاصحاح ١٤ « سفر التكوين »

هذا الإقرار الذى تنفّس عنه الصدرُ من مصدر العقيدة للدين اليهودى الحالى هو الذى نضع فى حرص عليه سبابتنا لا لأننا نعتبره تأييداً فحسب الحقيقة تاريخية مقررة وهى أن مفهوم الإله كإله على مالك للسموات والأرض كان واضحاً فى العقل الكنعانى قبل هذا العهد الذى يتحدث عنه المؤلف اليهودى بزمّن غير قصير، وإنما لأنَّ مؤلف «هذا السفر» قد جعل هذا المفهوم نفسه الذى تسامى اليه العقل الكنعانى هو ، بعينه ، المعتقد الذى كان قد أخذ به أبرام ! . فالمؤلف اليهودى يحدثنا بأن أثر هذه «البركة» مباشرة أقسم أبرام لملك سدوم بهذا الإله نفسه ومشيئاً اليه بالكلمات نفسها التى استخدمها «ملك شاليم» قال ؛

« رفعت يدي إلى الإله العلى مالك السماوات والأرض »^(٢)

نحن لا نريد أن نقول بأن كنعان قد عرفت الوحداية الخالصة وأن ابراهيم ، عليه السلام ، قد دان بنفس هذا المعتقد الكنعانى .. كلا ! . وإنما نريد أن نشير إلى ما تحمله نصوص هذا المؤلف اليهودى من معنى ينكر ، بطريقة غير مباشرة ، الدرجة الفكرية التى يذكروها لإبراهيم مصدر العقيدة لدينا الإسلامى بالإطراء .. فبينما يرفع الإسلامُ ابراهيمَ إلى التفكير فى وحدانية خالصة نرى مؤلف « سفر التكوين » قد تمادى فجعله يدين بنفس هذا المعتقد الكنعانى الذى وإن كان قد آمن بالله واحد مسكنه السماء فإنما هو قد أحاطه بحاشية من الأرباب وأفرد لكل واحد منها بلدة خاصة وأناط بكل واحد منها رعاية فئة خاصة من الناس أو بعض أفراد .. وليس إلّا من مادة هذه الفكرة راح هذا

المؤلف اليهودى يختار لأبرام رباً ويجعله به خاصاً هو الذى سيطلع علينا باسمه بعد قليل وبعد أن جعله هذا المؤلف يصدر عنه «الوعد» إلى «أبرام» بمنحه ملكاً «أرض كنعان» . . فلقد ؛

« .. قال الرب لأبرام . . » ؛ اذهب من أرضك ومن
عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك »^(١)

هذا أول نص يسجل مولد فكرة « الأرض الموعودة » ! .
نعم .. هذا أول نص يسجل انبثاق فكرة « الأرض الموعودة »
فى « السفر » الأول من « كتاب » نفت فيه يهود الأسر البابلي أنفاس القدسية
وناولوه عبر الأجيال إلى هؤلاء الصهاينة الذين يحملونه اليوم بيدهم ، وفى تجاهل تام
لعلهم أنفسهم بتاريخ كتابته وزور نصوصه على موسى ، ويقدمونه للعالم شاهداً
على أنه ، نفسه ، الحجة الشرعية التى تمنحهم الحق الروحانى فى امتلاك فلسطين ! .
لاجدال فى أن الدعوة الصهيونية إنما هى من هذا « النص »
نابعة ، ومما سأتى بعد هذا النص من نصوص هى مشتقة وعليها قائمة فلا
مساند للصهاينة إلا « الأسفار الخمسة » الأول من هذا « الكتاب » الذى تواتينا
الأدلة التاريخية الدامغة على أنه مكذوب على موسى ومكتوب بأقلام كثيرة وفق
أهواء كاتبيه وتحقيقاً لأطماعهم وأهدافهم السياسية فى فلسطين .. ومن ثم حتماً
علينا أن نتناول هذا « الكتاب » وهو عماد الصهيونية وعمدتها فيما تدعى ،
وفى صبر ساير نتابع النصوص وهى تحدثنا عن هذا « الوعد » الذى تستهل
الحديث عنه قائلة ؛

(١) الإصحاح ١٢ « سفر التكوين »

« فذهب أبرام كما قال له الرب ! .

وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران . (١)

وإلى أين خرج أبرام من حاران ؟

سؤال نلقيه إلى مؤلف « سفر التكوين » والجواب عنه

يأتينا عبر هذا النص ؟

« فأخذ أبرام ساراي امرأته ولوطاً ابن أخيه وكل

مقتنياتهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلكا في حاران وخرجوا ليذهبوا
إلى أرض كنعان .

فأتوا إلى أرض كنعان ! . » (٢)

وهناك . .

هناك ، على حد قول المؤلف اليهودي ؛

« اختار أبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة

مورة . وكان الكنعانيون في الأرض .

وظهر الرب لأبرام وقال، انسلك أعطى هذه الأرض ! . » (٣)

عبر هذه العبارة الخطيرة في دائرة التفكير الإلهي لاشتمالها

(١) الإصحاح ١٢ « سفر التكوين »

(٢) الإصحاح ١٢ « سفر التكوين »

(٣) الإصحاح ١٢ « سفر التكوين »

على إمكان « الرؤية » وإمكان « المسكالة » تطالع علينا فكرة « الأرض الموعودة » في دور انبثاقها وقد انعطف بها المؤلف اليهودي ناحية العاطفة ، نتيجة حتمية لاصطبائها بالقداسة كوعد إلهي ..

ومن هنا بدأت هذه « الفكرة » تتحسّس طريقها إلى وجدان جماعة لم تكن هذه العبارة على مسامعهم غريبة ولا كان المعنى منها يحمل اليهم أى مستحدث ديني جديد . فهذه العبارة التي دمجها براع كاتب « سفر التكوين » كانت مقبولة ومتداولة بل متعارفاً عليها ومعترفاً بها في جميع الدوائر الدينية لتلك العصور وليس هذا لحسب وإنما كان الاعتقاد بصحتها يمثّل ركناً من أركان الإيمان في ديانات الشرق القديم فلقد كان ظهور أحد الأرباب لمن يختار من البشر ومكالمته إياه ، بل وتناول الطعام معه ، أمراً طبيعياً يصادف بالتصديق من أتباع من يقول به ويقابل منهم بالقبول وبالإيمان .

لا غرو من ثم أن يراعى مؤلف « سفر التكوين » كل هذه الاعتبارات وهو يسطر هذه السطور مستهدفاً الوصول إلى غاية تتلخص في عودة « بيت داود » إلى حكم صهيون وإعادة أبناء يهوذا إلى أورشليم .. ثم لما كان نفسه ، قد كتب هذا « السفر » في غضون الأسر البابلي ، فقد حمل في ذاكرته ما كان يُروى على ضفاف الفرات من روايات مصدرها تلك الألواح البابلية وما قد سطرته عليها « الكتابة الاسفينية » من سطور تحدثنا عن أكثر من ملك ، وفي مقدمتهم « أور -- نامو » مبتعث النهضة السوميرية في أور ، لم يقم له عرش إلا على أساس من الادّعاء بظهور الرب له وتكليفه إياه ببناء مذبح له !

فما كان ليقوم حكم إلا وقوامه « التجلى » وإلا ومقوماته « الرؤية » وإلا ودعامته « مذبج للرب » . وليس إلا على ضوء هذه المعتقدات البابلية الثابتة التاريخ كتب مؤلف « سفر التكوين » النص التالى ،

« وظهر الرب لأبرام وقال :

لنسلك أعطى هذه الأرض .

فبنى هناك مذبحاً للرب الذى ظهر له ! » ^(١)

لاجدال فى أن المفزى البعيد من هذا النص الصريح وما يجعله فى ثناياه من خطورة بالغة لم يعد على الفهم خفياً ، ولا سيما إذا كنا قد علمنا أن هذا المؤلف اليهودى قد اختار « بيت إيل » مكاناً لهذا « المذبج » ! وأما لماذا اختار هذا المؤلف اليهودى « بيت إيل » مكاناً لهذا « المذبج » فإن ذلك لم يكن لما كان له « بيت إيل » من سابق قدسية عند أولئك الأصلاء من أبناء الجزيرة العربية من الكنعانيين فحسب وإنما لأن هذا المكان نفسه كان قاعدة ملك « بيت داود » غداة استبدل سليمان اسم هذا المكان من « بيت إيل » إلى « بيت المقدس » ! .

وهنا نعود إلى هذا المؤلف اليهودى ونجارى، جدلاً ، منطقته الذى جرى بهذه الرواية القائلة بأن « أبرام » قد اختار قطعة من أرض كنعان هى « من شكيم إلى بلوطة مورة » وذلك بينما كان الكنعانيون ما زالوا بين جنبات من الأرض يعيشون لئرى كيف سيجد هذا المؤلف لهذا الوضع حلاً يتلخص فى

(١) الاصحاح ١٢ « سفر التكوين »

وجوب إجلاء الكنعانيين عن « شكيم » وعن « بلوطة مورة » ..

أطرق مؤلف « سفر التكوين » فرأى أن الوسيلة إلى الإجلاء تحتاج إلى المال فهو الكفيل وحده بشراء السواعد القوية واستجلاب العدد الأكبر من الجنود المرتزقة لرحلة كنعان ، فمن أى مصدر سيأتى إلى « أبرام » بهذا المال وخاصة أنه فى هذه الفترة التى يتحدث عنها قد شحَّ فى يد أبرام نتيجة للقطط الذى كان قد أصاب الأردن عهد ذاك ؟!

وتلفت مؤلف « سفر التكوين » فلم ير حلاً لهذا المأزق إلا الرحيل بأبرام فى طلب المال .. فسَطَّر يقول ،

« ارتحل أبرام ارتحالا متوالياً نحو الجنوب .. » (١)

كلا .. ليس فى هذا النص أى مأخذ ، فليس فى الترحال وراء الرزق غضاضة .. ولا بفضاضة أن يكون هذا الارتحال نحو الجنوب .. فى الجنوب مصر ، و تراب مصر كان عهد ذاك تبراغ وببريق المسجد يتوسَّج من نيلها الضفاف . ولكن ! . النضاضة تقع فيما اقترفه هذا المؤلف فى حق ابراهيم من فحش ! . فليس إلاً باملاء من ميوله الذاتية راح مؤلف « سفر التكوين » يحدثنا عن « أبرام » قائلاً أنه ؛

« لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لسا راى امراته ،

إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر . . قولى إنك أختى ، ليكون لى خير بسببك . . » (١)

خير ، وبسبب ساراي !! .
أى خير هذا الذى سيكون لأبرام ، كما يقول هذا المؤلف اليهودى ، بسبب " ساراي " ؟ ! .

يا لهول ماسيأتى به هذا المؤلف اليهودى من جواب
تتصدر نصوصه " الكتاب المقدس " للدين اليهودى الحالى . ! إذ يقول ،
" فحدث لما دخل أبرام الى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها
حسنة جداً .

ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون .
فأخذت المرأة الى بيت فرعون .
فصنع الى أبرام خيراً بسببها .
وصار له غنم وبقر وحمر وعبيد وإماء وأنثى وجمال ! " (١)
وهنا . .

هنا نستطيع أن نقول إن هذه النصوص ، المنسوبة إلى
موسى افتراء على موسى ، تفصح عن نفسها بنفسها وأنها إلى التعليق منّا فى غير
حاجة إلا من القول بأن مؤلف " سفر التكوين " قد أراد أن يحىء الى " أبرام "
بالمال فلم يجد وسيلة إلا " ساراي " والى لم يبلغ بها غايته إلا ورأى أنه لا بد من

(١) الامصاح ١٢ « سفر التكوين »

(٢) الامصاح ١٢ « سفر التكوين »

العودة بأبرام الى «أرض كنعان» .. وأما كيف ستكون هذه العودة فليس هناك من حلٍ إلاّ في القول بأن الأمر قد عُرِف وأن الحقيقة قد انكشفت !. ومن ثمّ فلننصغ معاً إلى تلك النصوص العبرية أو بالأحرى إلى مؤلف هذه النصوص وهو يقول ؛

« فدعا فرعون أبرام وقال ؛ ما هذا الذى صنعت بى ؟ !
لماذا لم تخبرنى أنها امرأتك ؟
لماذا قلت هى أختى حتى أخذتها ! ؟ »^(١)

وهنا يحتم مؤلف « سفر التكوين » روايته هذه ، التى يكاد القلم أن يتوقّف عن الاسترسال خجلاً منها ، فيقول بأن « الفرعون » قال عندذاك لأبرام ؛

« والآن ! هوذا امرأتك خذها ! واذهب ! .. »^(١)
أستغفر الله ! ..

لا يسعنا هنا إلاّ أن نستغفر الله ونبرأ من هذه الرواية الفاحشة ..
لحاشا للخليل إبراهيم أن يكون « أبرام » هذا .. وحاشا لسارة أن تكون « ساراي » هذه .. فلم يك « إبراهيم » سفيهاً ولم تكن « سارة » بغيّاً ! .

وبقيناً .. يقيناً ، أننا لو لم نجد أنفسنا مُجبرين على متابعة النصوص العبرية كيما نتبيّن ماهية الركائز التى عليها ، وحدها ، ترتكز الصهيونية العالمية

(١) الإصحاح ١٢ « سفر التكوين »

في دعوتها لطوبينا صفحات هذا « الكتاب المقدس » ولكفنا عن الاسترسال في ترديد نصوصه، بل ولأبيننا الإصغاء إلى مؤلف هذا « السفر الأول » من هذا « الكتاب » وهو يواصل حديثه عن « أبرام » قائلا ؛

« .. فصعد أبرام من مصر هو وامرأته وكل ما كان له . وصار أبرام غنيًّا جدًّا في المواشي والفضة والذهب !

وسار في رحلاته من الجنوب إلى بيت إيل إلى مكان المذبح الذي عمله هناك! » . (١)

وهنا .. هنا يتغيَّر الأسلوب وتتغيَّر المعاني .. فقد كان مؤلف « سفر التكوين » قنوعًا في غير زهد عندما اكتفى من « أرض كنعان » بالرقعة الصغيرة المحصورة بين « شكيم » و « بلوطة مورة » وجعلها تأتي كمنحة قدسية « لنسل أبرام » ..

وأما الآن ؟ ..

الآن وقد واتت الدنيا وأنت بالفضة والذهب فلن يكتفى مؤلف « سفر التكوين » بتلك الرقعة .. ولعله قد رأى المال قد كثُر في يد أبرام الذي أصبح « غنيًّا جدًّا » مما تجب منه زيادة رقعة « الأرض الموعودة » لنسل أبرام من جهة ومن جهة أخرى لا داعي في هذه الحالة من تأجيل « الوعد » بالملك

(١) الإصحاح ١٢ « سفر التكوين »

للنسل .. فليكن من الآن لأبرام نفسه ! .. ومن ثمَّ شَمَّر المؤلف عن
ساعديه وأجرى قلمه بسطر ؛

« قال الرب لأبرام ..

ارفع عينيك وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمالا وجنوبا
وشرقا وغربا لأنَّ ، جميع الأرض التى أنت ترى لك أعطيها !..» (١)
ولكن ! . أو يكفى هذا المؤلف اليهودى كل ما ترى العين
من شمال وجنوب وشرق وغرب ؟ !

كلا ! . إن مؤلف « سفر التكوين » ليستدرك هو نفسه ! .
وكأنما قد عزَّ عليه ألا ترى عين « أبرام » من الأرض الرقعة التى تشبع أطماع « بيت
يهودا » وتروِّيها فأمسك بالقلم ليضيف نصًّا جديداً سخياً يزيد فى رقعة « الأرض
الموعودة » فى صورة حديث جمل « الرب » يواصل فيه الكلام مع « أبرام »
قائلا ؛

« قم امش فى الأرض طولها وعرضها .
لأنى لك أعطيها ! . » (٢)

وكما أراد هذا المؤلف اليهودى فى نصوصه أَرْضُخ « أبرام »
للأمر وسار به فى الطريق الذى رسمه له خطوة بخطوة كما عن ذلك يحدثنا
قائلا ؛

(١) الإصحاح ١٣ سفر التكوين

(٢) الإصحاح ١٣ سفر التكوين

« فنقل أبرام خيامه وأتى وأقام عند بلوطات تَمْرًا التي
في حبرون وبني هناك مذبحًا للرب »^(١)

وبهذا اللذبح الجديد الذى بُنى « للرب » في حبرون وعند
بلوطات تمرا بالذات يحىء الدليل على أن رقعة « الأرض الموعودة » فى مخيلة
المؤلف اليهودى لم تعد قاصرة على حيز ينحصر بين « شكيم » و « بلوطة مورة »
و إنما غدت كل « أرض كنعان » أرضاً موعودة لأبرام !

والآن .. الآن آن لنا أن نطالب هذا المؤلف اليهودى بالبرهان على
أن كل « أرض كنعان » قد أمست ، كما يقول ، « أرضاً موعودة » من
الرب لأبرام .. فما هو البرهان ؟ !

إن مؤلف « سفر التكوين » لا يشحّ علينا بالبرهان فهو يقدمه
لنا عبر هذه النصوص قائلا بزهو عجيب ؛

« لقد صار كلام الرب إلى أبرام فى الرؤيا قائلا ؛

لا تخف أبرام ؛ أنا ترس لك ! ..

فقال أبرام ، أيها السيد الرب ماذا تعطينى ؟

وقال له الرب ؛ الرب الذى أخرجك من أور السكلاانيين

ليعطيك هذه الأرض لترثها ! .. »^(٢)

« ١ » الإصحاح ١٢ سفر التكوين

« ٢ » الإصحاح ١٥ سفر التكوين

هذا هو البرهان ..

برهان ، مصدره رحاب المنام ! ..

ولكن ..

المؤلف اليهودي إذ يختار كل « أرض كنعان »
ويجعلها « أرضاً موعودة » لأبرام ، فإن ذلك لم يكن من لمو التفكير وعبث
الأمر .. فالتفكير في ذلك لم يكن تفكيراً مرتجلاً وحيه الظرف ومصدره
البيئة ، وإنما كان تفكيراً تفصح عن مراميهِ نفس هذه النصوص التي تجعل « أرض
كنعان » تسمى عوضاً عن أرضٍ في « أور الكلدان » ..

ثم هذه المحاورة القصيرة التي صيغت من مادة الحلم لم تكن ،
بالتالي ، من عبث الكلام ورهل الحديث ، وإنما كان لها مغزاهَا البعيد الذي
ندركه إذا تذكرنا أن في الأسر البابلي تعلّم اليهود بقايا الدين البابلي وما احتواه
من المعتقدات عن ظهور الرب في المنام واتصاله بمن يختار عن طريق الرؤيا ليعلمن
له عن نواياه وما يريد منه أن ينجزه من أعمال .. عرفنا ذلك في تاريخ « إيلاناتوم »
ملك « لاجاش » وفي تاريخ « جوديا » ، أيضاً ، من ملوك « لاجاش »^(١) ..
ومن ثمّ فلا عجب بعد ذلك أن نرى فكرة « الأرض الموعودة »
وقد بدأ خروجها من الطور السلبي إلى الطور الإيجابي بهذه « الرؤيا » التي أنتمت
بجراها عبر نصوص أخرى تحدثنا بأن « أبرام » قد سأل « ربه » قائلاً :

« أيها السيد الرب بماذا أعلم أني أرضها ؟ »

فقال له ؛

خذ لى عجلة ثلثية وعزّة ثلثية وكبشاً ثلثياً .

ويمامة وحامة ! . «(١)

لماذا ؟ ! .

سؤال ، نلقيه عبر الأجيال إلى هذا المؤلف اليهودى وعن
الإجابة لا يتوانى أبداً هذا المؤلف ! . فإنما هو فى اعتداد بالقول عجيب يكمل
روايته هذه قائلاً إن إثر هذه « الرؤيا » هب أبرام ؛

« فأخذ هذه كلها

وشقها من الوسط وجعل شقّ كل واحد مقابل صاحبه .

وأما الطير فلم يشقّه ! . «(٢)

وهنا . .

هنا ، أمام هذه النصوص لابد لنا أن نتمهل للحظة .. لا ..
بل للحظات ! .. فالفكر منا إذ ير بما تتضمنه هذه النصوص من عبارات
لا يستطيع أن يمر بها مروراً عابراً وإنما هو يطرق مفكراً مستشفّاً منها الغاية .
نتمّ إلى مؤلف هذه النصوص يلقي بهذا السؤال ؛

ما المعنى من هذا كله ؟ ما المعنى من وراء هذه العجلة
والعزّة والكبش واليمامة والحامة ! ؟

« ١ » الإصحاح ١٥ سفر التكوين

« ٢ » الإصحاح ١٥ سفر التكوين

سؤال آخر ننقيه إلى هذا المؤلف اليهودي الذي يهبُّ من
تنايا نصوصه صارخاً يقول بأن العجلة والعنزة والسكبش واليامة والحامة لم تكن
إلا علامات؛

« الميثاق »

في « رؤيا » . . وعلى بساط الحلم وفي أحضان المنام تهتد
« الرب » لأبرام بأن له « أرض كنعان » . وما العجلة والعنزة والسكبش
واليامة والحامة إلا أدلة مادية على صدق هذا « العهد الروحاني » بأن إلى « أبرام »
ثم إلى « نسل أبرام » سيؤول « ملاك كنعان » فإمّا ؛

« في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً ؛

لنسلك أعطى هذه الأرض !

من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات . . »^(١)

هذا هو النص الديني الذي يعتبر الأساس لطالبة اليهود
بفلسطين . وهذا هو النص الذي يمثل السند الوحيد لأطماع صهاينة اليوم
في مد « دولتهم » التي افتتلوها من مادة نفس هذا النص كما تشمل كل هذه
الحدود !

وهنا . .

هنا لنا كلمة لا نلقبها إلى هذا المؤلف وإنما إلى من اتخذوا من

(١) الإصحاح ١٥ سفر التكوين

هذا المؤلف مرجعاً . . . نلقيناها إلى صهاينة اليوم ويهود اليوم ونسلم
قائلين ؛

ألا ترون أن مؤلفكم قد أخطأ وأنه إلى ما قد ارتكب من
خطأ لم يفتن إذ جعل مكان هذا « الوعد » رحاب المنام ؟ ..

ألا ترون أن مؤلفكم قد كلَّ منه التفكير وأن منه قد تبليبل
البال وأن أمامه قد اختلطت الأحداث فخلط حتى أنه من حيث أراد لدعوته تدعيما
انهال عليها بمعاول الهدم ؟ ..

كيف ؟ ! ..

كيف ، وليس إلاّ في المنام جاء « الوعد » بإعطاء « نسل
أبرام » كل « أرض كنعان » ؟ . . كيف وليس إلاّ في المنام امتدت رقعة
هذه « الأرض الموعودة » من نهر معبر إلى نهر الفرات ؟ !

يقيناً ! . . يقيناً ، ليس إلاّ من نسج عالم الأحلام ، في خلال غفوة أرخت
من هذا المؤلف اليهودى الجفنين ، حيكت « الأرض الموعودة » على رقعة
امتدت من الفرات إلى النيل ! ..

والآن ..

الآن وليس إلاّ في عالم المنام اتسعت رقعة « الأرض الموعودة »
هذا الاتساع الذى نسجه الحلم بأوسع مداه نجد أنه حتماً عليهما ، ونحن قد وضعنا
يدنا على خيوط النسيج الذى حيكت منه هذه « العقيدة » وتبيننا مادتها وأدركنا
ماهيتها ، أن نسلط أضواء « علم النفس » على من يتخذون من هذه النصوص

حجةً يحتاجون بها العالم على أن لم قد مُنحت كل الرقاع الممتدة من الفرات إلى النيل ! .

ومن ثمَّ ..

ليس أمامنا إلاَّ الاعتراف من ينبوع الصبر بينما الفكرُ منا يتبع هذا المؤلف وهو يراه يسرع ، بعد أن سطر سيرة هذا « الميثاق » ، فينقل خيام أبرام إلى حيث « بلوطات ممرا » العمورى ليحمله بذلك يقطع مع العموريين عهد محالفة ، كان نفس هذا المؤلف قد مهد له بما ضاعفه لأبرام في هذه الفترة الزمنية من مكانة بين ملوك القبائل الكنعانية وبما ضاعفه من حوله من عدد الجنود المتمرنين على حمل السلاح بينما راحت صورة تلك « الرؤيا » تزداد وضوحاً في جبهة هذا المؤلف اليهودى وتُصوِّر « أبرام » وقد غدا له من الشأن ما لهؤلاء الملوك الكنعانيين من عزّة ومن شأن وليس هذا فحسب وإنما تصوره وقد أفرغت في يده قوة ستطوى ساطان كل هؤلاء الملوك بقبضة استمدت قدرتها من ذلك « الميثاق » الذى كانت العجلة والعزّة والكبش والحمامة واليمامة علامات على أن « أرض كنعان » وكل الرقاع من الفرات إلى النيل قد غدت ملكاً « لنسل أبرام » ! ..

ولكن ! .

أين « نسل أبرام » ؟ ! .

كبوة أخرى يقع فيها مؤلف « سفر التكوين » إذ هو في نفس الوقت الذى كتب فيه هذه النصوص ، التى تقول بأن الوعد بامتلاك

« أرض كنعان » وسائر الأراضي الممتدة من الفرات إلى النيل قد اختص « نسل أبرام »، راح يذكر بأن « أبرام » الذى شارف مشارف ست وثمانين سنة من العمر كان عند تلقى هذا « الوعد » لا نسل له !

لا جدال فى أن مؤلف « سفر التكوين » قد تسرع بمنح هذا « الوعد » للنسل قبل أن يكون هناك نسل .. بيد أنه سرعان ما استدرك موقفه فأسرع قلمه يسطر بأن عند ذاك قد تمخض الزمن عن :

« مولد اسماعيل »

عبر الإصحاح السادس عشر من « سفره » يطلع علينا هذا المؤلف اليهودى بتلك القصة التى تحدثنا عن هذا الميلاد حديثاً نلج من ثناياه تمكّن جذور « فكرة الأرض الموعودة » فى تفكير هذا المؤلف واطراد نموها ياطراد نمو إسماعيل على مدارج الأيام عبر الثلاث عشرة سنة التى جعل هذا المؤلف اليهودى إسماعيل يعيشها فى بيت أبيه والتى نرى ، من خلالها ، تسلسل فكرة « الأرض الموعودة » فى نفس هذا المؤلف وانسلالها من حيز الأمل واقتحامها عالم الواقع .. فلقد أخذت تتسارع من مؤلف « سفر التكوين » الأنفاس وتتلاحق قائلة بأن « الرب » قد كفّ عن الظهور فى « الرؤيا » خلال المنام وعاد إلى الظهور فى « الرؤية » خلال النهار .. فلقد « تراءى الرب » وعلى « أبرام » أملى :

« المهم — د »

لقد :

« ظهر الرب » لأبرام وقال له ، ...

أنا الله القدير سر أمانى وكن كاملاً .

فاجعل عهدى بينى وبينك . . » (١)

من « الميثاق » إلى « العهد » خرج « الوعد » دلالة على أن فكرة « الأرض الموعودة » قد بلغت في مخيلة هذا المؤلف اليهودى دورها العملى مما ندخل به إلى طور جديد فى تاريخ هذه « الفكرة » .. فالمؤلف اليهودى يحدثنا بأن « أبرام » قد أُرهِف السمع إلى هذا « الرب » الذى ظهر له ناسباً إلى نفسه الألوهية وكله قائلاً ؛

« أما أنا فهو ذا عهدى معك وتكون أباً لجمهور من الأمم
فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون

إبراهيم !

لأنى أجعلك أباً لجمهور من الأمم واثمرك كثيراً جداً
وأجعلك أمماً وملوك منك يخرجون . . .

وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك
عهداً أبدياً ! ..

وأعطى لك وانسلت من بعدك أرض غربتك ! ..

كل أرض كنعان ملكاً أبدياً ! .. » (٢)

والآن ..

(١) الاصحاح ١٢ سفر التكوين

(٢) الاصحاح ١٧ سفر التكوين

لقد علمنا أن «الميثاق» قد قُطِعَ بعجلة وعنزة وكبش ويمامة وحمامة واتخذ صورته الرسمية بإراقة دم بعض الحيوان وشق أجسامها من النصف شقًّا . وأما الآن وهذه النصوص تذكر بأن « الرب » قد ظهر لمن بأبوته لإسماعيل تحوّل اسمه من أبرام إلى إبراهيم وأنه قد كلمه قائلا بأن له سيُعطى ، ولنسله من بعده ، كل « أرض كنعان » ملكاً أبديًّا إذا التزم بهذا « العهد » .. فما هو هذا « العهد » ؟ ..

صريحاً يأتي إلينا من هذا المؤلف اليهودى الجواب يقول ؛
ان «العهد» لم يتخذ ما قد اتخذ « الميثاق » من صورة .. كلا ، لا حمامة ولا يمامة ولا عجلة ولا عنزة ولا كبش وإنما .. إنما « العهد » قد اتخذ هذه الصورة ؛

« .. هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك ؛

يختن معكم كل ذكر .

فتختنون فى لحم غرائكم .

فتكون علامة عهد بينى وبينكم فيكون عهدى فى لحمكم عهداً أبديًّا ! .^(١)

ويُنفذ المؤلف اليهودى « العهد » فوراً فيقول ؛

« فأخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته كل ذكراً من أهل بيت إبراهيم وختن لحم غرائهم . فى

(١) الاصحاح ١٧ سفر التكوين

ذلك اليوم عينه . كما كلمه الله ! . » (١)

و ؛

« كان ابراهيم ابن تسع وتسمين سنة حين ختن في لحم غرلته (٢) . . »

هذا هو « العهد » الذى كان القيام بأدائه هو العلامة التى وضعها مؤلف « سفر التكوين » على منح ابراهيم ، و « نسل ابراهيم » سائر أراضى « الأرض الموعودة » والرقاع الممتدة من الفرات إلى النيل ! ..

وفى الواقع أن « الختان » قد عرف كشعيرة ضرورية ، خلال المصور التاريخية لشرق القديم بل ومنذ عصور ما قبل التاريخ وخاصة فى مصر القديمة حتى أن الجندى المصرى القديم كان يقطع عضو التذكير عند أى أسير فى الحرب لم يختن لأنه كان يعد نجساً . ولأن القيام به كان يعد علامة على النظافة والتطهير والطهارة .. وهذه الكلمة الأخيرة هى التى تطلق على هذه العملية ، حتى الآن ، فى مصر الحديثة . ولكن الختان لم يعرف ، قط ، على هذا النحو الذى يصوره مؤلف « سفر التكوين » الذى يقول بأن بهذه العلامة فى اللحم وفى هذا الموضع من الجسم قد أصبح « العهد القدسى » مبرماً على منح ابراهيم كل هذه الرقاع . وعلى أن مآل هذا الملك الوشيك التحقيق ، حتماً ، سيؤول إلى نسل ابراهيم ..

ولكن ! .

(١) الاصحاح ١٧ سفر التكوين

(٢) الاصحاح ١٧ سفر التكوين

هنا يتلفّت مؤلف « سفر التكوين » فلا يرى أمامه ، حتى هذه النصوص التي سطرها ، غير إسماعيل بينما هو يريد أن يُحوّل هذا « الوعد » إلى إسحاق كما يصل به إلى « بيت يهوذا » ويحصره في اليهوديين . فكيف يتخلّص من إسماعيل ويخلص إلى اسحاق فيذكر مولده وانتقال « الوعد » إليه ؟

هنا تتنفس سطور « سفر التكوين » عن حدث جديد يُحوّل مجرى التاريخ العبري من ناحية إلى ناحية أخرى وإلى « ساراي » يحمل مؤلف « سفر التكوين » تعود منه الأسباب .. فإلى « ساراي » التي كانت ، تبعاً لتقليد بابل ، قد وهبت جارتها المصرية « هاجر » لإبراهيم ، كما يستولدها نسلا ، فولدت له إسماعيل يلتفت مؤلف « سفر التكوين » فيتخذ منها مادة لقصة يُصور لنا بها « ساراي » ترى أن ما قد آل إلى إبراهيم بسببها من مال ما تكوّنت إلّا به فكرة امتلاك « أرض كنعان » سيؤول إلى ولد أنسله ابراهيم من جارية لها في نفس الوقت الذي أبى فيه هذا المؤلف اليهودي الاعتراف بإمكان حدوث « معجزة » تنجى إلى « ساراي » بولد . . ومن ثمّ راح يمهّد لفرية على « ساراي » لم يجد مادة لها إلّا « لوطا » و « إبنتيه » ! .

وهنا شمرّ مؤلف « سفر التكوين » عن ساعديه وتناول قلمه وراح يخوض في الحديث خوفاً غير رصين فقال بأن عندما فرّ لوط بابنتيه من ذاك اللحم البركاني الذي أصاب « سدّوم » و « عمورية » وأمات من كان فيهما عقابا على تفریطهم بالقيم الأخلاقية حدث أن ؛

« صعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه.. وقالت
البكر للصغيرة ؛

أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل يدخل علينا كمادة أهل
الأرض . هلم نسقي أبانا خمرًا ونضطجع معه فنجنى من أيينا نسلا .
فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة .

ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ، ولم يعلم باضطجاعها
ولا بقيامها !

وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة ؛
إني قد اضطجعت البارحة مع أبي ، نسقيه خمرًا الليلة أيضاً
فادخلي فاضطجعي معه فنجنى من أيينا نسلا . .
فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة أيضاً .
وقامت الصغيرة واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها
ولا بقيامها ! .

فخبلت ابنتا لوط من أبيهما !
فولدت البكر ابناً ودعت اسمه مُوآب ..
والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عَمى . (١)

أف ! .

حقاً لقد تَمَادى هذا المؤلف اليهودي وبلغ في تماديه غاية المدى ..

(١) الإصحاح ١٦ سفر التكوين

وكانما لم يكن لوط أن يأتي بنسل لولا هذا « الاستبضاع » الذى اتخذ مكانه ليلا وفي مغارة وإليه كان قد مهد الحجر الذى سقى وتساقى فجعل لوطاً يبنى ..
وَيَعْنُ ؟ ! .

بابنتيه !!

أية فرية أشدّ فداحة من هذه الفرية التى جاء بها هذا المؤلف اليهودى وهو يحمل « موآب » ، ومعناه من الأب ، الثمرة الأولى لهذا الاستبضاع كما يحمل « بن عمى » ، ومعناه من القريب ، الثمرة الأخرى .. فجعل بذلك « الموآبيين » و « العمونيين » ثماراً لهذا الاستبضاع الذى لا يسجله « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى إلا وبنفس الأنفاس تسترسل الأنفاس من هذا المؤلف تحدثنا بأن بعد هذا الحدث ، مباشرة ، يسمّ إبراهيم وجهه شطر الجنوب مستصبها « سارة » حيث بين « قادش » و « شور » فى « أرض جرار » أقاما .. وأما أى صرمى يستهدفه هذا المؤلف اليهودى من وراء هذا القول فهو بالطبع إيس إلا غاية هى هذه التى تفصح عنها نصوصه التى يسترسل بها قائلاً إن هناك .. فى أرض جرار ؛

« قال إبراهيم عن سارة امرأته ؛ هى أختى

فأرسل أביمالك ملك جرار وأخذ سارة ! . » (١)

لماذا ؟ ! .

لقد كان هدف هذا المؤلف اليهودى ، من قبل ، استهداف

المال يوم قال بأن إبراهيم قد استصحب «ساراي» إلى ملك مصر وأما اليوم فما هو الهدف الذي يستهدفه هذا المؤلف من وراء هذه الرحلة إلى ملك جرار والمال الوفير كان ، كان كما يقول ، لإبراهيم قد توفّر ؟ ..

غير صامته ، أمام هذا السؤال ، النصوصُ التي دمجها يراع مؤلف هذا « السَّفَر » الأول من أسفار « الكتاب المقدس » للدين اليهودي الحالي .. وإنما هي ، في سخاء تسترسل لتحدثنا كيف جاء إلى ملك جرار من أعلمه ، عن طريق المقام ، بأن ؛

« المرأة التي أخذتها .. متزوجة ببعل ! » (١)

كرة أخرى تلمد مؤلف «سفر التكوين» وبلغ من تماديه المدى وعند هذا القول لم يكف وكأنا هو لم يسكتف بما قد بذله من ابتذال حتى يغمس قلمه بمداد سقيم التركيب فينهى روايته هذه المفتراة قائلا ؛ إن عند ذلك دعا ملك جرار إليه إبراهيم يستوضحه الحقيقة وأن إبراهيم قد أجاب ملك جرار قائلا ؛

« بالحقيقة ! .. هي أختي إبنة أبي غير أنها ليست إبنة

أمي » (٢)

ولكن ... « حدث لما أناهني الله من بيت أبي أني قلت لها ؛

(١) الإصحاح ٢٠ « سفر التكوين » .

(٢) الإصحاح ٢٠ « سفر التكوين »

هذا معروفك الذى تصنعيه إلى ؛ فى كل مكان تأتى إليه قولى
عنى هو أخى !»^(١)

وفى الحقيقة أننا إذا أخذنا بأقوال هذا « الكتاب المقدس »
للدين اليهودى الحالى لوجدنا أن سارة كانت أختاً لإبراهيم غير شقيقة . وأما
أنه قد اتخذها زوجاً فليس هذا إلا عملاً بتقليد بابلى قديم كان عند بعض الطوائف
من أهالى بلاد ما بين النهرين متبعاً . وأما إذا تساءلنا لماذا كانت الرحلة إلى
ملك جرار ؟.. فإن الجواب يأتى إلينا من هذا المؤلف يقول ؛ إن هذه الرحلة
قد أتت بثمارها . . فلقد أبى ملك جرار إلا أن يكون صنعه كصنع ملك مصر
فى العطاء . وكما ، من قبل ، شيع ملك مصر سارة وإبراهيم بالفضة والذهب
والغنم والبقر والإماء والعبيد ، صنع ملك جرار نفس الصنع ؛

« فأخذ أبعالك غنماً وبقرًا وعبيدًا وإماءً وأعطاهما لإبراهيم
وردًا إليه سارة ! »^(٢)

ثم ؛

« قال لسارة ؛ إبنى قد أعطيت أخاك ألفاً من الفضة
هو لك عطاء ! »^(٣)

ثم . . ثم إن هذه الرحلة إلى ملك جرار قد أتت بما لم تأت به

(١) الإصحاح ٢٠ « سفر التكوين »

(٢) الإصحاح ٢٠ « سفر التكوين »

(٣) الإصحاح ٢٠ « سفر التكوين »

الرحلة إلى مصر . . فليس إلا بعد هذه الرحلة ، مباشرة ، حدث أن ؛

« افتقد الرب سارة .. »

فجأت سارة وولدت لإبراهيم ابناً^(١) ،

تحت هذا اللون من الميلاد تسجل سطور « الكتاب

للقدس » للدين اليهودى الحالى ؛

« مولد اسحاق »

ولكن ! .

هذا المؤلف اليهودى الذى كان قد قصر « الوعد » ، باده

ذى بده ، على « نسل أبرام » قد عاد من غفوته وعاوده التنبيه ! . تنبيه ، لا إلى

ما قد اقترف من فحش فى القول وهو يقول بأن بعد هذه الرحلة إلى ملك جرار

أتت سارة ، مباشرة ، باسحاق وإنما إلى ما قد ارتكب من خطأ بهذا القول

الذى يبطل حجة كل من ينتمى إلى اسحاق فى المطالبة بهذا « الوعد » الذى جعله

قاصراً على « نسل أبرام » . ومن ثم راح ، فى استدراك لموقفه ، يسطر بأن سارة

قد خرجت من عند « ملك جرار » ولم يكن « . . . قد اقترب إليها » .

والآن .. الآن يستطيع مؤلف « سفر التكوين » تحويل « الوعد » بهذه

« الأرض الموعودة » من مجرى إلى مجرى آخر يطابق منه المأرب ويوافق من هواه

السياسى الهوى .. وأسرع فشمّر عن ساعده ومن مداد الافتراءات غمس من جديد

قلبه وأجراه قائلاً ؛ بأن « الرب » قد كلم مرة أخرى إبراهيم وقال ، إن كل هذه

(١) الاصحاح ٢٠ « سفر التكوين » .

« الأرض » الفيضة باللبن والعسل والدفاقة بالخير والفواحة بعبق الثراء ستكون
وقفاً على « ابن سارة » ؛

« إسحاق »

وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً ونسله من بعده !^(١)

واسماعيل ؟ ! .

« .. وأما اسماعيل فقد جعلت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره

كثيراً جداً .. »

ولكن ! عهدي أقيمه مع إسحاق ! . «^(٢)

وهنا .. هنا يسترسل مؤلف « سفر التكوين » وراء شطحات

خياله ويرتشف من ينبوع الروايات الرواية بعد الرواية ثم يعود إلينا ليحدثنا كيف
بدأ الاحتكاك العائلي في « بيت إبراهيم » بين سارة وبين هاجر بسبب اسماعيل
وإسحاق . . هذا الاحتكاك الذي ما اتسع مدام إلا وأرغم إبراهيم ، آخر الأمر ،
على إنجاز رغبة سارة فطرد هاجر من بيته واسماعيل تحت جناحها إلى الصحراء
العربية الواقعة وراء « أرض كنعان » والملائي بعدد هائل من القبائل من العرب
المنقيمة ومن الأعراب الرحل والعائدة بأبوتها ، إلى « يقطان » أو « قحطان »
والمرتقية بنسبها ، أيضاً ، إلى « سام » . .

وهناك .. هناك نُسدل الستار التاريخي على اسماعيل ولا نقف

في هذا الصدد إلا عند قول هذا المؤلف اليهودي الذي يصر على أن إسماعيل
قد « سكن بركة فاران » .

(١) الأصحاح ١٧ « سفر التكوين »

(٢) الأصحاح ١٧ « سفر التكوين »

« فاران ؟ »

إن « فاران » جبل قائم على حدّ برية سيناء الشمالى ويبعد
عر « مكة » نحو خمسمائة ميل . فأنما فاران بقعة متاخمة للرامّة حتى أننا نستطيع
أن نحدد هذه البقعة تحديداً واضحاً فنقول ؛ إن سيناء وسعير وفاران ثلاثة جبال
متجاورة وقائنة فى شبه جزيرة سيناء . . ومن هنا نستطيع أن نقول إن كثيراً
من الأقلام قد خلطت بين فاران وبين مكة أو أرض الحجاز بينما أن الواقع
الجغرافى غير ذلك لأن فاران غير الحجاز . وأما وهذا المؤلف اليهودى يقف
باسماعيل عند سكناه « برية فاران » ولا يحدثنا عن أنه بعد سكناه فاران قد
غادرها إلى أعماق الصحارى حيث تناوله التاريخ العربى من التاريخ العبرى فليس
هذا بموضوع بحثنا الآن طالما أن المحور من هذا البحث هو عقيدة « الأرض
الموعودة » التى نراها قد بدأت تنتقل بيد هذا المؤلف اليهودى من جبهة ابراهيم
إلى جبهة إسحاق ! . .

وأما كيف سينتقل هذا المؤلف بهذه العقيدة من جبهة إلى جبهة
وأما كيف سيبلورها فى هذه الجبهة الأخرى ؟ فليس إلا عن طريق استمداده من
خياله المدد وتمهيده لها برواية أخرى لا نرانا نبدأ فى الإصغاء اليها إلا ونراه قد
عرج بنا ناحية ابراهيم ليحدثنا عنه قائلا بأن ابراهيم قد غدا مرير انفس بعد فراق
اسماعيل . . فلقد فرت أوجاع الوحشة منه الفؤاد وأصابته مواجعها منه المهجة
بطعنات ووخزات . . وأنه بقدر ما عمقت به الأحزان عمق به المضض من صحبة
سارة وإسحاق . . ومن ثمّ وائى وجهه عن « أرض كنعان » ووحيداً واصل ،
ووحده ، الترحال إلى حيث :

« تغرب إبراهيم في أرض الفلسطينيين أياماً كثيرة ! »^(١)

إننا إذا صدقنا هذه النصوص لقننا ؛ يقيناً لقد كان حتماً أن يعصف ، لفراق إسماعيل ، الأمسى بقلب إبراهيم ويجعله يافق في الآفاق بعيداً عن أرضٍ كان يرح عليها إسماعيل .. كما كان من الطبيعي أن تمرّ على إبراهيم الأيام حيث نأى وتغرب ، لحوالى خمسة عشر عاماً ، مريرة قاسية وأن تدفعه إلى استعراض ما قد مرّ من أحداث منذ فارق بلاد ما بين النهرين حتى الرحلة إلى « أرض جرار » .. أحداث ، ما كانت تحدث لولا مولد اسحاق ولولا مولد اسحاق لما كان قد أصاب إسماعيل ما قد أصابه من هذا التشتت والتشتيت ! . وهنا .. هنا يحدثنا مؤلف « سفر التكوين » بأن إبراهيم قد هبّ عائداً إلى دياره قاصداً داره ..

ولكن .. هنا يطلع علينا هذا المؤلف اليهودي بحدث جديد أهمل فيه التحدث عن حرارة اللقاء بين شيخ وبين صبي كان عند ذاك قد بلغ الخامسة عشرة من العمر بينما راح يحدثنا بأن إبراهيم أخذ اسحاق وبه ؛ « ذهب إلى أرض المُرّيا .. »^(٢)

وفي « أرض المُرّيا » ؛

« بنى هبّاك إبراهيم مذبحاً وربط اسحاق ابنه ووضع على

المذبح فوق الحطب .

ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ائذبح ابنه ! »^(٣)

(٢) الإصحاح ٢٢ « سفر التكوين »

(١) الإصحاح ٢١ « سفر التكوين »

(٣) الإصحاح ٢٢ « سفر التكوين »

هذا ماديجه يراع هذا المؤلف اليهودى من رواية نحن فى
غنى عن مناقشتها من حيث الحقيقة أو سواها وإن كان لا يسمنا إلا أن نطرق
أمامها للحظات مفكرين فيها بينما يطوف بالخاطر من هذا السؤال :

تحت ضغط أى العوامل النفسية ناول مؤلف « سفر التكوين »
إبراهيم السكين ليذبح إسحاق ؟ ..

كلاً ، لأجواب يأتى من هذا المؤلف اليهودى عن هذا السؤال
إلا بأن الله ، وهو العليم بما فى القلوب ، أراد أن يمتحن إبراهيم ليعلم ما فى قلبه ..
بيد أن هنا ينبثق سؤال آخر وهو ، لماذا اختار هذا
المؤلف اليهودى « أرض المريا » بالذات بقعة لرفع هذا القربان البشرى ومكاناً
لحرق هذا القربان بعد أن يفصل رأسه عن جسده بالذبح ؟ ..

الجواب عن هذا السؤال ينحصر فى تاريخ « المريا »

ان « المريا » جبل وفى جبل المريا تقوم :

« صخرة »

منذ زمن بعيد فى مدى التاريخ حفت بهذه « الصخرة » قدسية
بسببها تقدس هذا « الجبل » الذى يقول عنه هذا المؤلف اليهودى بأن « الرب »
قد عيَّنه لإبراهيم كيما يذبح عليه إسحاق . ونحن لن نفهم تماماً مصدر القدسية
التي حفت بهذا الجبل وبهذه الصخرة ما لم نعد إلى العصور التي سبقت مجيء
« آباء التوراة » أرض كنعان .. ومن هناك ، وبالإضافة إلى ما سطره هذا المؤلف
اليهودى من نصوص ، يستبين لنا تماماً أن مفهوم الإله « كعلى » مالك للسموات

والأرض ، كان مفهوما واضحا في العقل الكنعانى منذ القدم وإن كان قد حل بهذا الإله أرباب .. وإن كان هذا المفهوم كافيا لتكوين نظام كهنوتى متصل بهذا الإله العلى المالك للسموات والأرض وأما قاعدة هذا الكهنوت ومركزه فكانت « ييوس » الأمس و « القدس » اليوم وأما المعبد فكان نفس هذه « الصخرة » .

وهنا ، حتما ، يطوف بالخطر هذا السؤال ؛ ما الذى جعل لهذه « الصخرة » هذه القدسية دون سائر الصخور ؟ .

الجواب عن ذلك لا ينطوى فى العصر الكنعانى وإنما فى العصور السحيقة البُعد السَّابقة على عصر كنعان وفى نفس العقل البشرى نفسه وفى نفس هذه « الصخرة » نفسها . فإن العقل الإنسانى لما كان فى العصور البدائية طفلا يمر بمرحلة « الاستحياء لذاتى » وبالتالى لما كانت هذه « الصخرة » ذات سواد متلاىء وكأنَّه المرآة مشحونة بقوة تبدو وكأنَّها قد اختزنَت الطاقة منذ أن وُجدت فقد توَّهم العقل البشرى وهو فى مرحلة طفولته تلك يرأسها حيَّة بطريقة عجيبة بها خاصة هى هذه التى بعثت فى نفسه الحيرة أحيانا وأحيانا الجزع وهى هذه التى قذفت فى روعه ، كلما حاول أن يضع عليها يده ، الروعة إذ كان يتوهم أنه يُفاجأ بارتداد يده بعيداً عنها كلما همَّت بأن تتحسَّسها منه الراحة ! ثمَّ ، لما كانت الفكرة عن الإله قد مرَّت بأطوار تطورية تبعاً لتطور العقل الإنسانى وكانت النتيجة الطبيعية أن عبَد الإله تحت الشتى من الصور كما اتخذت عدة أمكنة لعبادته فمن هنا نلَم أن مدينة « القدس » لم تشذ عن هذه القاعدة عندما كان لها هذا المعبد فى هذه « الصخرة » .. ومن ثمَّ فلا عجب أن تكون هذه « الصخرة » قد هزت العاطفة الدينية من العصر

الكنعانى بأعنف الهزات وأن يكون لها فى العقل الكنعانى التأثير الذى كان لها فى العصور البدائية حتى اعتبرها شيئاً ذا قوة قدسية وأن صوته يُسمع فعلاً فى بعض الأحيان وأن له إرادة تُفهم إذا ما أرهف اليه المسمع .. ومن هنا تمت سلطتها إلى سيطرة امتدت من نسبية محلية مُتمركزة فى الصخرة نفسها إلى مجال أفسح ولّد المعتقد بأن إله السماء قد اختارها لنفسه سكناً على الأرض . وهذا قبل أن يتطور مفهوم هذه الصخرة ، بارتقاء العقل البشرى ، إلى مفهوم جديد بالكلمة .

هذا هو الطابع القدسى الذى كان لهذه « الصخرة » فى العصر الكنعانى ولذلك كانت القرابين تقدم بجانبها كما كانت ترفع عليها الحرقات حتى إننا إذ نقف أمامها اليوم نتأملها وهى غارقة إلى نصفها فى الوسط الغربى من فناء هيكل القدس فى ظلال القبة الهائلة المسماة باسمها فليس إلا لتبدو لنا صحيفة خالدة امتصت مواكب الأحداث التى تتابع مسيرها على صفحة الزمان وكأنما هى بسوادها هذا المتلألئ مرآة تعكس صور الماضى وطقوسه وعبادته بل وكأنما هى آلة سجلت تجارب الأصوات ورنين الدعوات وأنين الابهالات وانهمار العبرات وعبارات الطقوس النعبدية التى تنالت عبر العصور فتختلج بها بصمت وتكاد ، إذا ما مُسَّتْ ، أن تكون على أهبة المهمة بها حتى أن المخيلة لتتخيل أن « الصخرة » تُريد أن تتكلم وتتحدث بشئ تشعر بأن من واجبها الإفضاء به ! ..

هذه القدسية التى حفّت بهذه « الصخرة » هى التى راعاها مؤلف « سفر التكوين » حتى أنه لم ير مكاناً أصح من « جبل المريا » يدفع اليه إبراهيم ليذبح إسحاق بيد لا يصورها هذا المؤلف ، وهو يجرى قلبه بهذه التراهاات ، وقد اختلجت وهنا وانفعالا إلا ويكمل روايته قائلاً بأن إبراهيم

كاد أن يذبح إسحاق لو لم تحل بينه وبين إنفاذ هذا الأمر لحمة خاطفة من تابعين سارة كانت قد أرسلتهما وراء إبراهيم واسحاق فأتيا إلى إبراهيم بكبش كان « ممسكا في الغابة بقرنيه » وعند ذاك انتجعه ؛

« .. إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه .

فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع ؛

يهوه يراة^(١)

وهنا.. هنا ، أمام هذا الهراء المبتوث على إبراهيم ، عليه السلام ، لنا كلمة وهى ؛ أن التضحية بالقرابين البشرية وإحراقها كان ، ولا جدال في ذلك ، طقساً دينياً جرت به منذ القدم العادة وخاصة في بلاد ما بين النهرين فقد كان الأرباب القساة عند البابليين يُغالون في مطالبهم فيطلبون أحياناً تقديم الضحايا البشرية من القرابين .. ولقد برزَّ الرب « أدَّاد » الأرباب طراً في قسوته إذ كان التماس رضائه يستلزم التضحية بالإبن البكر وحرق جثمانه وليس إلاَّ من هذا المدد البابلي يقدِّم لنا مؤلف « سفر التكوين » هذه الصورة المشوهة عن قصة الذبح .. لا لأنه يجعل إسحاق محوراً لها فحسب وإنما لأنه في روايته هذه وفي سرده هذا يساوى بها ويمائل قصص الأرباب القساة عند البابليين دون أدنى تفرقة إلى ما يوجد من فوارق بين صورة وأخرى . فإن قصة الذبح الخاصة بإبراهيم ، عليه السلام ، تختلف كل الاختلاف عن قصص الذبح عند أهالى بلاد ما بين النهرين كما تتباين تبايناً تاماً وهذه الرواية التى يرويها هذا المؤلف اليهودى من حول إبراهيم وإسحاق ..

ثمّ.. ثمّ، ما هذا الاسم الذى أجراه مؤلف «سفر التكوين» على لسان إبراهيم عند ما قال إن لحظة ارتداد يده بالسكين عن ذبح إسحاق قد قال ؛ «يهوه يرآة» ؟ ! ...

« يهوه ؟ » .

حقيقة أننا نعلم أن المعنى من هذه الكلمة ، يهوه يرآة ، هى أن « يهوه » هذا « يَرَى » .. ولكن ! . من هو « ياهوه » هذا الذى يرى ؟ . ومن أين جاء بهذا الاسم مؤلفُ هذا الجزء من « التوراة » ؟ ! ..

إن هذا الاسم الذى أجراه مؤلف «سفر التكوين» ، زوراً ، على لسان إبراهيم ليس إلّا رجع الصدى لاسم ربّ قديم كانت قد سجلته النصوصُ السامية حفرّاً على الألواح الصلصالية العائدة بتاريخها إلى ما حول سنة ٢١٠٠ ق.م. .. ثمّ هو ، بالتالى ، لا يقتصر على النصوص السامية لبلاد ما بين النهرين فإمّا هو اسم وجدناه فى مصر القديمة وبالتحديد فى لاهوت « عين شمس » فان « هوه » ليس فى « تاسوع عين شمس » إلا اسم أحد أولئك الأرباب .. ومن هنا يأتينا الدليل كيف بدأ اسم « يهوه » بتجاوب همساً فى مسمع التاريخ العبرى ولماذا أجرى مؤلف هذا الجزء من «التوراة» على لسان إبراهيم هذا الاسم الذى سيعود فيلّفه عن مسمع نسل إسحاق لأجيال وأجيال ! ..

ولكن .. حتى يُدوّى اسم « يهوه » فى مسمع التاريخ الدينى مرة أخرى وحتى يصبح ، فيما بعد ، عند «بنى إسرائيل» علماً على الربّ الذى وقع عليه اختيارهم ليختارهم لنفسه شعباً نرانا نتبع مؤلف « سفر التكوين » ونتابع الإصغاء اليه .. غير أننا نراه يهب فجأة ونسمعه يقول لقد ؛

« .. شاخ إبراهيم وتقدّم في الأيام ! » (١)

والآن.. الآن وقد شاخ إبراهيم وتقدّمت به الأيامُ وكان ، حتماً ، أن توافيه النهاية الطبيعية لكل كائن حيٍّ ، فليس إلا ليشتد منا الانتباه إلى ما قد اشتمل عليه هذا « السفر الأول من أسفار الكتاب المقدس » للدين اليهودي الحالي من تراهاث مما يجعلنا نتساءل ، أغفل مؤلف « سفر التكوين » أم تغافل عن أنه قد سطر نصوصاً في الإصحاح الثالث عشر من « سفره » تقول بأن « الرب » قد كلم إبراهيم قائلاً « جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ! » أنسى مؤلف هذا « السفر » وهو يتحدث عن وفاة إبراهيم أن إبراهيم قد ثوى و « الوعد » بتمليك « أرض كنعان » لم يُوفَّ !

لا جدال في أن هذا المؤلف وهو يجرى قلبه بهذه التراهاث قد نسى ذلك بينما علقت بذهنه تلك الجملة التي وضعها نفسه بين شفتي إبراهيم وادّعى أنه لإسحاق قال ؛

« الرب .. أقسم لي قائلاً ؛

لنسلك أعطى هذه الأرض ! . » (١)

بهذا النص الجديد تدخل فكرة « الأرض الموعودة » في مخيلة هذا المؤلف اليهودي الى مجال جديد وتنفس في هذه الخيلة عن دورها الفعّال إذ ما لبثت أن تحددت منها المعالم في جبهة هذا المؤلف تحديداً رسمت

(١) الإصحاح ٢٤ « سفر التكوين »

(٢) الإصحاح ٢٤ « سفر التكوين »

خططه ذكرياته عن تلك المجاعة التي كانت قد رقت على « أرض كنعان » في عهد إسحاق نتيجة لذلك القحط الذي أصاب البلاد ودفع بالقبول من الكنعانيين إلى الارتحال صوب الجنوب مستهدفين مصر فراراً من أرض رقت عليها جوع مهيئ إلى وادي خصب رفرف عليه العيش الرهيف حتى بدت « أرض كنعان » ، في مخيلة هذا المؤلف ، وكأنما هي من كنعان قد خات .. وإذن ، فلن يترك مؤلف « سفر التكوين » هذه « الأرض » إذا جعل إسحاق لها ، الآن ، يترك ؟! . ومن ثمّ فليأت بنص جديد يقول بأن لإسحاق ، أيضاً قد :
« ظهر له الرب وقال : لا تنزل إلى مصر !

اسكن في الأرض التي أقول لك .. لأنني لك والنسلك أعطى.
جميع هذه البلاد !

وأني بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم ! » (١)

وإذن ، فقد تذكّر مؤلف هذا الجزء من « التوراة » أن القسم الذي جعله يرد على اسان إبراهيم لإبراهيم لم يوف لإبراهيم !. ولكن ، ماذا يضير هذا المؤلف اليهودي من أن « يهوه » قد أهمل قسمه ونسى وعده لإبراهيم بينما هو لا يريد أن يصل بهذا « الوعد » إلّا إلى « بيت يهوذا » ؟! . من هنا نراه يتحوّل بنا في غير تروّ ناحية إسحاق وكأنما هذا « الوعد » لم يكن لإبراهيم وإنما كان لإسحاق ! بل وفي تفاؤل بلغ أقصى مداه يتمادى هذا المؤلف وإلى مناقضة نفسه بنفسه لا يلتفت فيجعل هذا « الوعد » يرد على لسان إبراهيم لإسحاق !.

وهنا ، لا نقول إلّا مهلاً !.

لنتمهّل للحظة ولنجرى ، جدلاً ، هذا المؤلف في قوله هذا بل ولنصدق ، افتراضاً ، في نصوصه هذه حتى لا يتبقى علينا إلا انتظار اليوم الذى سيّفى فيه « الرب » بهذا القسم الجديد وهو أنه سيعطى اسحاق « جميع هذه البلاد » .

ولكن !. عبثاً نقاب صفحات هذا « السفر » بحثاً عن نصوص فيه تعلان عن وفاء « الوعد » لإسحاق !...

كلا !. لا شئ هناك إلا من نصوص تترى تكشف الحقيقة من أمر هذا « الوعد » الذى لم يكن فى واقعه إلا وعداً سياسياً تابعاً لما رب السياسة وألعبه سياسية فى يد هذا المؤلف اليهودى تتوارى خلف ستار من قول « ظهر الرب .. » و « قال الرب .. » و « أقسم الرب .. » فإن هذا المؤلف اليهودى منذ اللحظة التى شرع فيها قلمه وبدأ يكتب « سفر التكوين » لم يستهدف من وراء هذه « الوعود » إلا التهديد لعودة « مملكة داود »... ومن ثمّ كان حتماً لهذا « الوعد » أن يتحوّل فى يده من شخص إلى آخر حتى يصل به إلى « ذرية داود » .. وأما وأنه قد بدأ به بإبراهيم فلم يكن ذلك إلا حسباً أملتته المصالح السياسية كما يكسب قضيته صبغة شرعية . فهو لا يجعل هذا « الوعد » يأتى لإبراهيم ، بادئ ذى بدء ، إلا ليحوّله إلى إسحاق ليخرج منه اسماعيل وأبناء اسماعيل وإلا ليتخذ من إسحاق وسيلة إلى تحويل هذا « الوعد » إلى يعقوب ليحصره فى سلالة إسرائيل حتى يمكنه بعد ذلك من تحويله إلى ذرية داود لينحصر فى مملكة الجنوب دون الشمال وتعود « مملكة يهوذا » أو « المملكة اليهودية » إلى الوجود ! ..

هذا هو الهدف الأخير الذى استهدفه مؤلف « سفر التكوين » من وراء هذه المحاولات المتكررة فى صورة انتقال هذا « الوعد » من شخص إلى آخر حتى أمسى اليقين بتحقيقه وقيام « المملكة اليهودية » المرتقبة يقيناً راسخاً فى مخيلة هذا المؤلف الذى رأى أنه ، وقد نقل هذا « الوعد » إلى اسحاق ، قد آن الآن لأن يضع أسس هذه « المملكة » بأن يضمن على هذا « الوعد » صفة رسمية لن يخلعها على اسحاق وإنما سيجعل اسحاق يخلعها على يعقوب ..

ولكن !. هنا تترض هذا المؤلف عقبات فكيف يمكن له أن يتخطاها ؟ .. كيف سيمكن لهذا المؤلف اليهودى أن ينهى « عيسو » وهو الإبن الأكبر لإسحاق ويمنح « جميع هذه البلاد » إلى يعقوب ويعقوب هو الإبن الأصغر والولاية لا تمهد إلا للإبن الأكبر ؟ .. وأطرق هذا المؤلف ثم شمر عن ساعديه وأجرى قلمه يحدثنا بهذه الرواية ؛

« حدث لما شاخ إسحاق وكلت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له ؛

يا ابنى .. إئتني قد شخت ولست أعرف يوم وفاتى فالآن خذ عدتك ، جمعيتك وقوسك ، واخرج إلى البرية وتصيد لي صيداً . واصنع لي أطعمة كما أحب وائتني بها لآكل حتى تباركك نفسى قبل أن أموت . وكانت رفقة سامعة إذ تكلم اسحاق مع عيسو ابنه .

فذهب عيسو إلى البرية كي يصطاد صيداً ليأتى به . وأمساً رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة ؛

إني قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلاً ، ائتني بصيد واصنع لي أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتى . فالآن يا ابنى اسمع لقولى فى

ما أنا آمرك به . اذهب إلى النعم وخُذْ لى من هناك جَدَّين جيدين من المعزى .
فاصنعهما أطعمة لأبيك كما يحب . فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل
وفاته .

فقال يعقوب لرفقة أمه ؛ هوذا عيسو أخى رجل أشعر وأنا
رجل أملس . ربما يحسنى أبى فأكون فى عينيه كمتهاون وأجلب على نفسى لعنة
لا بركة ! .

فقال له أمه ؛ لعنتك على يا ابنى . اسمع لقولى فقط واذهب
خُذْ لى . فذهب وأخذ وأحضر لأمته . فصنعت أمته أطعمة كما كان
أبوه يحب . وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التى كانت
عندها فى البيت وألبست ابنها الأصغر . وألبست يديه وملاسه عنقه جلود
جَدَّيِ المعزى ، وأعطت الأطعمة والخبز التى صنعت فى يد يعقوب ابنها .

فدخل إلى أبيه وقال ؛ يا أبى !

فقال ؛ هاأنذا ، من أنت يا ابنى ؟

فقال يعقوب لأبيه ، أنا عيسو بكرك ، قد فعلت كما كلمتنى . قم
اجلس وكُلْ من صيدى لكى تباركنى نفسك .

فقال اسحاق لابنه ، ما هذا الذى أسرعرت لتجد يا ابنى !

فقال ، إن الرب إلهك قد يسّر لى .

فقال اسحاق ليعقوب ، تقدم لأجسك يا ابنى أنت هو ابنى

عيسو أم لا ؟

فتقدّم يعقوب إلى اسحاق أبيه . فحسّه وقال ، الصوت

صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو !

ولم يعرفه ، لأن يديه كانتا مشمرتين كيدي عيسو أخيه ، فباركه .

وقال ؛ هل أنت هو ابني عيسو ؟

فقال أنا هو !

فقال ، قدّم لي لآكل من صيد إبنى حتى تُباركك نفسى ؟

فقدّم له فأكل وأحضر له خمرأ فشرب .

فقال له اسحاق أبوه ؛ تقدّم ! .. فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم

الأرض . وكثرة حنطة وخمر . ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل .

كن سيداً لأخوتك «^(١) ! .

لا جدال في أن هذه النصوص لا تحمل في الظاهر ما تشتمل عليه في الواقع .. لا تحمل في الظاهر إلاّ الدليل على مخيلة سقيمة انحصرت قدرتها في خلق روايات وهمية يستعصى على أى عقل تجاوز مرحلة الطفولة الباكرة تصديقها بأية حال ! . ولكن ، الواقع يختلف عن هذا الظاهر اختلافاً كلياً ! . فإن هذه « البركة » ، التى أبت طبيعة هذا المؤلف عليه إلا أن يحمل يعقوب يختلسها اختلاساً ، لا تُمثّل مباركة أب لابن وإنما هى شيء آخر طبع هذا « الوعد » بأخطر طابع .. فإن هذه « البركة » لا تمثل في مخيلة هذا المؤلف اليهودى إلا تحوّل الفكرة عن « الأرض الموعودة » من الملك إلى الملك !

لا جدال في أن مؤلف « سفر التكوين » إذ يختص يعقوب بهذه « البركة » فإنما معنى ذلك أنه قد اختصه بأمر لن تنبئ به تماماً إلا تحت ضوء التاريخ السياسى اليهودى المتزع بالمعانى . والرموز... فإن هذه « البركة » ليست في مضمونها

إِلَّا « البيعة » وإِلَّا « العهد » الذى يمنح لِمَنْ يُخْتَار وَلِيًّا للحكم ! .
أَوْشَكَ؟! ..

إذن فلنصنع إلى هذا المؤلف اليهودى وهو يُكمل روايته هذه قائلاً ؛
« وحدث عندما فرغ إسحاق من بركة يعقوب ويعقوب قد
خرج من لدن إسحاق أبيه أن عيسو أخاه أتى من صيده . فصنع هو أيضاً
أطعمة ودخل بها إلى أبيه وقال لأبيه : ليقم أبى ويأكل من صيد ابنه حتى
تباركنى نفسك .

فقال له اسحاق أبوه ؛ من أنت ؟
فقال له ؛ أنا ابنك بكر عيسو !
فارتعد اسحاق ارتعاداً عظيماً جداً وقال ، فمن هو الذى ...
باركته ؟

ف عندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة وُمرّة جداً .
وقال لأبيه ؛ باركنى أنا أيضاً يا أبى .
فقال ؛ قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك ! ..

إِنّى قد جُعلتُ سيداً لك ودفعت إليه جميع اخوته عبيداً ! . » ^(١)

ومن ثمّ فيقينا إن هذه « البركة » لم تكن إِلَّا « البيعة »
وإِلَّا ، العهد ، وإِلَّا الدليل على أن الفكرة عن « الأرض الموعودة » قد حولها
هذا المؤلف اليهودى فى جبين اسحاق ، وهو وشيك الاحتضار ، من امتلاك
أرض يرثها الأبناء عن الآباء إلى مُلك فى هذه الأرض وإلى توارث هذا المُلْك

بييمة وبمهد اتخذنا اسم « البركة » ! وإن كان هذا الملك يظل ، في بعض الأحيان ، مستتراً ويعطى تحت ظل الخفاء بييمة خفية ويبتوارث تحت اسم « البركة » ...

من صدور التاريخ السياسى اليهودى تتنفس هذه الحقيقة ومن صدر «مصدر العقيدة» نفسه للدين اليهودى الحالى تطلع علينا واضحة جلية ونحن نرقب يد هذا المؤلف اليهودى وهى تسجل شطحات خياله وتصور لنا تحركات يعقوب فى « أرض كنعان » لنزداد يقيناً بأن الفكرة عن « الأرض الموعودة » لم تعد فى ذهن هذا المؤلف إلاّ مادة تورث ومجال توارث وانها قد اصطبغت بصبغة الملك الشرعى الذى يتحين الحين المناسب للظهور .. فنحن إذ تتبع النصوص وهى تصور لنا تحركات يعقوب تاركاً ، برُسيم ، إلى « حاران » فليس إلا لنثنين الأثر الذى تركته هذه « البركة » .. كما إلى ذلك يرشدنا نفس هذا المؤلف الذى يحمل يعقوب بطلع على من حوله قائلاً بأنه قد :

« رأى حلماً .. وهو ذا الرب واقف عليها فقال :

أنا الرب إله إبراهيم أبوك وإله إسحاق !

الأرض التى أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك ...!

وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً ...

لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به ...! »^(١)

والآن ؟ .

لا جدال فى أنه وفقاً لهذه النصوص التى سجلها هذا المؤلف

اليهودى على نفسه يفتدو « الوعد » بامتلاك « أرض كنعان » بمُلك يقوم فيها ليعقوب وعداً وشيك التحقيق بدليل المقطع الأخير وهو « لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به ».

ولكن ...!

ها هي في مدار الزمن قد دارت الأيام وطوت هذا « الوعد »، الذى اختص مؤلف «سفر التكوين» به يعقوب، في طيات النسيان !. فلقد ظلت كنعان في « أرض كنعان » صاحبة السلطان وفي هذا ما يحمل الدليل القاطع على أن هذه النصوص لم تكن إلا محض هراء سطرها يراع كاتب هو وإن كان قد استغفره استعراض مجريات الأحداث السياسية في عهد يعقوب على « أرض كنعان » فإنما هو قد رآها معكوسة الأوضاع .. فنحن إذا استعرضنا التاريخ السياسى للشرق الأوسط القديم عامّة وسلطنا أضواء البحث على « أرض كنعان » خاصة خلال هذه الفترة الزمنية فيما بين مغرب القرن الثامن عشر ومشرق السابع عشر ق. م ، وهى الفترة التى عاش فى خلالها يعقوب طاوياً منها مرحلة مشحونة بخطير الأحداث من حياة كنعان لارتباطها بحياة مصر القديمة فى تلك الفترة التى نعرفها فى التاريخ المصرى القديم تحت اسم « العصر الهكسوسى » ، لوجدنا أن هذا المؤلف قد أسرف فى منح هذا « الوعد » ليعقوب من حيث حصر هذا « الوعد » فى « أرض كنعان » وإن كان للجملة المشار إليها معناها فى تقديرات مؤلف هذا « السفر » لأن حياة يعقوب ، خلال العصر الهكسوسى ، كانت بالفعل قد اتخذت الجديد من العالم وغدت غيرها من ذى قبل لا لأنه قد أنسل من الأبناء إثنا عشر هم « الأسباط » وبذلك غدا شأنه شأن الآباء القبليين من كنعان فى كثرة الولد ولا لأنه قد أمسى طائل الثراء وإنما لأن التيار الزمنى كان يدفعه ناحية الجنوب حيث كان أحد أبنائه قد تقلد منصباً مرموقاً فى الدولة الهكسوسية ولأنه ليس إلا فى خضم هذه الفترة العارمة بالجديد من التغيرات كان

يعقوب قد خلع عن نفسه اسمه القديم وخلع على نفسه اسماً جديداً هو هذا الذي
كون ؛

المهد التاريخي لمولد إسرائيل

يقينا ، ليس الا عندما استبدل يعقوب اسمه هذا بإسرائيل
طالع الزمن مطلع اسم إسرائيل على التاريخ . وإذا كان اسم « إسرائيل » ليس
إلا كلمة عبرية تتكون من مقطعين الأول « إسر » بمعنى عبد والآخر « إيل »
بمعنى الله فيكون معنى « إسرائيل » عبد الله إلا أن المدلول من المعاني الذي يحمله
هذا الاسم يهمننا في هذا الصدد إلى جانب الشيء الآخر الذي يهمننا أيضاً وهو السبب
الذي أدّى إلى هذا الاستبدال في الاسم ثم الأثر الذي ترتب عن هذا الاستبدال .

فأما عن السبب فإن مؤلف « سفر التكوين » يحدثنا
برواية لا يسعنا ، بعد سماعها ، إلا « الاستغفار » .. وكيف يمكننا ألا نستغفر
وهذا المؤلف اليهودي يحدثنا قائلاً : إن الله قد ظهر ليعقوب متجسداً في صورة
إنسان وصارعه حتى مطلع الفجر فلما غلبه يعقوب خلع عليه الله هذا الاسم
الجديد .. ولنضع معاً إلى هذا المؤلف اليهودي وهو يحدثنا قائلاً ؛

« في تلك الليلة .. بقي يعقوب وحده . وصارعه انسان
حتى طلوع الفجر . ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُقّ نخذه فأنخلع حقّ
فخذ يعقوب في مصارعته معه . وقال ؛ أطلقني لأنه قد طلع الفجر ! فقال ؛
لا أطلقك إن لم تباركني . فقال له ؛ ما اسمك ؟ فقال ؛ يعقوب .

فقال ؛ لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل !

لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت ! ..

فدعا يعقوب اسم المكان فنيثيل قائلاً : لأنى نظرت الله
وجهاً لوجه ونجيت نفسي^(١) ! . »

أوشك^٢ ؟ . لقد

« ظهر الله ليعقوب حين جاء من فدان آرام وباركه وقال
له الله : اسمك يعقوب لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون إسرائيل !
فدعا اسمه ، إسرائيل .

وقال له الله : أنا الله القدير أثمر وأكثر أمة وجماعة تكون
منك وملوك سيخرجون من صلبك . والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق
لك أعطيتها .

ولنسلك من بعدك أعطى الأرض

ثم صعد الله عنه في المكان الذي فيه تكلم معه ! . »^(٢)

هذه هي رواية هذا المؤلف اليهودي عن السبب في استبدال اسم
يعقوب باسم إسرائيل وهي رواية ، وليس في ذلك ثمة شك ، من عمل مخيلة
صريعة التخيلات أبت إلا أن تتبادى في شططها فراحت تتخيل صورة لما يمكن
أن يحدث لبعض المصارعين بعد انتهاء شوط المصارعة في كل مباراة ! ... فها هو ذا
« سفر التكوين » يتحدثنا بأن يعقوب ، أو بالأحرى إسرائيل قد أصيب
في فخذه ، بعد هذه المصارعة التي استغرقت ليلة بطولها تمكن في نهايتها من
الاتصار على ربه ، حتى أنه قد :

« عبر فنوئيل وهو يجمع على فخذه . ولذلك لا يأكل
بنو إسرائيل عرق الذئب الذي على حق الفخذ .. لأنه ضربَ حَقَّ فخذه
يعقوب على عرق الذئب ! .. »^(٣)

(٢) الإصحاح ٣٥ سفر التكوين

(١) الإصحاح ٣٢ سفر التكوين

(٣) الإصحاح ٣٢ سفر التكوين

يقينا إنها آتاهات ! وبقينا إنه لهراء ! وبقينا إنها لفرية مبثوثة
على موسى ، عليه السلام ، إنما هو هذا الجزء من هذه « التوراة » !

ولكن ... الآن ، وقد علمنا من سطور « مصدر العقيدة » للدين
اليهودى الخالى السبب فى استبدال اسم يعقوب إلى إسرائيل ، نتجه إلى الأثر
الذى تركه اسم « إسرائيل » فى مجرى الزمن غذاء أبناء يعقوب ، ويعقوب
نفسه قد غذا يسمى إسرائيل ، يشعر فون بأبناء إسرائيل وليغدو هذا الاسم ، من
بعد نعتاً ألصق بسلالة هؤلاء الأبناء الاثنى عشر ، وهذه السلالة هى التى
تكونت بدورها إلى « بيوت » غدت تُعرف ببيوت إسرائيل .

هذا هو المهد التاريخى لإسرائيل وهكذا بدأ مطلع « أبناء إسرائيل »
و « جماعة إسرائيل » على التاريخ نسبة إلى إسرائيل هذا الذى إذا شققنا إليه
غيوم الزمن وتبعنا التاريخ السياسى للعصر الذى عاش فيه وأحطنا بأطراف
الأحداث التى تابعت فى غضون تلك الفترة الزمنية المعروفة بالعصر المكسوسى
لأدركنا تمام الإدراك أى العوامل كانت تلك التى قذفت فى روع مؤلف هذا
الجزء من « التوراة » إمكان تحقيق « الحلم » الذى كانت قد حاكتة نصوصه
على جبين يعقوب أو إسرائيل والذى لم تكن مادته إلا من تجمعات غيوم
المكسوس فى « أرض كنعان » واتجاهها عواصف ناحية مصر !.

لأجدال فى أن هبات التزاحم على العرش فى مغرب الدولة
الوُسْطى فى مصر القديمة كانت العوامل التى هبأت للعين المترقبة فى الخارج أن
ترى أن الفرصة قد وَّانت لغزو الوادى .. فالعهد الذى اتخذ هذا الغزو القَبْلى
مكانه فيه كان ، نفسه ، العهد الذى تهاقت فيه قوة الوادى مرة أخرى أشدَّ مما
كان عليه قد مرَّ من ألوان التهاقت السياسى فالأيام كانت قد دارت دورتها

في مدار الزمن وانفلت من يدى الوادى زمام الحكم وبدأ النزاع السياسى يشتد بين حُكّام الأقاليم وبين بعضهم بعضاً من جهة وبين حُكّام الأقاليم والقصر الملكى من جهة أخرى وبذلك حلّت الفوضى محل النظام ونزل الضعف منزل القوة وعاد الوادى إلى شبه ما كان عليه عند عصر الانحلال الأول أيام شيخوخة الدولة القديمة .. سقط العرش ومع سقوط العرش انحلّ نظام الملك إلاّ أن النزاع على العرش لم ينفذ قطع فكل واحد من أصحاب النفوذ كان يرى أنه أجدر من صاحبه بحكم البلاد . ومن ثمّ ظل الوادى يمانى أمر هذه الفوضى ويصلى بنار الخصومة الانتخابية نحو قرن وربع من الزمن تعاقب خلالها على الوادى ثمانية عشر حاكماً . هذه الفوضى العارمة وهذا الحكم المزعزع وهذه الحكومات المضطربة وهذا النظام المحتل الذى ظل كل هذا المدى من السنين كان السبب المباشر لذلك الاتحاد القبلى الذى اتخذ مكانه على «أرض كنعان» ، بين القبائل الشتى من كنعان وغير كنعان ، على غزو الوادى وليبدأ بالفعل زحفهم صوبه في أثر قوة حربية آرية الأصل اكتسحت سوريا وراحت بعرباتها وخيلها تكتسح كل ما وجدت في طريقها مخترقة أرض كنعان إلى مصر . فبالرغم من أن مصر كانت في ذلك الوقت تعتبر «أرض كنعان» جزءاً من ممتلكاتها إلاّ أنّ مساندة هذه القوة الآرية لجموع البدو الرّحل والمقيمة هي التي أشعلت فيهم قوة فذة مكنتهم من تجاهل السلطان المصرى فاندفعوا نحو الجنوب اندفاعاً متواصلاً ثم ضاربين في أغواره بفاراتهم التي تتالت توالى التدمير والتخريب حتى دان لهم حكم مصر السفلى من شرق الدلتا فراحوا يمدّون عليها ظلالهم من عاصمتهم «أواريس» ، صان الحجر اليوم ، ويقبضون عليها بمخالب الإخضاع .

عن هذا الحدث الذى اتخذ مكانه في مغرب الدولة الوسطى

بينما كان ملوك الأسرة الثالثة يحكمون طيبة وملوك الأسرة الرابعة عشرة يحكمون الشطر الآخر للوادي، تتحدث أكثر من مدونة تعود بتاريخها إلى عهد الدولة الحديثة في إشارة إلى التلال من الأنقاض التي تركها هذا الزحف الصحراوي بينما يحدثنا عنه أكثر من مؤرخ من القدامى وفي مقدمتهم «مانيتو» الذي يشطر هذا الحكم إلى ثلاثة أقسام يبدأها بالأسرة الخامسة عشرة وينتهي بالأسرة السابعة عشرة. كما يحدثنا «يوسوفوس» الحديث الفياض عن هذا الغزو ويسمى هؤلاء الغزاة «هكسوس» بمعنى «الملوك الرعاة» ويقول لنا إن المقطع الأول من الاسم هو «حج» بمعنى مَلِك وإن المقطع الآخر من الاسم هو «سوس» بمعنى رُعاة ..

هؤلاء «الرعاة» هم الذين أصبحوا ملوكاً في مصر السفلى غداة احتلوا شمال الوادي وتوغلوا في أرجائه حتى وصلوا حدود الجنوب بينما بقيت منطقة الحرام ومثار النزاع منحصرة بين «أهناسيا»، عند مدخل الفيوم و«القوصية» من شمال أسيوط في مصر الوسطى في نفس الوقت الذي سيطر فيه «أسراء طيبة»، من وراء إقليم طيبة، على الأقاليم الجنوبية حتى مطلع مصر الوسطى .. وظل هذا الحال حتى مشرق الأسرة الثامنة عشرة عندما استعاد الوادي حريته ومجده وانفجر بركان الثورة في وجه الدخيل واندلع لهيبها من مدائن الصعيد وقُراها مندفعاً نحو الشمال حتى بلغ حاضرة العدو لخاصره ومازال به يطارده، حتى أخرجه منها وردّه إلى قلب فلسطين ثم كُرّ مُصعّداً إلى الصعيد يطارد أفواج النوبة، الذين كانوا قد انتهزوا ضعف الوادي فزحفوا بدورهم عليه، ومازال بهم حتى كسر شوكتهم وأذلّ عزتهم ثم عاد منتصراً ويده لواء الحرية فركّزه في قلب طيبة، عاصمة الثورة، واتخذ منها، عام ١٥٨٠ ق م، حاضرة لِمُلْكِهِ كان حجر الأساس في بناء الامبراطورية المصرية

التي ضُمَّتْ إلى مصر أرضَ السودان وسوريا وبلاد ما بين النهرين طابوة فلسطين
لتمعد بذلك أملاك الوادى من وراء الشلال الرابع إلى منعرج الفرات ! ..

من خلال الآثار التي تركتها هذه الامبراطورية نستطيع
التغلغل إلى العصر الهكسوسى وخاصة من خلال البرديات التي أدرختها الأيامُ
في صدر الزمان إذ تطالعنا عليها للهكسوس أسماء نرى فيها الترابط الواضح
بين « آباء التوراة » وبين ما يقصه مؤلفُ « سفر التكوين » عن مقدم
يعقوب أو بالأحرى اسرائيل مصرَ وعن تولى يوسف منصباً في مصر .. فإن
ممَّا يسترعى الانتباه هو أن نرى في سجل من سجلات « تحوت موسى » الثالث
ذكرًا لبعض أسماء هؤلاء الرعاة الذين أصبحوا ملوكا وأن يشتد منا الانتباه
عندما نطلع علينا من هذه الأسماء هذان الاسمان ؛

« يعقوب — إيلو » و « يوسف — إيلو » ..

لا جدال في أن أمام هذين الاسمين الواردين في قائمة
« تحوت - موسى » الثالث لا يسمع الفسكّر المتأمل إلاّ التغلغل في أطواء الماضي
البعيد لأنهما نفس أسماء « آباء التوراة » فحسب وإنما لأنهما يتفقان ، تاريخياً ،
مع الفترة التي عاش في خلالها يوسف ويعقوب في مصر ! ..

نعم .. ثم إلى جانب هذه البرديات المشار إليها تجيُّ الجملانات ..
فإن هؤلاء الملوك الرعاة ، الذين ، بعد أن استقروا في مصر وهذأت ثأرتهم ، بدأوا
يقلدون المصريين في إقامة المسلات وفي تسجيل أسمائهم على الجملانات وخاصة
الملوك الأوّل الذين ألّفوا الأسرة الخامسة عشرة ، قد سجلوا على بعض الجملانات
لهم أسماء .. وهى أسماء نال الزمنُ من مقاطعها بالتحريف ومع ذلك فنحن نستطيع أن
نقبن من بينها هذه الأسماء ؛ « يونس » و « عنتر » و « عزيز » وأما أهمُّ ما يسترعى
من بين هذه الأسماء فهو اسم « بن يون » وهذا اسم فيه ، ولا شك ، رجع الهدى

من اسم « بن يامين » بن يعقوب مما يجعلنا نتساءل؛ أكان بنيامين، أيضاً، من بين هؤلاء الهكسوس ولاسيما أن هذا يتفق، تاريخياً، مع الفترة التي عاش في خلالها بنيامين في مصر مع سائر أبناء يعقوب أو إسرائيل والذين بدأ بهم، منذ العصر الهكسوسى تاريخ « بنى إسرائيل » غداة امتدت يد الزمن وسجلت انشقاق التربة الزمنية عن نبت هؤلاء « الأبناء الإثنى عشر » واستيطانهم وادى النيل خلال الاستعمار الهكسوسى للوادي حيث ترامت عليهم ألوان العزة لأجيال ! ..

يحدثنا مؤلف « سفر التكوين » أن إسرائيل نفسه ومعه أبنائه، ماخلا يوسف وبنيامين، قد ارتحلوا عن « أرض كنعان » الى مصر بعد ما ؛

« خلع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف وألبسه ثياب بوص ووضع طوق ذهب في عنقه .. وجعله على كل أرض مصر ^(١) .. »
وأما هذا الارتحال عن « أرض كنعان » الى مصر، على حد رواية المؤلف اليهودى، فما كان إلا كما ؛

« قال فرعون ليوسف قل لأخوتك ؛ انطلقوا اذهبوا الى أرض كنعان وخذوا أبابكم وبيوتكم وتعالوا الى . فأعطيك خيرات أرض مصر .. »

افعلوا هذا . خذوا لكم من أرض مصر عجلات لأولادكم ونسائكم واحملوا أبابكم وتعالوا . ولا تحزن عيونكم على أثاثكم . لأن خيرات جميع أرض مصر لكم ^(٢) ! . »

وهكذا يسير مؤلف « سفر التكوين » في روايته قائلاً ؛

(١) الاصحاح ٤١ سفر التكوين

(٢) الاصحاح ٤٥ سفر التكوين

« ففعل بنو إسرائيل هكذا . وأعطاهم يوسف عجالات ...
.. وجاءوا إلى أرض كنعان إلى يعقوب أبيهم . . ثم كلموه بكل كلام
يوسف الذى كلمهم به . وأبصر العجلات التى أرسلها يوسف لتحمله . فعاشت
روح يعقوب ! . » ^(١)

ومن هنا يسترسل المؤلف اليهودى قائلا بأن عند ذاك ؛
« كلم الله إسرائيل فى رؤى الليل وقال ؛ يعقوب يعقوب !
فقال ؛ هأنذا !

فقال ؛ أنا الله إله أبيك . لا تخف من النزول الى مصر . لأنى
أجعلك أمة عظيمة هناك . أنا أنزل معك الى مصر . » ^(٢)
وحينذاك ؛

« قام يعقوب . . وحمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم
ونساءهم فى العجلات التى أرسل فرعون لخله . وأخذوا مواشيهم ومقتناهم
الذى اقتنوا فى أرض كنعان وجاءوا إلى مصر . يعقوب وكل نسله معه . بنوه
وبنوه بنيهم ... وبناته وبنات بنيهم وكل نسله جاء بهم معه إلى مصر جميع
نفوس بيت يعقوب التى جاءت إلى مصر سبعون » . ^(٣)
وعند ذاك ؛

« كلم فرعون يوسف قائلا ؛ أبوك وأخوتك جاءوا اليك .
أرض مصر قُدم لك . فى أفضل الأرض اسكن أباك وأخوتك .
ليسكنوا فى أرض جاسان ! .. » ^(٤)

وهنا يستطرد المؤلف اليهودى فى روايته قائلا ؛

-
- (١) الإصحاح ٤٥ « سفر التكوين »
 - (٢) الإصحاح ٤٦ « سفر التكوين »
 - (٣) الإصحاح ٤٦ « سفر التكوين »
 - (٤) الإصحاح ٤٧ « سفر التكوين »

« وسكن إسرائيل في أرض مصر في أرض جاسان . وتملكوا فيها وأثمروا وكثروا جداً .. »^{١)}

هذه هي رواية المؤلف اليهودي عن مقدم إسرائيل مصر واستقراره .
بينه في تلك الناحية المسماة « أرض جاسان » ، أرض غوَشَن من شرقي
الوادي ، حيث بدأ هؤلاء « الأبناء » يتفرون في مساكنهم فيها ويتكون
« نسل الأسباط الإثني عشر » إلى « بيوت » وكل بيت منها يحمل اسم واحد
من هؤلاء « الأبناء » في نفس الوقت الذي عادت فيه هذه « البيوت » بلقبها
العائلي إلى يعقوب أو إسرائيل حيث من هنا بدأت هذه البيوت تُعرف
« ببيوت إسرائيل » ويعرف أبنائها بأبناء إسرائيل ..

وفي مصر المكسوسية وفي « أرض غوَشَن » كان حتماً أن
تترامى ألوان العزة على « بيوت إسرائيل » في خلال ذلك العصر وأن تبدأ الغفوة
عن « الأرض الموعودة » بالعزة في مصر خلال مدى من الزمن غير قصير ..
ولكن !... هنا يبرز مؤلف « سفر التكوين » ، وهو سليل
« بيت يهوذا » الإبن الرابع ليعقوب أو إسرائيل ، فلا يرتضى بأرض « جاسان »
بديلاً عن « أرض كنعان » !.. وكيف يرتضى ذلك وهو يُعبد بقله الطريق
إلى عودة « بيت يهوذا » على عرش اليهودية من جديد؟.. ومن هنا نراه يعود
فيتشبت بأهداب حلم كان قد حاكمه قديماً على جبين الآباء وكادت تتلاشى تحت
ألوان العزة في مصر منه الأطياف حتى أننا لنراه وقد أحاله إلى عقيدة في صدور
الأبناء !.. فهو يحدثنا بأن يعقوب أو إسرائيل لم ينس « الأرض الموعودة »
خلال السبع عشرة سنة التي عاشها في مصر حتى أنه وهو على فراش الاحتضار
قد عهد بها إلى الأبناء فنحن نسمع ؛

« وعاش يعقوب في مصر سبع عشرة سنة .. ولما قربت أيام
إسرائيل أن يموت دعا ابنه يوسف وقال له : لا تدفني في مصر . بل
أضطجع مع آبائي . فتحملني من مصر وتدفنني في مقبرتهم ... » (١)
وذلك لأن ،

« الله القادر على كل شيء ظهر لي في لوز في أرض كنعان
وباركني . وقال لي ، ها أنا أجعلك مملوفاً وأكثر وأجعلك جمهوراً من
الأمم وأعطى نسلك هذه الأرض من بعدك ملكاً أبدياً ! » (٢)
ولذلك ؛

« قال إسرائيل ليوسف ؛ ها أنا أموت ولكن الله سيكون
معكم ويردكم إلى أرض آبائكم ! » (٣)
والآن ؟ !

الآن وقد قطع مؤلف « سفر التكوين » شوطاً طويلاً شاقاً
في اتجاهه نحو ما قد استهدف من هدف ينحصر في حصر عقيدة « الأرض
الموعودة » في سلالة يعقوب أو إسرائيل فلننبيه إليه كيف يمهّد إلى عودة « المملكة
اليهودية » التي قوضها الغزو البابلي بأن يحصر هذا « الوعد » في أبناء يهوذا
ليحصره في « ذرية داود » حتى ينحصر في مملكة الجنوب دون الشمال . . .
تطلع علينا صورة هذه المحاولة واضحة تمام الوضوح عبر ما يجيء به
هذا المؤلف اليهودي من نصوص جديدة تحدثنا بأن آخر كلمات يعقوب كانت
عندما ؛

(١) الأصحاح ٤٧ سفر التكوين

(٢) الأصحاح ٤٨ سفر التكوين

(٣) الأصحاح ٤٨ سفر التكوين

« دعا يعقوب بنيه وقال ؛ اجتمعوا لآبائكم بما يصيبكم في آخر الأيام . اجتمعوا واسمعوا .. واصفوا إلى إسرائيل أيكم !
 راؤيين .. فائراً كالماء لا تتفضل لأنك صعدت على مضجع أبيك حينئذ دنسته ! ..

شمعون ولآوى .. آلات ظلم سيوفهما . في مجلسهما لا تدخل نفسى ! بمجمعهما لا تتحد كرامتى ! لأنهما في غضبهما قتلان إنساناً وفي رضاها عرقبانوراً ! .

أقسمهما في يعقوب وأفرقهما في إسرائيل .. » ^(١)

وهكذا أخرج المؤلف اليهودى الأبناء الثلاثة الأول متذرعاً بما ذكره من أسباب هي في مدلولها تحمل الدليل على أن هذا المؤلف اليهودى الذى لم يحمل نصب عينيه إلا كَيْلَ الحامد لابن الرابع تمهيداً لقيام « بيت داود » قد غفل أو تغافل عن أن الى « لآوى » إنما موسى ، عليه السلام ، بسلسلة نسبه يعود ! .

والآن ... نجيء الى الابن الرابع ، « يهوذا » ، الجدة الأعلى لداود وذرية داود . . . فلنصنع الى هذا المؤلف اليهودى وهو يحدثنا بأن إسرائيل قد استرسل في حديثه الى أبنائه متجهماً به الى « يهوذا » قائلاً ؛
 « يهوذا !

إياك يحمد اخوتك ! يدك على قفا أعدائك . يسجد لك بنو أبيك ! يهوذا جروأسد . من فريسة صعدت يا ابنى !
 جثا واربض كأسد وكلبوة . من ينهضه ؟
 لا يزول قضيب من يهوذا .. وله يكون خضوع شعوب ! .. » ^(٢)

(١) الإصحاح ٤٩ سفر التكوين (٢) الإصحاح ٤٩ سفر التكوين

على « يهوذا » جعل مؤلف « سفر التكوين » إسرائيل
يصبُّ المحامد صبًّا وعليه يقدِّمها إغداقًا فاجتاز بذلك شوطًا آخر في اتجاهه نحو
هدفه الأخير المنحصر في حصر « الوعد » بامتلاك « الأرض الموعودة » في
« ذرية داود » ليسكفل قيام « المملكة اليهودية » من جديد ! .
والآن ؟ .. !

الآن وقد استفرغ مؤلف « سفر التكوين » جعبته من
المحامد التي كلها كيلاً لمن إليه يعود مؤسس « المملكة اليهودية » في أورشليم
بسلسلة نسبه فلنصغ إليه وهو يسترسل في حديثه قائلاً بأن « إسرائيل » قد
واصل حديثه إلى أبنائه يصفهم قائلاً :

« زبولون	عند ساحل البحر يسكن ! ..
يساكر	حمار جسيم رابض بين الحظائر ! ..
دان	حيّة على الطريق ! افعواناً على السبيل يلمع ! ..
جاد	يزحمه جيش ولسكنه يزحم مؤخرة .
أشير	خبزة سمين وهو يعطى لذات ملوك .
نفتالى	أيلة مسيبة ! ..
يوسف	غصن شجرة مشمرة على عين .
بنيامين	ذئب يفترس في الصباح يأكل غنيمة وعند المساء

يقسم نهياً ! . »^(١) .

وهكذا أخرج هذا المؤلف اليهودى باقى « الأبناء » بينما
سلط الأضواء على « يهوذا » وحصر « الوعد » فيه . . . وإذا كان « لا يزول

قَضِيب من يهوذا » فان معنى ذلك أن « بيت يهوذا » سيظلّ حاملاً قَضِيب المُلك... واذا كان ليهوذا بسجد بنو أبيه فانماله أيضاً يكون خضوع شعوب.. وبذلك مهّد هذا المؤلف اليهودى ، وهو فى نطاق الأمر البابلّى ، الطريق الى عودة « بيت يهوذا » الى عرش اليهودية من جديد ..

وهنا تراخت قبضة هذا المؤلف عن الإمساك بالقلم .. فلقد استنفد جهده تحليقه بمخيلة جانحة راحت تسطرّ السفاسف والترّهات وتتخذها وسائل الى هذه الغاية التى اختتم بها هذا السفر الأول من « الأسفار الخمسة » المنسوبة ، افتراء ، الى موسى !.

ولكن ! .

هنا يطلع علينا مؤلف يهودى آخر وعن عقيدة « الأرض الموعودة » يُواصل الحديث متخذاً من انتشار « بيوت إسرائيل » نقطة بداية حتى بزوغ شمس الأمبراطورية المصرية ورواح الفبار المكسوسى عن انتشار هذه « البيوت » فى مصر القديمة فى خلال حكم الأمبراطورية المصرية . والواقع ، لقد كان من الطبيعى أن يتكاثر أبناء إسرائيل وأن تُثمر منهم الفروع عبر مجرى الزمن منذ فجر العصر المكسوسى حتى أواسط حكم الأمبراطورية المصرية !. ومن ثمّ فليس بالغريب أن يطلع علينا هذا المؤلف اليهودى قائلاً لقد :

« مات يوسف وكل أخوته وجميع ذلك الجيل . وأما بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جداً وامتلات الأرض منهم . » (١)

لا جدال فى أن السبب الذى أدى الى وجود « بيوت

(١) الأمصاح الأول « سفر الخروج »

إسرائيل « في مصر القديمة يعود إلى مُستهلّ الدولة الحديثة .. فان «أحمس» الأول عندما طارد الهكسوس وطردهم كان غفلاً عن اقتلاع هذه الفروع التي كانت قد اكتنفت « أرض غوشن » وإن كانت القبضة المصرية التي راحت تدفع الهكسوس الى ما وراء الحدود المصرية وتبسط من جديد سلطان مصر على «أرض كنعان» كانت في الوقت نفسه قد قيّدت أفراد هذه البيوت بقيود الاستعباد لتصرف بعد ذلك عنهم انصرافاً تجاهلتهم به بينما كان النسل منهم يتكاثر خلال سُرير التاريخ .. ولذلك فليس من الغريب أن يكون هذا الاستعباد الذي يصرّح بذكره هذا المؤلف اليهودي الجديد إذ يقول؛

« فاستعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف ! ومرّوا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللّبن وفي كل عمل في الحقل ! » (١)

إلى هذه المكانة من درجات الاجتماع التي يذكّرها مؤلف « سفر الخروج » هَوّت « بيوت إسرائيل » في مصر وبعد عزّة كانت في العصر الهكسوسي قد رفرفت على السلف رفّت ذلّة على هذه « البيوت » وخيّمَت على هذا الخلف لا غداة بسطت الأمبراطورية المصرية سلطان مصر من جديد على « أرض كنعان » فحسب وإنما حتى بعد فقدان السيطرة المصرية على هذا المفرق الرئيسى لطرق عالم الشرق الأوسط القديم في عهد « اخناتون » أثر قيامه بحركته الدينية التي انتهت في تطورها الى تغيير النظرة في دائرة التفكير الإلهي الى الإله ..

وهنا نرانا قد عرج بنا الحديث صوب ناحية هامة لا يتسنى للقلم إغفالها وهي أن « اخناتون » عندما أعلّى شأن « آتن » كباله مجرد لم يبحىء بفكرة التوحيد وإنما جاء بفكرة في التوحيد جديدة .. فإنما التوحيد كان طابع

المعتقد الدينى منذ فجر تاريخ الوادى والإله ، وإن حفت به حاشية من الأرباب فانما هو ، كواحد بل وكأحد وكفرد ، كان معروفاً ولكن النظرة الى هذا الإله الواحد هى التى تغيرت عند « اخناتون » فالإله لديه قد تفرّد بالألوهية ولا تحفّ به حاشية من الأرباب بل ولم تعد تطبعه طبيعة الجسدية التى كان يخلعها عليه لهذا الدين الرسمى كهنوت ولاهوت... أن الإله الحق ليس برجل ولا يتمشّى على الهضاب كما يقول الكهنوت الآمنى . كلا ، ولا كان الروح منه يرف على وجه المياه كما يدعى كهنوت عين شمس .. فليس هو إلا شيئاً مجرداً كالحب بل هو الحب !.. ومن ثمّ فلتُنثر فى معابده الزهور يدل رش الدماء ولتُشعل فى محارباها الشموع بدل المحرقات ولتكن عبادته التعبّد فى رحاب المحبة والسلام عن طريق نشر الإخاء العالمى بين الإنسان والإنسان !.

هذه هى الفكرة الجديدة التى جاء بها « اخناتون » عن الإله الواحد . ولكن لما كان فى ذلك حدٌ من سلطان الكهنوت بل وإلغاء لسلطانه ، وبالتالى ، ضياعٌ لما تسوقه الجماعات إلى أبوابهم من أموال فقد أتهم رجالُ الدين الرسمى « اخناتون » بالإلحاد وتبعتهم جموع الجماعات فى نفس الوقت الذى عجز الوعىُ الجماعى عن إدراك المعنى من وراء هذه العسكرة ، ومن ثمّ اعتُبرت سياسة المحبة العالمية سياسة ضعف وكان لهذا أثره فى الشعوب التى يترامى عليها السلطانُ المصرى ويكون لهذا الأثر نتيجة الحتمية فى التاريخ السياسى للعصر إذ تفسّخت الأمبراطورية المصرية وتجزأت وإذ استطاعت هذه المستعمرات ، فى غمرة هذه الفوضى العارمة ، أن تنتزع حريتها وفى مقدمة هذه المستعمرات « أرض كنعان » .. فلقد تهاذن ملوك المدن الكنعانية وانطلقت من حناجرهم صرخة واحدة تعلن ، ١٣٥٠ ق م ، استقلال كنعان .. ولكن !.. لما كان كل واحد من ملوك المدن الكنعانية من الكنعانيين أنفسهم أضعف من أن

يحتفظ بحريته واستقلال ممالكته فقد غدت « أرض كنعان » فريسة سهلة لغزو جديد اندفع إليها من الشمال الغربي في آسيا الصغرى حاملاً أحدث سلاح من أسلحة الحرب .. ذلك السلاح الفتاك ذا الكلمة الأخيرة والحاسمة والذي كان يُمثّل آخر اكتشاف جدير بأن يفرض أثره على حقب التاريخ التالية كلها حتى عصر الفولاذ .. ومن هنا نعلم أى الشعوب كان هذا الشعب الذى احتل لروح من الزمن « أرض كنعان » .. ذاك الذى اكتشف ذلك العنصر فى مناجمه الجبلية وطرقه سريعاً على أساس من معادلات استطاعت أن تمنح قوة فذة لكل من يملك سيفاً أو خنجراً من حديد .. وعلى هذا النحو من التسليح انطلق « الحيثيون » واستولوا على معظم الأراضى التى كانت تحتلها البلاد المجاورة لبلادهم أو بعبارة أوضح البلاد التى كانت تحتلها « ميثانى » .. ومنذ ذلك الحين التى نُحيت فيه دولة « ميثانى » من صفحة الوجود وطواها جفن الزمن كذكرى التفت الحيثيون نحو الجنوب وواصلوا زحفهم يُؤازرهم النصر المستمد من هذا السلاح الجديد فاستولوا على سوريا استيلاءً كاملاً شاملاً كان بمثابة التعميد إلى « أرض كنعان » التى ما لبثوا أن استولوا عليها ذلك الاستيلاء الذى غدا به الحكم المسيطر على مفرق الطرق هذا لعالم الشرق الأوسط القديم « حيثياً » وليكون من أخطر العوامل التى أدّت إلى ارهاص « الوعى الإسرائيلى » فى مصر إلى فكرة « الأرض الموعودة » خلال هذا الحكم الحيثى لأرض كنعان وخاصةً خلال حكم أشهر أباطرة مصر « رع موسى » الكبير ..

وهنا ..

هنا عند ذكر « رع موسى » الثانى يجب علينا أن نتمهّل قليلاً ونستعرض على صفحة الزمن مجريات الأحداث فى ذلك العهد

لإرتباطها بأخطار الأحداث في تاريخ بني إسرائيل !. فلقد كان عهد «رع موسى» الثاني ، على الرغم مما أنجز داخل البلاد من أعمال وماسار عليه من سياسة خارجية قوية استرد بها كثيراً من مجد الوادى وسلطانه السياسى ، يحمل في تضاعيفه عند نهايته بذور الضعف والوهن والركود ولا غرابة في ذلك فقد كان «رع موسى» الثاني في أواخر حكمه الطويل قد أسرف في أموال الدولة ومواردها إلى حدٍّ بعيدٍ بفراطه في إقامة العائر الدينية ونحت التماثيل الضخمة لنفسه ولن يعبد مما أفضى إلى نضوب أموال الدولة في مغرب حكمه بصورة بارزة محسة يمكن أن يشاهدها المؤرخ ويلمسها إذا وازن بين ماتم في باكورة حكمه وبين ما أنجزه في أخريات أيامه من الأعمال التي تأتينا دليلاً على التدهور الاقتصادى الذى حلَّ بالوادى والذى كان له أثره في التاريخ السياسى المصرى غداة شعرت به البلاد المجاورة وفطنت له الممتلكات المصرية في آسيا وغير وغير آسيا.. ومن ثمَّ كان نصيب الوادى في مغرب حكم «رع موسى» الكبير تماماً كنصيب الفرد إذا ما زال عنه مظهر الثراء المادى مما كان سبباً في اندلاع لهب الثورات في أنحاء الامبراطورية « المصرية الآسيوية » كما كان سبباً في طمع اللوبيين فبدأوا بغاراتهم على الحدود المصرية الغربية يناصروهم أولئك الأقوام الذين تسميهم المتون المصرية « أقوام البحار » . .

ويقيناً إن التاريخ في الفترة الأخيرة من عهد «رع موسى» الكبير كان قد استجمع قواه وقام بمجهود جديد فاذا به يتنفّس عن الأحداث التي غيرت تغييراً كلياً وجه العالم القديم المحيط بالبحر الأبيض المتوسط فلقد ظهرت في الفترة الأخيرة من حكم «رع موسى» حركة هجرة في إقليم بلاد البلقان والبحر الأسود قام بها عدة أقوام هم هؤلاء الذين تسميهم المتون المصرية « أقوام

البحار» وكان لهذه الهجرة التي انبعثت من الشمال الغربى أعمق الأثر فى الشرق الأدنى .. فقد كان هجوم «الإيليريين» الذين كانوا قد استوطنوا هذا الشمال الغربى من شبه جزيرة البلقان سبباً فى هجرة «الدوريين» الذين راحوا يؤلفون جزءاً من سكان بلاد «البلوبونيز» ويستوطنون جزر «سيكليد» ويفتمرون جزيرة كريت حتى طفت مدينتهم على «المدنية المسينية» التي كانت قد حلت محل الثقافة المنوانية أو ثقافة كريت وفى نفس الوقت كانت قبائل «تراقيا» قد وصلت إلى آسيا الصغرى عن طريق البوسفور بينما أخذت أقوام «ماسا» و «دردانيا» وغيرها تنضم إلى حركة هذه الهجرة التى لم تكن إلا كاسيل الجارف إذ انتشرت فى آسيا الصغرى وفى جزر البحر الإيجه وفى بلاد الإغريق حتى وصلت إلى لوبيا حيث تحالفت ولوبيا أو بالأصح حالفهم لوبيا مستهدفةً المهجوم على مصر !.

وهكذا نرى أن الوادى كان فى مغرب حياة «رع موسى»
الكبير مهدداً بالخطر من كل جانب وخاصة من ناحيتين ؛

الأول ؛ من جهة بلاد لوبيا

الآخر ؛ من جهة أقوام البحار .

لا جدال فى أن الخطر اللُوبى كان موجوداً على حدود الوادى منذ زمن بعيد . يبيد أن ما قد كان له «رع موسى» من هيبة وسلطان قد عاق حملات اللُوبيين وأقوام البحار من حلفائهم عن الإغارة على التخوم المصرية إغارة إيجابية . غير أنه بمرور الأيام خلال السنين الأخيرة من حكم «رع موسى» الكبير بدأت فترة تدهور مستمر كانت حافزاً لهذه القبائل القاطنة على حدود مصر الشرقية على انتهاز هذه الفرصة فدفعت بجنودها يرحفون على الأرض الواقعة

على حافة الصحراء حتى وصلوا في زحفهم إلى جانب النيل حيث مكثوا هناك عدة أشهر واحتلوا الواحة البحرية وخربوا « واحة القرافرة » .. فلقد ازداد الأمر شدةً بذلك الحلف الذى أقامه اللثويون مع أقوام البحر الأبيض المتوسط الذين أخذوا ينقضون على الدلتا من « سردينيا » ومن الجهات الغربية من آسيا الصغرى على الشرق ، وحانقهم ، لفترة قصيرة ، الحظ غداة طوت راحةً الزمن « رع موسى » الكبير ونشرت « مفتاح » ثم « مفتاح الثانى » .. فليس إلاً بعد فترة وجيزة من وفاة « رع موسى » شاهد العاصفة وقد هبت على البلاد من الغرب ومن الشمال ! .

وفى الواقع أن « رع موسى » الكبير قد ترك لإبنه «مفتاح» إراثاً مُثقلًا بالأثقال أترعته المتاعب والمصاعب داخل البلاد وخارجها . ولذلك كان من نصيب «مفتاح» منازلة هؤلاء الأقوام . الأول : دفع الخطر اللثوى الذى كان يتكاثف من جهة الغرب . والآخر : صدّ هؤلاء الأقوام الذين اجتاحوا الشرق من البر والبحر وتضخّم بهم نطاق مفرق الطرق الرئيسى لعالم الشرق الأوسط .. فأبعد إلى الغرب والشمال زحفت فلول البلقان والبحر الأسود إلى بلاد الإغريق حيث امتطى المغامرون من البحر وعبروا طريق البوسفور وهاجموا الفريقين فى «طروادة» .. ثم ، من الجزر الواقعة فى المتوسط الشرقى انطلق الملاحون ونشروا أشرعهم وأعملوا مجاديفهم فاجتاحت زوارقهم البحرية جميع تلك السواحل حتى الزاوية الجنوبية الشرقية من البحر الأبيض المتوسط وتحالفوا ولوبيا أو بالأحرى حالفهم لوبيا ابتغاء الهجوم على مصر . وقد ترك لنا « مفتاح » نقشاً على جدران «معبد الكرنك» صوراً لنا فيه هذا الخطر الذى كان يحوم حول البلاد كما مثل أماننا المعدات التى أعدها لصدّ هذا العدو الذى تحالف لغزو مصر مع هؤلاء الأقوام ، «أقوام البحار» ، الذين يُعدّ

ذكرهم في الوثائق التي تركها لنا « منفتاح » أقدم ما عُرف عن ظهور الأوروبيين في النقوش المصرية . .

وهكذا بدأت مصر تواجه في عهد الأسرة التاسعة عشرة خطراً يُعدّ أخطر الصعاب في صدّ الهجوم اللّوَبى الذى كان يسير جنباً إلى جنب مع هجرة « أقوام البحر الأبيض المتوسط » وهجومهم على بلاد الشرق من كل حذب وصوب . غير أن « منفتاح » الذى كان قد أعدّ لهذا الخطر عدته تمكّن من وقف هؤلاء الغزاة عند تخوم بلاده بعد أن صدّهم خارجها في معركة فاصلة ليرتّم في أعقابها بأنشودة ما زالت سطورها على جدران « معبد الكرنك » منقوشة يصف لنا فيها الهزيمة الساحقة التى أنزلها بهؤلاء اللّوبيين الذين بدأوا توثبهم على الحدود المصرية من ناحية « أرض غوشن » من الجهة الشرقية للوادي ومن حيث بثّوا عيونهم ودسّوا الجواسيس على الوادى فى أرجاء الوادى نفسه ! . .

هذه الفترة من عمر الزمن هى نفس الفترة التى يُحدثنا عنها مؤلّف « سفر التكوين » مسجلاً ؛

طرد « بنى إسرائيل » من مصر

فى تلك الفترة التى كانت اليدُ المصرية تصلح ما قد تدعى وتقوم ما قد انهار وفى ذلك الوقت بالذات الذى كانت تنهوى فيه « طروادة » وهذه مصادفة غريبة قلما يلقى إليها المؤرخون ببال ، طُرد هؤلاء الذين كانوا يسكنون « أرض غوشن » من شرقى الوادى ومن حيث أقبل الغزو اللّوَبى

طرداً راحوا على أثره يُولون وجوههم شطر سيناء . وعلى هذا الحدّث تتلاقى الأضواء التاريخية تلاقياً يُرشدنا إلى أن « بنى إسرائيل » قد خرجوا من مصر طرداً ، حوالى سنة ١٢٢٤ ق. م ، وأنهم قد يسموا وجوههم شطر سيناء حيث تمّ لهم ، حوالى سنة ١١٨٤ ق. م ، غزو بعض بقاع من « أرض كنعان » ..

وهنا .. هنا وعند هذا الحدّ من القول يجب علينا أن نتمهل قليلا لنقول ؛ إننا فى معرض بحث يُحمّ علينا المرور بسيرة موسى ، عليه السلام ، من الزاوية اليهودية البحتة .. وكينما نستجلى تمام الاستجلاء النظرة اليهودية إلى هذا الرسول الكريم ينبغى بنا أن نترك لمؤلف « سفر الخروج » الحديث وأن نصفى إلى هذا المؤلف اليهودى الذى يستهل حديثه بمبارات هى ولئن جاءت مُشوَّشة وفى خلطٍ للأحداث إلاّ أن فيها ذكراً لتلك الأحداث التى جرت فى مغرب حكم « رع موسى » الكبير ومشرق عهد « منفتاح » بل وفيها الإلماح إلى ذلك الخطر الحربى الذى كان يهدد البلاد . فالمؤلف اليهودى يستهل حديثه قائلاً ؛

« قام ملك جديد على مصر فقال لشعبه ؛

هو ذا بنو إسرائيل .. فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويُحاربوننا ! ..

فجمعوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلّوهم بأثقالهم . فبنوا
لقرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس ! . »^(١)

والآن ..

الآن ، إذا كنّا نعرف أن باني « بيتوم » ومُشيد

(١) الاصحاح الأول « سفر الخروج »

المعبد الجنائزى المسمى الـ « رعمسيوم » هو « رع موسى » الكبير فانَّ
الأضواء التاريخية تأبى إلاَّ أن تجعل عهد « رع موسى » الكبير مهذاً لمولد
موسى ، عليه السلام ، والذي حمل اسماً مصرياً يشيرُ مؤلف « سفر الخروج » إلى
مصريته البحتة ، فى إصحاحه الثانى ، وهو فى هذا لا يقول إلاَّ الحقيقة لأنَّه ، فى
الواقع ، اسم مصرى صميم عرفناه لأباطرة عصر الإمبراطورية . . عرفناه
فى « أحس » أو « أح موسى » وفى « تحوتس » أو « تحوت موسى » وفى
« رعمسيس » أو « رع موسى » ! . وعرفنا فى بعض من تسمَّى به من الأسماء .
فنحن نجد هذا الاسم فى « مقبره موسى » كاتب الخزانة والمشرى على ضياع
« قى » . . ومن هنا نرى أن هذا الاسم كان اسماً شائعاً فى عصر الإمبراطورية
المصرية وأن به قد عُرف أكثر من واحد من أبناء ذلك العصر الذى عاش فى
غضونه موسى ، عليه السلام ، والذي نترك الحديث عنه فى معرض هذا البحث
لمؤلف السفر الثانى من « الأسفار الخمسة » المنسوبة ، زوراً ، إلى هذا الرسول
الكريم . .

يُصورُ لنا مؤلف « سفر الخروج » موسى ، عليه السلام ،
بصورة غريبة كل الغرابة إلاَّ عن المعتقد اليهودى ! . . فهو يُصورُ لنا هذه
الشخصية الكريمة وكأنَّما إليها تعود باستتبابها « عقيدة الأرض الموعودة »
بل وكأنَّما هذه الشخصية نفسها هى التى عقدت فى الطوبة اليهودية هذه العقيدة
وحولَّتها من أُمْنِيَّة يتوالى عليها مدُّ الأمل وجذر اليأس إلى عقيدة دينية تأبى
إلاَّ الإستيفاء ! . فالمؤلف اليهودى يُغمس بمداد الافتراء قلمه ويُصورُ لنا هذه
الشخصية باعثةً لهذه « العقيدة » التى كنا قد رأيناها بريشة مؤلف « سفر
التكوين » قد هجمت بين جوانح « بيوت إسرائيل » كذكرى حُلم
غامض بعيد كان قد طوف على جبين الأبناء ! .

ومن هنا نكرر قولنا فنقول إننا إذا أردنا استجلاء النظرة اليهودية إلى موسى تمام الاستجلاء فعلينا أن نلقى بسمعنا عبر الزمن إلى هذا المؤلف وهو بخياله يشطح هذه الشطحات مُدْعياً أنه إنما يسطر لموسى حياة ويُروى لهذه الحياة أحداثاً وما جاء به صاحبها من أعمال . . . فليرُفِّع للمسمع منّا إليه وهو يبدأ روايته عن موسى منذ اللحظة التي استهلَّ خلالها موسى بروزه على صفحة التاريخ كقردٍ أحاطه المحيطُ المصرى وإلى « بيت لآوى » بنسبه يعود بينا بين جوانبه تلتهب، في تأجج، مشاعر المضض لرؤيته الدرجة الاجتماعية التي هوى إليها قومه وعيشتهم عيشة العبودية في الحقل وفي البناء . . . فأكتافهم هي التي حملت الأحجار التي بنت معبد الـ « رعسيوم » وسواعدهم هي التي أقامت أعمدة الـ « بيتوم » . . . فلشدّ ما ؛

« استعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف ! وصرّوا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل !... »^(١)

هذا نص من النصوص الدالة على المرتبة الاجتماعية التي هوت إليها هذه الجماعة من « بيوت إسرائيل » في عصر الإمبراطورية المصرية . وفي هذا الصدد لم يُقرّر مؤلف « سفر الخروج » إلا حقيقة . . . فان بين أوراق البردى التي تزخر بها متاحف العصر الحاضر توجد بردتان تعودان بتاريخيهما إلى عهد « رع موسى » الكبير وتُلقيان الضوء على البيئة التي كان سلاله العبريين يعيشون فيها في ذاك العهد . فلقد ورد في الواحدة منها رسالة من « كويسر » إلى « بكنتتاح » وفيها يقول ؛

« أعط الجعود قوتهم وأعط أيضاً العبري الذين ينقلون الحجارة لبناء الملك رع موسى . . . والذين وُكِّل أمرهم إلى رئيس الشرطة

(١) الاصحاح الأول « سفر الخروج »

علنيان فانا أجريت عليهم رزقهم في كل شهر بمقتضى الأوامر السامية »
وأما البردية الأخرى فهي رسالة من « كينا » إلى « كجاناهو »
وفيها يقول ؛

« أطعت ما أمرني به سيدي قائلاً ؛ أعط الجنود أرزاقهم
والعبرو أيضاً الذين ينقلون الحجارة لهيكل الشمس الذي انصرفت إليه عناية
رع موسى . . »

لا جدال في أن لهاتين الرسالتين أهمية بالغة . لا لأنّه قد
ورد فيهما اسم «عبرو» لحسب وإنما لأن ما جاء فيهما يتفق مع ما ذكره مؤلف
« سفر الخروج » في الإصحاح الأول من « سفره » بأن هذه الجماعة من سلاله
العبريين قد عملوا عمّالاً في بناء الرعمسيوم والبيتوم وهذا بالإضافة إلى أن الرسالة
الأخيرة تؤكد بأنهم قد عملوا في عهد « رع موسى » الكبير في أعلى النيل ..
ومن هنا يستمد هذا المؤلف اليهودي المدد ليحدثنا بأنهم قد عاشوا في مصر
عيشة العبودية تغلهم أغلال العمل في الحقل وفي البناء بينما بين ضلوع كل
فرد منهم كان قد سكن ذلك الحلم الحالم بامتلاك « أرض » هي له قد منحت
منحة أبدية كما جاء بها « وعد قدسي » ! . فهي « أرض » سيعيش فيها سيداً
يطرح عنه للعبودية أثقالاً كما أن له فيها ، إذا ما وُفي الوعد ، عيشة رغدة تنسيه
ما قد مرّ عليه عبر الأيام من مرارة الذلة ومرير الإذلال في بلد يعلم أنه عنها
غريب ولم تعد له فيها عزة كانت لآبائه فيها في غابر الأيام وهو بقدر ما
تختلج بهذا الشعور منه المشاعر بقدر ما يتوثب إلى حياة فيها من ألوان سيادة
العصر بعض الألوان ! .

بين جوانج كل فرد من « بيوت إسرائيل » ، كما يحدثنا هذا

المؤلف اليهودى ، كان قد استقرَّ هذا الشعور كمقيدة دينية متوارثة يبعثها التذاكر وتلهبها الذكرى وتُسعرها الذكريات .. ولا غرابة في أن يحدثنا هذا المؤلف اليهودى هذا الحديث فهو يراها فكرة أجيال قد أودعتها الأجيال وديعة غالية في أعماق النفس الإسرائيلية . ومن ثمَّ فلا غرو أن يرى أن إلى تحقيقها قد اشتد التلهف بهذا الجيل الذى أقام « الرعسيوم » و « البيتوم » والذى يقول عنه إنه قد عاصر تلك الأعاصير السياسية التى حوّمت من حول الوادى قبيل مغرب حكم « رع موسى » الكبير غداة أدكنت الآفاق من جهة لوبيا ! .

ولسكن ! . مؤلف « سفر الخروج » يأنى أن يتخذ ، لهذا التلهف الذى يرويه ، إلا من موسى ، عليه السلام ، محوراً .. فهو يحدثنا بأن « تلك الأيام » برز موسى على التاريخ بهذا الحدث ؛

« وحدث فى تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى أخوته لينظر فى أنفالمهم . فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من أخوته . فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد فقتل المصرى وطمره فى الرمل »^(١)

ثمَّ ؟ ..

« ثمَّ خرج فى اليوم الثانى وإذا رجلان عبرانيان يتخاصمان . فقال للمذنب ؛ لماذا تضرب صاحبك ؟ فقال ؛ من جعلك رئيساً وقاضياً علينا ؟ أمفتكر أنت بقتلى كما قتلت المصرى ؟ ! .
تخاف موسى وقال ؛ حقاً قد عُرف الأمر !

فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يقتل موسى . فهرب موسى . من وجه فرعون »^(٢) .

(١) الاصحاح ٢ « سفر الخروج » (٢) الاصحاح ٢ « سفر الخروج »

إلى أين « هرب موسى » ؟ ..

هذا سؤال يتولّى الإجابة عنه مؤلف « سفر الخروج » .. ولكن!.. هنا يجب أن تنبّه إلى هذا المؤلّف اليهودى وهو يروى لنا روايته عن هذا « الهرب » ... فهو لا يروى روايته هذه إلّا من زاوية سياسية تتنافر كل التنافر وما ترويه مصادر أخرى عن هذا الحدث ، إذ يصوّر موسى هارباً لا يحمل معه شيئاً إلّا هذه « العقيدة » ، عقيدة « الأرض الموعودة » ، وإلّا عُقْدة الخوف من القتل ! . .

وبقيناً إنها لمُعْدة نفسية !. ولكنها عقْدة نفسية فى نفس هذا المؤلّف اليهودى الذى راح تحت تأثيرها يروى كل ما تضمّنه « سفره » من روايات نجحت فى تحويل فكرة « الأرض الموعودة » من عقيدة متوارثة إلى عقيدة دينية بالمعنى الكامل من المفهوم اللغوى لهذه الكلمة . . فلولا هذه المُعْدة النفسية فى نفس هذا المؤلّف الذى حفّ « سفره » بقدسية رأت فيها الجماعة اليهودية تدعيماً لوجودها فراحت بهذه « القدسية الوهمية » تثبت لما كان قد تعقّد فى جبهة الحاضر عن هذه المشكلة ، « مشكلة فلسطين » ، التى لم تستمدّ وجودها ، حتى الآن ، إلّا من إلصاق عقيدة « الأرض الموعودة » بموسى إلصاقاً برىء منه موسى براءته من هذا الدين الذى يدعى « مؤلف سفر الخروج » انتماء إليه !. وليس ذلك إلّا لىكى يتخذ من موسى وسيلة لهدف تفصح عنه ماقد اختلقته مخيلة هذا المؤلف عن موسى من بدع لا تمت ، فى واقعها التاريخى ، إلّا إلى مؤلف « سفر الخروج » الذى كيما يعطى أقواله صبغة قدسية ، اتخذ من موسى مادة لها وأبى أن يستهل حديثه عنه إلّا منذ اللحظة التى دفعته فيها المصيبة القومية إلى قتل مصرى . .

من اليقين أن مقتل ذاك المصرى كان نقطة البداية في مطلع موسى في أفق التاريخ الدينى ولكن الصورة التى يُصوِّرُها مؤلف «سفر الخروج» إنما هى صورة مُشوَّهة ملطخة رسمتها ريشة ملطخة بالدماء !. فإنَّ هذا المؤلف لا يتحدث عن موسى كنبىٍّ وكرسولٍ وإِتما هو يتحدث عنه كرجل قَتَلَ !. ثمَّ استشعر النتائج من هذا الحدث فكاد القلب منه ينخلع هلعاً من قصاصٍ يراه وشيك الوقوع ففرَّ هارباً . . وأمّا إلى أين ؟. فهذا هو السؤال الذى تاتى الإجابة عنه من هذا المؤلف اليهودى الذى يأتى إلّا أن يجعله «الوطن الموعود» وحيث كان مازال هناك من سلالة العمومة أبناء ، ليقول لنا إن فى حِمَى الحمى من أبناء العمومة يطيب الجوار ويمكن الاحتماء فلقد اختار موسى من «أرض كنعان» تلك البقعة حيث ؛

« سكن فى أرض مديان »^(١)

وهنا ..

هنا تبدأ النصوص فى التنفُّس عن نفسية مؤلِّفها فى نفس الوقت الذى تُفصح فيه عن الدرجة العقلية التى كان عليها هذا المؤلف وهو وُيُسَطَّرُ هذه النصوص التى يبدأها منذ اللحظة التى هبط خلالها موسى تلك البقعة من أرض «كنعان» ويقول ؛

« وصار إلى أرض مدين وقعد عند البئر .

وكان لساكني مدين سبع بنات . فجئن واستقين وكلاؤن المساقى ليسقين غنم أبيهن . فجاء الرعاة وطردهن فقام موسى ونجدهن وسقى غنمهن .

(١) الإصحاح ٢ « سفر الخروج »

فلما جئن رعوثيل أباهن قال ؛ ما بالكن أسرعتن في الحجى ؟
اليوم ؟

فقلن ؛ إن رجلاً مصرياً خلصنا من أيدي الرعاة وأيضاً استقى لنا
وسقى الغنم .

فقال لبنانه ؛ وأين هو ؟ لم تركتن الرجل ؟ أدعونه ليا كل طعاماً .
فارتضى موسى أن يقيم عند الرجل فزوجه صفورة ابنته .
فولدت ابناً فسماه جرشوم لأنه قال ؛ كنت نزيلاً في أرض غريبة !
ثم ولدت ابناً ثانياً فسماه اليعازار وقال لأن إلهه أبى ناصرى
وأنتذنى من يد فرعون ! ..^(١)

نظرة عابرة نلقيها على هذه السطور ندرك من ورائها أن
هذا المؤلف اليهودى لم يعن بهذه « الأرض الغريبة » إلا مصر . وأما من
كان هذا « الفرعون » الذى لا يذكر مؤلف « سفر الخروج » اسمه فإن مجريات
الأحداث التى سيدكرها ستزيدنا يقيناً بأنه كان « رخ موسى » الكبير وخاصة
عندما ينهى نفس هذا المؤلف روايته هذه ويستجمع قواه لغيرها ويتخذ لذلك
مدداً حياة موسى فى بيت « كاهن مدين » الذى كفل لإيواءه مقابل تكلفته برعى
أغنام له فى المراعى المحيطة بسفوح ذلك الجبل المسمى « جبل الله » والمعروف
باسم « حوريب »

وهكذا . . عن هذا اللون الريب من الحياة ، على حدّ تصوير
مؤلف « سفر الخروج » ، انصرفت الأيام بموسى وتجمعت بانفراطها من حوله
إلى شهور ثم دارت فى مدار الزمن إلى سنين حتى انحسرت عنه شيخاً وهو لم يزل

مُحتجب الظل في ظلال حوريب تُغيّبه عن أنظار عالمه لهذه السفوح معارج
ومنحنيات لا عمل له إلا رعى أغنام « كاهن مدين » وإلاّ الهشّ عليها
بعضاء وإلاّ توجيها ، بهذه العصي ، أنى وجهاً لها أراد .. وكأنّما هي
شبيهة بالجماعات البشرية والمشبّهة في مصر : « قطع القطعان » !. تسوقهم العصا
وَتُوجّههم أنى وجهة اليها الرأى بها يشير !

هذه هي الصورة التخطيطية التي يُقدّمها لنا مؤلف « سفر
الخروج » وهو من شريط الماضي يحسب أنه يسحبها سحباً وكنياً يضع عليها
ألوانه الصارخة راح بطرف خفى يشير إلى الأعوام المضيئة المبيضة التي مرت بموسى
وبها مرّ موسى عبر عمرٍ مديد الأيام والعين منه عالقة بهذا الجبل الذي يُصابحه
وئماسيه والذي تشمخ قمته المحتجبة بالغمام تجتذب من ثنايا البروق النظر وتطلق
من خلال قصف الرعود للخيال العنان بينما تتراجع عن الارتقاء عليه الأقدام
من كل إنسان لأنه جبل ليس ككلّ الجبال .. كما بذلك نحدثنا مؤلف
« سفر الخروج » في الإصحاح الثالث من « سفره » قائلاً بأن الجبل ، وهو جبل
حوريب ، أنما هو « جبل الله » .

وفي الواقع إن مؤلف « سفر الخروج » لم يقرر بهذا
القول إلاّ حقيقة وهي أن هذا الجبل كان عند « مدين » مقدساً ، وكان لديها
يعرف تحت اسم « جبل الله » وذلك لمعتقداتها القائل بأن « إيل — شداى » ،
ومن معناه الإله ذو الشدة ، قد اختاره مكاناً للهبوط عليه من السماء . ونحن إذا
تبعنا تاريخ التفكير الإلهي عند كل شعوب العالم القديم على حدة لوجدنا أن
هذه المنطقة الجبلية لم تشذ عن هذه القاعدة عندما عبدت معبودها على هذا النحو

كإله يهبط على هذا الجبل بين وميض البروق وقصف الرعود .. كلا ، لم تشذ «مدين» عن سائر شعوب العالم القديم عندما جعلت إلهها إلهاً جبلياً ووصفته بنفس ما اتصفت به هي من صفات . فوصفته بالشدة وطبعته بنفس طبيعة أهل الجبال بل وتصوّرتة رجلاً كرجالها حتى جرى فيما بينها عنه التعريف بأنه ؛ « رجل حرب » ! .

ولكن ! .

هنا يبدأ مؤلف « سفر الخروج » في إطلاق العنان لخياله اعتياد التحليق في مواطن الشطحات ! . فهو ، وهو الذى قد أبى إلا أن يتخذ من موسى وسيلة إلى غاية رعى إليها من وراء كتابته هذا «السفر» ، يصوّر موسى ، وهو الذى انحسرت عنه الأعوام راعياً يعيش فى تلك المنطقة الجبلية من الأرض ، وقد خضّبه هذا اللون من ألوان التفكير الإلهى المتخذ محوراً « إيل — شدّاي » أو هذا الربّ الذى أسكنته مدين قم حوريب ..

ولكن ! .

هنا يقنّبّه هذا المؤلف اليهودى إلى نفسه فيرى أن « إيل — شدّاي » لم يكن إلا ربّاً خاصاً لمدين وأن « مدين » قد ماثلت بذلك سائر الشعوب وأما هذه الجماعة من « بيوت إسرائيل » فلم يكن لها فى ذاك العهد الذى يتحدث عنه هذا المؤلف ربّاً بها خاصاً يمكن لها أن ترتفع ، باسمه ، إلى مصاف الشعوب ! .

هنا يطرق مؤلف « سفر الخروج » مُفكِّراً فيتذكّر

ما قد سطره ، من قبل ، مؤلف « سفر التكوين » وما قد ذكره من اسم هو ذاك الذى كان قد وضعه ، افتراءً ، بين شفقتى إبراهيم لحظة جعل يده تتراجع

عن ذبح اسحاق . . ومن ثمّ فليس هناك أنسب من اسم «يهوه» ليكون رباً خاصاً لبني إسرائيل ! .

وهنا يُسمّر مؤلف « سفر الخروج » عن ساعديه ليجرى قلمه بالجديد من الافتراءات . . فلقد رأى هذا المؤلف في هذا الاسم ، الذى رواه زميله ، مدداً يستطيع أن يحيك به رواية جديدة فجعله اسماً يأتى إلى موسى من قمم حوريب وليجعله يعلن له عن نفسه بأنه : هو « يهوه » ، قد اختار « بنى إسرائيل » ليكون لهم إلهاً وليكونوا له شعباً ! . ، وإذا كان لم يكن لموسى معرفة به من قبل قط ، فإنما هو الذى كان إله إبراهيم وإله اسحاق وإله يعقوب أو إسرائيل من قبل ! . .

كلاً . لن نتساءل ما الذى جعل مؤلف « سفر الخروج » يصبّ هذا الاسم في مسمع الزمن صباً بينما كان بطوى بخياله ذرعاً فسحات هذه السفوح من حوريب التى جعل موسى يقضى عليها أربعين عاماً منذ ترك مصر ؟ .. كلاً ، لن نتساءل فحسبنا أن نصفى إلى هذا المؤلف اليهودى وهو بصوّر لنا موسى رانحاً وغادياً بين أرجاء هذه المنطقة الجبلية راعياً الغنم نهراً ومساهاً النجم ليلاً يستعرض الأحداث الجارية من حوله ومن بعيد ويقنّسّم الأخبار الدافقة من بلده هو إلى العودة إليها يتوق ولا يحول بينه وبين هذه الأمنية إلا غروب حكم ومشرق حكم آخر ودون تحقيقه قد امتدت الآماد حتى ليبدو وكأنما ليس له شروق فالجالس على عرش النيل قد امتد به الأجل إلى حكم طويل طوى هذه الأربعين سنة التى قضاها موسى في ظلال حوريب حتى ليبدو وكأنما العمر لحكم هذا « الفرعون » الكبير ليس له غروب ! .

ولكن ..

فجأة تغيّرت في مصر مجريات الأحداث وعن الدنيا طوت راحة الزمن هذا « الفرعون » الذي يتضافر الأدلة على أنه كان « رع موسى » الكبير فليس هناك بين ملوك مصر من امتد به الأجل كل هذا القدر من السنين وتفاهى حكمه إلى أكثر من ستين سنة سوى هذا الفرعون الذي لم تطوهِ راحة الزمن إلاّ ونشرت « مفتاح » في نفس الوقت الذي تأهبت فيه لنشر « مفتاح » آخر جديد .. ومن ثمّ فقد زال حكم قديم وجاء حكم جديد نُسِيَ في خضمّ ما قد استجدّ فيه من أحداث كل ما قد فات !. فانما الأيام التي مرت بعد زوال « حكم رع موسى » الكبير حتى استقام الحكم لـ « مفتاح » قد شُحنت بالخطر من الأحداث التي غيّرت وبدلت الأوضاع في داخل البلاد وخارجها ولم يعد ما يحول بين موسى وبين العودة إلى مصر . .

ولكن !.. هنا يتخذ مؤلف « سفر الخروج » من هذه الأحداث لخياله مدداً ومن ثمّ تبدأ النصوص في الانحسار عن ما يكنّهُ من هذا المؤلف اليهودي الضمير .. فهو يحدثنا ؛

« وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ماريك مصر مات .
وتنهّد بنو إسرائيل وصرخوا فصعد صراخهم إلى الله

فذكّر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب !. » ^(١)

لا جدال في أن ما يقصده هذا المؤلف بكلمة « الله » ليس إلا « يهوه » ولكننا لا بسمنا، وقد ذكر اسم « الله » إلا أن نقول استغفر الله !

أينسى الله حتى يتذكّر؟! .

يقيناً أنها لنصوص تُفصح بنفسها عن نفسها وإلى المزيد من التعليق بأكثر من الاستغفار هي في غير حاجة! . .

والآن؟ . الآن علينا أن يرهف المسمع منا إلى هذا المؤلف الذى لا يربط بين موت ملك مصر واستصراخ بنى اسرائيل و « تذكر الله ميثاقه مع ابراهيم واسحاق ويعقوب » أو « اسرائيل » نفسه ، إلا ليحدثنا قائلًا ؛
« وكان موسى يرعى غنم يثرو حبيه كاهن مدين ، فساق الغنم الى ماوراء البرية حتى أفضى الى جبل الله »^(١)
وهناك ..

هناك في « جبل الله » وبينما كان موسى يرعى الغنم ؛
« تجلّى له ملاك الرب فى لهيب نار من وسط العليقة فنظر فاذا العليقة تتوقّد بالنار وهى لا تحترق .
فقال موسى ؛ أميل وأنظر هذا المنظر العظيم ما بال العليقة لا تحترق ؟

ورأى الرب أنه قد مال لينظر فناداه الله من وسط العليقة وقال ؛
موسى . موسى ! . »^(٢) .

نظرة عابرة ، ولا أقول سابرة ، نلقينا على هذه النصوص
تريفاً أن مؤلف « سفر الخروج » قد جاء برواية مشوهة عن حدث قدسى ،
إذ قد خلط خلطاً بيننا هو ، حتماً ، له لم يفقه وإلا لكان له قد صحّح ! . فهو

(١) الإصحاح ٣ « سفر الخروج »

(٢) الإصحاح ٣ « سفر الخروج »

يجعل التجلى من وسط العليقة ، بادىء ذى بدىء ، « ملاك الرب » ثم يجعله « الرب » نفسه حتى لا يختلط علينا أيهما قد قصد هذا المؤلف بهذا التجلى!.. بينما فى انصراف عن خطأ هذا بسير شوطاً آخر فى نفس الوقت الذى لا يسعنا فيه إلاّ الإستمرار فى الإصفاء اليه وهو يواصل حديثه قائلاً بأن عند ذاك أجاب موسى و ؛

« قال هاأنذا ! . » (١)

وحينذاك ، كما يقول هذا المؤلف اليهودى ، تسكّم الرب و ؛
« قال أنا إله أبائك إله إبراهيم وآله اسحاق وآله يعقوب !.. » (٢)
نعم أنا « يهوه » !.

وإني أنا ؛

« إله العبرانيين ! . » (٣)

أمام هذه الفقرات ، حتماً ، للفكر منا أن يتمهل للحظة .. كلا ! بل للحضات يستعين خلالها بأضواء « علم النفس » على التغلغل إلى نفسية هذا المؤلف اليهودى الذى جعل للعبريين إلهاً بهم خاصاً ونهج منهج زميله مؤلف « سفر التكوين » فأطلق عليه اسم « يهوه » وذلك لينتهى به إلى « بنى إسرائيل » بينما تستعيد الذاكرة منّا تاريخ هذا الاسم فى سجل التفكير الإلهى والدينى لتلك العصور .. لحظات ، تفرغ نفسها فى لحظات أخرى من التأمل أمام فقرات أخرى من هذه النصوص التى تسترسل قائلة بأن « المتكلم » قد واصل الكلام يزيد مُكَلِّمَه بنفسه تعريفاً إذ ؛

(٢) الأصحاح ٣ « سفر الخروج »

(١) الأصحاح ٣ « سفر الخروج »

(٣) الأصحاح ٣ « سفر الخروج »

« قال له ؛ أنا الرب ! وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب ... وأما اسمي يهوه فلم أعرف عندهم ! .. » (١)

لا جدال في أن المعنى من وراء هذه النصوص لواضح كل الوضوح فإن هذا المؤلف اليهودي يريد أن يقول إن « يهوه » كان إله العبريين وأنه قد تفرّد من بين الأرباب الأخرى بأنه إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب ، وذلك ليجمعه ربّاً خاصاً لبني اسرائيل فإنما « يهوه » اذا كان إله يعقوب أو اسرائيل فهو قطعاً إله « بني اسرائيل » . . وأما وإن اسحاق ويعقوب لم يعرفا اسمه فهذا قول لم يقنّبه هذا المؤلف اليهودي لى مجافاته لأبسط قواعد المنطق في نفس الوقت الذى نسي فيه أن زميله مؤلف « سفر التكوين » كان قد نسبته الى إبراهيم ! . ولكنه يُوالى الحديث مؤكّداً بأن « يهوه » هو هذا الربّ الذى قد ظهر لموسى وقال ؛

« أنا الربّ وأنا ظهرت لإبراهيم واسحاق ويعقوب . . وأيضاً أقت معهم عهدى أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التى تفرّوا فيها ! . » (١)

يقيناً لقد شدّ المؤلف اليهودي عن كل قاعدة من قواعد المنطق بهذه النصوص التى تجعل هذا الربّ قد قطع على نفسه عهداً وبه لم يف . أى ربّ كان هذا « الربّ » ؟ .. وأى ربّ هو « يهوه » ؟ !

عن هذه الأسئلة ستفصح من بعد النصوص التى سيوافينا بها هذا المؤلف الذى نهج منهج زميله مؤلف « سفر التكوين » وابتعث من سجلّ أرباب ليل الإنسانية وطفولة العقل البشرى هذا الربّ المسمّى « يهوه »

وليُجعله « إله بنى إسرائيل » جملة « إله العبرانيين » وكأنّما اللاّ وعى من هذا المؤلف قد احتفظ بما كانت عليه مرتبة « يهوه » بين الأرباب فلم يضره أن يصفه بالنسيان بل ولم يجد غضاضة في أن يقول إنه قد نسى عهداً كان قد قطعه للأبناء وعفى عليه كرت الدهور ومرور الأزمان ولكنه عندما سمع أنبن الأبناء تذكّر هذا « العهد » وابتعثته منه الذّاكرة من لجة النسيان ومن ثمّ فهو يقول ؛ « قد سمعت أنبن بنى إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون وتذكّرت عهدي .. »^(١)

أو غرابة في ذلك ؟

كلاّ ، لا غرابة في ذلك على « يهوه » وإلّا فما الغرابة إلّا بتذكّر « يهوه » عهده هذا إلّا عندما ترامت من مصر الأبناء بأن حكم الوادى قد انتقل من حاكم إلى حاكم آخر وأن كل من كان يطلب النار قد مات .. فنحن نسمع هذا المؤلف يقول بأنه ليس إلّا وقتذاك ؛

« قال الرب لموسى ؛ .. امضى فارجع إلى مصر فإنّه قد مات جميع القوم الذين يطلبون نفسك ! »^(٢)
من ثمّ فاذهب إلى هناك .. وهناك ؛

« قل لبنى إسرائيل ..

اتّخذكم لى شعباً وأكون لكم إلهاً .. وأدخلكم إلى الأرض التى رفعت يدى أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب .
وأعطيتكم إياها ميراثاً ! .. »^(٣)

(٢) الاصحاح ٤ « سفر الخروج »

(١) الاصحاح ٦ « سفر الخروج »

(٣) الاصحاح ٦ « سفر الخروج »

وهكذا ..

هكذا يبدأ القلم في يد هذا المؤلف اليهودي بعقد عقدة « الأرض الموعودة » كما تطلع علينا هذه الحقيقة هادرة من نصوص هذا السِّفَر الثاني من « الأسفار الخمسة » للنسوبة باطلاً إلى موسى .. فنحن إذ نمرّ على السطور من هذا « السفر » لا يسعنا إلاّ أن نتمهل عند الفقرات التي تمثّل الخيوط في عقدة « الأرض الموعودة » وذلك لأن هذا المؤلف اليهودي قد تجنّى على موسى ، عليه السلام ، فجعله نفسه يعقد عقدة هذه « العقيدة » في نفس الوقت الذي راح فيه يصنع قصة موسى بصباغ الأساطير ويحسب أنه بذلك قد أزاح عن « الأرض الموعودة » ركام السنين !. وأما كيف تجدّد « العهد » بإعطائها لبني إسرائيل ميراثاً ؟ .. وأما كيف تحولت من عقيدة مستقرة في طيات الطوية الإسرائيلية يتناوبها مدّ الذكرى وجذر النسيان إلى عقدة مستعرة تستذلّ الصعاب فأمر يمكننا أن نستجليه تمام الاستجلاء إذا استعنا بأضواء « علم النفس » على التغلغل إلى نفسية هذا المؤلف اليهودي الذي يأتينا بنصوص لا نضمها في موازين الفكر ونزنها بمعايير المنطق إلاّ ونقف حيارى أمام هذه الجماعة التي ما زالت ، حتى اليوم ، لها تُردّد وبالقدسية لها تحفّ في غير تنبّه إلى ما تحتويه هذه النصوص من خلط وما عليه تشتمل من أغلاط تسجلها بنفسها على نفسها ، لا تقولها بالوهية « يهوه » لحسب وإنما لأنها تجعل هذا « الوعد » يأتي من هذا الرب الذي وقع عليه ، من قبل ، هوى مؤلف « سفر التكوين » ثم وافق الهوى من مؤلف « سفر الخروج » فاختره للعبرانيين إلهاً كما يكون « لبني إسرائيل » إلهاً ويكونون له شعباً يصارعون باسمه الشعوب وأما جزاؤه منهم مقابل انتصارهم على شعوب الكون فتتصيبه إلهاً للكون !.

لا جدال في أن لهذه الفكرة نظير بل ونظائر في تاريخ التفكير الإلهي عند سائر الشعوب ولكنها هنا هي التي تسجل تاريخ تسييج فكرة «الأرض الموعودة» بسياج القدسية ، هذه القدسية المستمدة من الإيمان بصحة هذه النصوص التي لاتقف عند هذا الحد من الشطط وإنما هي تسترسل قائلة بأن موسى قد أجاب مُكَلِّمَهُ قائلاً ؛

« .. ها أنا آتي الى بني إسرائيل وأقول لهم إله آباءكم أرسلني إليكم فاذا قالوا الى ما اسمه ؟

فماذا أقول لهم ؟ .. ! » (١)

ومن قم حوريب جاء ، كما يدعى هذا المؤلف اليهودي ،

الجواب ؛

« .. هكذا تقول لبني اسرائيل ؛

يهوه إله آبائكم إله ابراهيم وإله اسحاق وإله يعقوب أرسلاني إليكم .

هذا اسمي الى الأبد ! .. » (٢)

ومن ثمّ ..

« فالآن هلمّ فأرسلك الى فرعون ومُتَخَرِّج شعبي بني إسرائيل من مصر ! .. » (٣)

من ثمّ فاذهب ..

(١) الاصحاح ٣ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٣ « سفر الخروج »

(٣) الاصحاح ٣ « سفر الخروج »

« اذهب واجمع شيوخ بني إسرائيل وقل لهم ؛ الرب إله آبائكم ، إله إبراهيم وإله اسحاق وإله يعقوب ، ظهر لي قائلاً ؛
إني قد افتقدتكم ! . فقلتُ أصدقكم من مذلة مصر الى
أرض الكنعانيين ! .. الى أرض تفيض لبناً وعسلاً .

فاذا سمعوا القولك تدخل أنت وشيوخ بني إسرائيل الى
ملك مصر وتقولون له ؛ الرب إله العبرانيين النقا .

فالآن تمضى سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا ! . » (١)
ولكن ! .

« يكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين !

بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة
فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون
المصريين ! » (٢)

ما هذا الهراء ؟ ! وما هذه الترهات ؟ ! .

يقيناً لقد تمادى مؤلف « سفر الخروج » وعن الصواب حاد
بل وخرج عليه خروجاً يبتساً بإمعانه في افتراءه على موسى ! . فمن اليقين أنه
لهراء وأنها لترهات إنما هي هذه النصوص التي تجعل « يهوه » إله موسى ! .
غُفرانك يا الله ! .

بيد أن هذا المؤلف اليهودي يأبى إلا أن يعود إلى ترهاته
من جديد كما يستعملها بهذه الصيغة من النصوص التي تحدثنا بأن عند ذاك ؛

(١) الإصحاح ٣ « سفر الخروج »

(٢) الإصحاح ٣ « سفر الخروج »

« قال موسى للرب : »

استمع أيها السيد . لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا
أول من أمس ولا من حين كنت عبدك . بل أنا ثقيل الفم واللسان .
استمع أيها السيد . ارسل بيد من ترسل ! .

فحى غضب الرب على موسى وقال : أليس هرون اللاوى
أخاك ؟ فتكلمه وتضع الكلمات في فمه .. وأعلمكما ماذا تصنعان .
هو يكون لك فماً وأنت تكون له إلهاً ! . » (١)

وهكذا يمضى هذا المؤاف اليهودى فى افتراءاته على موسى ،
عليه السلام ، قائلاً بأنه خرج مستصحباً ابنه وصفثورة امرأته ، بنت كاهن
مدين ، راجعاً إلى مصر ائتماراً بأمر « يهوه » .. بل ويسير هذا المؤاف شوطاً
آخر فى شطحاته فيقول ، ولكن :

« لما كان فى الطريق فى المبيت التقاه الرب فطلب قتله !
فأخذت صفثورة صوآنة فقطعت قلعة ابنها ومست رجله وقالت : إنك لى
عروس دم ! فكف عنه ، عند ما قالت عروس دم ، من أجل الختان ! . » (٢)

ما هذا المنطق الشاذ بل والشاذ كل الشذوذ ؟ ! وإلاً فلماذا
كان الأمر بالعودة إلى مصر إذا كان القتل مطلباً فى الطريق ؟ ! .
ثم .. ثم ما هذا الوصف الذى وصّته السّفة الذى يجعل
« الرب » قد كفّ عن قتل موسى عندما رأى دم الختان ؟ ! .
أف ! ! .

يقيناً أن الاعتقاد بقديسية هذه النصوص ونسبتها إلى موسى

(١) الإصحاح ٤ « سفر الخروج » (٢) الإصحاح ٤ « سفر الخروج »

يصم صاحبه بوصمة الكفر ! . بل ويصمه بنفس لون هذا الكفر الذى وصم به مؤلف « سفر الخروج » نفسه ويده تبادى فى عبثها وتمتد امتحدثنا عن تلك الفترة التى سجل الزمن خلالها انحسار سحف التاريخ الدينى عن موسى فى مصر .. يُحدثنا مؤلف « سفر الخروج » بأن موسى قد عاد إلى مصر شيخاً تدفعه للعودة إلى أهل له فيها صُور على الجبين منه تطوف وأمانى بين الضلوع به تعصف وإنه لم يستقر به وهرون المقام إلا ؛

« .. وجما جميع شيوخ بنى إسرائيل . فتكلم هرون بجميع الكلام الذى كلم الرب موسى به » (١).

وهنا ، كان حتماً أن يسير هذا المؤلف اليهودى فى روايته هذه فيكملها ويحيك منها هذا المشهد الذى صور به الرؤوس من شيوخ « بنى إسرائيل » مطرقة والمسامع منهم مرهفة تنصت فى شوق لهيف ، كما يدعى ، إلى صوت هرون مردداً ما قد سرى به إليه الصوت من موسى يقول إنه قد نودى من وسط العليقة من آله الآباء الثلاثة ، إبراهيم وإسحاق وإسرائيل ، مما جعل الرؤوس من شيوخ « بنى إسرائيل » ، على حد تصوير هذا المؤلف ، تندانى وفى صوت خفيض تسأل ؛

و « ما اسمه ؟ ... »

ومن نفس المصدر ، كما يدعى هذا المؤلف ، جاءهم الجواب

يقول إن اسمه ؛

« يهوه ! . »

« يهوه » ؟ .

« يهوه » ؟ ! .

اسم، تجاوب في ترديد بين شفاء شيوخ إسرائيل لحظة إليهم أتى ،
كما يدعى مؤلف « سفر الخروج » ، بمن عاينه افترى نفس هذا المؤلف كل
هذه الافتراءات !.. وأما لماذا جاء « يهوه » فليس إلا ليعدم إبقاء « العهد »
ويذكرهم بأن إله الآباء قد تذكر عهده للآباء فلقد انطلق الصوت منه يقول ؛
« أنا الرب !.. » قد سمعت أنين بنى إسرائيل الذين يستعبدونهم
المصريون وتذكرت عهدي !

لذلك قل لبنى إسرائيل ! أنا الرب وأنا أخرجكم من
من تحت أثقال المصريين وأنتقم من عبوديتهم . . واتخذكم لى شعباً وأكون
لكم إلهاً !

فتعلمون أنى أنا الرب إلهكم الذى يخرجكم من تحت أثقال
المصريين وأدخلكم إلى الأرض التى رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم
وإسحاق ويعقوب وأعطيتكم إياها ميراثاً (١) .

كيف ؟ ..

عن هذا السؤال يأتينا من مؤلف « سفر الخروج » الجواب قائلاً

لقد ؛

« قال الرب لموسى ؛ الآن تنظر ما أنا فاعل بفرعون !

فإنه بيد قوية يطلقهم وبيد قوية يطردهم من أرضه ! . » (٢)

ما هذا ؟ . ما هذا الخلط فى القول وفى المعنى وما هذا الإسفاف

الواضح فى التفكير ؟ ! . .

لا جدال فى أن هذه النصوص تنفى بنفسها عن نفسها ، القدسية

(١) الأصحاح ٦ « سفر الخروج »

(٢) الأصحاح ٦ « سفر الخروج »

التي ألحقها بنفسها لا لأن هذا المؤلف اليهودي باعترافه هذا بأن خروج « بنى إسرائيل » من مصر كان عن طريق الطرد وبذلك ينقض كل قصة أخرى من قصصه التي تتعلق بهذا الخروج فحسب وإثماً لأنه بهذه النصوص قد اعترف بأن الدين اليهودي الحالى قد اتخذ مبدأ وجوده من تأليه رب محلى ! .

أَوْشَكَ؟ ! .

أن الدين اليهودي الحالى لا يعترف إلا بألوهة « يهوه » كرب أعلنه مؤلف « سفر الخروج » خاصاً بالعبريين ثم جعله من دون سائر آلهة ذلك العصر إلهاً خاصاً لبني إسرائيل وكأنما هذا المؤلف يريد أن يقول إنه إذا كان « آمن » لمصر إلهاً وإذا كان « مردوق » لبابل إلهاً وإذا كان « آشور » لأشور إلهاً فإنما لإسرائيل قد غدا أيضاً إلهاً... بل وإذا كان المصريين هم من « آمن » « الشعب المختار » فإنما بنو إسرائيل ، أيضاً هم من « يهوه » « الشعب المختار » ...!

يقيناً لقد خاض مؤلف « سفر الخروج » فى خضم الترهات خوفاً عجيباً لا لأنه قد انتزع من وهاد الربوبية القبلية هذا الرب انتزاعاً وجعله لإسرائيل إلهاً فحسب وإنما لأنه قد افترى على موسى ، عليه السلام ، إذ نسب إليه هذه الافتراءات وقال عنه إنه بهذا الرب آتى وجعله لإسرائيل إلهاً غداة إلى مصر عاد يمدح باسمه امتلاك « أرض كنعان » ميراثاً... فنحن نسمع من نصوص هذا « السفر » ما يؤكد محلية « يهوه » عبر هذا القول الزور الذى وضعه هذا المؤلف اليهودي بين شففى موسى لحظة ازداد تجدياً عليه وتطاولاً وقال بأنه ، كما يخوض غمار القتال ، راح يترنم بصفة « يهوه » رباً كالآرباب قائلًا :

« الرب رجل الحرب !

من مثلك بين الآلهة يارب ؟! »^(١)

بهذا الاعتراف الرسمي الذى يجيء إلينا من هذا المؤلف اليهودى صريحاً يقول بأن « يهوه » بالآلوهية لم يتفرّد وأنه لم يكن إلاّ بين أرباب العصر رباً ، وأنه لم يكن إلاّ لإسرائيل إلهاً جاء بعدهم « أرض كنعان » ملكاً وميراثاً ، نضع يدنا على موطن الضعف فى تاريخ « عقيدة الأرض الموعودة » عند اليهود أنفسهم وإلى مدى هذا الضعف حريّ بنا أن نلفت الأنظار منهم فنقول :

إن « الوعد » بمنح « أرض كنعان » إلى « بنى إسرائيل » لم يجيء إلاّ على لسان « يهوه » وإذا كان « يهوه » هو المانح وليس بالآلوهية هو المتفرّد فما نصيب هذا « الوعد » فى معايير الحقيقة والتفكير السليم ؟!

والآن ..

الآن لنواصل الإصغاء إلى مؤلف « سفر الخروج » ، وهو يواصل حديثه وفى افتراءاته على موسى يتبادى فيصوره لنا وقد امتدت منه اليد تجمع جماعة إسرائيل فى مصر وتُخضع ، باسم « يهوه » ، إلى كلمته منهم الرقاب وتحولّها ناحية حوريب وذلك ليقول لنا بأن هذه اللحظة كانت نفسها تلك اللحظة التى سجلت تحول فكرة « الأرض الموعودة » من عقيدة متوارثة إلى عقيدة دينية !.

وبقيناّ إنها للحظة من عمر الزمن كانت تلك اللحظة التى

قَسَنَ فِيهَا مُؤَلَّف « سِفَرُ الْخُرُوجِ » مُؤَلَّف « سِفَرُ التَّكْوِينِ » وَحَوَّلَ فِي خِلَالِهَا فِكْرَةَ « الْأَرْضِ الْمَوْعُودَةِ » مِنْ حِلْمٍ بَاهِتٍ وَأُمْنِيَةٍ هَاجِمَةٍ بَيْنَ الضَّلُوعِ إِلَى عَقِيدَةٍ دِينِيَّةٍ بَدَأَ بِهَا تَشْبِيْهُتُ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ بِهَذِهِ الْبَقْعَةِ مِنْ مَفْرُقِ طَرَقِ عَالَمِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ الْقَدِيمِ هَذَا التَّشْبِيْهُتِ الَّذِي مَالَبَتْ أَنْ تَحْوَلَ إِلَى الْمَطَالِبَةِ بِهَذِهِ « الْبَقْعَةِ » كَحَقِّ نِسْرِهِ اسْتَمَدَ نِسْرَعَيْنِهِ مِنَ الْإِيْمَانِ بِأَنْ « يَهُوَهُ » قَدْ مَنَحَهَا لَهُمْ مَلَكًا أَبَدِيًّا ١ .

وَيَقِينًا ! .. يَقِينًا ، لَيْسَ إِلَّا تَحْتَ هَذَا اللَّوْنِ مِنَ التَّقْنِينِ
كَانَ أَنْ تَحْوَلَتْ فِكْرَةُ « الْأَرْضِ الْمَوْعُودَةِ » إِلَى عَقِيدَةٍ دِينِيَّةٍ انْقَدَتْ عَلَى الْإِيْمَانِ بِهَا الصَّدْرُ مِنْ كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَبْنَاءِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الدِّينِيَّةِ غَدَاةً سَطَرَ هَذَا الْمُؤَلَّفُ الْيَهُودِيَّ افْتِرَاءَاتِهِ عَلَى مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَائِلًا إِنَّ « يَهُوَهُ » هُوَ الَّذِي قَدْ أَعَادَ مُوسَى إِلَى « بَنِي إِسْرَائِيلَ » فِي مِصْرَ كَيْمَا يُكُونُ مِنْهُمْ جَيْشًا يَرْحَفُ بِهِ صَوْبَ « الْأَرْضِ الْمَوْعُودَةِ » حَتَّى أَنَّنَا لَنَجِدُ هَذِهِ الْفِكْرَةَ وَقَدْ اسْتَحْوَذَتْ عَلَى تَفْكِيرِ هَذَا الْمُؤَلَّفِ الْيَهُودِيِّ اسْتَحْوَاذًا هِيَ الَّتِي جَعَلَتْهُ يَطْلُعُ عَلَيْنَا بِنُصُوصٍ جَدِيدَةٍ تَتَحَدَّثُ عَنْ تَمَرُّدِ الْعَمَّالِ الْعِبْرِيِّينَ عَلَى مَنْ كَانُوا يَهْمِلُونَ تَحْتَ أَمْرِهِمْ ، يَوْمَ ذَلِكَ ، مِنَ الْمِصْرِيِّينَ .. فَتَجَنُّ نَسْمَعُ هَذَا الْمُؤَلَّفَ الْيَهُودِيَّ يَحْدِثُنَا عَنْ تَسْكَاسِلِ هَؤُلَاءِ الْعَمَّالِ عَنْ الْقِيَامِ بِمَا كَانَ قَدْ أُلْفِيَ عَلَى عَاتِقِهِمْ مِنْ أَعْمَالٍ وَصَرَاحِهِمْ قَائِلِينَ : نَرِيدُ أَنْ نَذْهَبَ « فَنَمْضِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْبَرِيَّةِ وَنَذْبَحُ لِلرَّبِّ إِلَهِنَا » كَمَا نَسْمَعُ الصَّوْتَ الْمِصْرِيَّ يَنْبَعِثُ مِنْ نَفْسِ هَذِهِ النُّصُوصِ الْيَهُودِيَّةِ ، وَعَلَى حَدِّ تَصْوِيرِ هَذَا الْمُؤَلَّفِ الْيَهُودِيِّ ، يَسْأَلُ بَاعِثِيَّ هَذَا التَّمَرُّدِ :

« لِمَاذَا يَا مُوسَى وَهَرُونَ تُبْطِلَانِ الشَّعْبَ عَنْ أَعْمَالِهِ ؟ » (١)

(١) الْأَصْحَاحُ ٥ « سِفَرُ الْخُرُوجِ »

وفي الواقع أن التاريخ السياسي المصري القديم يهديننا إلى أن هناك تمرداً قد حدث في عهد « منفتاح » ممّا أدى إلى تنكيل « منفتاح » بالإسرائيليين في جملة من نكّل بهم ممن شقوا عصا الطاعة على السلطان المصري. وهذا يتّسق مع سير أحداث « بنى إسرائيل » وسير مجريات الأحداث أيضاً في مصر القديمة في ذلك العهد ، ودليل على ذلك تلك النقوش التي ستصادفنا بعد قليل .. ولكن .. حتى يحين الحين لاستعراض هذه النقوش نقول بأن هذا المؤلف اليهودي إذ يجعل هذا السؤال ينطلق من الجانب المصري فليس إلاّ ليسترسل في روايته هذه ويقول بأن الأمر قد صدر من الجانب المصري أيضاً بتشديد العمل على هؤلاء العمال من « بنى إسرائيل » ؛

« لِيُثْقَلِ الْعَمَلُ عَلَى الْقَوْمِ حَتَّى يَشْتَغَلُوا بِهِ وَلَا يَلْتَفِتُوا إِلَى كَلَامِ الْكَذِبِ ! .. »^(١)

« كَلَامِ الْكَذِبِ » ؟ ! .

من الواضح أن « كَلَامِ الْكَذِبِ » هذا لا يعنى إلا ذلك الكلام الذى افتراه مؤلّف « سفر الخروج » على موسى وقال عنه إنه كلام « إله العبرانيين » إليه والذى ، كما يدعى هذا المؤلف ، قد واصل الكلام و؛

« قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى ؛

قَدْ بَقِيتْ ضَرْبَةٌ وَاحِدَةٌ أَنْزَلَهَا عَلَى فِرْعَوْنَ وَالْمِصْرِيِّينَ
وَبَعْدَ ذَلِكَ يُطْلَقُكُمْ مِنْ هَهُنَا .

وَعِنْدَ إِطْلَاقِهِ لَكُمْ جَمَلَةً يَطْرُدُكُمْ مِنْ هَهُنَا طَرْدًا . ! »^(٢)

(١) الإصحاح ٥ « سفر الخروج »

(٢) الإصحاح ١١ « سفر الخروج » .

هذه نصوص أخرى صريحة تدلُّ على أن « الخروج » من مصر كان طرداً وليس هذا لحسب وإنما هي تؤكد أن هذا الطرد قد حدث في فترة قلقه غير مستقرة في داخل البلاد تتفق وسير الأحداث التي كان الوادي يعاينها خلال الفترة الأولى من حكم « منفتاح » بل إن الأدلة لتتالى على أن هذا الطرد قد حدث في فترة صاخبة من تاريخ الوادي وإن كان مؤلف « سفر الخروج » يصف هذا الحدث وصفاً غير تاريخيٍّ إذ يقول ؛

« وقال موسى كذا قال الرب ؛

إننى نحو نصف الليل أجتاز في وسط مصر . فيموت كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون .. إلى .. جميع أبكار البهائم .

ويكون صراخ عظيم في جميع أرض مصر لم يكن مثله ولن يكون مثله !. »^(١)

وهنا ، تتمهل للحظة مداملين ..

كلا ، لن نسأل في خلال ذلك قائلين ؛

ماهى البواعث التي حثمت هذا العارذ الذي يذكره مؤلف « سفر الخروج » بل وحددت له موعداً كان في تلك « الليلة » التي يتحدث عنها هذا المؤلف اليهودي قائلًا ؛

« وكلم الرب موسى وهرون في أرض مصر قائلًا ؛

هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور هو لكم أول

شهور السنة .

كلما جاءة إسرائيل وقولا لهم ؛

(١) الاسحاح ١١ « سفر الخروج »

ليتخذوا لهم في العاشر من هذا الشهر كل واحد حَمَلاً بحسب
بيوت الآباء لكل بيت حَمَلاً .

حَمَلٌ صحيح ذَكَرٌ حولي يكون لكم من الضأن ، أو
المعز ، تأخذونه . ويكون عندكم محفوظاً إلى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر .
فيذبحه كل جمهور جماعة إسرائيل بين الغُروبين . يأخذون من دَمِهِ
ويجمعون على قائمتي الباب وعتبته العُليا على البيوت التي يأكلونه فيها .
وبأكلون لحمه في تلك الليلة شواءً نار بقطير ! .. مع
رأسه وأكارعه وجوفه ...

وهكذا تأكلونه ؛

تكون أحقاؤكم مشدودة ونعالكم في أرجلكم وعصيكم
في أيديكم وكلوه بمجلة ! ..

وأنا أجتاز في أرض مصر في تلك الليلة وأقتل كل بكر في
أرض مصر من الناس والبهائم ...

فيكون الدم لكم علامة على البيوت التي أنتم فيها فأرى
الدم وأعبر عنكم ولا تحمل بكم ضربة دلاك إذا ضربت أرض مصر ! .

ويكون هذا اليوم لكم ذكراً فنعبيدونه ...

سبعة أيام تأكلون فطيراً . في اليوم الأول تخلون منازلكم
من الخمر فإن كل من أكل خيراً من اليوم الأول إلى اليوم السابع تنقرض
تلك النفس من إسرائيل ! .. » (١)

وحنا يكل هذا المؤلف اليهودي روايته هذه قائلاً ؛

« فدعا موسى جميع شيوخ إسرائيل وقال لهم :

انهضوا ! .. وخذوا طاقة زوفى واغسوها فى الدّم الذى فى الطست ولا يخرج أحد منكم من باب منزله إلى الفداء .

فيجوز الربّ ليضرب المصريين فإذا رأى الدّم على العتبة العليا وقامتى الباب عبّر الربّ عن الباب ولم يدع المهلك يدخل بيوتكم ضارباً ! .. » (١)

ومن ثمّ ؛

« مضى بنو إسرائيل فصنعوا كما أمر الربّ موسى وهرون بحسب ذلك عملوا . فلما كان نصف الليل ضرب الربّ كلّ بكر فى جميع أرض مصر . فقام فرعون ليلاً هو وجميع عبيده وسائر المصريين وكان صراخ عظيم فى مصر حيث لم يكن بيت إلاّ وفيه ميت .

فدعا موسى وهرون ليلاً وقال ؛ قوما واخرجا من بين شعبي أتما وبنو إسرائيل ! .. غنمكم وبقركم خذوها .. وامضوا ! .. » (٢)

بهذه الصورة التى يُصورها هذا المؤلف اليهودى جاء طرد « بنى إسرائيل » من مصر ليلاً . وأمّا ما الذى قد حدث حقيقة فى تلك « الليلة » فهذا أمر ينطوى فى غضون السنة الخامسة من حكم « منفتاح » وينتشر غداة أخذت العاصفة التى كانت قد هبت من لوبيا وحاولت اقتحام الوادى من ناحية « أرض غوشن » حيث كان يسكن بنو إسرائيل ...

(١) الإصحاح ١٢ « سفر الخروج »

(٢) الإصحاح ١٢ « سفر الخروج »

وإذن ! .

فليطرد « بنو إسرائيل » من مصر ! .

ليطردون ! . . ليطردون فوراً وفي هذه الليلة بالذات حتى

قبل أن يُسفر الصباح ! . .

فلقد ؛

« أَلْحِ المصريون على الشعب ليُعَجِّلُوا اطلاقهم ! . »^(١)

وأُسرع « بنو إسرائيل » يجمعون حاجياتهم ولما كان الأمر

قد صَدَرَ بطردهم فوراً فقد ؛

« حمل الشعبُ عجبتهم قبل أن يختمر ! فكانت معاجنهم

مشدودة في ثيابهم على مناكبهم . . »^(٢)

هذه هي الصورة التي يقدمها لنا مُؤَلِّفُ « سفر الخروج »

عن خروج « بنى إسرائيل » من مصر .. حملوا عجبتهم قبل أن يختمر وشدوا

معاجنهم في ثيابهم على مناكبهم وما حملوا في أول مرحلة من مراحل

الطريق إلا ؛

« وخبزوا المعجن الذي أخرجوه من مصر خبز مَلَّةَ فطيراً إذ

كان لم يختمر .

لأنهم طُردوا من مصر ، ولم يقدرُوا أن يتأخروا ! . »^(٣)

وهنا . .

(١) الإصحاح ١٢ « سفر الخروج »

(٢) الإصحاح ١٢ « سفر الخروج »

(٣) الإصحاح ١٢ « سفر الخروج »

هنا أمام هذا اللوث من ألوان الارتحال ، حتماً ، تنفير
معايير التاريخ العبرى طالما أن هذا « الخروج » لم يكن إلا طرداً وطرذاً
بعد إقامة في مصر يُحددها مؤلف « سفر الخروج » ، قائلاً بأن :

« إقامة بنى إسرائيل التى أقاموها فى مصر فكانت أربع مائة
وثلاثين سنة . » ^(١)

ومن ثم ..

إذا كانت إقامة « بنى إسرائيل » فى مصر قد حُددت
هذا التحديد بيد مؤلف يهودى نفسه من بنى إسرائيل وعالم بتاريخ رحلات
أباء له وأجداد فنستطيع أن نقول إن هذا التحديد نفسه يهديننا إلى أن هذا
« الطرد » قد حدث فى عهد « منفتاح » . فنحن نعلم أن العصر الهكسوسى
قد بدأ حوالى سنة ١٧٩٠ ق م وبالتالى ، نعلم أن « منفتاح » قد حكم مصر
عشر سنوات انتهت بوفاته سنة ١٢٢٥ ق م ومن هنا نضع يدنا على فترة
زمنية تبدأ منذ بداية العصر الهكسوسى حتى نهاية عهد « منفتاح » وهذه تربو
على الخمسمائة سنة بأكثر من نصف قرن من الزمن على حكم الهكسوس مصر ،
فيجب علينا أن نطرح ذلك القدر من السنين الذى يذكره المؤلف اليهودى من
تلك المجموعة وبذلك نحصل على نفس الفترة الزمنية التى حددها مؤلف « سفر
الخروج » على إقامة « بنى إسرائيل » فى مصر . ثم بالإضافة إلى ما لدينا من
الوثائق المصرية القديمة التى تدلنا على أن الإسرائيليين قد طردوا من مصر فى
عهد « منفتاح » فإننا نستطيع أن نضع يدنا على الخيوط التاريخية الصحيحة لهذا
الحدث الذى لا يمكن بحال إلا أن يكون قد حدث فى السنة الخامسة من حكم

« منفتح » وعلى ذلك يأتي البرهان في « قصيدة النصر »^(١) التي ألفت بمناسبة انتصار « منفتح » على لوبيا .

إن هذه القصيدة ، « قصيدة النصر » ، التي أرخت بتاريخ يوم الانتصار على اللّوبيين ، وهو اليوم الثالث من الشهر الحادى عشر من السنة الخامسة لحكم « منفتح » ، ١٢٣٠ ق م ، والتي تتألف من ثمانية وعشرين سطراً سجلت نقشاً على لوحة من الجرانيت الأسود مازالت تقوم في المعبد الجنائزى لمنفتح والسماة « لوحة إسرائيل » ، لأن في نهاية السطرين الأخيرين جاء ذكر استئصال شافة بنى إسرائيل ، إنما هي سجل قائم على أن طرد « بنى إسرائيل » من مصر إنما حدث مقروناً بالانتصار على اللّوبيين ..

لا جدال في أن هذه القصيدة كانت ذات أهمية كبيرة لدى « منفتح » فهي في مجموعها نفاخر بالنصر العظيم الذى أحرزه الملك على اللّوبيين في تلك السنة الخامسة من حكمه والتي نجت مصر في خلالها من الأخطار التي أهدت بها . والقصيدة تزخر بالاستعارات والتشبيهات مما أسبغ عليها صورة شعرية لأن كاتبها قد وصف فيها هزيمة الاعداء بأسلوب أخاذ .. وفي ختام هذه القصيدة التي صاغت المحامد لمنفتح ، بصفته الحاكم الذى زاد عن حياض بلاده وخلصها من غارات اللّوبيين وكسر شوكتهم ، يصف لنا الكاتب حالة السلام والطمأنينة التي سادت الوادى بعد هذا الانتصار ويعدد لنا أسماء القبائل والبلاد والأقاليم التي أخضعها « منفتح » ، ويستهلها بلوبيا وينهيها بجماعة « بنى

(١) سجلت هذه القصيدة نقشاً على لوحين تذكاريين ، قامت الواحدة في معبد الكرنك كما يستدل على ذلك بقطعة وجدت هناك ومازالت اللوحة الأخرى قائمة في المعبد الجنائزى لهذا الملك .

إسرائيل « مما يدل دلالة تامة على أن خروجهم من مصر كان في عهد هذا
« الفرعون » ...

والآن ..

الآن نقف أمام « مدونة منفتاح » ونقرأ :

« إن « تحنو » ^(١) قد خُربت .

« فاتي » أمست مسالة .

« عسقلان » أُزيلت .

« جيزر » قُبض عليها .

« بنوم » أصبحت لا شيء .

وإسرائيل قد أفقرت وبذرتها قد انقطعت ! ..

أمام هذه المتون التي وُجدت بين أنقاض « معبد منفتاح » في
طيبة ^(٢) نقف للحظةٍ يعود بنا خلالها الفكرُ إلى الوراء يستعرض تلك اللحظة
الزمنية من اليوم الثالث للشهر الحادى عشر من السنة الخامسة لحكم « منفتاح »
وليستعرض من خلالها تلك الأحداث التى سبقتها حينما تألفت بقيادة العاهل
اللُّوبى « مريبي بن دد » حلف معاد لمصر ثم أقبل يزحف من جهة « أرض
غوشن » على الوادى ليعود إلى بلاده مدحوراً يسعى فى ركابه الفشل ... لنرى
أن هذا الفشل اللُّوبى يسبق وتاريخ خروج « بنى إسرائيل » لما جاء من
ترابط فى الذكر عند ذكر هذين الحديثين

وفى الواقع أن أهمّ ما يلفت النظر فى أفق التاريخ من هذه القصيدة
التي نقشت تحليداً لذكرى انتصار منفتاح على بلاد لوبيا وأقوام البحار ووصف

(١) « لوبيا » (٢) كشفت عنها « فلندرز بى » سنة ١٨٩٦ م .

فيها حالة الأمن الشامل الذى ساد الوادى بعد أن أُبعد خطر الغزو عنه وأخطار
العيون والأعوان هو ذكر جماعة « بنى اسرائيل » وبخاصة هذه العبارة التى قد
مررنا بها من قبل وهى القائلة بأن « إسرائيل قد أقفرت وبذرتها قد انقطعت » .
فإنه على الرغم من وجود هذه العبارة فى اللغة المصرية القديمة فى غير هذا المكان
فإن استعمالها بالذات هنا ، بالنسبة لبنى إسرائيل ، يشتمل على أهمية عظيمة فى
بحث موضوع خروجهم من مصر والأسباب التى أدت إليه والذى كان ، بالتالى
، كما يتضح ، يهملُ الحكومة المصرية وقتذاك . . فإنَّ الإسرائيليين أنفسهم
كانوا يسكنون « أرض غوشن » ، وهى التى يسميها مؤلف « سفر الخروج »
أرض « جاسان » والتى نسميها اليوم « وادى طميلات » . . . ولم يكن لهم
فى عهد الامبراطورية المصرية مكانة اجتماعية ولا مرتبة سياسية حتى تُذكر
ومن ذلك نفهم أنهم وإن كانوا محل انتباه فإنهم لم يكونوا بأية حال من
هؤلاء الناس الذين كانت الحكومة المصرية تهتم بذكرهم أو بتدوين أعمالهم فى
السجلات الرسمية غير أنَّ القلم المصرى وجد حادثة واحدة تتصل
بإقامتهم فى مصر كان لها من الوجهة المصرية أهمية سياسية وذلك أن خروجهم
جملة من الديار المصرية كان يهملُ الحكومة وقتئذٍ وعلى ذلك جاءت الإشارة
إليه فى السجلات الحكومية الخاصة بهذا العصر . .

ومن ثمَّ . .

لا جدال فى أن هذه الحادثة التى جاء ذكر « بنى
إسرائيل » فيها فى المتون المصرية كانت من الأهمية بحيث استرعت اهتمام
المؤرخ المصرى القديم وفضلا عن ذلك فإنها لما كانت آخر ما ذُكر عنهم فى
ذلك العهد مما يسجل لنا انقطاع علاقة هذه الجماعة بمصر فإننا نستطيع أن نستقطن

من ذلك كله أنه إذا كان هناك ذكر للإسرائيليين في تلك النقوش المعاصرة لإقامتهم في مصر فإن ذلك لا بدَّ يشير إلى خروجهم وعلى صحة هذا الاستنباط يمكن الوصول بسبر أمرين هامين :

الأول — العلاقة بين تاريخ الخروج وتاريخ نقوش اللوحة .

الآخر — معنى الجملة التي جاءت في النقوش خاصة إسرائيل .

أمَّا تاريخ النقوش فليس لدينا فيه أدنى شك إذ قد وُجد في متن اللوحة ذكرى السنة الخامسة من حكم « منفتاح » .

وأما تاريخ خروج بنى إسرائيل فانه وإن كان لا يمكن تحديد اليوم بصفة قاطعة إلاَّ أن الآثار المصرية تحصر هذه الحادثة في السنة الخامسة من حكم « منفتاح » ... وأما أنها كانت عهد هذا الملك فالدليل على ذلك يأتي بما لدينا ، بين الأوراق البردية ، من وثيقة تُعرف بـ « ورقة أنسطاسي السادسة »^(١) وتشمل خطاباً من كاتب الملك منفتاح جاء فيه ما يأتي :

« إن بسض بدو « شاسو » و « أيتام »^(٢) قد سُمح لهم ، على حسب التعليمات ، أن يحتازوا حصن إقليم « سكوت »^(٣) ليتاح لهم رعى ماشيتهم بالقرب من بلدة « بتوم » في ضياع الفرعون العظيم . .

وهذا الخطاب كُتب في السنة الثامنة من حكم « منفتاح » ويتضح منه أن هؤلاء « شاسو » قد سمح لهم بالمرور ببعض أرض التاج في « غوشن » ، وادى الطمليات . . ومن البديهي أن هذه الحالة لا يمكن أن تحدث إذا كان الإسرائيليون لا يزالون يقيمون في « أرض غوشن » في السنة الثامنة من حكم

(١) في المتحف «البريطاني» « (٢) « أدوم »

(٣) « تل المسخوطة » في وادى طمليات .

« مفتاح » ! . ومن ثمّ فلا بدّ أن تكون حادثة الخروج قد وقعت في وقت ما قبل هذا التاريخ وهذا البرهان كاف بتحديد الفترة الزمنية التي كان فيها هذا الخروج ليحصّره في نفس تاريخ نقش اللوحة ..

والواقع أن ما جاء في متن اللوحة المشار إليها آنفاً يُعدّ سجلاً معاصراً لخروج « بني إسرائيل » كما يدل دلالة واضحة على أنه قد وقع في السنة الخامسة من حكم « مفتاح » لأن الغزو الآشوري لمصر في تلك السنة كان ، حتماً ، أن يُحدث أموراً في شرق الوادي حيث توجد « أرض غوشن » وحيث كان الإسرائيليون يقيمون . وبالإضافة إلى ذلك كانت الأحوال وقتئذٍ تتطلب أن تُسحب الحاميات التي على الحدود الشرقية لتقوية الجيش الذي كان يقوم بصدّ المغيرين من جهة غربي الدلتا وشمالها وبذلك لا تترك إلاّ قوة قليلة لحماية الحدود . وهذا برهان آخر يعضد البرهان الأول على أن الحادثين ، قهر لوبيا وطرّد إسرائيل ، قد وقعتا في زمن واحد ! .

ثمّ أن هناك برهاناً آخر يأتي إلينا من متون هذه اللوحة نفسها وهو ما نلاحظه من تفصيل في كتابة كلمة « إسرائيل » في الأصل المصري ..

يُلاحظ أن في الأصل المصري تفصيلاً في كتابة كلمة « إسرائيل » له أهميته . فنحن حينما نجد في كتابة اسم قوم من الأقوام الذين ذكروا مع « إسرائيل » مُخصّصاً في نهاية الاسم دل ذلك على البلاد الأجنبية وهذا المُخصّص في كلمة « إسرائيل » غير موجود ، بل كُتب بدلا منه مُخصّص آخر يدل على أنهم قوم أجانب لا وطن لهم وأنهم ليسوا من أصحاب هذه البلاد أو تلك . ومن هنا نعلم أن عناصر النقش نفسه تُؤيّد وقت الخروج . وإذا علمنا ذلك ، بالإضافة إلى علمنا بأهمية الرموز المختلفة المُخصّصة التي استعملت في الأقوام المختلفين الذين

ذكروا في النقوش ، فانه من المحتم علينا أن نقول إن النقش يشير هنا إلى خروج « بنى إسرائيل » وأما ما يعنيه فهو أنه قد طُرد من مصر عنصرٌ أجنبي يُدعى « إسرائيل » ومعهم أولادهم وكل ما يتبعهم ومن ثم أصبح لا وجود لهم بالنسبة لمصر . .

وهنا نستطيع أن نقول إن النقوش التي على الآلّوحة إذ قصدت ذكر « بنى إسرائيل » بمناسبة تسهيل الانتصار على الآسويين فليس إلا لأنّ حادث طردهم من مصر كان من الأهميّة بمكان حتى أصبح من الطبيعي أن يحتلّ مكاناً في سجلّ هذه الآلّوحة . ولكن . . نحن إذا نظرنا إلى هذا الموضوع من حيث الأسلوب المصرى القديم نجد أن خروجهم من مصر يتمثل في صورة طرد جماعة بارادة « الفرعون » لا هرباً منه . والواقع أن المؤلف المصرى لهذه الأنشودة قد كتبها بوجهة نظر غير وجهة نظر المؤلف اليهودى لهذه الرواية التي جاءت في « سفر الخروج » ... وعلى الرغم من ذلك فاننا إذا سلّمنا بصحة النتائج التي استنبطناها ممّا سبق فإن الأجزاء المختلفة من تاريخ « إسرائيل » في مصر تتألف بعضها مع البعض الآخر ظاهراً وتصبح متحدة تماماً مع ما جاء في « سفر الخروج » ومع ما جاء على الآثار المصرية القديمة . .

وفي الواقع ليس هناك مجال لشك أى مؤرخ غاص إلى أعماق الحقيقة في أن الإسرائيليين كانوا في مصر في وقت ما وإنهم قد خرجوا منها جملة وذلك لسببين .. أولاً ، مصادر التاريخ المصرى القديم . والآخر ، لأنّ هناك قصة قوية تمثّل لنا الأحوال الأولى لقوم في أوائل الأسرة التاسعة عشرة في صورة إليها تُشير نصوصهم إشارة كافية ولا يمكن إلا أن تكون انمكاساً لضوء حوادث حقيقية قد وقعت بالفعل مهما كانت الصورة التي

وصات إلينا عنها مشوهة !. ولذلك ففحن نستبعد القول بأن كل قصة الخروج خرافية كما رمتها بذلك بعض أقلام وإنّما نقول بأن القول بكذب القصة شيء وكون تفاصيلها شيء آخر ..

لا جدال ، أن الصورة التي يُصوّرُها مؤلف « سفر الخروج » عن هذا الخروج وذكرها بأساليب متنوعة مؤلفو « الأسفار » التالية من بعد إنّما هي صورة مهزوزة كل الاهتزاز اختلط فيها الغلو بالكثير من الخيال ممّا يدلّنا على أنّها صورة حديثة صوّرت بيد مؤلف « سفر الخروج » في غضون الأسر البابلي ثم أقيمت عليها الألوان في الأسفار التالية . ولكن .. هذا لا يمنع من أن يكون فيها حقائق تاريخية ممّا كان من خروجهم في النهاية من مصر وهذا شيء كما تؤكد المتون المصرية قد وقع بالفعل . ولكن لما كان هذا الحدث ، وإن كان لم يكن إلّا طرداً ، لم ينسها بنو إسرائيل لأنهم قد وجدوا فيه تحريراً من نير التسخير وأملًا في احتلال « أرض كنعان » فقد راحوا يرضعون هذه الحقيقة التاريخية ببريق الأساطير الذي جعلها تبدو نفسها أسطورة من وحي الخيال !!

ومن ثمّ فإذا كانت تفاصيل القصة أسطورية فإنّما القصة نفسها ليست في جوهرها بأسطورة كما يصرّ على ذلك أكثر من قلم في بدأ كثير من مؤرخ .. لأنّها قصة تعكس لنا في مجموعها صورة حادثة تاريخية معيّنة بحسب وإتّما لأنّ معلوماتنا « الطبوغرافية » عن شرق الدلتا تؤكد صحة هذه الرواية التي جاء ذكرها في بداية « سفر الخروج » وهي التي تحدّثنا بأن بنو إسرائيل قد أُجبروا على السخرة في إقامة مباني « بيتوم » و « رعسيس » .. وعن وجود هاتين قد دلت الحفائر .. فليست « تل رطابة » اليوم إلّا « بيتوم »

الأمس التي أعيد بناؤها في عهد «رع موسى الكبير» وليست «قنتير» الحالية إلا «بر رع موسى»، كما كان يسميها المصريون والتي أقيمت في عهد «رع موسى» الكبير، أو «رعسيس» كما سماها الإسرائيليون وهي التي منها، كما يحدثنا مؤلف «سفر الخروج»، كانت بداية الطريق لخروجهم من مصر ولذلك يجب أن نتبع، خطوة خطوة، الأماكن المصرية التي سلكها «بنو إسرائيل» عند طردهم من مصر.

لزاماً علينا ونحن في صدد استعراض الطريق التي سلكها بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر أن نقول إن الآراء العلمية قد تضاربت من حول هذا الموضوع الذي ظهر أنه أكثر تعقيداً من تحديد تاريخ الخروج! ومن أجل ذلك أصبح هذا الموضوع الشائك هدفاً لبحوث طويلة ونظريات عديدة طرحها الباحثون على مختلف أنواعهم وساهم فيها الكثيرون من رجال الدين وعلماء طبقات الأرض. يبدو أن أحدث من تناول هذا الموضوع بالبحث الدقيق كان العلامة «علي شافعي» وخرج منه بنتيجة تُعَدُّ، حتى اليوم، أعمق ما وصل إليه البحث في هذه المسألة المعقدة وقد وضع لذلك خريطة تهيئنا إلى خطط هذا المسير والطرق التي سلكوها عند مغادرتهم الوادي حتى مشارف «أرض كنعان» راعى فيها أن تكون «طوبوغرافية» البلاد معمشية مع قصة الخروج لأن هذه القصة قد قُصت في وقت لم تكن الأحوال الجغرافية قد تغيرت في مصر فيه.. فأسماء البلاد المصرية كانت عند خروج «بنو إسرائيل» كما هي حتى أننا لنجد التفاصيل الصغيرة، التي جاء ذكرها في سياق الكلام، مثل الطوار الذي كان بجانب حصن «دفنة»، أدفينا اليوم، وهو الذي جاء ذكره على لسان المؤلف اليهودي، هو نفسه الذي كشفت عنه أعمال الحفر.. (١)

وهذه هي أسماء المدن والأماكن كما ذكرت في « سفر الخروج » ؛

رعسيس — سكوت — ايثام — فم الخيروت بين مجدل
والبحر أمام بعل صفون عند بحر سوف — برية شور — مارة — ايليم —
برية سين التي بين ايليم وسيناء — رفيديم في مدين عند جبل الله حوريب —
سيناء .

كل هذه الأماكن قد حُصِّت ووضعتُ مصورها الجغرافي
الذي يتفق مع الأحوال التي كانت سائدة زمن « الخروج » بقدر المستطاع .
ولكن .. لا يهمننا من كل هذه الأماكن إلا ما كان داخل
الحدود المصرية وذلك من « رعسيس » حتى « بحر سوف » .
أولاً — « رعسيس » .

برهنتُ البحوثُ الحديثة على أن هذه البلدة هي « بر رع
موسى » التي وجدت بقاياها في « قنتير » الحالية وأن « رع موسى الكبير » قد
أنشأها واتخذها مقراً لحكمه في شمال الدلتا وقد كانت المقر الصيفي للملك
الأسرة التاسعة عشرة ومن بعد الأسرة العشرين . ومن ثم فهي ليست
« تانيس » كما كان قد أخطأ أكثر من قلم في يد أكثر من مؤرخ . .^(١)
ثانياً — « سكوت » .

برهنتُ « ورقة أنسطاسي » ، هذه البردية العائدة بتاريخها
إلى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، على أن عند « الصالحية » وبين الأطلال
الجاورة لها يجب أن نبعث عن موقع بلدة « سكوت » . فإن البردية المشار
إليها تصف لنا « سكوت » بأنها أرض متاخمة لبلدة « بر رع موسى » وأنها

(١) منهم « أولبرايت »

لا تبعد عنها إلا مسيرة يوم واحد وأنها في اتجاه الصحراء وأن فيها قلعة تُدعى « ختم سكوت » ومستنقعات تعرف باسم بحيرات « بتوم مفتاح » . ومن ثمّ ، لمّا كُنّا نعلم أن هذه الجهة كانت مُخصصة لفراغة الرعامسة الذين كانوا مغرمين بالصيد والقنص في أعشاب هذه المستنقعات والذين كانوا يسكنون قنطير على مسافة يمكن تحديدها بخمسة عشر كيلومتراً من الشمال الغربي لهذه الجهة علمنا أن هذه البحيرات لا تخرج عن كونها بحيرة « مهيشر » ومستنقعات « سعدة » و « أكباد » .. وأمّا إلتها كانت عهد ذلك تحمل اسم « مفتاح » فهذا دليل آخر يشير إلى أن « الخروج » كان في « عهد مفتاح » .

ثالثاً — « إيثام » .

إن إيثام هي « أدوم » وهذه ليست بلدة بل بدياء كان يسكنها العرب البدو الذين كان المصريون يسمونهم « شاسو » لأن هؤلاء كانوا ينزحون وراء الكلا عندما تشحّ بالغيث السماء . وأمّا مسير « بنى إسرائيل » في هذه البدياء فهذا وحده برهان على أنهم لم يسلوكوا المنطقة الرملية ذات العيون المائية المتعددة المتكونة من مياه المطر الساقط على الساحل وعلى أنهم قد ساروا جنوباً مؤولين وجوههم شطر « مدين » .

رابعاً — « فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صفون عند

بحر سوف » .

فأمّا « فم الحيروث » فهو مصبّ فرع من النيل بين بحيرات البلخ في الجزء الجنوبي الشرقي لبحيرة المنزلة وكان هذا الفرع من النيل يُصبّ فيها وهذه تقع غربيّ « تارو » الأمس وبلدة « تل أبو صيفة » اليوم .. ولما كان « حور » الربّ المحلي لهذه البلدة وكان هذا الفرع من

النيل ينتهى اليها فقد دُعِيَ باسم « يَمّ حور » بمعنى « ماء حور » أو « بحيرة حور ». ثم تُرجمت هذه الكلمة عن اليونانية بمعبارة « فم حور » وهذه التسمية لا تختلف كثيراً عن تسمية « فم الحبروث » التي جاء بها الذين قاموا بترجمة « الأسفار العبرية » في القرن العاشر الميلادى عن الترجمة اليونانية العائدة بتاريخها إلى القرن الثالث ق . م . وإلى العهد الأول للبطالسة .

وأما « مجدل » .

مجدل بلدة تقع في شرق « تارو » كما يشير اليها المصور الذى وضعه لنا « سيقى الأول » وقد جعل مكانها على مجرى أحاطت به التماسيح إشارة لنا على أنها عند نهاية الملاحة النيلية . وأما في عهد الرعامسة فقد كانت معروفة بأنها أول بلد مصرية على الطريق المؤدى إلى فلسطين أى أنها على حافة الدلتا . ومن ثمّ فإن « مجدل » الأمس ليست ، اليوم ، إلا « تل الهر » .

وأما « بعل صفون » .

لرح من الزمن غير قصير بقى هذا الاسم سراً غامضاً على أولئك الكتّاب الذين تفاولوا بالبحث الدقيق قصة هذا « الخروج » إلى أن كشف في سقارة عن ورقة فينيقية^(١) في إحدى الآبار الأثرية ومعها أوراق ديموطيقية . ولما كانت إحدى هذه الأوراق الديموطيقية تدل على أنها خطاب شخصى يتضرّع فيه كاتبه إلى « بعل صفون » باعتباره الإله الرئيسى لبلدة « دافنى » نلم أن المقصود في هذا الصدد بـ « بعل صفون » هو بلدة دافنى نفسها ، أدينا اليوم .

(١) عام ١٩٤٠ « جيون »

والآن ؟ الآن وأخيراً نجىء إلى « بحر سوف » .

اعتقد الكثيرون وما زال الكثيرون يعتقدون أن « بحر سوف » هذا الذى ورد ذكره فى النسخة البروتستانتية من « العهد القديم » هو البحر الأحمر اعتماداً على تسميته ببحر القلزم فى النسخة الكاثوليكية من « العهد العتيق » .. بيد أن الحقائق التاريخية والبحوث الحديثة قد تكشف عن غير ذلك إذ دلّت على أن المقصود بالبحر هنا ليس البحر الأحمر وليس ببحر على الإطلاق وإنما هو جزء من بحيرة وأن هذه البحيرة هى بالتعديد « بحيرة المنزلة » ... وأما الخطأ فقد جاء من الذين قاموا بترجمة هذا « السفر » عن اللغة اليونانية إلى اللغات الشرقية والغربية ووضعوا بدلاً من كلمة « يَم » التى كانت فيه ، فى أصله العبرى ، كلمة « بحر » ... ثم بينما راعى الفريق البروتستانتي كلمة « سوف » فى الأصل العبرى القديم فألحتمها بكلمة بحر أبى الفريق الكاثوليكي إلا أن يتصرّف فى ترجمته فألحق بكلمة « بحر » كلمة « القلزم » عبارة عن البحر الأحمر ومن هنا كان التخبّط ! .. فقد حاول المؤرخون ، ارتكازاً على هذه الترجمة ، إيجاد حلّ مرض فساووا زمناً طويلاً فى هذا السبيل قبل أن يأتينهم حل هذه المشكلة بطريقة علمية ومنطقية مقنعة وهو أن هذا « السفر » لما كان قد كُتب فى الأصل باللغة العبرية ثم ، بالتالى ، لما كان قد تُرجم خلال القرن الثالث ق . م . إلى اللغة اليونانية وتُعرف هذه الترجمة بالترجمة السبعينية^(١) فإن بالموازنة بين النسخة اليونانية والنسخة العبرية يمكن استجلاء الحقيقة .. حقيقة أن أقدم نسخة لدينا بالعبرية لا يرجع عهدها إلا إلى القرن العاشر الميلادى إلا أنه بالموازنة الدقيقة بين النسختين ، اليونانية والعبرية ،

(١) نسبة إلى الكهنة السبعين الذين قاموا بهذه الترجمة بأمر بطليموس الثالث

وُجد أنه لم تحدث اختلافات . فليس هناك أى اختلاف بين نسخة القرن الثالث ق . م . المترجمة إلى اليونانية عن الأصل العبرى القديم وبين نسخة القرن العاشر هذه غير المترجمة ، ففي كليهما لا توجد كلمة « بحر سوف » ولا كلمة « بحر القلزم » وإنما « يمّ سوف » ! . ومن هنا اتضحت الحقيقة وهى أن الخطأ جاء عن طريق المترجمين الذين لم يتبعوا الترجمة الصحيحة وأهملوا المعنى من كلمة « يمّ » والمقصود به من كلمة « سوف » ...

فأما كلمة « يمّ » .. فهى كلمة مازالت حتى اليوم تعيش في لغتنا العربية ونفهم أن من معناها « الماء » وأما قديماً فكانت تُطلق على فروع النيل . وأما كلمة « سوف » .. فهذه كلمة دخلت اللغة العبرية من اللغة المصرية القديمة وتعنى « البوص » .. وهذا نبات يكثر وجوده في المياه الضحلة عند مصبات الترع والمصارف عامة وفي بحيرة المنزلة ، قبالة قنطرة ، بصفة خاصة . ولما كان هذا النبات الذى تمتد فروعه كالسيوف ينمو بكثرة في هذه الجهة وبارتفاع عظيم وكانت بلاد مصر ولاسيما بلدة « بر رع موسى » تأخذ منه حاجتها وكانت كلمة « البردى » التى أطلقت عليه من بعد لم تعرف بعد ، لأنها لم تظهر في اللغة المصرية القديمة إلا في عهد متأخر من عصر الرعامسة ، فقد عرفت مصر القديمة هذه البحيرة باسم « يمّ سوف » .

وهكذا يتضح لنا المعنى من كلمة « يمّ سوف » التى جاءت في الأصل العبرى وترجت في « العهد القديم » إلى « بحر سوف » فإن معناها العبرى هو « بحيرة البوص » وهذه تشغل منخفضاً قد بقى حتى الآن تحت مستوى البحر ولما كان منسوب الماء لايزال حتى الآن ، كما كان ، يتأثر بدرجة عظيمة بالرياح في بحيرة المنزلة والبرّاس فإننا نلاحظ أن الطريق من إيطيم حتى

برج البراس يُغطى بالماء عندما يهب الهواء غرباً ثم يصبح جافاً عندما يهب الريح من الشرق حتى ليحعل هذا « البحر » جفافاً يابساً ممّا يمكن للانسان أن يسير عليه فاذا ما عاد الهواء يهبُ غرباً عادت الأرض بحراً وإن كان هذا « البحر » ليس إلاّ ماء ضحضاحاً لا يزيد عمقه على قدمين ولا يتجاوز بأى حال ثلاثة أقدام .

ومن ثم فاذا كانت كل النظريات المتضاربة قد تلاشت أمام الكشف الحديث الذى أثبت أن « بر رع موسى » أو « رعسيس » هى قتيبر الحالية وليست « تانيس » فليس إلاّ لنعلم أن « بحر سوف » هذا ايس إلاّ « بحيرة المنزلة » إن لم يكن جزءاً من بحيرة المنزلة ..

هذه هى الأما كن المصرية التى اجتازها « بنو إسرائيل » فى طريقهم إلى « حوريب » ثم من حوريب إلى « سيناء » وهذا يدفع بنا إلى استعراض المدة الزمنية التى اقتطعوها من مصر حتى سيناء

يحدثنا مؤلف « سفر الخروج » الحديث الفياض عن المدة الزمنية التى اقتطعها أبناء إسرائيل فى ترحالهم من مصر إلى سيناء ويستهلّه قائلاً :

« وصنع بنو إسرائيل كما أمرَ موسى فطلبوا من المصريين أمتعة فضّة وأمتعة ذهب وثياباً .

وآتى الربُّ الشعبَ حظوة فى عيون المصريين فأعاروها لهم وسلبوا المصريين !

ثم ارتحل بنو إسرائيل من رعسيس إلى سكوت بنحو مئة ألف ماشٍ من الرجال خلا الأطفال ...

طُردوا من مصر ! » ^(١)

للمرة تلو المرة يُوكِّدُ اننا مؤلفُ « سفر الخروج » بأن « بنى إسرائيل » قد طُردوا من مصر طرداً !. ولكن هذا المؤلف الذى غمس بمداد البهتان قلبه وأجراه ينسب إلى موسى، عليه السلام، ما أقترفه بنو إسرائيل فى حق المصريين من سابٍ حليٍّ وثيابٍ، ماذا يستهدف من وراء ذلك ؟ .
يقينى أنه لا يستهدف إلا تمجيد عملٍ دو فى طبيعة بنى إسرائيل غريزة فطرية ثمّ، كَيْما يصبغه بالصبغة الشرعية عاد به إلى مَنْ هو منه براء .. فأستغفر الله ! ..

ثمّ .. ثم هذه الجملة الخاصة بهذا التعداد والمترجمة هنا بلفظة « ست مئة » و « ألف » قد استبهم معناها على الكثيرين فأخذوها على علائقها وحسبوها ستمائة ألف رجل خلا الأطفال والنساء، غير ملتفتين إلى أن هذا العدد قد تجاوز حدود المعقول لأننا إذا أضفنا إلى هذا الرقم امرأة واحدة وطفلين لحصلنا على مجموع يتجاوز تعداد المصريين أنفسهم فى ذلك الحين ! . وهذا، حملاً، خطأ آخر يعود بأسبابه إلى المترجمين الذين وضعوا كلمة « ألف » بعد « ست مئة » وقد كان الأصحُّ أن تُوضع « ألف وست مئة ماش من الرجال ... » وهذا رقم لا يمكن رفضه، منطقياً، لأنه يضع نفسه فى إطار المعقول .

ولكن .. المسمع منّا يأتى إلّا مواصلة الإصغاء إلى هذا المؤلف وهو يحدثنا عن هذا الترحال الذى اتخذ مجراه فى ليلة سحب فيها رجالُ بنى إسرائيل معهم نساءهم وأطفالهم وغنمهم وبقرهم ومواشيهم إلى حيث بدأ

تفسّحهم في الأرض .. فلقد أبى هذا المؤلف اليهودى إلا أن يجعل من ذكرى ليلة الارتحال هذه عيداً أسماه « عيد الفصح » .. ثمّ راح يحدثنا عنها قائلاً :

« هي ليلة تُحفظ للرب لإخراجهم من أرض مصر !

هذه الليلة تحفظ للرب من جميع بني إسرائيل مدى أجيالهم ! » (١)

وأما إذا سألت هذا المؤلف اليهودى قائلاً : كيف تحفظ هذه الليلة وأى لون من ألوان التعبد فيها يقام ؟ .. فالجواب سيكون ، إنها ليلة تحفظ للرب بأكل اللحم ! . فاقده :

« قال الرب لموسى وهرون :

هذا رسم الفصح :

كل أجنبي لا يأكل منه ! وكل عبد مشترى بفضة فأخته ثم يأكل منه . والضيف والأجير لا يأكلان منه !

في بيت واحد يؤكل لا تخرج من البيت من اللحم شيئاً ! .
وإذا نزل بكم غريب وأراد أن يصنع فصحاً للرب فليختن
كل ذكر له ثمّ يتقدم .. وكل أكل لا يأكل منه ! . »

وأما ما هو نوع هذا اللحم الذي يؤكل أو بالأحرى ما هو هذا الذي يأكله بنو إسرائيل وحدهم ولا يأكل منه الضيف والأجير خلا الغريب الذي لا يأكل منه أيضاً إلا إذا اختن ؟ .. فإن المؤلف اليهودى يتولى الشرح ويحاول إنقاء المآخذ فيجعل هذا اللون من المأكول فريضة بل وعبادة ويحدثنا قائلاً :

(١) الامصاح ١٢ « سفر الخروج »

(٢) الامصاح ١٢ « سفر الخروج »

« وكلّم الربُّ موسى قائلاً : قدّس لي كل بكر كل فاتح رحم
من إسرائيل من الناس والبهائم أنّه لي !

فقال موسى للشعب : اذكروا هذا اليوم الذي خرجتم فيه من

مصر ..

لا يؤكل خبيرة !

اليوم أنتم خارجون في شهر الأسبال . فاذا أدخلك الربُّ أرض
الكنعانيين والحيثيين والأموريين والحوبيين واليبوسيين التي أقسم عليها الربُّ
لآبائك أن يعطيك أرضاً تدر لبناً وعسلاً فاصنع هذه العبادة في هذا الشهر ؛
سبعة أيام تأكل فطيراً وفي اليوم السابع عيد للرب .

فطير يؤكل في السبعة الأيام فلا يرى لك خبيرة ولا شيء مختمر
في جميع تخمك ! . . .

واحفظ هذه الفريضة في وقتها سنة فسنة . ! » ^(١)

نظرة عابرة نلقها على هذه النصوص التي تطلع علينا بأول لون من
ألوان التعبد في الدين اليهودي الحالي تولّد فينا اليقين بأنه دين هو إلى الروحيات
يشتمل به الافتقار ! فهو يجافي تمام المجافاة أبسط لون من ألوان الروحيات ! . فلا
نمت تسبيحة هناك أو صلاة شكر أو دعاء إلا فطير يؤكل خلال سبعة أيام
كذكرى ليوم خرجوا فيه في مصر مرتحلين من رعسيس إلى سكوت .

ثم ؛

« ثم ارتحلوا من سكوت ونزلوا بايتام في طرف البرية » ^(٢)

(١) الأصحاح ١٣ « سفر الخروج »

(٢) الإصحاح ١٣ « سفر الخروج »

وأما إذا سألنا هذا المؤلف اليهودى قائلين ؛ من كان دليلهم في هذا الطريق ؟ .. فالجواب يأتي من شفثيه سخياً يقول ؛

« وكان الرب يسير أمامهم نهارة في عمود من غمام ليهديهم الطريق وليلاً في عمود من نار ليضيء لهم ليسيروا نهارة وليلاً .
ولم يبرح عمود الغمام نهارة وعمود النار ليلاً من أمام الشعب ! » . (١)

غفرانك يا الله ! ..

لا يسعنا أمام هذه النصوص الجديدة التي تجعل الرب يسير على هذه الصورة أمام بني إسرائيل ، يستبدل نفسه من عامود غمام بعامود نار مرة ومن عامود نار بعامود غمام مرة أخرى ، إلا الاستغفار ! .. بل وزيانا نواصل الاستغفار طالما أن المسمع منا يواصل الإصغاء إلى هذا المؤلف اليهودى الذى يسترسل يحدثنا عن هذا الترحال ويقول بأن فجأة تغير اتجاه المسير فلقد ؛
« كلم الرب موسى قائلاً ؛ مَرُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَرْجِعُوا وَيَنْزِلُوا أَمَامَ فَمِ الْخِيْرُوثِ بَيْنَ مَجْدَلٍ وَالْبَحْرِ أَمَامَ بَعْلَ صَفْوَنَ تَنْزِلُونَ تَجَاهَهُ عَلَى الْبَحْرِ » . (٢)
لماذا ؟ ! ..

« لَأَنَّ اللَّهَ قَالَ ؛ لَثَلَا يَنْدَمُ الشَّعْبُ إِذَا رَأَوْا حَرْباً وَيَرْجِعُوا إِلَى مِصْرَ فَأَدَارَ اللَّهُ الشَّعْبَ فِي طَرِيقٍ بَرِّيَّةٍ بِحَرِّ سَوْفٍ » (٣)
ولكن ! ..

هذا التحول عن الطريق المستقيم الذى كان مُقَدَّرًا للمسير حتى « مَدْيَن » والذى اتخذ للتمويه والتضليل وإن كان لم يزل في دلتنا النيل

(١) الامصاح ١٣ « سفر الخروج »

(٢) الامصاح ١٤ « سفر الخروج »

(٣) الامصاح ١٣ « سفر الخروج »

قد جعل المصريين ، كما نفهم من تعبير مؤلف « سفر الخروج » ، يتوجسون من الإسرائيلين إلا أننا لا نفهم أبداً المنطق اليهودى فى هذا النص القائل ؛ « وشدد الرب قلب فرعون ملك مصر حتى سعى وراء بنى اسرائيل . فسمى المصريون وراءهم وأدركوهم ، جميع خيل مركبات فرعون وفرسانه وجيشه ، وهم نازلون عند البحر عند فم الحيروث أمام بعل صفون ! » (١)

ألم يفتن هذا المؤلف اليهودى وهو يسطر هذه النصوص إلى ما يحمله قوله من التناقض فى المنطق والغرابية ؟ . ولكننا لن نناقشه . . كلاً ، فحسبنا الإلتفات إلى هذه النصوص فى قولها هذا بأن المصريين قد أدركوا الإسرائيلين عند « فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صفون » . ونحن إذا كنا قد علمنا أن « مجدل » إنما هى بلدة تقع على حافة الدلتا وأنها ليست إلا « تل الهر » اليوم ، وبالتالى ، نحن إذا كنا قد علمنا أن « بعل صفون » هى « أدفينا » اليوم وأن « فم الحيروث » هو مصب فرع من النيل بين بحيرات البلح فى الجزء الجنوبى الشرقى لبحرية المنزلة وأن هذا الفرع من النيل كان يصب فيها وأن « بحر سوف » هذا هو بحيرة المنزلة أو جزء منها ، لعلمنا أى « بحر » هذا الذى يعنيه مؤلف « سفر الخروج » بينما المسمع منا يواصل إليه الإصغاء وهو يسترسل قائلاً ؛

« فأدركهم وهم نازلون عند البحر ، جميع خيل مركبات فرعون وفرسانه وجنوده ، عند فم الحيروث أمام بعل صفون !

فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم وإذا المصريون راحلون وراءهم ففزعوا جداً وصرخ بنو اسرائيل إلى الرب وقالوا موسى ؛

هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية ؟ ماذا صنعت بفتحنا أخرجتنا من مصر ؟ . . . »^(١)

وفي الواقع أن الإسرائيليين قد أصبحوا بهذا الموقف في مأزق حرج فقد كانت « بحيرة البوص » على يمينهم وحصن مجدل بمن فيه يحجز أمامهم الطريق من جهة الشمال وعلى يسارهم مستنقعات فرع النيل البلوزى بينما كان خلفهم ، كما يقول المؤلف اليهودى ، الفرعون وجنوده فلم يكن لديهم وسيلة إلا الاستسلام وإلا أن تحدث معجزة قهب ، كمادتها ، الريح الشرقية وتجفف الأرض وتمسكهم من المسير عليها وعبور هذا الماء قبل أن يعود الهواء ويهب غرباً وتعود المياه إلى ما كانت عليه بجرأ . .

وهنا نعود إلى المؤلف اليهودى ونصنف إليه وهو يواصل حديثه قائلاً بأن عند ذاك :

« قال موسى للشعب : لا تخافوا !

قفوا وانظروا خلاص الرب الذى يصنع لكم اليوم فانكم كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودون ترونهم أيا إلى الأبد . »^(٢)
وأما كيف ؟ ..

فلقد :

« انتقل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل . وسار وراءهم . وانتقل عمود الغمام من أمامهم ووقف وراءهم . فدخل بين عسكر المصريين وعسكر إسرائيل ... فكان من هنا غماماً مظلاً وكان من هناك بنير الليل فلم يقترب أحد الفريقين من الآخر طول الليل ! . »^(٣)

(١) الإصحاح ١٤ « سفر الخروج »

(٢) الإصحاح ١٤ « سفر الخروج »

(٣) الإصحاح ١٤ « سفر الخروج »

عبيكاً نبحث في البرديات عن هذه القصة ، قصة هذا « العامود » الذى وقف حائلاً بين المصريين والإسرائيليين طوال ليلة كاملة ، فلا نجد لها فى الوثائق المصرية أثراً فلا يأتينا عنها الذكر إلا من هذا المؤلف اليهودى الذى نراه قد نسى أنه قبل هنيهة قال إن فى « العامود » كان « رب إسرائيل » فعاد يقول بأنه « ملاك الله » بينما راح مسترسلاً يواصل حديثه قائلاً ؛

« ومدّ موسى يده على البحر .

فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة ! ... فدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة ! ...

وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم جميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه إلى وسط البحر ! ...

فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذى دخل وراءهم فى البحر ولم يبق منهم ولا واحد ! ... » (١)

من ثمّ فخفاً أن ؛

« الربّ رجل الحرب ! ...

مركبات فرعون وجيشه ألقاهما فى البحر ففرق أفضل جنوده المركبية فى بحر سوف !. » (٢)

حقاً !. حقاً يا « يهوه » ...

« من مثلك بين الآلهة ؟ .. » (٣)

(١) الأصحاح ١٤ « سفر الخروج »

(٢) الأصحاح ١٥ « سفر الخروج »

(٣) الأصحاح ١٥ « سفر الخروج »

وهنا . . هنا لنا كلمة هي بالطبع من حول هذه الرياح الشرقية التي ظلت تهب عاتية طوال الليل في الاتجاه الصحيح وفي الوقت المناسب حتى جعلت « بحر سوف » جفافاً ومكثت « بنى إسرائيل » من العبور إلى الطرف الآخر . . فنحن إذا تذكرنا أن منسوب الماء لا يزال حتى الآن متأثراً بدرجة عظيمة بالرياح في بحيرة المنزلة والبرلس ولاحظنا أن الطريق من بلطيم حتى برج البرلس يغطى بالماء عندما يهب الهواء غرباً ثم يصبح جافاً عندما يهب الهواء من الشرق مما يمكن للإنسان أن يسير عليها ، نفهم كيف كان عبور البحر هذا ، بحر سوف الأمس وبحيرة المنزلة اليوم ، الذى يتحدث عنه مؤلف « سفر الخروج » ..

كلاً ! .

نحن لا ننكر أن ذلك كان معجزة وهو أن تجيء هذه الرياح في الوقت المناسب وأن تهب في الاتجاه المطلوب وإنما نستنكر الصيغة التي يتحدث بها مؤلف « سفر الخروج » عن هذا الحدث الذي كان لابد له أن يتسق وقوانين الطبيعة ولا يخيد عن الأحكام الكونية التي وضعها سيد الكون ! .

وأما موضوع غرق « الفرعون » الذى يتحدث عنه هذا المؤلف اليهودى بهذه الصيغة فهو أمر إن لم يكن قد فهم خطأ فقد مازجه ولا شك عنصر التهويل لأن الواقع أنه لا يمكن لإنسان أن يتصور غرق إنسان وعربته ومن معه في ماء ضحضاح لا يزيد عمقه على قدمين أو ثلاثة . وليس هذا فحسب وإنما غرق فرعون وجنده معه كان لابد أن يحدث هزة في أرجاء البلاد وأن تسجله البرديات وليس في الوثائق المصرية ما يشير إلى ذلك ويدعم هذا وجود مومياء فراعنة هذا العهد ولا دليل هناك على اللوث

باسفكسيا الفرق .. ولعل هذا التهويل قد جاء من جرّة قلم دفعتها شطحاتُ خيال
هذا المؤلف الذى استغرقه وصف عبور أسلافه هذه البحيرة بالسكيفية التى رواها
بينما يروح منعطفاً من عندها مواصلاً الحديث فيقول بأنهم بعد ذلك ارتحلوا ؛
« من بحر سوف وخرجوا إلى برية شور . فساروا ثلاثة
أيام فى البرية ولم يجدوا ماء ! فجاؤا إلى مارة .

ولم يقدرُوا أن يشربوا ماء لأنه مُرٌّ ! » (١)

هذه رواية لم يتدخل فيها خيالُ هذا المؤلف اليهودى تدخلًا
كبيراً لأن البيداء التى تقع شرق « يَم يوسف » كانت تُسمى بالمصرية القديمة
« شبحور » أى بحيرة حور .. وأما كذا نعلم أن مياه حور هذه التى ذُكرت فى
خطاب « ديبس » هى التى كان يُستخرج منها الملح ولا تصلح مياهها للشرب
نعلم لماذا لم تجد جماعة إسرائيل خلال اقتطاعها هذه البيداء ماء صالحاً للاهرواء ..
ومن ثمَّ ؛

« جاءوا إلى إبلیم وهناك اثنتا عشرة عين ماء وسبعون
نخلة . فنزلوا هناك عند الماء . » (٢)
ثمَّ ؟ ..

« ثم ارتحلوا من إبلیم وأتى كل جماعة بنى إسرائيل
إلى برية سين التى بين إبلیم وسيناء فى اليوم الخامس عشر من الشهر الثانى
بعد خروجهم من أرض مصر . » (٣)

(١) الاصحاح ١٥ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ١٥ « سفر الخروج »

(٣) الاصحاح ١٦ « سفر الخروج »

ثمَّ ؟ ! .

« ارتحل كل جماعة بني إسرائيل من برية سين .. ونزلوا في

رفيديم ..

في حوريب ! . » (١)

ثمَّ ! .

« ارتحلوا من رفيديم وجاءوا إلى برية سيناء ..

هناك نزل إسرائيل مقابل الجبل ! . » (٢)

وأخيراً ! .

وأخيراً باغت جماعة إسرائيل سفوح سيناء .. وأمَّا كم

كانت المدة الزمنية التي استغرقها هذا الترحال من مصر إلى سيناء ! فسؤال ،

تتولى الإجابة عنه نفس هذه النصوص التي تصرّح قائلة ؛

« في الشهر الثالث لخروج بني إسرائيل من أرض مصر في

ذلك اليوم جاؤا إلى برية سيناء ! . » (٣)

هذه هي المدة الزمنية التي اقتطعها بنو إسرائيل من مصر حتى

سفوح سيناء .. مدة لم تتجاوز الشهر الثالث لطردهم من مصر . وهي فترة مرت

بهم وهم يَمْزُونَ على جهات ، كلها ، معمورة وآهلة بالناس .. وهذه هي قصة طرد

بني إسرائيل كما حدثنا به مُؤَلِّف هذا « السفر » وكما تتبعناها على الآثار الباقية

بقدر المستطاع ونريد هنا أن نؤكد أن حدث هذا « الخروج » كان ثانوياً

(١) الإصحاح ١٧ « سفر الخروج »

(٢) الإصحاح ١٩ « سفر الخروج »

(٣) الإصحاح ١٩ « سفر الخروج »

بالنسبة للمصريين حيويًا عند الإسرائيليين ولذلك لم نجده في النقوش المصرية إلا عرضاً على حين دُوت أحداثه في النصوص اليهودية تدويناً سخياً ، وهو وإن كانت الأحوال كلها تدلّ على أنه حادث قد وقع فعلاً غير أن كل الدلائل أيضاً تشير إلى أن تفاصيله قد دوت على حسب الدرجة العقلية التي كان عليها هذا المؤلف اليهودي مما يمكننا من القول بأن القفار التي يذكرها لم تكن ، قطّ ، بمتاهات لأنها جهات ليست بعيدة عن جنوبي فلسطين ، وليس جبل سيناء إلا بجوار هذا الجنوب . فإننا نعلم أن القوافل منذ سحَر التاريخ كانت تخرق الطريق الجارى بالقرب من شواطئ فلسطين في ارتحائها عن مصر وفي الترحال إليها وهذا مما يجعلنا نطرق أمام هذه النصوص ونفكر . وأما عدد السنين الأربعين التي راجت ترويضها الشفاء اليهودية فأمر يحتاج إلى تحقيق لأننا إذا نظرنا إلى ذلك من الوجهة التاريخية واقتربنا إليه من الطريقة العلمية ليتحم علينا أن نقول إن ذلك كان من مؤلف « سفر الخروج » جهلاً ذريعاً بالتاريخ ... والآن !..

الآن يطيب للمسمع منا الاسترسال في إصفائه إلى هذا المؤلف اليهودي الذي راح يشحذ قلمه من جديد ويطلق على جناح الهوى للخيال منه العنان ليعود إلينا محدثاً عن تاريخ « بنى إسرائيل » في سيناء غير أنه يأبى إلا أن يبدأ هذا التاريخ من « حوريب » . . ومن ثمّ فهو يستهل حديثه قائلاً بأن جماعة إسرائيل لم تحلّ في حوريب إلا ؛

« وأتى يثرون هو موسى وإبناه وامرأته إلى موسى إلى البرية حيث كان نازلاً عند جبل الله .

فقال موسى ؛ أنا همك يثرون آت إليك وامرأتك وابناها معها .

فخرج موسى لاستقبال حميه وسجد وقبله . وسأل كل واحد صاحبه عن سلامته . ثمَّ دخلا إلى الخيمة . » (١)

وهنا يكمل مؤلف « سفر الخروج » روايته المفتراة هذه فيقول بأن إلى كاهن مدين ، داخل الخيمة ، خلا موسى ؛
« فقصَّ موسى على حميه كل ما صنع الرب بفرعون والمصريين من أجل إسرائيل ... »

وقال يثرون ؛ مبارك الرب الذى أنقذكم من أيدي المصريين ومن يد فرعون ! ... الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة ! ... » (٢)

لا جدال ، أن المؤلف اليهودي يريد أن يقول إن كاهن « إيل شدائى » قد تحقَّق الآن بأن « يهوه » فوق جميع الآلهة وأنه بذلك قد أفرَّ في تلك الليلة التى مرَّت على تلك « الخيمة » من عمر الزمن وكان صباحها ذلك الغد الذى يتحدث عنه هذا المؤلف قائلاً و ؛

« لما كان الغد جلس موسى ليقضى للشعب فوقف الشعب أمامه من الغداة إلى العشي . »

فلما رأى حو موسى جميع ما يصنع للشعب قال ؛ ما هذا الذى أنت تصنعه للشعب ؟ وما بالك جالساً وحدك وجميع الشعب واقفون أمامك من الغداة إلى العشي ؟

فقال موسى لحيه ؛ إن الشعب يأتوننى فيتلتمسوا أمر الله ، إذا كانت لهم دعوى يأتوننى فأقضى بين الرجل وصاحبه وأعرفهم فرائض الله وشرائعه .

(١) الإصحاح ١٨ « سفر الخروج »

(٢) الإصحاح ١٨ « سفر الخروج »

فقال موسى حموه ؛ ليس ما تصنعه بحسن ! » (١)

وفي الواقع أن التاريخ الديني لهذه الجماعة الفطرية ليدلنا على أنها لم تكن في مُستهل حياتها تدرى أى عمل اغضب الرب جلاب وأى الأعمال لمرضاته جاذب .. فلم تكن لها شريعة تعرف في لائحة أحكامها وقوانينها الفرائض والعبادات .. لهذا السبب كما يقول هذا المؤلف اليهودي ؛

« قال حمو موسى له ؛ ليس جيداً الأمر الذى أنت صانع . إنك تكيل ! ... »

الآن اسمع لصوتى فأنصحك ..

كُنْ أنت للشعب أمام الله وقدّم أنت الدعاوى إلى الله . وعلمهم الفرائض والشرائع وعرفهم الطريق الذى يسلكونه والعمل الذى يعملونه وأنت تنظر من جميع الشعب ذوى قدرة .. وتُقيمهم عليهم رؤساء ألوف ورؤساء مئات ورؤساء عشرات . فيقضون للشعب كل حين . ويكون أن كل الدعاوى الكبيرة يجيئون بها إليك ..

إن فعلت هذا الأمر .. تستطيع القيام !

فسمع موسى لصوت حميه وفعل كل ما قال . » (٢)

وهنا ..

هنا يجب علينا أن نتمهل قليلاً أمام هذه النصوص التى مرّت الأجيالُ بها مروراً عابراً غافلة عن ما تحمل في ثناياها من جرثومة خطيرة هى بهذا التنظيم الجديد ، تُكوّن نواة « دولة » رَمَى إليها هذا المؤلف بنظره

(١) الاصحاح ١٨ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ١٨ « سفر الخروج »

بينما كان على شاطئ الفرات يرسف في قيود الأسر البابلي ويمهد لها بهذه السطور التي منَح بها نفسه مُطلق الحرية في أن يتحدث عن موسى ، عليه السلام ، وفق هواه ويسترسل في حديثه من حيث حلَّت جماعة إسرائيل في «حوريب» ليقول :إنها لم تحلّ هناك إلّا لردح من الزمن قصير ثم غادرته إلى سفوح سيناء .

والآن .. الآن وقد وصل مؤلف « سفر الخروج » إلى سيناء نراه يُشمر عن ساعديه ويبدأ في صياغة رواية جديدة يستهلها من حيث قال ؛ « في الشهر الثالث بعد خروج بني إسرائيل من أرض مصر ... جاؤا إلى برية سيناء .. وهناك نزل إسرائيل مُقابل الجبل وأما موسى فصعد إلى الله !. » ^(١)

وهنا ، يجب أن تنبّه إلى أن هذا المؤلف اليهودي إذ يستعمل في نصوصه كلمة « الله » فليس المقصود بهذه الألوهية إلّا « يهوه » .. وليس إلّا عن « يهوه » هذا يتحدث هذا المؤلف اليهودي وبُكل روايته هذه قائلا ؛

« صعد موسى إلى الله فناداه الربُّ من الجبل قائلا ؛

كذا تقول لآل يعقوب وتُخبر بني إسرائيل ؛ أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين !.. فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب !.. وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة !. » ^(٢)

(١) الأصحاح ١٩ « سفر الخروج »

(٢) الأصحاح ١٩ « سفر الخروج »

مملكة ؟ .. وأمة ؟ ! ..

لا جدال في أن الأسس التي ألقاها هذا المؤلف اليهودي في حوريب بتنصيبه على الجماعات رؤساء ينقسمون إلى عدة مراتب هي التي قد بدأ يشيد عليها البناء في سيناء حيث راح يُسَطَّر بأن هناك قد سجّل الزمنُ تكون « الكهنوت الإسرائيلي » وقيام « مملكة كهنة » ونشأة « أمة مقدسة » و « شعب مختار » ..

يُحدثنا مؤلف « سفر الخروج » بأن الكهانة قد بدأت لدى هذه الجماعة قبل أن يبدأ عندها الدين وإِنَّها إلى « أمة » قد تحوّلت في ذلك اليوم الذي كان عهداً فيه بالخروج من مصر غير بعيد يوم شاهدت فيه ، لأول مرة ، جبل سيناء فوقفت أمامه مبهورة بينما راح يهز الأعطاف منها شوق إلى « يهوه » مُلِحُّ يابى إلاّ الرؤية ! .

إن هذه الجماعة تريد أن ترى ربّها ! .

وهنا نصفى إلى رواية المؤلف اليهودي وهو يحدثنا عن هذا الحدث قائلاً بأن عند ذلك ؛

« ردّ موسى كلام الشعب إلى الرب . فقال الرب لموسى ؛

ها أنا آتٍ اليك في ظلام السحاب لكي يسمع الشعب حينئذ أنكأتم معك فيؤمنوا بك ..

اذهب إلى الشعب وقدّسهم اليوم وغداً . وايفسلوا ثيابهم . ويكونوا مستعدين لليوم الثالث لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء ! . » (١)

غفرانك يا الله ! .

مرة أخرى لا نسمعنا إلا الاستغفار أمام هذه النصوص التي وإن كانت لا تعنى بالرب هذا إلا « يهوه » إلا أنها قد راحت تتجاوز المدى بنى افترائها على موسى ، عليه السلام ، بقولها هذا عنه وهو أنه قال إن الرب سينزل أمام عيون بنى إسرائيل وذلك ليؤمنوا بصدقه فيما قال وإن ذلك سيكون بعد ثلاثة أيام وإن عليهم الاستعداد ، خلال هذه الأيام المحددة ، للملاقاة الرب نازلًا في ظلام السحاب إلى قمة سيناء . عليهم أن يفسلوا ثيابهم ويتبأوا .
واسكن .. حذار ! ..

« احترزوا من أن تصعدوا إلى الجبل أو تمسوا طرفه !

فكل من يمس الجبل يُقتل قتلًا ! ..

يرجم رجلاً أو يُرمى رميًا ! ههيمه كان أم إنسانًا لا يعيش ! »^(١)

ولكن :

« عند صوت البوق فهم يصعدون إلى الجبل ! »^(٢)

واستعد بنو إسرائيل ، على حدّ رواية هذا المؤلف اليهودي ، وغسلوا ثيابهم وارتدوها نظيفة وبدأوا يزحفون نحو سفوح الجبل بينما أرهفت منهم المسامحة تفتتير سماع دوى البوق من أعلى يعلن نزول الرب على الجبل
هو :

حدث في اليوم الثالث لما كان الصبح أنه صارت

(١) الاصحاح ١٩ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ١٩ « سفر الخروج »

رعود وبروق وسحاب ثقیل على الجبل وصوت بوق شديد جداً فارتعد
كل الشعب الذى فى الحلة ! .» (١)

ارتعد كل فردٍ كان فى هذه الحلة ثمّ مذعوراً ، على حدّ
قول هذا المؤلف ، تراجع عن مطالبه الأفراد من هذه الجماعات ولاكن ؛
« أخرج موسى الشعب من الحلة لملاقاة الله ! .» (٢)
« الله » ؟ ! .

كلا ؟ . إننا لم ننس أن هذا المؤلف اليهودى إذ يتكلم عن «يهوه»
بصيغة الألوهية فانه لا يعنى فى واقع القول إلاّ إله إسرائيل هذا الذى يحدثنا
عنه قائلاً بأنّ « شعبه » قد خرج بمجموعه لملاقاته وأنهم فى انتظار نزوله على
الجبل تراصّوا ؛

« ووقفوا فى أسفل الجبل .. » (٣)

ثمّ !

ثمّ ماذا حدّث ! .

سؤالٌ نلقيه إلى مؤلف هذا « السفر » بينما نلقى إليه المسموع
منّا ونحن نسمعه يحدثنا قائلاً بأنّ سرعان ما جاءت اللحظة المرتقبة ! . فلقد
تلبّدت سماء سيناء بالغيوم وجاجت جوانبها بالرعود .. وما برقت فى الأفق
البروق إلاّ وانطلق بوق من مُحتجب مصدر يُعلن أنه قد ؛

« نزل الربّ على جبل سيناء ! » (٤)

(١) الاصحاح ١٩ سفر الخروج

(٢) الاصحاح ١٩ « سفر الخروج »

(٣) الاصحاح ١٩ « سفر الخروج »

(٤) الاصحاح ١٩ « سفر الخروج »

و :

« كان جبل سيناء كله يُدَخِّن من أجل أن الرب نزل

عليه بالنار. (١)

بالنار ؟ ! .

سؤالٌ نلقيه عبْر الأجيال إلى هذا مؤلف اليهودي وبالشرح لا يضمن علينا هذا المؤلف انذى يكمل روايته هذه قائلاً بأن إله إسرائيل قد نزل ، للإلتقاء بأبناء إسرائيل ، بالنار ، وأن لهذا قد دخّن جبل سيناء كله ؛

« وصعد دخانه كدخان الأتون ! . (٢)

وهكذا يروح مؤلف « سفر الخروج » يُصوّر لنا على شريط الماضي هذا المشهد انذى استوحاه من وحى خياله العجيب بينما يستطرد في حديثه مسترسلاً يقول بأن أمام دخان متسكّاف أخذ يزداد تكاثفاً وأمام بوق منطلق أخذ يترأّد دويه على دوىٍ دويّاً اشتد الفرع بهذه الجماعة ، فلقد ؛

« كان صوتُ البوق يزداد اشتداداً جداً وموسى يتكلّم واللهُ يجيبه بصوت ! . . » (٣)

صورةٌ صارخةُ الألوان من صُور الأساطير إنما هي هذه الصورة التي يُصوّرُها هذا المؤلف اليهودي للسفر الثانى من « الأسفار الخمسة » المنسوبة افتراءً إلى موسى ! .. بل وإنها لصورة استنفدت من هذا المؤلف جهداً في تصويرها حتى أنه غفل عن اختلاق صيغة يحدثنا بها عن لون ذلك الحديث الذى دار بين المُتكلّم ، كما يدعى ، والمجيب بينما كان بنو إسرائيل فى سفح

(١) الأصحاح ١٠ « سفر الخروج » (٢) الأصحاح ١٩ « سفر الخروج »

(٣) الأصحاح ١٩ « سفر الخروج »

الجليل يسمعون .. وكأَنَّمَا قد شجَّت قريحته فاكتفى بأن يقول بأن عند ذاك ؛

« دعا الله موسى إلى رأس الجبل . فصعد موسى .. » (١)

ولسكن ، هذا المؤلف قد نسي ما قد سطرَّ قبل قليل حينما قال بأن على هذه الجماعة عند سماعها البوق أن تصعد الجبل ، كما بذلك جاءت التعليمات من قبل ، فراح بسطرَّ بأن عند ذاك ؛

« قال الرب لموسى ؛ انحدر حذرَّ الشعب لثلاثاً يقتحموا إلى الرب لينظروا فيسقط منهم كثيرون ! ولينقدس أيضاً الكهنة الذين يقتربون إلى الرب لثلاثاً يبطش بهم الرب ! .. »

اذهب انحدر ثم اصعد أنت وهرون معك . » (٢)

وهنا .. يُسمَّر هذا المؤلف اليهودي عن ساعديه مُستجماً قواه من جديد ويسترسل محدثاً بأن موسى قد انحدر من حيث كان الدخان يتصاعد حاملاً إليهم هذه الشريعة وكلمهم قائلاً ؛

لقد ؛

« تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً ؛

أنا الرب إلهك ! .. »

لا يكن لك آلهة أخرى أمامي .

لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما ممَّا في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض .

لا تسجد لهم ولا تعبدن لأنى أنا الرب إلهك إله غيور

(١) الاصحاح ١٩ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ١٩ « سفر الخروج »

افتقد ذنوب الآباء في الجبل الثالث والرابع من مبغضى . واصنع إحساناً إلى
أولف من محبي وحافظي وصاياي .

لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا . لأن الرب لا يبرئ
من نطق باسمه باطلاً .

اذكر يوم السبت لتقدسّه !

سنة أيام تعمل وتصنع جميع عملك . وأما اليوم السابع ففيه
سبّت للرب إلهك . لا تصنع عملاً ما أنت وإبنك وابنتك وعبدك وأمتك
وبهيمتك ونزليك الذي داخل أبوابك . لأن في ستة أيام صنع الرب السماء
والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع . لذلك بارك الرب
يوم السبت وقدسه .

أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي
يُعطيك الرب إلهك .

لا تقتل . لا تزن . لا تسرق . لا تشهد على قريبك شهادة
زور . لا تشته بيت قريبك . لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمتة ولا ثوره
ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك .» (١)

لا جدال في أن في بعض ما تتضمنه هذه النصوص نواحي
أخلاقية رفيعة إلا أننا لن نبتئين أبداً ماهية هذه القيم الأخلاقية ومرتبها بين
القوانين الوضعية لعالم الشرق القديم إلاّ تحت أضواء العصور السبّاقة على وجود
« بنى إسرائيل » ، وذلك مكانه بعد صفحات .. وأما الآن فحسبنا أن نتابع
مؤلف « سفر الخروج » وهو يخرج بنا من هذا المشهد محاولاً اقناعنا بأن

(١) الإصحاح ٢٠ « سفر الخروج »

« الصوت » عن أعالى سيناء جاء رهيباً أنزع الجوانب عن هذه الجماعة بالفزع حتى أنهم قد ؛

« ارتعدوا ووقفوا من بعيد وقالوا لموسى ؛ تكلم أنت معنا
فنسمع ولا يتكلم الله معنا لئلا نموت !
فقال موسى للشعب ؛ لا تخافوا !. » (١)

لا تخافوا ! .

« لا تخافوا لأن الله إنما جاء لكي يمتحنكم ولكي تكون
مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطئوا .
فوقف الشعب من بعيد .

وأما موسى فاقرب من الضباب حيث كان الله ! .. » (٢)
وفي الضباب حدث أن ؛

« قال الرب لموسى ، هكذا تقول لبني إسرائيل ؛
أتم رأيتم أننى من السماء تكلمت معكم .

لا تصنعوا معى آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب .

مذبحاً من تراب تصنع لى وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك غنمك
وبقرك . فى كل الأماكن التى فيها أصنع لاسمى ذكرأتى إليك وأباركك .
وإن صنعت لى مذبحاً من حجارة فلا تبنيه منها منحوتة .
إذا رفعت عليها إزميلك تدنسها . ولا تصعد بدرج إلى مذبحى كيئلا تنكشف
عورتك عليه ! . » (٣)

(١) الاصحاح ٢٠ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٢٠ « سفر الخروج »

(٣) الاصحاح ٢٠ « سفر الخروج »

وهنا .. هنا يريد هذا المؤلف اليهودى أن يقول بأنَّ في ذلك « اليوم » قد سُجِّلَ في سَجَلِ الأديان قيام الدين اليهودى ..

إن الدين اليهودى ، هذا الدين الذى يدين به يهود العالم اليوم والذى يعود بوجوده المباشر إلى خادم موسى ، يشوع بن نون ، كما سيتجلى ذلك بعد قليل ، ليس هو ، كما يدعى مؤلف «سفر الخروج» ، بدين إلى موسى يعود.. ثم إنه دين لن نستطيع أن نستطيع تمام الاستجلاء ما لم نستعرض الأحكام التى كونته وهذه تضم السنن التى أسستها والتكاليف التى فرضها على أتباعه من تلك المجموعة من الناس التى كانت لا تؤلفها إلا وحدة الأرومة وإلا مجموعة تقاليد وبعض قيم ورثتها عن أصول مختلفة من أمم الشرق القديم فلا دين هناك بين أفراد هذه الجماعة كن يوحّد ولا شريعة هناك كانت على قوانينها هذه الجماعة تسير حتى ، كما يحدثنا مؤلف اليهودى ، كان ذلك « اليوم » الذى كلمهم فيه إلههم من أعلى الجبل وجاءهم بتلك الشريعة التى كونتها القيم الأخلاقية التى بسردها قد مررنا والتى على أثرها جاءت « الأحكام » . وهنا نستطيع أن نقول إنه لما كان الحكم على أية شريعة يأتي من نفس الأحكام التى أتت بها وبالتالى لما كان الحكم على أية جماعة دينية يأتي من نفس ماتقبله هذه الجماعة من أحكام فلا بد لنا من مواصلة الإصغاء إلى هذا المؤلف وهو يواصل الحديث مُسجلاً تلك الأحكام التى يقول عنها بأنها جاءت فى سيناء ، مقتطفين منها ما فيه الكفاية للدلالة على مكانة هذه الجماعة البدائية فى درجات الاجتماع .. فالمؤلف اليهودى يحدثنا بأن فى ضباب سيناء ، أيضاً ، حدث أن « قال الرب لموسى » :

« وهذه هى الأحكام التى تضع أمامهم :

إذا اشتريت عبداً عبرانياً فست سنين يخدم وفى السابعة يخرج حُرّاً...

من ضرب إنساناً فمات يُقتل قتلاً وليسكن ! الذى لم يتعمد
جل أوقع الله فى يده فأنا أجعل مكاناً يهرب إليه ...

إذا نطح ثورٌ رجلاً أو امرأة فمات يُرجم الثور ! . وأماً
صاحب الثور فيكون بريئاً ! ..

إن نطح الثور عبداً أو أمةً يُعطى سيده ثلاثين شابل فضة
والثور يُرجم ! ..

وإذا نطح ثورٌ إنساناً ثورٌ صاحبه فمات يبيعان الثور الحى
ويقتسمان ثمنه والميت أيضاً يقتسمانه لكن ! إذا علم أنه ثور نطّاح من
قبل ولم يظبطه صاحبه يعوّض عن الثور بثور والميت يكون له .^(١)

ثم ؟ .. ثم ؛

« كل من اضطجع مع بهيمة يُقتل قتلاً !

من ذبح لآلهة غير الرب يهلك ...

لا تسب الله . لا تاعن رئيساً فى شعبك ! ..

وأبكار بنيك تُعطى ! كذلك تفعل ببقرك وغنمك . سبعة

أيام مع أمه وفى اليوم الثامن تعطى إياه ! .^(٢)

ثم ؟ .. ثم ؛

« ثلاث مرات تُعَيّد لى فى السنة .

تحفظ عيد الفطر تأكل فطيراً سبعة أيام كما أمرتك فى وقت

شهر أيبب لأنه فيه خرجت من مصر . ولا يظهروا أمامى فارغين !

(١) الإصحاح ٢١ « سفر الخروج »

(٢) الإصحاح ٢٢ « سفر الخروج »

وعيد الحصاد أبكار غلاتك التى تزرع فى الحقل .

وعيد الجمع فى نهاية السنة عندما تجمع غلاتك من الحقل .

ثلاث مرات فى السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب .

لا تذبح على خمر دم ذبيحتى . ولا يبت شحم عيذى الى القد !

أول أبكار أرضك تحضره الى بيت الرب إلهك .

لا تطبخ جدياً بلبن أمه ! .. »^(١)

هذا هو اللثون الجوهري من هذه « الأحكام » التى يرويهها هذا المؤلف اليهودى ويقول إنها جاءت إلى جماعةٍ ما حلت فى سفح سيناء إلا واستمر بين ضلوعها اللهب المتأجج شوقاً إلى بلوغ « الأرض الموعودة » ! .. ثم ليتخذ هذا المؤلف من هذه الرغبة مادة يستهل بها مرحلة جديدة خطيرة فى تاريخ عقيدة « الأرض الموعودة » إذ يجعل الصفحات منها تبدأ على سفوح سيناء فى الانتشار ..

وبقيناً .. إن مؤلف « سفر الخروج » ليتخذ من سفوح سيناء صفحةً يُسطر عليها تاريخ « بيوت إسرائيل » أو هذه الجماعة التى يُحدثنا عنها قائلاً بأنها ما حلت سفوح سيناء إلا وألمبت فكرة « الأرض الموعودة » منها الخيلة حتى المدى الذى بدأت به هذه « البيوت » تُطالب بامتلاك « الأرض الموعودة » ...

ولكن ! .. ها هى ذى الأيام من حولها تنصرف رتيبة والأمل بامتلاك « الأرض الموعودة » يتباعد حتى ليبدو فى مدى التفكير سراباً يدفع بها إلى التملل فالملل ! .

أين « الوعد » ؟ ..

همهمةً أطلقها مؤلف « سفر الخروج » على سفوح سيناء وجعل رياح الشك تدفعها من كل جانب بينما سكن إلى نفسه يتساءل ؛ علامّ اللّاحج ؟ ! . صبراً ، فماذا لو أنّ « يهوه » لإسرائيل يقول ؛

« ها أنا مرسل ملاكاً أمام وجهك ليحفظك في الطريق وليجئ بك إلى المكان الذي أعددت له .. فإنّ ملاكى يسير أمامك ويحيى بك إلى الأموريين والحيثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين فأبيدهم ! .. أرسل هيبتي أمامك وأزعج جميع الشعوب الذين تأتي عليهم وأعطيك جميع أعدائك مدبرين . وأرسل أمامك الزنابير فتطرد الحويين والكنعانيين والحيثيين من أمامك ! . (١)

ولكن ! ..

« لا أطردهم من أمامك في سنة واحدة لئلا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البرية ! قليلاً قليلاً أطردهم من أمامك إلى أن تُثمر وتملك الأرض . واجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر !

فإني أدفع إلى أيديكم سُكَّان الأرض فتطردهم من أمامك !
لا تقطع معهم ولا مع آلهتهم عهداً !
لا يسكنوا في أرضك لئلا يجعلوك تحطىء إلى ! . » (٢)

ومن هنا ينعطف مؤلف « سفر الخروج » ناحية العاطفة ويقول ..

وهكذا ؛

« جاء موسى وحدّث الشعب بجميع أقوال الربّ وجميع الأحكام . فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا ؛ كل الأقوال التي تكلم بها الربّ نفعل .

فكتب موسى جميع أقوال الربّ .

وبكّر في الصباح وبني مذبحاً في أسفل الجبل وإثني عشر عموداً لأسباط إسرائيل الإثني عشر . وأرسل فتيان بني إسرائيل فأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة للربّ من الثيران .

فأخذ موسى نصف الدم ووضع في الطسوس . ونصف للدم رشّه على المذبح . .

وأخذ موسى الدم ورشّ على الشعب وقال ؛

هو ذا دم العهد الذي قطعه الربّ معكم على جميع هذه للأقوال ! . »^(١)

ثمّ إنّ الربّ ؛

« قال لموسى ؛ اصعد إلى الربّ أنت وهرون وناداب وأيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل واسجدوا من بعيد . ويقترب موسى وحده إلى الربّ وهم لا يقتربون . وأمّا للشعب فلا يصعد معه . »^(٢)

ثمّ ؟ . .

« ثمّ صعد موسى وهرون وناداب وأيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل ! »^(٣)

(١) الإصحاح ٢٤ « سفر الخروج » (٢) الإصحاح ٢٤ « سفر الخروج »

(٣) الإصحاح ٢٤ « سفر الخروج »

« رأوا إله إسرائيل » ؟ ! .

سؤال ، نلقيه إلى هذا المؤلف اليهودي ، وهو علينا لا يرضى
بالجواب . . بل يجهلنا بالإيجاب قائلا ؛

« رأوا إله إسرائيل ! وتحت رجله شبه صنعة من العقيق
الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة .

ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل . » (١)

أمام هذه الرواية التي تسجلها نصوص من هذا « السفر »
نُصِّح كل الصراحة في قولها بأن أشراف إسرائيل رأوا « إله إسرائيل »
رأى العين ورأوا رجله ورأوا يده لا يسع الفكرُ منّا إلا أن يطرق للحظة !
لاسيما والنصوص في هذه الرواية قد تجاوزت المدى إذ استرسلت تقول بأن
أشراف إسرائيل قد عادوا يقولون للجماعة المنتظرة في أسفل الجبل بأنهم قد
رأوا إله إسرائيل وأنه وإن كان لم يمد لهم يده فانما هم معه قد :

« . . أكلوا وشربوا ! . . » (٢)

والآن ؟ .

الآن يحق لنا أن نتساءل ؛ أية الصلات كانت الصلة التي
يجعلها هذا المؤلف اليهودي قائمة بين « يهوه » وبين « جماعة يهوه » ؟ !

لا جدال في أن « مشكلة الصلة » تُعتبر في الدوائر الفكرية
أهمّ ناحية في مشكلة التفكير الإلهي وأعقّ مشكلات الألوهية إطلافاً ولكننا
إذ نلّقى في هذا الصدد هذا السؤال فليس إلّا لنترك الإجابة عنه لهذه النصوص

(١) الاصحاح ٢٤ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٢٤ « سفر الخروج »

التي تأتينا بصورة عن هذه « الصلة » ساذجة كل السذاجة ، نابعة من نفس تفكيرها عن « يهوه » نفسه وآتية من خلال تصويرها لألوهية « يهوه » ولماهية هذه الألوهية !.. ولما كان العقل في هذه الجماعة لم يتعرّض لمشكلة ما من مشكلات التفكير الإلهي فقد أخذت هذه الجماعة هذه العقيدة عن هذه النصوص وكما صوّرها لها هذا المؤلف اليهودي الذي يأتي إلّا أن يكمل تصويره لهذه الصورة فيسترسل محدثاً بأنه بينما كان أشراف إسرائيل يحدثون الجماعة عن رؤيتهم في أعلى لإله إسرائيل وكيف رأوا رجليه وكيف أكلوا معه وشربوا إلّا وأعقب ذلك أن :

« قال الرب لموسى ؛ اصعد إلىّ إلى الجبل وكُنْ هناك .. فأعطيك لوحىّ الحجارة والشريعة والوصية التي كتبها لتعليمهم .

فقام موسى ويشوع خادمه . وأما الشيوخ فقال لهم ؛ اجلسوا ههنا حتى ترجع اليكم وهو ذا هرون وحوور معكم .. فغطّى السحاب الجبل .. ودخل موسى في وسط السحاب وصعد إلى الجبل .

وكان موسى في الجبل أربعين يوماً وأربعين ليلة .»^(١)

وهناك .. هناك « في وسط السحاب » ؛

« كلم الرب موسى قائلاً ؛

كلم بنى إسرائيل أن يأخذوا الى مقدمة ! من كلّ من يحشّه قلبه تأخذون تقدمتى . وهذه هي المقدمة التي تأخذونها منهم ؛

ذهب وفضّة ونحاس !

واسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص وجلود كباش

(١) الإصحاح ٢٤ « سفر الخروج »

محمرة وجلود تحرس وخشب سنط وزيت المنارة وأطياب لدهن المسحة
وللبخور العطر وحجارة جزع وحجارة ترصيع للرداء والصدرة . فيصنعون
لى مقدساً لأسكن فى وسطهم . . » (١)

كيف ؟ ...

لا حاجة بنا إلى القاء هذا السؤال فأثما بالتفصيل يحىء من
هذا المؤلف اليهودى الإيضاح بأن « إله إسرائيل » قد واصل الكلام واضعاً
شروط المسكن وفى سط بنى إسرائيل فلقد ؛
« كلم الرب موسى قائلاً .. ؛ بحسب جميع ما أنا أريك
من مثال المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون ؛

فيصنعون تابوتاً من خشب السنط طوله ذراعان ونصف
وارتفاعه ذراع ونصف . وتغشيه بذهب نقى . من داخل وخارج تغشيه !
وتصنع عليه أكليلاً من ذهب حواليه وتسبك له أربع حلقات من ذهب وتجعلها
على قوائمه الأربع . على جانبه الواحد حلقتان وعلى جانبه الثانى حلقتان . .
وتضع فى التابوت الشهادة التى أعطيك .

وتصنع غطاء من ذهب نقى طوله ذراعان ونصف وعرضه
ذراع ونصف ، وتصنع كرويين من ذهب . صنعة خراطة تصنعهما على طرفى
الغطاء .

فاصنع كروباً واحداً على الطرف من هنا وكروباً آخر على الطرف
من هناك ! . . ويسكون الكروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق مظللين
بأجنحتهما على الغطاء ووجهاهما كل واحد إلى الآخر . نحو الغطاء يسكون

وجها الكرويين وتجميل الغطاء على التابوت من فوق ...
وأنا أجتمع بك هناك !

واتكلم معك من على الغطاء ، من بين الكرويين
الذين على تابوت الشهادة بكل ما أوصيك به إلى بني إسرائيل ا. « (١)
ثم ؟ ! . ثم ؛

« تصنع مائدة من خشب السنط طولها ذراعان وارتفاعها
ذراع ونصف . وتُغشَّيها بذهب نقي . وتصنع لها إكليلا من ذهب حوالها .
وتصنع لها حاجبا على شبر حوالها . وتصنع لحاجبها إكليلا من ذهب حوالها ..
وتصنع صحافها وصحونها وكاساتها وجاماتها التي يسكب بها
من ذهب نقي ! ...

وتجعل على المائدة خبز الوجوه أمامي دائما ! ... » (٢)
ثم ؟ . ثم ؛

« تصنع منارة من ذهب نقي !
تكون كاساتها وعجرها وأزهارها منها . وست الشعب
خارجة من جانبيها ...

في الشعبة الواحدة ثلاث كاسات لوزية بعجره وزهر . وفي
الشعبة الثانية ثلاث كاسات لوزية بعجره وزهر . وهكذا إلى الست الشعب
الخارجة من المنارة ..

جميعها خرطة واحدة من ذهب نقي !
وتصنع سرجها سبعة . فتصعد سرجها اتضيء إلى مقابلها .
وملاقطها ومنافضها من ذهب نقي . من وزنة ذهب

(١) الإصحاح ٢٥ « سفر الخروج » (٢) الإصحاح ٣٥ « سفر الخروج »

نقى تصنع مع جميع هذه الأواني !»^(١)

إن هذه لإنارة « المسكن » . وأما « المسكن » ؟ ...

« وأما المسكن فتصنعه من عشر شقق بوص مبروم
وأسمانجوني وأرجوان وقرمز .

بكروبيم صنعة حائك حاذق تصنعها !

طول الشقة الواحدة ثمان وعشرون ذراعاً وعرض الشقة
الواحدة أربع أذرع .

قياساً واحداً لجميع الشقق !

تكون خمس من الشقق بعضها موصول ببعض وخمس شقق
بعضها موصول ببعض . وتصنع عرى من أسمانجوني على حاشية الشقة
الواحدة في الطرف ومن الموصّل الواحد . وكذلك تصنع في حاشية الشقة
الطرفية من الموصّل الثاني .

خمسين عروة تصنع في الشقة الواحدة وخمسين عروة تصنع
في طرف الشقة الذى في الموصّل الثاني . تكون العرى بعضها متقابل لبعض .
وتصنع خمسين شظائلاً من ذهب . وتصل الشقتين بعضها ببعض
بالأشظة فيصير المسكن واحداً .

وتصنع شققاً من شعر ممزى خيمة على المسكن . إحدى عشرة شقة
تصنعها ، طول الشقة الواحدة ثلاثون ذراعاً وعرض الشقة الواحدة أربع أذرع .

قياساً واحداً للإحدى عشرة شقة !

وتصل خمساً من الشقق وحدها وستاً من الشقق وحدها
وثنتى الشقة السادسة في وجه الخيمة

(١) الاصباح ٢٥ * سفر الخروج *

وتصنع غطاء للخيمة من جلود كباش محمرة . وغطاء من جلود
نخس من فوق .! « (١)

ثم ، ماذا بعد ذلك ! .. بعد ذلك ؛

« تصنع الألواح للسكن من خشب السنط . .

طول اللوح عشرة أذرع وعرض اللّوح الواحد ذراع ونصف ...
وتصنع الألواح للسكن عشرين لوحاً إلى جهة الجنوب نحو
التيمن ...

ولجانِبِ السكن الثاني إلى جهة الشمال عشرين لوحاً ... ولتؤخر السكن
نحو الغرب تصنع ستة ألواح . . .

وتصنع عوارض من خشب السنط . خمساً لألواح جانب
السكن الواحد . وخمس عوارض لألواح جانب السكن الثاني . وخمس
عوارض لألواح جانب السكن في المؤخر نحو الغرب . والعارضة الوسطى في
وسط الألواح تنفذ من الطرف إلى الطرف . وتغشى الألواح بذهب . وتصنع
حلقاتها من ذهب . . وتغشى العوارض بذهب .

وتقيم السكن كرسمة الذي أظهر لك في الجبل .! « (٢)

ثم ، ماذا بعد ذلك ! .. بعد ذلك ؛

« تصنع حجائباً من أسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص

مبروم . صنعة حائك حاذق يصنعه بكروبيم !

وتجمله على أربعة أعمدة من سنط مغشاة بذهب . رزرها

من ذهب ! ..

(٢) الاصحاح ٢٦ « سفر الخروج »

(١) الاصحاح ٢٦ « سفر الخروج »

وتجعل الحجاب تحت الأشرطة . وتدخل إلى دنك داخل الحجاب
تابوت الشهادة فيفصل لسك الحجاب بين القدس وقوس الأقدس .

وتجعل الفطاء على تابوت الشهادة فى قدس الأقدس . وتضع
المائدة خارج الحجاب والنارة مقابل المائدة على جانب المسكن نحو
اليمين . وتجعل المائدة على جانب الشمال .

وتصنع سَجْفًا لدخل الخيمة من أسمانجوتى وأرجوان
وقرمز وبوص مبروم صنعة الطراز !

وتصنع للسَّجف خمسة أعمدة من سنط وتغشيها بذهب .
رززها من ذهب ! .. » ^(١)

ثمَّ ، ماذا بعد ذلك ! . بعد ذلك ؛

« تصنع المذبح من خشب السنط ! طوله خمس أذرع
وعرضه خمس أذرع مُربَّعًا يسكون المذبح . وارتفاعه ثلاث أذرع ..

وتصنع قدوره لرفع رماده ورفوشه ومراكبه ومناشله
ومجاره جميع آنيته تصنعها من نحاس ..

كما أظهر لك فى الجبل هكذا يصنعونه ! .. » ^(٢)

ثمَّ ! . ثمَّ ؛

« تصنع دار المسكن ! ..

طول الدار مئة ذراع وعرضها خمسون فمسون وارتفاعها
خمس أذرع من بوص مبروم وقواعدها من نحاس .

(١) الاصحاح ٢٦ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٢٧ « سفر الخروج »

جميع أواني المسكن في كل خدمته وجميع أوتاده وجميع أوتاد
الدار من نحاس !

وأنت تأمر بنى إسرائيل أن يُقدِّموا إليك زيت زيتون
مرضوض نقياً للضوء لإضاءة السرج دائماً ! » (١)
ثم ... ثم بعد ذلك ؛

« قرب إليك هرون أخاك وبنيه معه من بين بنى إسرائيل
ليُكهن لى !

هرون ناداب وأبيهو اليعازار وإيثامار بنى هرون .
واصنع ثياباً مقدَّسة لهرون أخيك للمجد والبهاء !
وتُكلم جميع حكماء القلوب الذين ملأهم روح حكمة أن يصنعوا
ثيابَ هرون لتقدِّسه ليُكهن لى .
وهذه هى الثياب التى يصنعونها ؛

صدره ورداء وجبة وقميص مخرم ، وعمامة ومنطقة ..
فيصنعون الرداء من ذهب واسمانجوني وأرجوان وقرمز
وبوص مبروم صنعة حائك حاذق ! ..

وتصنع طوقين من ذهب . وسلسلتين من ذهب نقيّ .
مجدولتين تصنعهما صنعة الضفر وتجعل سلسلتى الضفائر فى الطوقين .

وتصنع صدره قضاء ... تكون مربَّعة مثنِيَّة طولها شبر
وعرضها شبر . وتُرصَّع فيها ترصيع حجر أربعة صفوف حجارة . صفّ عقيق
أحمر وباقوت أصفر وزمرّد الصفّ الأول . والصفّ الثانى بهرمان وباقوت

(١) الأصحاح ٢٧ « سفر الخروج »

أزرق وعقيق أبيض . والصف الثالث عين الهرّ وبشم وجهشت . والصف الرابع زبرجد وجزع وبشب .

تكون مطوّقة بذهب في ترصيعها ! ..

وتصنع على الصدر سلاسل مجدولة صنعة الضفر من ذهب نقي ...
وتصنع جبّة الرداء كلها من أسمانجوني وتكون فتحة رأسها في وسطها ... وتصنع على أذيالها رُمّانات من أسمانجوني وأرجوان وقرمز على أذيالها حوالياها . وجلجل ذهب بينها حوالياها .

جلجل ذهب ورمانة جلجل ذهب ورمانة على أذيال الجبّة حوالياها . فتكون على هرون للخدمة ليُسمع صوتها عند دخوله إلى القدس أمام الرب وعند خروجه لئلا يموت ! ...
ولبنى هرون تصنع أقصعة وتصنع لهم مناطق وتصنع لهم قلانس للمجد والبهاء .

وتلبس هرون أخاك إياها وبذيه معه وتمسحهم وتملأ أياديهم وتقديسهم ليكهنوا إلى .

وتصنع لهم سراويل من كتان لستر العورة .^(١)

وأما ماذا « تصنعه لهم لتقديسهم ليكهنوا إلى » فأتما :

« هذا ما تصنعه لهم لتقديسهم ليكهنوا إلى ؛

خذ ثوراً واحداً ابن بقر وكبشين صحيحين . وخبز فطير وأقراص فطير ملتوتة بزيت . من دقيق حنطة تصنعها . وتجعلها في سلة واحدة وتقديّمها في السلة مع الثور والكبشين .

وتُقدِّم هرون وبنوه إلى باب خيمة الاجتماع وتغسلهم بماء .

وتأخذ الثياب وتُلبس هرون القميص وجبة الرداء والرداء والصدرة وتشده بزئار الرداء . وتضع العمامة على رأسه وتجعل الإكليل المقدس على العمامة . وتأخذ دهن المسحة وتسكبه على رأسه ..

وتُقدِّم النور إلى قدَّام خيمة الاجتماع . فيضع هرون وبنوه أيديهم على رأس النور .

فتذبح الثور أمام الربّ عند باب خيمة الاجتماع . وتأخذ من دم الثور وتجعله على قرون المذبح بأصبعك وسأثر الدم تصبّه إلى أسفل المذبح .

وتأخذ كل الشحم الذى يُفسّتى الجوف وزيادة الكبد والكليتين والشَّحَم الذى عليهما وتوقدها على المذبح .

وأما لحم الثور وجلده وفرثه فنحرقها بنار خارج المحلّة .

هو ذبيحة خطيّة .

وتأخذ الكبش الواحد فيضع هرون وبنوه أيديهم على رأس الكبش .

فتذبح الكبش وتأخذ دمه وترشه على المذبح من كل ناحية . وتقطع الكبش إلى قطعه . وتفصل جوفه وأكارعه وتجعلها على قطعه وعلى رأسه . وتوقد كل الكبش على المذبح .

هو محرقة للربّ . رائحة سرور ! وقود هو للربّ !

وتأخذ الكبش اثنان فيضع هرون وبنوه أيديهم على رأس

الكبش .

فتذبح الكبش وتأخذ من دمه وتجعل على شحمة أذن هرون وعلى شحم آذان بنيه اليمنى . وعلى أباهم أيديهم اليمنى . وعلى أباهم أرجلهم اليمنى . وترش الدم على المذبح من كل ناحية !

وتأخذ من الدم الذى على المذبح ومن دهن المسحة وتنضح على هرون وثيابه وعلى بنيه وثياب بنيه معه .

ثم تأخذ من الكبش الشحم والأليئة والشحم الذى يُفَشَّى الجوف وزيادة الكبد والكليتين والشحم الذى عليهما والساق اليمنى . فإنه كبش ملىء . ورغيفاً واحداً من الخبز وقرصاً واحداً من الخبز بزيت ورقافة واحدة من سلة الفطير التى أمام الرب . وتضع الجميع فى يدى هرون وبنيه تُردّها ترديداً أمام الرب . ثم تأخذها من أيديهم وتوقدها على المذبح فوق المحرقة .

رائحة سرور أمام الرب . وقود هو الرب !

ثم

تأخذ الفص من كبش الملىء الذى لهرون وتُردده ترديداً أمام الرب فيكون لك نصيباً ! وتُقَدِّس فص التريد وساق الرفيعة الذى ردد والذى رفع من كبش الملىء ممّا لهرون وبنيه . فيكونان لهرون وبنيه ...

وأما كبش الملىء فتأخذه وتطبخ لحمه فى مكان مقدس . فياً كل هرون وبنوه لحم الكبش والخبز الذى فى السلة عند باب خيمة الاجتماع ..

وإن بقى شيء من لحم الملىء أو من الخبز إلى الصباح تحرق الباقي بالنار . لا يؤكل لأنه مقدّس !

وتصنع لهرون وبنيه هكذا بحسب كل ما أمرتك . سبعة أيام
تملأ أيديهم .

وتُقدّم ثور خطية كل يوم لأجل الكفارة .
وتطهر المذبح بتكفيرك عليه وتمسحه لتقدسه . سبعة
أيام تكفر على المذبح وتقدسه فيكون المذبح قدس الأقداس ! ..»^(١)
وأما ماذا سيقدم على المذبح ؟ .. فسؤال ناقيه إلى هذا
المؤلف اليهودي وليأتينا منه هذا الجواب ؛
« هذا ما تُقدّمه على المذبح ؛

خروفان حوليان كل يوم دائماً ؛
الخروف الواحد تقدمه صباحاً
والخروف الثانى تقدمه فى العشيّة .
وعُشُر من دقيق ملتوت ربع الهين من زيت الرضّ .
وسكيب ربع الهين من الخمر للخروف الواحد .
والخروف الثانى تقدمه فى العشيّة مثل تقدمه الصباح وسكيبية
تصنع له .

رائحة سرور وفود الربّ !
مُحرقة دائمة فى أجيالكم عند باب خيمة الاجتماع ... حيث
اجتمع بكم لأكله هناك ! ..»^(٢)
نم ؟ ! .

(١) الاصحاح ٢٩ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٢٩ « سفر الخروج »

ثمَّ :

كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا :

وَأَنْتَ تَأْخُذُكَ أَنْفَرُ الْأَطْيَابِ !

مُرَّاقِظًا خَمْسَ مِئَةِ شَاقِلٍ

وَقَرْفَةَ عِطَارَةٍ نِصْفَ ذَلِكَ مِئَتَيْنِ وَخَمْسِينَ

وَقِصْبَ الذَّرِيرَةِ مِئَتَيْنِ وَخَمْسِينَ

وَسَلِيخَةَ خَمْسَ مِئَةٍ ، بِشَاقِلِ الْقُدُسِ . وَمِنْ زَيْتِ الزَّيْتُونِ هَيْنًا .

وَتَصْنَعُهُ دِهْنًا مَقْدَسًا لِلْمَسْحَةِ ! .. » (١)

لا يسعنا أمام هذه النصوص إلا أن نتوقف قليلاً لأنَّ هذا المؤلف اليهودي يحمل إلينا بها نعمة هي على بني إسرائيل جديدة كل الجدة لا لأنه لا عهد لإسرائيل بها في تلك الفترة الزمنية التي يتحدث عنها هذا المؤلف فحسب وإلّا لأن هذه العناصر التي تجمع هذا الجمع و « بالزيت المقدس » تمزج وتعد « للمسحة » لم نعرفها إلاّ لمصر القديمة وكانت قاصرة على الملوك يوم كانت قبضتهم تمتلك السُلطة الدينية إلى جانب المدنية فأى هدفٍ ، من ثمَّ ، يستهدفه مؤلف « سفر الخروج » من وراء هذه النصوص ؟ !

أريد هذا المؤلف اليهودي أن يُشير لنا بهذا القول إشارة لا نكون مخطئين إذا قلنا إنها إشارة مباشرة بأن موسى كان يريد أن يصبح ، بهذه « المسحة » ، في بني إسرائيل مَلِيكًا ؟

لاشك في أن هذا ما يدعّيه هذا المؤلّف وأنه بهذا القول طيفين لموسى ، عليه السلام ، رسالة هو عنها لا بهذا الحديث الذي يجعله صادراً

عن « إله إسرائيل » إلى موسى والذي يختتمه بهذا النص ؛
« ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء
لوحي الشهادة لوحى حجر مكتوبين بأصبع الله ! »^(١)
ولكن ! ..

هنا يطالع علينا مؤلف « سفر الخروج » برواية جديدة عن حدثٍ
آخر جديد . . فهو يحدثنا عن لوافح ذلك الشك العاصف الذي عصف بالقلب
من إسرائيل وأحاط بموسى في خلال تلك الليالي التي غابها في معارج سيناء ..
وايقول لنا بأن هذا الشك قد اتخذ مظهر الحنين اللاعج إلى ما قد ترك « بيوت
إسرائيل » في مصر من ألوان عبادة شعبية رمزت إلى معبودها بتمثال عجل ..
ومن ثم فليوالى المسمع منا إلى هذا المؤلف الإصفاء وهو
بواصل الحديث قائلاً ؛

« ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع
الشعب على هرون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا
موسى ، الرجل الذي أصددنا من أرض مصر ، لا نعلم ماذا أصابه !
فقال لهم هرون : انزعوا أفراط الذهب التي في آذان نساءكم وبنيتكم
وأتوني بها .

فنزح كل الشعب أفراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى
هرون . فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنمه عجلاً مسبوكة ! ..
فلما نظر هرون بنى مذبحاً أمامه ونادى هرون وقال ؛
غداً عيد للرب !

فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة
وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للأعب !» ^(١)
كيف؟! ..

نحن لا نستطيع أن نمر بهذه النصوص مروراً عابراً
ولا يسعنا إلا أن نفق أمامها متسائلين :
كيف يمكن أن يحدث هذا وهذا المؤلف نفسه كان قد ذكر ،
من قبل ، بأن شيوخ إسرائيل وعلى رأسهم هرون قد رأوا رأى العين «إله
إسرائيل» وأنهم قد عادوا من أعلى الجبل مقتنعين بما رأوا وبه مؤمنين ؟ ! .
ثم في غضون غيبة أوسى في طوايا سيناء يصنع هرون عجلاً مسبوكاً من ذهب
ويبنى له مذبحاً ثم يسعى إليه « بنو إسرائيل » بالذبائح للأكل والشرب ! وما
فرغوا من ذلك إلا وقاموا يلعبون ناسين « يهوه » إله إسرائيل ؟ ! .

سؤال يتدفق بنفسه إلى الخاطر بينما نسمع يواصل الإصغاء
إلى هذا المؤلف اليهودي وهو يواصل الحديث قائلاً بأنه ما طاب لبني إسرائيل
الله وما استطابوه ومارحوا يلعبون ويقدمون الذبائح ، لا إلى « يهوه » وإنما
إلى الرب الذي صور هرون على شبه عجل ، إلا وفجأة ، بصحبة يشوع بن
نون ، هبط ؛

« موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده ! لوحان
مكتوبان على جانبيهما . من هنا ومن هنا كانا مكتوبين .
واللوحان هما صنعة الله ! والكتابة كتابة الله منقوشة على
اللوحين ! » ^(٢)

(١) الاصحاح ٣٢ « سفر الخروج » (٢) الاصحاح ٣٢ « سفر الخروج »

وحدث أن :

« سمع يشوع صوت الشعب في هتافه فقال لموسى ؛ صوت قتال في
المحلة ؟ فقال ؛ ليس صوت صياح النصره ولا صوت صياح الكسرة .
بل صوت غناء أنا سامع !

وكان عندما اقترب من المحلة أنه أبصر العجل والرقص !» (١)

أبصر موسى عجلاً مسبوكاً من ذهب حوله ترح جماعة
إسرائيل راقصة ويذهب بها المرح من حوله كل مذهب كما أبصر هرون واقفاً
أمام هذا العجل وله يكهن ؛

« فغى غضب موسى وطرح اللوحين من يده وكسرها !» (٢)

حتماً كان أن ترتج لمراى موسى جماعة إسرائيل وعلى رأسها
هرون وأن ترسم على الوجوه علامة استفهام غريبة كما كان حتماً أن يرتد
الواحد تلو الآخر جفلاً أمام قطع متناثرة من « لوحى حجر مكتوبين بأصبع
للله ونفسها صنعة الله » ..

لا جدال في أن الألواح لم تكن بالشئ الجديد فالزمن إنما
زمن سجلاته ألواح وقوانينه وأحكامه وعقائده كانت على الألواح تُحفر وتُسَطَّر
ومتاحف عصرنا الحاضر مترعة بهذه الألواح . . . وإنما الجديد فى هذين اللوحين
هو أنهما « صنعة الله » والكتابة عليهما « كتابة الله » وبنفس « أصبع الله »
ومن ثم فهما لوحان لا كالألواح !..

وأما كيف كسر موسى هذين « اللوحين » فلم يكن ذلك

(١) الاصحاح ٣٢ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٣٢ « سفر الخروج »

إلا أثر انتفاضة غضب من هذه الجماعة المرتدة وأما كيف عادت هذه الجماعة إلى حظيرة « الرب » فسؤال جوابه عند هذا المؤلف الذى تابع روايته وفي غير تورّع راح يُصور موسى مقبلاً على هذه الجماعة يحدّثها قائلاً بأنه وهو فى أعلى الجبل حدث أن ؛

« قال الرب لموسى ؛

اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر . زاغوا سريعاً عن الطريق الذى أوصيتهم به صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل !

فالآن اتركنى ليحى غضبى عليهم وأفنيهم !..
فتضرّع موسى أمام الرب إلهه وقال ؛

لماذا يارب يحى غضبك على شعبك الذى أخرجته من أرض مصر ؟ ! .

لماذا يتكلم المصريون قائلين ؛ أخرجهم بخصب ليقتلهم فى الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض ؟ !

ارجع عن حوى غضبك واندم على الشرّ بشعبك ! اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل ! عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم ؛ أعطى نسلكم كل هذه الأرض التى تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد !

فندم الرب على الشرّ الذى قال إنه يفعله بشعبه ! .^(١)

لو استطعنا تصوير هذه اللحظة من التاريخ اليهودى لانحسرت

أمامنا جليلة في ضوء التحليل النفسي الشخصية التي كتبت هذه السطور ولتجسّلت في يدنا العناصر التي كوّنَت الدين اليهودي الحالي . . وهذا يُحتم علينا أن نزداد اقتراباً من هذا المؤلف اليهودي لارتباط هذا الدين به أنتم ارتباطاً وأن نصغي إليه وهو يُكمل روايته هذه قائلاً بأن موسى كسر الألواحين :

« ثم أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعماً وذراه على وجه الماء . . . وسقى بني إسرائيل ! . » (١)
ثم ؟ . . . ثم إلى هرون ، كما يحدثنا هـ — هذا المؤلف اليهودي ، خلا موسى :

« وقال موسى لهرون ؛ ماذا صنع بك هذا الشعب ؟ ! . . . فقال هرون ؛ لا يحم غضب سيدي ! أنت تعرف الشعب أنه في شرّ ! فقالوا لي اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأنّ هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ؟ فقلت لهم ؛ مَنْ له ذهب فلينزعه ويعطني ! فطرحته في النار فخرج هذا العجل ! . » (٢)

وهنا . . . هنا يأتي مؤلف « سفر الخروج » إلّا أن يسير بروايته هذه حتى النهاية فيقول بأن عند ذاك :

« وقف موسى في باب المحلّة وقال ؛ مَنْ الربّ قائل !
فاجتمع إليه جميع بني لاوى فقال لهم ؛ هكذا قال الربّ
إله إسرائيل ؛

ضعوا كل واحد سيفه على نَحْذِهِ ومُسرُّوا وارجعوا من باب

(١) الاصحاح ٣٢ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٣٢ « سفر الخروج »

إلى باب في المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه .

ففعّل بنو لاوى بحسب قول موسى . ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل !

وقال موسى ؛ املأوا أيديكم اليوم للرب حتى كل واحد بإبنة وبأخيه ! فيعطيك اليوم بركة ! . » ^(١)

والآن . . الآن وقد أنهى هذا المؤلف هذه المجزرة البشرية ولطّخ كل واحد بدم أخيه وإبنة وصاحبه وقريبه ، فليس إلّا ليتحول بخياله طاوياً به ليلة من عمر التاريخ الإسرائيلي مرت على هذا الحدث ليسرع بعد ذلك يُشمر عن ساعده ويسطر ؛

« وكان في الغد أن موسى قال للشعب ! أنتم قد أخطأتم خطية عظيمة . فأصعد الآن إلى الربّ لعلّي أكفر خطيتكم .

فرجع موسى إلى الربّ وقال ؛ آه . قد أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة ، وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب ، والآن . إن غفرت خطيتهم وإلّا فاحنى من كتابك الذى كتبت ؛

فقال الربّ لموسى ؛ من أخطأ إلىّ أمحوه من كتابى . والآن اذهب أهد الشعب إلى حيث كلمتك . . . » ^(٢)

اذهب . . ؛

« اذهب إصعد من هنا أنت والشعب ! . . إلى الأرض

(١) الاصحاح ٣٢ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٣٢ « سفر الخروج »

التي حلفت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً : لنسلك أعطيها ! . . أرض تفيض لبناً وعسلاً ! »^(١)

وهكذا . . هكذا يعود بنا هذا المؤلف اليهودي وينعطف ناحية « الأرض الموعودة » . . . هذه « الأرض » التي لذكورها ، كما تحمل إلينا منه النصوص ، اهتزت الأعطاف من بني إسرائيل طرباً انعطفت به نفوسهم ناحية « يهو » من جديد . . .

ولكن . . هنا يطلع علينا هذا المؤلف اليهودي برواية أخرى جديدة محورها « إله إسرائيل » هذا الذي هبط به بعد هذا الحدث مباشرة من قم الجبل إلى وسط بني إسرائيل حتى لا تغيب العين منه لحظة عن هذه الجماعة التي اختارها لنفسه « شعباً » ويستهل هذه الرواية قائلاً إن :

« الرب قد قال لموسى : قل لبني إسرائيل أنتم شعب صلب الرقبة . إن صعدت لحظة في وسطكم أفنيتكم . »^(٢)

ولذلك :

« لا أصدق في وسطك ! »^(٣)

رأى مؤلف « سفر الخروج » أن إسكان « إله إسرائيل » في وسط إسرائيل أفضل من سكنائه الجبل . . ففي سكنائه في وسط « شعبه » خير ضمان كي لا تعود هذه الجماعة إلى ما صنعت يوم طلبت من هرون أن يصنع لها عجلاً مسبوكا وراحت أمامه ترقص ! . . فلم يكن « يهو » في الجبل

(١) الإصحاح ٣٣ « سفر الخروج »

(٢) الإصحاح ٣٣ « سفر الخروج »

(٣) الإصحاح ٣٣ « سفر الخروج »

وقتذاك لما استطاعت إسرائيل أن تصنع ما صنعت ! .. ومن ثمَّ فلتُنصب له بين خيام جماعة إسرائيل خيمة ! .. أبى هذا المأوا ف إلا أن يتأدى فى بهتانه فینسب ذلك إلى موسى قائلا بأن عند ذاك .

« أخذ موسى الخيمة ونصبها له .. ودعاها خيمة الاجتماع .. »

وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة ينزل ويقف عند باب الخيمة .. فیرى جميع الشعب عمود السحاب واقفاً عند باب الخيمة ويقوم كل الشعب ويسجدون كل واحد فى باب خيمته .. » (١)

فإنما فى هذه « الخيمة » ؛

« يتكلم الربّ مع موسى .. وجهاً لوجه كما يُسكّم الرجل صاحبه ! .. » (٢)

ولسكن ! .. هذه « الخيمة » لم تسكن لتترك وحدها قطّ
فإنما إذا تركها موسى لأمره ؛

« كان خادمه يشوع بن نون .. لا يبرح من داخل الخيمة . » (٣)

وهنا .. هنا نرانا نتمهل ، لحظة ، لنقول ؛

ما هذا الخلط الذى يأتيه مؤلف « سفر الخروج » وهو عن تلك « المسكالة القدسية » يتحدث هذا الحديث قائلاً بأن إلى هذه « الخيمة إذا ما أراد الربُّ موسى أو أراد موسى الربُّ » « ينزل الربُّ » وفى « عامود سحاب » يقف بالباب ؟ ! .

(١) الإصحاح ٣٣ « سفر الخروج » (٢) الإصحاح ٣٣ « سفر الخروج »

(٣) الإصحاح ٣٣ « سفر الخروج »

ترهات ! ..

لا جدال أنها لترهات يضيف بها هذا المؤلف إلى أضاليه أضلولة جديدة لاسيما وأنه بعد أن نصب لإله إسرائيل خيمة واسكنه في وسط إسرائيل وجعل العين من « يشوع بن نون » عليها أبداً ساهرة تلفت فرأى أنه لم يصف على مسكن إله إسرائيل مهابة تليق بمرتبة ألوهيته .. ومن ثم شمّر عن ساعده من جديد ليطلع علينا يحدثنا قائلاً بأن بعد أيام من نصب « الخيمة » :

« كلم موسى كل جماعة بنى إسرائيل قائلاً ؛ هذا هو الشيء الذى أمر به الرب قائلاً : خذوا من عندهم مقدمة للرب . . ذهباً وفضة ونحاساً وأسمانجونياً وأرجوناً وقرمزاً وبوصاً وشعر معزى وجلود كباش مخمّرة وجلود تخس وخشب سنط وزيتاً للضوء وأطياباً لدهن المسحة وللبخور العطر وحجارة جزع وحجارة ترصيع للرداء والصدرة .

وكل حكيم القلب بينكم فليأت ويصنع كل ما أمر به الرب !
 المسكن ، وخيمته وغطاؤه وأشطاءه وألواحاه وعوارضه وأعمدته وقواعده .
 والثابوت ، وعصويه والقطاء وحجاب السجف .
 والمائدة ، وعصوبها وكل آئيتها وخبز الوجوه .
 ومنارة الضوء ، وآئيتها وسرجها وزيت الضوء .
 ومذبح البخور ، وعصويه ودهن المسحة والبخور العطر
 وسجف الباب لدخل المسكن .

ومذبح الحرقه ، وشباكة النحاس التى له وعصويه وكل آئيته والمرحضة وقاعدتها .

وأستار الدار ، وأعمدتها وقواعدها وسجف باب الدار .

وأوتاد المسكن وأوتاد الدار ، وأظناها .

والثياب المنسوجة ، للخدمة في المقدس .

والثياب المقدسة لهرؤن السكاكن وثياب بنيه للسكمانية ! . . . »^(١)

ومن ثم :

« خرج كل جماعة بنى إسرائيل من بين يدي موسى
وأتى كل من حرّكه قلبه وكل من سخّط نفسه فجاءوا بتقديمه للرب .. أتى
الرجال والنساء . فجاءوا بأسورة وشنوف وخواتم وقلائد كل متاع من
الذهب ! . . . »

وكل من وجد عنده أسمنجوني وأرجوان وصبغ قرمز وبزّ وشعر
معزى وجلود كباش مصبوغة بالحمرة وجلود سمنجونية أتى بها . وكل من كان
عنده تقدمة من فضة ونحاس أتى بتقديمه للرب .

وكل من وجد عنده خشب سنط لصنعة ما من العمل أتى به .
وكل امرأة حازقة غزلت بيدها وأتت بغزل من السمنجوني والأرجوان وصبغ
القرمز والبز . . . والأشراف أتوا بحجارة الجوز وحجارة الترصيع . .
وبالطيب والزيت . كل رجل أو امرأة من بنى إسرائيل سخّط نفسه أن
يأتى بشيء لجميع العمل الذى أمر الرب بأن يعمل على يد موسى ، أتى به تطوعاً
للرب ! . . . »^(٢)

(١) الاصحاح ٣٥ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٣٥ « سفر الخروج »

وهنا :

« قال موسى ابني إسرائيل : انظروا إني الرب قد دعا بصلائي بن أوري بن حور من سبط يهوذا . . . لإختراع أمثلة تصنع من الذهب والفضة والنحاس ولنحت الجواهر للترصيع ولنجارة الخشب . . وألقى في قلبه أن يعلم هو وأهليآب بن أحيساماك من سبط دان . . . وملاً قلوبهما حكمة ليصنعا كل صنعة نجار ونسّاج حاذق ومطرز في السمنجوني والأرجوان وصبغ القرمز والبرز وكل صنعة حائك من صانعي كل صنعة . . . » (١)

ومن ثم :

« نادى موسى بصلائي وأهليآب وكل ذى حكمة . . فتسلّموا من بين يدي موسى جميع التقدمة التي جاء بها بنو إسرائيل لأعمال خدمة القدس ليصنعوها . فأقبل جميع الحكماء الذين يصنعون كل أعمال القدس كل امرئ منهم من عمله الذي يصنعه . . .
فصنع المسكن كل ذى حكمة من صانعي العمل . . » (٢)

وأما ما ذا صنعوا ؟ . . فقد :

« صنعوا عشر شقق من برّ مشرور وسمنجوني وأرجوان وصبغ قرمز . طول كل شقة ثمان وعشرون ذراعاً في عرض أربع أذرع . . ولفقوا خمساً من الشقق الواحدة إلى الأخرى وخمساً من الشقق الواحدة إلى الأخرى . وعلوا عرى . . صنعوا خمسين عروة . . وعلوا خمسين شظائلاً

(١) الاصحاح ٣٥ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٣٦ « سفر الخروج »

من الذهب . . وصنعوا خمسين شظائلاً من نحاس . . وعملوا غطاء للخباء من
جلود كباش مصبوغة بالحمر . . وصنعوا ألواحاً للمسكن من خشب السنط. « (١)
هذا بعض ما عملوا . . .

وهنا ؛

« صنع بصائيل التابوت . . وغشاه بذهب نقيّ من داخل
ومن خارج ! . .

وصنع المائدة . . وغشاه بذهب نقيّ . . وصنع الأواني التي على
المائدة صحافها وصحونها وجاماتها وكأساتها التي يسكب بها من ذهب نقيّ .
وصنع المنارة من ذهب نقيّ . . . وصنع مذبح البخور . . وغشاه بذهب نقيّ . .
وصنع دهن المسبحة مقدساً . . والبخور العطر نقياً صنعة
العطار ! . « (٢)

ثم ؛

« صنع مذبح المُحرقة من خشب السنط . . . وصنع المرحضة من
نحاس وقاعدتها من نحاس . . . وصنع الدار . . أستار الدار من بوص
مبروم ! . صنع كل ما أمر به الرب موسى . ومعه أهوليا ب . . نقّاش
ومؤش وطرّاز ! . « (٣)

ولذلك ؛

(١) الاصحاح ٣٦ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٣٧ « سفر الخروج »

(٣) الاصحاح ٣٨ « سفر الخروج »

« من الأسمانجوني والأرجوان والقرمز ، صنعوا ثياباً منسوجة للخدمة في المقدس وصنعوا الثياب المقدسة التي لهرون . . . الرداء من ذهب واسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص مبروم .
مدُّوا الذهب صفائح وقدَّوها خيوطاً ليصنعوها . . كما أمر

الربُّ موسى ...

وصنعوا حجري الجزع محاطين بطوقين من ذهب . . وصنعوا الصدر . . رصَّعوا فيها أربعة صفوف حجارة . صف عقيق أحمر وياقوت أصفر وزمرّد . . والصف الثاني بهرمان وياقوت أزرق وعقيق أبيض . والصف الثالث عين الهر ويشم وجست . والصف الرابع زبرجد وجزع ويشب . . .

وصنع جبّة الرداء صنعة النسّاج كلها من أسمانجوني . . وصنعوا جلاجل من ذهب نقي . وجعلوا الجلاجل في وسط الرمّانات على أذبال الجبّة . . .

وصنعوا الأقصة من بوص صنعة النسّاج ، لهرون وبنيه .
والعمامة من بوص ! .. » (١)

وهكذا :

« فعل موسى بحسب كل ما أمره الرب . هكذا فعل !
وكان في الشهر الأول من السنة الثانية في أول الشهر أن المسكن أُقيم . » (٢)
وعند ذلك ؛

« غطت السعابةُ خيمةَ الاجتماع وملأ بهاء الربُّ المسكن ! .. »

(١) الإصحاح ٢٩ ، سفر الخروج ، (٢) الإصحاح ٤٠ « سفر الخروج »

سحابة الرب كانت على المسكن نهاراً وكانت فيها نار ليلاً
أمام عيون كل بيت إسرائيل !» (١)

والآن ؟... الآن وقد أُقيم « المسكن » على الصورة التي
ارتضاها « إله إسرائيل » ... الآن « وقد سكن إله إسرائيل » وسط
إسرائيل وعن قبة سيناء اتخذ خيمة الاجتماع بدلا ، وذلك لترقب عينه
عن قرب تحركات إسرائيل ، فليس إلا تساءل ؛ أى لون من ألوان
العبادات والتعبد ستؤديه إسرائيل إلى « إله إسرائيل ؟ !... »

سؤال ، نلقيه إلى مؤلف « سفر الخروج » .. ولكن !..
كفّت يد مؤلف « سفر الخروج » عن التسطير وتراخت وهناً من شطحات
خيالٍ تمادى وفي مدى الترهات قطع شوطاً بعيداً ، غير أنّ للاجابة عن هذا
السؤال يهب مؤلف يهودى آخر يناول قلمه ويجره لتؤلف منه سطور السفر
الثالث من « الأسفار الخمسة » وذلك ليحدثنا قائلاً ؛ بأنه ما أُقيم « المسكن »
وما أُقيمت « خيمة الاجتماع » المسماة « خباء المحضر » إلّا لتقوم عبادة
منظمة !.. فلقد قامت نظام طقسية تُنظّم هذه العبادة كما جاءت بذلك ،
في سفوح سيناء ؛

« الشريعة » و « الوصايا »

إن الشريعة كلمة ، كما يحمل مدلولها ، تعنى الأحكام الدينية
والأحوال الشخصية والمدنية والجنائية . فالشريعة هى التى تُنظّم شعائر العبادة
وطقوسها وهى التى تعيّن احتفالات العبادة وتعين الأعياد . ومن ثمّ فى الشريعة

(١) الاصحاح ٤٠ « سفر الخروج »

تأتى للمشكلات الدينية قاطبة ومن أهمها نظرية الخير والشر ومشكلة الجريمة والعقاب وهذه تقود إلى مشكلة النفس وتنهى بدورها إلى استعراض القانون الأخلاقى والقسم الأخلاقية ..

ومن ثمَّ حتما علينا الإصغاء إلى هذا المؤلف للسفر الثالث المسمى فى النسخة الكاثوليكية « سفر الأخبار » وفى النسخة البروتستانتية « سفر اللاويين » وهو يحدثنا عما تحمله هذه الشريعة عند بنى إسرائيل من وصايا وما تفص عليه من أحكام وما تسنه من قوانين .. يستهل مؤلف « سفر اللاويين » حديثه قائلا :

« ودعا الربُّ موسى وكله من خيمة الاجتماع قائلا : كَلِّمْ بنى إسرائيل وقل لهم : إذا قَرَّبَ إنسان منكم قرباناً للربِّ من البهائم فمن البقر والغنم تقربون قرايينكم ! إن كان قربانه محرقة من البقر فذَكَراً صحيحاً يُقرِّبه .. » (١)

إلى أين يُقرِّبه ؟ ..

« إلى باب خيمة الاجتماع يقدمه !

للرضا عنه أمام الرب ! .. » (٢)

وأما كيف يرفع ابن إسرائيل قربانه ؟ « للرضا عنه أمام الرب » .
فهيكذا ؛

« يضع يده على رأس المحرقة . . . ويذبح العجل أمام الرب ؟ ،
وَيُقَرَّبُ بنو هرون ، الكهنة ، الدَّم . ويرشُّون الدَّم مستديراً على المذبح الذى
لدى باب خيمة الاجتماع ! ويسلخ المحرقة ويقطعها إلى قطعها . ويحمل

(١) الاصحاح الأول « سفر اللاويين »

(٢) الاصحاح الاول « سفر اللاويين »

بنو هرون الكاهن ناراً على المذبح و يُرتَّبون حطباً على النار
ويُرتَّب بنو هرون ، الكهنة ، القِطْع مع الرأس والشحم فوق
الحطب الذى على النار التى على المذبح . . . » ^(١)

وأحشاء القربان وأكارعه . .
« وأما أحشائه وأكارعه فيفسلها بماء ويُوقد الكاهن
الجميع على المذبح . . رائحة سرور للرب ! . . » ^(٢)

وإذا كان ابن إسرائيل قد قدّم قربانه من الغنم ؟
« إن كان قربانه من الغنم الضأن أو المعز . . فذَكَراً
حيّاً يُقرَّبُه . ويذبحه على جانب المذبح إلى الشمال أمام الرب .
ويرش بنو هرون ، الكهنة ، دَمه على المذبح مستديراً . .
ويقطعُه إلى قطعه مع رأسه وشحمه ويُرتَّبُ الكاهن فوق
الحطب الذى على النار التى على المذبح .

وأما الأحشاء والأكارع فيفسلها بماء ويُقرَّب الكاهن الجميع
ويُوقد على المذبح . لِمَ أنه محرقة وقود رائحة سرور للرب ! . . » ^(٣)
ولكن ! . إذا كان لا قَبْلَ لغردٍ ما من أبناء إسرائيل بتقديم
الغنم فقدم الطير ؟ . .

إن مؤلِّف « سفر اللاويين » لا يرضى علينا بالإرشاد فيقول ؛

(١) الإصحاح الأول « سفر اللاويين »

(٢) الإصحاح الأول « سفر اللاويين »

(٣) الإصحاح الأول « سفر اللاويين »

« يقرب قربانه من اليمام أو أفراخ اللحم .
يقدمه الكاهن إلى المذبح ويحز رأسه ويوقد على المذبح
ويعصر دمه على حائط المذبح . . » (١)
نم ؛

« يزع حوصلته بفَرثها ويطرحها إلى جانب المذبح شرقاً
إلى مكان الرماد . ويشقّه بين جناحيه لا يفصله ! ويوقده الكاهن على
المذبح فوق الحطب الذى على النار .
إنه محرقة وقود رائحة سرور للرب ! » (٢)

بهذه التقديمات يشرح هذا المؤلف اليهودى الجديد صور العبادة
التي فرضت من « إله إسرائيل » على بنى إسرائيل وبنهج منهج زميليه فى
الادّعاء والافتراء على موسى ، عليه السلام ، ولا يتورّع من القول بأن هذا
ما أملاه « إله إسرائيل » على موسى للرضا عن إسرائيل وللتكفير ! . بل ولا
يقف مؤلف « سفر اللاويين » عند هذا المدى وإنما هو يتأدى فى شططه ويزيد
فى افتراءاته على موسى فيقول بأن « إله إسرائيل » قد كلّم موسى فى « خيمة
الاجتماع » قائلاً :

« إذا قرب أحد قربان تقديم للرب يكون قربانه من دقيق . . » (٣)

بيد أن حذار ! . لا يقرب أحد هذه التقديمة إلا بعد أن ؛

(١) الأصحاح الأول « سفر اللاويين »

(٢) الأصحاح الأول « سفر اللاويين »

(٣) الأصحاح ٢ « سفر اللاويين »

« يسكب عليها زيتاً ويجعل عليها لباناً . ويأتى بها إلى بيى هرون ، الكهنة ، ويقبض منها ملء قبضته من دقيقها وزيتها مع كل لبانها ويوقد الكاهن تذكارها على المذبح . . .
والباقي من التقدمة هو لهرون وبنيه . » ^(١)

وهنا . . . هنا نسأل هذا المؤلف اليهودى الذى سَجَّلَ ، عبر نصوصه ، على نفسه هذه الشراة التى أملت عليه ، نفسها ، هذه النصوص المفتراة قائلين ؛ وإذا جاء أحد من أبناء إسرائيل بتقدمة من الدقيق الخبز . . . وبإجابة اتَّسَمَتْ بأفقع لون من ألوان العبادات البدائية يحىء إلينا الصوت من هذا المؤلف يقول ؛

« إذا قربت قربان تقدمة مخبوزة فى تنّور تكون أقراصاً من دقيق فطيراً ملتوتة بزيت ورقاقاً فطيراً مدهونة بزيت ! . . » ^(٢)

ثم فى استرسال بالغ بلغ من السذاجة أقصى مداه يُحدِثنا هذا المؤلف اليهودى عن ما يمكن تقديمه من الطواجن فيقول ؛

« إن كان قربانك تقدمة من طاجن فمن دقيق بزيت عمله ! . فتأتى بالتقدمة التى تصطنع من هذه إلى الربّ وتُقدّمها إلى الكاهن فيدنو بها إلى المذبح . ويأخذ الكاهن من التقدمة تذكارها . . . والباقي من التقدمة هو لهرون وبنيه ! . . » ^(٣)

(١) الأصحاح ٢ « سفر اللاويين »

(٢) الأصحاح ٢ « سفر اللاويين »

(٣) الأصحاح ٢ « سفر اللاويين »

وَأَمَّا . . . أَمَّا ؛

« إِنْ كَانَ قَرْبَانُهُ ذَبِيحَةَ سَلَامَةٍ فَمِنْ قَرَبٍ مِنَ الْبَقَرِ ذَكَرًا أَوْ
أُنْثَى فَصَحِيحًا يُقَرَّبُهُ أَمَامَ الرَّبِّ ! .

يَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ قَرْبَانِهِ وَيَذْبَحُهُ نَدَى بَابِ خِيَمَةِ الْجَمَاعِ .
وَيُرْشُّ بَنُو هَارُونَ ، الْكَهَنَةُ ، الدَّمُ عَلَى الْمَذْبُوحِ مُسْتَدِيرًا .

وَيُقَرَّبُ مِنَ ذَبِيحَةِ السَّلَامَةِ وَقُودًا لِلرَّبِّ ؛ الشَّحْمُ الَّذِي يُغْشَى
الْأَحْشَاءَ وَسَائِرَ الشَّحْمِ الَّذِي عَلَى الْأَحْشَاءِ وَالْكَلَيْتَيْنِ وَالشَّحْمِ الَّذِي عَلَيْهِمَا
الَّذِي عَلَى الْخَاصِرَتَيْنِ وَزِيَادَةُ الْكَبِدِ مَعَ الْكَلَيْتَيْنِ يَنْزَعُهُمَا وَيُوقِدُهَا
بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى الْمَذْبُوحِ . . رَائِحَةُ سُرُورٍ لِلرَّبِّ ! . » ^(١)

وَأَيْضًا ؛

« إِنْ كَانَ قَرْبَانُهُ مِنَ النَّمِ ذَبِيحَةَ سَلَامَةٍ لِلرَّبِّ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى
فَصَحِيحًا يُقَرَّبُهُ .

« إِنْ قَرَّبَ قَرْبَانَهُ مِنَ الضَّأْنِ يَقْدِمُهُ أَمَامَ الرَّبِّ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى
رَأْسِ قَرْبَانِهِ وَيَذْبَحُهُ قُدَّامَ خِيَمَةِ الْجَمَاعِ

وَيُرْشُّ بَنُو هَارُونَ دَمَهُ عَلَى الْمَذْبُوحِ مُسْتَدِيرًا !

وَيُقَرَّبُ مِنَ ذَبِيحَةِ السَّلَامَةِ شَحْمُهَا وَقُودًا لِلرَّبِّ ؛ الْأَلْيَةُ صَحِيحَةٌ
مِنْ عِنْدِ الْمُعَصِّمِ يَنْزَعُهَا وَالشَّحْمُ الَّذِي يَغْشَى الْأَحْشَاءَ وَسَائِرَ الشَّحْمِ الَّذِي
عَلَى الْأَحْشَاءِ وَالْكَلَيْتَيْنِ وَالشَّحْمِ الَّذِي عَلَيْهِمَا الَّذِي عَلَى الْخَاصِرَتَيْنِ وَزِيَادَةُ

السكربد مع الكليتين ينزعها ويوقدها الكاهن على المذبح طعام وقود
للرب...! »^(١)
وأيضاً ؛

« إن كان قربانه من المعز يُقدّمه أمام الرب . يضع يده على
رأسه ويذبحه قدام خيمة الاجتماع ويرش بنو هرون دمه على المذبح
مستديراً . ويقرب منه قربانه وقوداً للرب الشحم الذي يغشى الأحشاء ..
كل الشحم للرب ! »^(٢)

كل الشحم للرب ؟ .. واللحم ؟ ! اللحم إلى من يذهب ؟ !
سؤال نلقيه إلى هذا المؤلف الذى وإن كان لم يبذرفيقه في
الأضاليل فإتّما هو قد بذّهما في الشراهة تطفح بها هذه النصوص وكأّتما هو
الذى لم يستدر إلا من حول الطعام له تفكير ! . ولكنه عن هذا السؤال لن
يحيينا إلا بعد قليل وبعد أن يسرد ألواناً أخرى من القرايين هى بمثابة
تكاليف دينية وهذه لا تشمل أفراد المجتمع الإسرائيلى فحسب وإّتما أعضاء
هيئة الكهنوت أنفسهم . فلقد :

« كلم الرب موسى قائلاً : إن كان الكاهن الممسوح يُخطئ
لأنّهم الشعب يقرّب عن خطيته التى أخطأ ثوراً ابن بقر ! . . . يُقدّم الثور إلى
باب خيمة الاجتماع أمام الرب . يضع يده على رأس الثور ويذبح
الثور أمام الرب ! . ويأخذ الكاهن الممسوح من دم الثور ويدخل به
إلى خيمة الاجتماع ويغمس الكاهن إصبعه فى الدم وينضح من الدم

(١) الاصحاح ٣ « سفر اللاويين »

(٢) الاصحاح ٣ « سفر اللاويين »

سبع مرات أمام الرب لدى حجاب القدس ! ويجعل الكاهن من الدم على قرون مذبح البخور العطر الذى فى خيمة الاجتماع أمام الرب . وسائر دم الثور يصبّه إلى أسفل مذبح المحرقة .. » (١)

وأيضاً ، إذا أخطأت :

« كل جماعة إسرائيل .. ثم عرفت الخطيئة التى أخطأوا بها يُقَرَّب المجمع ثوراً ابن بقر ذبيحة خطية . يأتون به إلى قُدَّام خيمة الاجتماع ويضع شيوخ الجماعة أيديهم على رأس الثور أمام الرب ويذبح الثور أمام الرب . ويدخل الكاهن المسوح من دم الثور إلى خيمة الاجتماع . ويمس الكاهن أصبعه فى الدم وينضح سبع مرات أمام الرب لدى الحجاب . ويجعل من الدم على قرون المذبح .. وسائر الدم يصبّه إلى أسفل مذبح المحرقة . يفعل بالثور كما فعل بثور الخطيئة . ويحرقه كما أحرق.

الثور الأول ! إنه ذبيحة خطية المجمع » (٢)

وأيضاً ؛

« إذا أخطأ رئيس .. يأتى بقربانه تيساً من المعز ذكراً صحيحاً . ويضع يده على رأس التيس ويذبحه .. ويأخذ الكاهن من دم ذبيحة الخطية بأصبعه ويجعل على قرون مذبح المحرقة ثم يصب دمه إلى أسفل مذبح المحرقة .. فيُصَفِّح عنه .. » (٣)

وأيضاً :

(١) الاصحاح ٤ « سفر اللاويين »

(٢) الاصحاح ٤ « سفر اللاويين »

(٣) الاصحاح ٤ « سفر اللاويين »

« إن أخطأ أحد من عامة الأرض .. يأتى بقربانه عنزاً من المعز أنثى صحيحة .. ويضع يده على رأس ذبيحة الخطية ويذبح ذبيحة الخطية فى موضع الحرقه . ويأخذ الكاهن من دمه بأصبعه ويجعل على قرون مذبح الحرقه ويصب سائر الدم إلى أسفل المذبح ... فيصفح عنه .. » (١)

ولكن ؛

« إن أتى بقربانه من الضأن .. يأتى بها أنثى صحيحة ويضع يده على رأس ذبيحة الخطية ويذبحها ... ويأخذ الكاهن من دم ذبيحة الخطية بأصبعه ويجعل على قرون مذبح الحرقه ويصب سائر الدم إلى أسفل المذبح .. فيصفح عنه . » (٢)

ثم ؛

« إذا أخطأ أحد .. يأتى إلى الرب بذبيحة لإثمه عن خطيته التى أخطأ بها أنثى من الأغنام ، نعجة أو عنزاً من المعز .. وإن لم تنل يده كفاية لشاة فيأتى بذبيحة لإثمه الذى أخطأ به بىماتين أو فرخى حمام .. يأتى بهما إلى الكاهن فيقرب الذى للخطية أولاً يحز رأسه من قفاه ولا يفصله ! وينضح من دم ذبيحة الخطية على حائط المذبح والباقي من الدم يعصر إلى أسفل المذبح .. !

وأما الثانى فيعمله محرقة كالعادة .. فيصفح عنه ! » (٣)

وهكذا تسير النصوص من هذا السفر الثالث من « الأسفار الخمسة » للنسوبة ، افتراءً ، إلى موسى وتسترسل بيد مؤلفها تفرض الفرائض ..

(١) الأصحاح ٤ « سفر اللاويين » (٢) الإصحاح ٤ « سفر اللاويين »

(٣) الأصحاح ٥ « سفر اللاويين »

وأما إذا أعدنا السؤال السابق وقلنا إلى من تذهب لحوم هذه التقدّمات وهذه القرايين؟ .. فالجواب يأتي هنا من هذا المؤلف صريحاً بقول :
 « يأكله هرون وبنوه!.. كل ذكر من بني إسرائيل يأكل منها! .. كل ذكر من الكهنة يأكل منها! .. »^(١)
 أجل ؛

« كل ذكر من الكهنة يأكل منها! .. شريعة واحدة! الكاهن الذي يكفّر بها تكون له! والكاهن الذي يقرب محرقة إنسان فجد المحرقة التي يقربها يكون له . وكل مقدمة خُبزت في التنّور وكل ما عمل في طاجن أو على صاج يكون للكاهن الذي يقربه ! وكل مقدمة متلوة بزيت أو ناشفة تكون لجميع بني هرون! ...
 أمر الرب أن تُعطى لهم ، يوم مسح إياهم من بني إسرائيل...
 أمر الرب بها موسى في جبل سيناء .! »^(٢)
 يقيناً ...

لقد بلغ مؤلف « سفر اللاويين » أقصى المدى في الجشع!.. وفي غير تفريط هوفيه قد أفرط وهذا مما يجعل الفكر ، أمام هذه الصورة التي صورها ، يتمهل بنا قليلاً ساجحاً في لجج التأمل بينما تطلق الخيلة منا تتصور ، إذا أخذنا افتراضاً بقول هذا المؤلف ، يوماً من أيام بني إسرائيل في سفح سيناء .. يوماً لا ينقضى إلاّ بين أنعام تُساق وتذبح ودم يُرشّ وشحم يُوقد وكهنوت يقف بباب « خيمة الاجتماع » يستقبل الوفود الوافدة بخيراتها بكل ما طاب ولذّ « لإله إسرائيل » نظرياً ولكهنوته عملياً بينما عبثاً ترهف

(١) الأصحاح ٦ « سفر اللاويين » (٢) الأصحاح ٧ « سفر اللاويين »

الأذن منا كما تلتقط ورداً من الأوراد الدينية أو من الأناشيد نشيداً أو تسبيحة من صلاة!.. كلاً!.. فليس هناك إلا نعيم بقر وثيران ومائة ضأن وماعز وصفق أجنحة يمام وأفراخ حمام!.. ليس هناك إلا كهنوت استغرقته عملية الذبح ورش الدم وفصل الشحم عن اللحم!.. فانما مؤلف « سفر اللاويين » قد جعل عمل الكهنوت الرسمى ينحصر فى الاهتمام بأمر القرايين وما قد وضع لهذه القرايين من شرائع يقومون على رعايتها فى صورة هذه الطقوس وكأنا هذا المؤلف اليهودى الآخر قد راعى تلك الطقوس التى كانت مرعية فى بلاد ما بين النهرين ، المهد التاريخى لإسرائيل . . فنحن نعلم أن القريان فى بلاد ما بين النهرين كان يتسكون من طعام للمعبود يصحبه إراقة الدماء وتبين ذلك من النقوش التى تركها الزمن على بعض اللوحات والاسطوانات . . على لوح من الألواح البابلية نرى « لوجال زاجيس » ، ملك أوروك ، يقدم خبز التقدمة وماء نقياً لمرب « نيبور » .. ثم على إحدى الاسطوانات نرى قائمة لأنواع التضحيات التى تختلف تبعاً للغرض المراد . ومن أبرز صور هذه القرايين : الثور والبقر والجدى والشاة والطيور . تذبح ويتقبل الرب نصيبه الرسمى منها وأما الباقي فكان هذا الذى يأكله أهل الكهنوت .

أجل!.

منذ الألف الثالث ق . م . كانت الذبائح المضحاة فى بلاد ما بين النهرين تُنظَّم بعناية بالغة حتى أن « جوديا » ، ملك لاجاش ، قد حدد عدد الثيران والنعاج والحملان التى كانت تعد للتضحية بها فى معابد « لاجاش » باسم المدينة لأعياد السنة . بل وقد بلغت عناية « دونجى » ، ملك أور ، بهذه الفرائض غايةا حتى أنه فرض رواتب مادية لحافلى المدن لهذا الغرض كما

يكفل تنظيم الذبائح الشهريّة التي كانت تختلف في كل مدينة عن الأخرى تبعاً للوارد المادية التي كانت توضع تحت تصرّف كل معبد . ومن أهمّ هذه المعابد ومن أشهرها كان « معبد أنو » في « أوروك »

حيث كانت هناك وجبتان للربّ تكوّنان من الشراب والخبز والفاكهة والاحوم التي تقدّم كل صباح وكل مساء . وذلك طبقاً لوثيقة أعيدت كتابتها في عهد « السلوكيين » ومنها نفهم أن الصحاف الرئيسيّة كانت تقتضى وجود إحدى وعشرين خروفاً عمر الواحد منها سنتان عُلفت بالشعير . وأربع نعاج أطعمت باللبن . وخمساً وعشرين نعجة من المرتبة الثانية . وثورين . وعجل رضيع . وثمانية حملان وستين طيراً من نوعين مختلفتين . وثلاث دجاجات . وسبع بطّات . وبيضاً . والخبز المعجون بالزيت . . . وتقدّم كتب الطقوس الخاصة تفاصيل العمليات المتداولة التي تباشر خلال تقدمه هذه القرابين التي كان يسمح بدمائها حوائط المعبد وعلى المتعبدين ، بيد الكاهن ، تُرشّ .

من هذه اللوحة يبرز بنا الخيال عائداً إلى مؤلف « سفر اللاويين » وإليه نعود فنصفى وهو يحدثنا عبر نصوصه هذه المفتراة على موسى قائلاً ؛

« وكلم الرب موسى قائلاً : خذ هرون وبنيه معه والثياب ودهن المسحة وثور الخطية والكبشين وسل الفطير واجمع كل الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع .

ففعل موسى كما أمره الرب ...

ثم قال موسى للجماعة : هذا ما أمر الرب أن يفعل ! . »^(١)

وأما ما هذا الذي يريد الرب أن يفعل؟ . فسرّال لا نلقيه إلى
هذا المؤلف اليهودي إلا ونسمع منه الجواب الذي يُصور ، بهتاناً، هذا المشهد ؛
« قدّم موسى هرونَ وبنيه وغسلهم بماء .

وجعل عليه القميص ونطقه بالمنطقة وألبسه الجبّة وجعل
عليه الرداء ... ووضع العمامة على رأسه ووضع على العمامة إلى جهة وجهه
صفيحة الذهب الإكليل المقدس !..

ثم أخذ موسى دهن المسحة ومسح المسكن وكل ما فيه
وقدسه ونضح منه على المذبح سبع مرات ... وصبّ من دهن المسحة على رأس
هرون ومسحه ليتقدّسه !

ثم قدّم موسى بنى هرون وألبسهم أقمصه ونطقهم بمناطق
وشدّ لهم قلانس » ... (١)

أمام هذه الصورة التي يُصورها قلم مؤلف «سفر اللاويين»
حتماً للفكر منّا أن يتمهل قليلاً وتطويه لجج التفكير في أمر هذه « المسحة »
التي جعل هذا المؤلف موسى يقتناؤها ويمسح بها هرون ليتناولها من بعد
الإسرائيليون عبر عهودهم التاريخية مزيجاً لمسح الملوك ، بينما نتابع هذا المؤلف من
حيث انفضّت يده من تفصيل هرون وبنيه وتعميم هرون بنفس العمامة التي
ظهرت في عصر « جوديا » في بلاد ما بين النهرين ثم أصبحت لباس الرأس
عند حمورآبي ، في نفس الوقت الذي يسترسل فيه هذا المؤلف ويقول بأنّه ما
« قدّم موسى بنى هرون وألبسهم أقمصه » إلّا و ؛

« قدّم ثور الخطيّة ووضع هرون وبنوه أيديهم على

رأس ثور الخطيّة .

فذبحه وأخذ موسى الدم وجعله على قرون المذبح
مستديراً بأصبعه!... ثم صبّ الدم إلى أسفل المذبح!.. وأخذ كل انشحم الذي
على الأحشاء وزيادة الكبد والكليتين وشحمهما وأوقده موسى على
المذبح...
كما أمر الرب موسى!..» (١)

ثم؟.. ماذا هناك، بعد، من افتراءات يفترها مؤلف «سفر
اللاويين» على موسى وهو الذي قال عنه زوراً وبهتاناً أنه ذبح «ثور الخطية
ومسح بالدم قرون المذبح ثم إلى أسفل المذبح صبه صباً؟!.. إن مؤلف «سفر
اللاويين» لا يرعوى!.. فإتّما هذا المؤلف الثالث لثالث «الأسفار»
يسترسل قائلاً؛

«ثم قدّم كبش المَحْرَقَة فوضع هرون وبنوه أيديهم
على رأس الكبش. فذبحه ورشّ موسى الدم على المذبح مستديراً. وقطع
الكبش إلى قطعه وأوقد موسى الرأس والقطع والشحم. وأما الأحشاء
والأكارع ففصلها بما. وأوقد موسى كل الكبش على المذبح! أنه محرقة
لرائحة سرور. وقود هو للرب. كما أمر الرب موسى!..» (٢)

ثم؟..!.. ثمّ ماذا هناك بعد من افتراءات على موسى؟!..
إن هناك هذا الافتراء الجديد الذي يحى به مؤلف «سفر
اللاويين» قائلاً بأن موسى بعد أن «قدّم كبش المحرقة»؛
«قدّم الكبش الثاني.. فذبحه. وأخذ موسى من دمه وجعل
على شحمة أذن هرون اليمنى وعلى أبهام يده اليمنى وعلى أبهام رجله اليمنى!

ثم قدم موسى بنى هرون وجعل من الدم على شحم آذانهم
 اليمنى وعلى أباهم أيديهم اليمنى وعلى أباهم أرجلهم اليمنى .
 ثم رشَّ موسى الدَّم على المذبح مستديراً .

ثمَّ أخذ الشحم ، الأليَّة وكل الشحم الذى على الأحشاء
 وزيادة السكبد والسكيتين وشحمهما والساق اليمنى ، ومن سلّ الفطير الذى
 أمام الربَّ أخذ قرصاً واحداً فطيراً وقرصاً واحداً من الخبز بزيت ورقاقة
 واحدة ووضعها على الشحم وعلى الساق اليمنى . وجعل الجميع على كفئى هرون
 وكفوف بنيهِ وردَّدها ترديداً أمام الربِّ . . . وأوقدها على المذبح ! . . .
 ثم أخذ موسى الصدر . . . لموسى كان نصيباً كما أمر
 الربُّ ! . . . » (١)

ثمَّ ؟ ..

« ثمَّ قال موسى لهرون وبنيه ؛ اطبخوا اللحم لدى باب
 خيمة الاجتماع وهناك تأكلونه والخبز الذى فى سلّ قربان الملء ! . » (٢)
 والآن .. الآن وقد أتانا الجواب عن سؤال كفا قد تساءلناه
 من قبل وهو إلى من يذهب اللحم ، فقد آن لنا أن نسأل عما حدث فى « اليوم
 الثامن » ؟ . وعن هذا السؤال يأتينا هذا الجواب ؛

« فى اليوم الثامن دعا موسى هرون وبنيه وشيوخ إسرائيل
 وقال لهرون ؛ خذ لك عجلاً ابن بقر لذيبة خطية وكبشاً لحرقه صحيحين !
 وقدّمهما أمام الرب . وكلّم بنى إسرائيل قائلاً ؛ خذوا تيساً من المعز لذيبة

(١) الاصحاح ٨ « سفر اللاويين »

(٢) الاصحاح ٨ « سفر اللاويين »

خطية وعجلاً وخروفاً حولين صحيحين محرقة وثوراً وكبشاً لذبيحة سلامة للذبح أمام الرب . وتقدمة ملتونة بزيت ! .. » (١)

لماذا؟! . لقد استعفناً على مؤلف « سفر اللاويين » بمادة الصبر ونحن نؤالي إلى تراهاته الإصغاء وإننا لنستعين بنفس هذه المادة ونحن نسأله هذا السؤال إذ يأتينا في كفر بسين ، منه هذا الجواب :

« لأن الرب يتراءى لكم ! .. » (٢)

ماذا؟! .. أيسر مؤلف « سفر اللاويين » على منوال مؤلف « سفر الخروج » فيقول بترأى الرب ليقف بجماعة إسرائيل كما وقف بها زمي له في أسفل جبل كان البرق من حناياه يودى ومن فجوات فيه يمدخن؟! ..

كلاً .. سرعان ما يستدرك هذا المؤلف اليهودى نفسه فتصرخ المعانى من سطوره تنادى بالآ فزع هناك ولا خوف فأننا « مجد الرب » فقط ، هو الذى سيترأى ! . ومن ثمّ راح بكل روايته هذه قائلاً بأن بنى إسرائيل قد هرّعوا :

« فأخذوا ما أمر به موسى إلى قدّام خيمة الاجتماع . وتقدّم كل الجماعة ووقفوا أمام الرب . فقال موسى : هذا ما أمر به الرب تعملونه فيترأى لكم مجد الرب .

ثم قال موسى لهرون : تقدّم إلى المذبح واعمل ذبيحة خطيتك ومُعْرِقَتِكَ وكفّر عن نفسك وعن الشعب ..

فتقدّم هرون إلى المذبح وذبح عجل الخطية الذى له . وقدم بنو

هرون إليه الدّم . فغمس أصبعه في الدّم وجعل على قرون المذبح ثم صبّ الدّم
إلى أسفل المذبح .. « (١)

يقيناً ، لقد برّ مؤلف « سفر اللاويين » زميليه في مضمار
السفه !... وإذا كان مؤلف « سفر التكوين » قد وصمه بالأنحلال الخلقى وإذا
كان مؤلف « سفر الخروج » قد وصمه بمنحوح الخيـال وشططه فأنما مؤلف
« سفر اللاويين » قد فاق الإثنين في ميدان العقته .. فلا شيء يشتمل « سفره »
عليه إلاّ الذبح ورشّ الدّم على حائط المعبد وصبّه إلى أسفل المذبح وإلاّ غمس
الأصابع به ونضحه على الثياب وعلى شحمة الأذن اليمنى وأباهم اليد اليمنى وأباهم
الرجل اليمنى ... وليخرج من هذا كله بانتقاء ما لذّ له من لحوم هذه الضحايا
مُلقياً بمهام طهيها على هرون نفسه وبنيه ومن معه من طائفة الكهـنوت القاصرة
على « بيت لأوى » ... وأما الشحم والكليتين وزيادة الكبـد من هذه
الذبائح فيناولها هذا المؤلف إلى هرون ويقول إنه قد ؛

« أوقدها على المذبح كما أمر الربّ موسى !. » (٢)

ثمّ ؟! . ثم ماذا سيجعل مؤلّف « سفر اللاويين » ، بعد
ذلك ، هرون يفعل ؟! . لا جدال في أن هذا المؤلف اليهودى ما زال في ضلاله
يسير إذ يسترسل في افتراءه على هرون قائلاً ؛

« ثم ذبح الحرقه ! فناولوه بنو هرون الدّم فرشّـه على المذبح
مستديراً . ثم ناولوه الحرقه بقطعها والرأس . فأوقدها على المذبح . ثمّ غسل
الأحشاء والأكارح وأوقدها فوق الحرقه على المذبح .

(١) الأصحاح ٩ « سفر اللاويين »

(٢) الأصحاح ٩ « سفر اللاويين »

ثمَّ . . أخذ تيس الخطية الذى للشعب وذبحه وعمله للخطيئة
كالأول . . .

ثمَّ ذبح الثور والكبش ذبيحة السلامة التى للشعب وناولته
بنو هرون الدم فرشته على المذبح مستديراً . والشحم من الثور ومن الكبش
الآلية وما يغشى . والكليتين وزيادة الكبدة . ووضعوا الشحم على الصدرين
فأوقد الشحم على المذبح . وأما الصدران والساق اليمنى فرددها هرون ترديداً
أمام الرب .

كما أمر موسى ! . . » (١)

وهنا . . هنا يرسم مؤلف « سفر اللاويين » بنصوصه صورة
تحمل الدليل الوافى على فطريته ومدى السذاجة التى كان عليها فى مضمار التفكير
المنطقي إذ يُحدثنا عن كيف تراءى مجد الرب لهذه الجماعة التى جمعها حلقات
من حول « خيمة الاجتماع » وجعلها تجتمع مطأطئة الرأس تنتظر فى شوق لهيف
ترآئى مجد الرب الذى تراءى بالفعل ، على حدّ ادّعاء هذا المؤلف ، عندما :
« أخذ ابنا هرون ، ناداب وأبيهو ، كل منهما بمجرته وجعللا

فيها ناراً ووضعما عليها بخوراً وقرّبا أمام الرب ناراً غريبة لم يأمرهما بها .
فخرجت نارٌ من عند الرب وأكلتهما فماتا أمام الرب ! . . » (٢)

هذا هو ، كما يُصور مؤلف « سفر اللاويين » ، مجد الرب ! . .
وأما كيف اندلعت هذه « النار » ومن أى مصدر خرجت ؟
ولماذا كانت ! . فهذه أسئلة لا يتركنا هذا المؤلف إزاءها حيارى وهو فى

(١) الأصحاح ٩ « سفر اللاويين »

(٢) الأصحاح ١٠ « سفر اللاويين »

افتراء آتاه على موسى قد تمادى . ومن ثمَّ فلا عجب أن يقطع شوطاً آخر في تماديه وتُصور لنا نصوصه هذه الصورة التي يريد أن يقول لنا بها إن هرون قد أقبل على موسى مستفسراً عن السبب الذي أدَّى إلى مصرع ابنه على هذا النحو ؟ غير أنه عند ذلك ؛

« قال موسى لهرون ؛ هذا ما تكلم به الرب قائلاً ؛ في القريبين هنسى أُنقذس وأمام جميع الشعب أتمجد .

فصمت هرون ... » ^(١)

وهنا .. هنا حتماً يسبح بنا الفكرُ أمام هذا الحديث الذي يحدثنا به مؤلف « سفر اللاويين » عن تفجّر هذه « النار » داخل الخيمة تفجّراً لم يحى عرضاً وإنما كان مدبراً من الرب كيما يتمجد بمصرع هذين الكاهنين ... بل وعلى لوالبه الفكرية يدور الفكرُ منّا أمام هذا الاستفسار الذي يشير إليه مؤلف « سفر اللاويين » ويجعله قد آتى من جانب هرون ليليه هذا الأمر من جانب موسى وليتلوه هذا الصمت من جانب هرون مرة أخرى حتى ليبدو لنا هذا الحديث وكأنما هو معاول تاج بنا إلى الأغوار من النفسية التي كتبت هذا « السفر » ! .. هذه النفسية التي تتكشف عن جبروت عجيب هو موضع الدهول والتعجب نلسه عبر افتراء جديد على موسى يقول بأنه عند ذلك ؛

« دعا موسى ميشائيل والصاقان ، ابني عزيزيل عم هرون ،

وقال لهما ؛ تقدما ارفعا أخويكما من قدام القدس إلى خارج المحلة !

فتقدما ورفعاهما في قيصيهما إلى خارج المحلة ، كما قال موسى . » ^(٢)

كلا !.. لا حاجة بنا إلى التعليق على هذه النصوص فهي تفصح بنفسها عن نفسها ، لا عن مدى الاقتراء على موسى ، عليه السلام ، فحسب وإنما عن مدى القسوة التي بها قد اصططفت وخاصة عندما يتمادى هذا المؤلف اليهودي في شططه ويسترسل في حديثه قائلًا بأن بعد ذلك اتَّجَّه موسى إلى هرون وإلى ابني هرون الباقيين :

« وقال موسى لهرون واليعازار وإيثامار ابنيه : لا تكشفوا رؤوسكم ولا تشقوا ثيابكم لئلا تموتوا ! .. ومن باب خيمة الاجتماع لا تخرجوا لئلا تموتوا !... » (١)

لماذا ؟ !..

هذا سؤال آخر والجواب عنه عسير إذا أحطنا بالمعنى الذي رمى إليه مؤلف « سفر اللاويين » من وراء إبقاء هرون وابنيه الباقيين داخل « الخيمة » فهو قد قدَّر أن « الخيمة » ستحول بين هرون وابنيه من جهة وبين الجماعة من جهة أخرى لفترة يهدأ في خلالها الخاطر من هرون ومن ابنيه الآخرين معاً وتنسى الجماعة هذا الحدث أو تتناساه في نفس الوقت الذي لم ينس هذا المؤلف شرجه الذي تسجله هذه النصوص القائلة :

« وقال موسى لهرون والعاذار وإيثامار ابنيه الباقيين : خذوا النقدمة الباقية من وقائد الرب وكلوها ! ... كلوها في مكان مقدس لأنها فريضة وفريضة بنيك من وقائد الرب . فإنني هكذا أمرت !
وأما صدر التريد وساق الريفة فتأكلونها في مكان طاهر أنت وبنوك وبناتك معاً !... » (٢)

(١) الإصحاح ١٠ « سفر اللاويين » (٢) الإصحاح ١٠ « سفر اللاويين »

لم ينس هذا المؤلف اليهودى الاحتياج إلى المأكّل في خلال تلك الفترة التي جعل هرون وابنيه يقضونها داخل « الخيمة ». بيد أنه عاد فقدّر بأن موقفاً كهذا لابدّ وأن تعاف النفس فيه المأكّل !.. ومن ثمّ راح يسطر بأن ابني هرون قد تركا « تيس الخطية » يحترق ..

« وأما تيس الخطية فإن موسى طلبه فاذا هو قد احترق فسخط على العازار وإيثامار ابني هرون الباقيين وقال : ما لكم لم تأكلوا ذبيحة الخطية ؟ !.. أكلًا تأكلونها في القدس كما أمرت !... » (١)

ولكن !.. فجأة ومرة واحدة يتجاهل مؤلف « سفر اللاويين » هذا الحدث وينصرف في حديثه إلى ما يحاول أن يصرف بنا عنه التفكير ، فيأتى بالجديد من النصوص التي تجرى بسيل من التشاريع الجديدة وكأنما هو يريد أن يقول إنها قد استغرقت ، لا محالة ، التفكير من هذه الجماعة خلال هذه الفترة الزمنية وما بعدها ، وأما هذه التشاريع فيستهلها هذا المؤلف اليهودى قائلاً : « وكلم الربّ موسى وهرون قائلاً : كلّمّا بني إسرائيل قائلين : هذه هي الحيوانات التي تأكلونها من جميع البهائم التي على الأرض ؛ كلّ ماشقّ ظلّفًا وقسمه ظلفين ويحترق من البهائم فإياه تأكلون إلا هذه فلا تأكلوها مما يحترق وما يشقّ الظلف ؛ الجمل .. والوبر .. والأرنب .. والخنزير .. » (٢)

بهذه الصيغة تبدأ تشاريع الطعام وهي تشاريع استمدت أكثر موادها من التشاريع المصرية القديمة وخاصة فيما يختص بأكل الخنزير فقد كان أكله في مصر القديمة محرماً .. ولكن ، ليس هذا كل ما ورد في شريعة

(١) الإصحاح ١٠ « سفر اللاويين »

(٢) الإصحاح ١١ « سفر اللاويين »

المطعم فأنما هناك مواد أخرى وعليها يشتمل الإصحاح الحادى عشر من هذا « السفر » الذى يسترسل مؤلفه قائلا ؛

« وكَلَّمَ الربُّ موسى قائلا ؛ كَلِّمْ بنى إسرائيل قائلا ؛ إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام .. وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين .. ومتى كملت أيام تطهيرها لأجل ابن أو ابنة تأتى بخروف حوليَّ محرقة وفرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خطيئة إلى باب خيمة الاجتماع إلى الكاهن ...

وإن لم تنل يدها كفاية لشاة تأخذ يمامتين أو فرخى حمام الواحد محرقة والآخر ذبيحة خطية فيكفر عنها الكاهن فتطهر ! » (١)

وعلى هذا النمط تتوالى النصوص وبعد « شريعة التى تلد ذكراً أو أنثى » نجىء « شريعة ضربة البرص » وعليها يشتمل الإصحاح الثالث عشر والرابع عشر من هذا « السفر » ولتتلوها « شريعة ذى السيل » والذى ... يضطجع مع نجسة » وعليها يشتمل الإصحاح الخامس عشر وكلها شرائع أترعتها ألوان الدماء لأكثر من نوع واحد من الحيوان .. فنحن نرى فيما شرعه هذا للمؤلف اليهودى مثلاً واضحاً على ذلك عبر هذه النصوص ؛

« كَلَّمَ الربُّ موسى قائلا ؛ هذه تكون شريعة الأبرص يوم طهره . يُؤْتَى به إلى الكاهن .. يأمر الكاهنُ أن يُوخذ للمتطهرَّ عصفوران حيَّان طاهران وخشب أرز وقرمز وزوفا .

ويأمر الكاهن أن يذبح العصفور الواحد فى إناء خرف على ماءٍ حيٍّ . أما العصفور الحىَّ فيأخذه مع خشب الأرز

والقرمز والزوفا ويغمسها مع العصفور الحىّ فى دم العصفور المذبح
على الماء الحىّ وينضح على المتطهر من البرص سبع مرات ...
فيطهر . ! » (١)

بهذه الخرافات يجرى قلم مؤلف « سفر اللاويين » وعند
هذا المدى من التامادى لا يقف بل مستطياً لنفسه التحليق فى هذا الجو الخرافى
يزداد جنوحاً وإلى ترهاته يضيف ترّهة جديدة تسجلها هذه النصوص التى
لا نكون مبالغين إذا قلنا إن الإيمان بقدسيّتها هو ، بعينه ، الكفر الصريح ! ..
فنحن لا نسمعنا إلاّ الإستغفار بينما المسمع منا يصفى إلى هذا المؤلف وهو يحدثنا
هذا الحديث القائل :

« وكلم الربُّ موسى بعد موت ابنى هرون عندما اقتربا
أمام الربِّ وماتا وقال الربُّ لموسى : كلم هرون أخاك أن لا يدخل كل وقت
إلى القدس داخل الحجاب أمام الغطاء الذى على التابوت لئلا يموت ! لأنى فى
السحاب أترأى على الغطاء ! . » (٢)

ولكن ! ! » بهذا يدخل هرون إلى القدس ؛ بشور ابن بقر لذبحة خطيّة
وكبس لحرقة .. »

ومن جماعة بنى إسرائيل يأخذ تيسين من المعز لذبحة خطيّة وكبشاً
واحداً لحرقة .

ويُقرَّب هرون ثور الخطيّة الذى له ويُكفّر عن نفسه وعن بيته .
ويأخذ التيسين وبوقفهما أمام الرب لدى باب خيمة الاجتماع . ويلقى هرون على

(١) الاصحاح ١٤ « سفر اللاويين »

(٢) الاصحاح ١٦ « سفر اللاويين »

التيسين قرعتين قرعة للرب وقرعة لعزازيل ..

التيس الذى خرجت عليه القرعة للرب يعمل ذبيحة خطية
وأما التيس الذى خرجت عليه القرعة لعزازيل فيوقف حياً أمام الرب ليكفر
عنه ليرسله إلى عزازيل إلى البرية .

وبقدم هرون ثور الخطية الذى له .. ويذبح .. ثم يأخذ من دم
الثور وينضح بأصبعه على وجه الغطاء إلى الشرق .. وقدام الغطاء ينضح سبع
مرات من الدم بأصبعه !

ثم يذبح تيس الخطية الذى للشعب ويدخل بدمه إلى داخل
الحجاب ويفعل بدمه كما فعل بدم الثور وينضحه على الغطاء وقدّام الغطاء
فيكفر عن القدس من نجاسات بنى إسرائيل ومن سيئاتهم مع كل خطاياهم .
وهكذا يفعل لخيمة الاجتماع القاعة بينهم في وسط نجاساتهم ! « (١)

ثم ؟ !

« ثم يخرج إلى المذبح الذى أمام الرب ويكفر عنه .
يأخذ من دم الثور ومن دم التيس ويجعل على قرون المذبح مستديراً . وينضح
عليه من الدم بأصبعه سبع مرات ويطهره . ويقدمه من نجاسات بنى
إسرائيل ففعل كما أمر الرب موسى » (٢) .

أو شك ؟ ! . . كلا ! . . يقيناً إن بدم الثور وبدم
التيس يطهر بنو إسرائيل ! .. من نجاساتهم فلقد :

« كلم الرب موسى قائلاً : كلم هرون وبنيه وجميع بنى إسرائيل

(١) الاصحاح ١٦ « سفر اللاويين » (٢) الاصحاح ١٦ « سفر اللاويين »

وقل لهم ؛ هذا هو الأمر الذى يوصى به الرب قائلاً ؛ كل إنسان من بيت إسرائيل
يذبح بقرّاً أو غنماً أو معزى ... وإلى باب خيمة الاجتماع لا يأتى به ليقرب قرباناً
للرب أمام مسكن الرب .. يقطع ذلك الانسان من شعبه ! » (١)

وهنا . . . هنا ينتهى مؤلف « سفر اللاويين » من تشاريع هذه
الشرائع ليبدأ فى فرض الضرائب والأحكام ، وعليها يشتمل الإصحاح الثامن
عشر والتاسع عشر والعشرون والحادى والعشرون والثانى والعشرون من
نفس « سفره » هذا ، وكلها أو بالأحرى جلّها ليست فى موادها ومادتها إلا
رجع الصدى لفرائض وأحكام عرفناها فى مصر القديمة وفى بلاد ما بين النهرين
لاوجه اختلاف إلا فى أن الفرائض والأحكام كانت فى هاتين الحضارتين
القديمتين وضعية وأما فى هذا « السفر » فإياى مؤلفه إلا أن يجعلها منزلة وهو
يسترسل فى حديثه ليحدثنا عما فرضه « إله إسرائيل » على بنى إسرائيل من
« مواسم » و« محافل » حتى ينتهى بنا الإصحاح السابع والعشرون إلى القول بأن
« هذه هى الوصايا التى أوصى الرب بها موسى إلى بنى إسرائيل فى جبل سيناء »

والآن ؟ . . الآن وقد استنفد مؤلف « سفر اللاويين » جهده
فى سرد مواد يقول عنها بأنها « الفرائض والأحكام والشرائع التى وضعها
الرب بينه وبين بنى إسرائيل فى جبل سيناء بيد موسى » ، تترأخى يده عن
الامشاك بالقلم بينما يبرز مؤلف آخر جديد تناول بدوره قلمه ليسطر السفر الرابع
من « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى متخذاً لنصوصه محوراً « الأرض
الموعودة » وليتخذ حديثه نقطة بداية من حيث قال مؤلف « سفر اللاويين »
بأن بناء « مسكن الرب قد تمّ فى الشهر الأول من السنة الثانية للخروج من

مصر » ومن ثم فإن الفترة الضرورية للتهيؤ للعرب قد اكتشفت ومن هنا استهل نصوصه بهذا الافتراء :

« وكَلَّمَ الربُّ موسى في بَرية سيناء في خيمة الاجتماع في أول الشهر الثاني ، في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر ، قائلاً : احصوا كل جماعة بني إسرائيل ! . . من ابن عشرين سنة فصاعداً كل خارج للحرب ! . . » (١)

كل « بيوت إسرائيل » خارجة للحرب إلا بيت « لاوى » . . قائماً الرب قد أعفى « بيت لاوى » من خوض غمار المقاتلة والقتال فلقد :

« كَلَّمَ الرب موسى قائلاً : أما سببط لاوى فلا تحسبه ولا تعدّه بين بني إسرائيل . بل وكلّ اللاويين على مسكن الشهادة وعلى جميع أمتعته وعلى كل ماله . هم يحملون المسكن وكل أمتعته وهم يخدمونه . وحول المسكن ينزلون فعند ارتحال المسكن يُنْزَلُهُ اللاويون وعند نزول المسكن يعيمه اللاويون والأجنبي الذي يقترب يقتل ! . » (١)

أوشك ؟ ! . . كلا ! . . فلقد :

« كَلَّمَ الرب موسى قائلاً : وها إني قد أخذت اللاويين من بين بني إسرائيل ! . . فيكون اللاويون لى ! . . » (٢)

وهنا لم يجد مؤلف « سفر العدد » إلا أن ينهج منهج المؤلفين الثلاثة الذين سبقوه فيسبغ القدسية على ما يفتريه من كلام فراح يخوض في أودية الترهات وينسب إلى موسى ما هو ، عليه السلام ، منه برىء فازداد

(١) الإصحاح الأول « سفر العدد »

(٢) الإصحاح ٣ « سفر العدد »

كفراً بازدياده عليه افتراءً إذ راح يسطر بأن عندذاك وقف موسى ينادى ؛
« إننا راحلون إلى المكان الذى قال الرب أعطيكـم

إياه . ! » (١)

ولما كان حتماً أن ترتفع الأبواق عند إعلان كل حرب فقد
أسرع هذا المؤلف اليهودى الرابع يقول ؛ ورفع ابننا هرون « البوقين
الفضيين » بالدوى المعلن ؛

الزحف الإسرائيلى صوب « الأرض الموعودة »

بصور لنا مؤلف « سفر العدد » هذا الزحف من وحي
خيال تصوّر فلول إسرائيل تسير فى اتباع لسبابة موسى وهى تشير إلى الأرض
الدفاقة باللبن والعسل ثم ليضع هذه الصورة فى إطار فرية على موسى ، عليه
السلام ، جديدة راح يحدثنا بأن القوم قد ؛

« ارتحلوا من جبل الرب مسيرة ثلاثة أيام وتابوت عهد الرب
راحل أمامهم مسيرة ثلاثة أيام ليلتمس لهم منزلاً
وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول ؛ قُمْ يارب ! . . .
وعند حلوله كان يقول ؛ ارجع يارب . ! » (٢)

هذا نص ينطوى على أصرخ ألوان التفكير الخرافى بكل
ما تشتمل عليه هذه الكلمة من المفهوم العلى . فهو من الخرافات التى تنشأ
عن الترابط غير المنطقي ونجد له نظائر بالرجوع إلى تاريخ العقل الإنسانى، منذ

(١) الاصحاح ١٠ «سفر العدد»

(٢) الاصحاح ١٠ «سفر العدد»

عصور ما قبل التاريخ وبدراسة المجتمعات البشرية التي مازالت تعيش عيشة بدائية ولذلك كان من وجهة نظر هذا المؤلف منطقياً طالما أن الرب قد نقل سكناه من الجبل إلى الخيمة وأصبحت غرفته الخاصة هي هذا « التابوت » الذي ألقاه هذا المؤلف على أكتاف « بنى إسرائيل » وبدأ به زحفهم صوب « الأرض الموعودة » ! ..

ولكن ! ..

يأبى مؤلف « سفر العدد » إلا أن يجيء برواية من حول هذا الزحف الذى جعله يتجه صوب « الأرض الموعودة » فهو يتحدثنا بأن هذا الزحف وإن كان قد استهلّ مجراه بالتضام بين سائر أفراد هذا « الجيش » الذى تكون من أبناء إسرائيل بغية الاستيلاء على « أرض » عقد في نفوسهم عنها اليقين بأنها قد مُنحت لهم منحة أبدية فإنما سرعان ما توقف هذا « الجيش » وأحجم ، فى تمرّد ، عن مواصلة المسير ! . فقد حدث أن انتشرت روح التذمر عقب ترك القوم لسيناء فذبّ ديب التفكك فى أواصر هذا الجيش ، ولم يكن هذا بالشىء الغريب . فلقد ارتحلت فلول إسرائيل وسارت وتابوت « عهد الرب » ، الحامل « إله إسرائيل » ، نفسه بينها ومعها راحل ولكنها فى اتجاهها صوب « الأرض الدفاقة باللبن والقياضة بالعسل » لم تستقبل إلا جرداء بعد جرداء ولم تُسلمها أرض جرداء إلا إلى أخرى جرداء حتى ولكانما « الأرض الموعودة » ليست فى مدى الواقع إلا مجرد سراب ! ..

إن جماعة إسرائيل ، كما يتحدثنا مؤلف هذا « السفر » ، لم تقاس قط الوحشة التى قاستها فى خلال هذه الفترة الزمنية التى يتحدث عنها وهى تسير فى أثر هذا « الجيش » الذى ما بدأ زحفه صوب « الأرض الموعودة »

إلّا وتهاقنت فيه الصبوة وإلا وتراجع فيه الجنوح وإلا وتثاقلت منه الخطى
تثاقلاً مصدره هذه الغيايى التى توحى بالفرع من الآتى فزعاً يدفع بالنفس إلى
الماضى والعودة إلى ما قد خلت به الخوالى من الأيام ..

كلا ! . لا إلى سيناء فقد كان العيش فى سيناء غير رغيد وإنما
إلى مصر فقد كان العيش فى مصر ، وإن لم يكن رهيئاً ، غير عسير ! .
إن إسرائيل لم تقاس فى أيام عبودتها فى مصر هذا الشظف
الذى تقاسيه الآن « كجماعة مقدسة » و « وكشعب مختار » ! . فلقد نفشت
الجماعة وعضت بأنبيائها هذه الجموع حتى المدى الذى دفعهم إلى أن يقفوا أمام
أبواب خيامهم يستمرخون ويصرخون وحتى ،

« بكوا وقالوا : من يطعمنا لحماً ؟

قد تذكرنا السمك الذى كنّا نأكله فى مصر مجاناً والقثاء والبطيخ
والسكرات والبصل والثوم .

والآن قد يبست أنفسنا ! .. » (١)

وهكذا ..

هكذا يسير هذا المؤلف اليهودى بروايته ولا يرتضى لها
إكالا إلا بصوت له ينساب بين النصوص يصيح :
يا موسى ! .

ياموسى

أين « اللحم » ؟ أين « السمك الذى كنا نأكله
فى مصر مجاناً » ؟

أين القثاء ؟ والبطيخ ؟ والكراث ؟ وأين البصل ؟...

ياموسى

« لقد ببست أنفسنا » ! ..

وفى الواقع أن هذه الصرخات التى يطلقها مؤلف « سفر العدد » قد تعالت من جماعة إسرائيل فى خلال هذه الفترة الزمنية التى يتحدث عنها ولكن هذا المؤلف إذ يحدثننا عنها فلا يحدثننا إلاّ من خلال وحي خيال تمادى فى الجنوح وعلى ذلك يأتينا الدليل من نفس استرساله هذا بهذه النصوص التى يريد أن تكتمل بها روايته بهذا القول :

« فلما سمع موسى الشعب يبكون بمشاثرهم ، كل واحد فى باب خيمته وحي غضب الرب جداً ساء ذلك فى عيني موسى » .^(١)

وهنا .. هنا تتغير فى يد هذا المؤلف اليهودى الألوان ويبدأ فى رسم صورة جديدة لموسى ، هى فى الواقع صورة ترسمها أضواء التحليل النفسى لهذا المؤلف الذى أراد أن يصور لموسى قدرة خارقة على الإحاطة بنفسية الجماعات وعلى تحويل دفة الأمور من المجرى الصعب إلى المجرى السهل فهو لا يجعله يرد بكأمة واحدة على هذه الصرخات وإنما يجعله يتجه بخطوات وثيدة التحرك ثابتة الحركات ناحية « خيمة الاجتماع » حيث يسكن « يهوه » لتسمعه جماعة إسرائيل شاكياً إياها إلى هذا الرب فلقد :

« قال موسى للرب :

لماذا أسأت إلى عبدك ؟ .. حتى أنك وضعت ثقل

جميع هذا الشعب على !

أولعى ولدته حتى تقول لى أحمله فى حضنك كما يحمل المُرِّى
الرضيعَ إلى الأرض التى حلفت لآبائه ؟ ! .

من أين لى لحم حتى أعطى جميع هذا الشعب ؟ ! ..
لا أقدر أنا وحدى أن أحمل جميع هذا الشعب لأنه ثَقِيل
على ! .. » (١)

يقيناً لقد التوى المقصد على مؤلف « سفر العدد » فهو من
حيث أراد لموسى تبجيلاً أمعن عليه فى الافتراءات . . لا لأنه قد جعله يتحامل
على نفسه بينما كانت مراحل الثورة تغلى فى صدور الجماعات ولا لأنه قد اتجه
به إلى « مسكن الرب » وجعله يتَّجه بصوته إلى الرب كيما يخفف من حدة
السهب المتقد فى الصدر من هذه الجماعات فحسب ، وإنما لأنه قال إن موسى
قد اتَّجه بعد ذلك إلى شيوخ هذه الجماعة وعرفائها محاولاً تذويب عناصر
الحقد التى دفعت بهم إلى محاولة زحزحة موسى نفسه عن منصب القيادة .
فنحن نسمع هذا المؤلف اليهودى يحدثنا قائلاً بأن عند ذلك ؛

« قال الرب لموسى ؛ اجمع لى سبعون رجلاً من شيوخ إسرائيل
الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه وأقبل بهم إلى خيمة الاجتماع فيبقوا
هناك معك . فأُنزل أنا وأنكلم معك هناك .

وآخذ من الروح الذى عليك وأضع عليهم فيحملون معك ثقل
الشعب . فلا تحمل أنت وحدك ! » (٢)
ثم ؛

(١) الأصحاح ١١ « سفر العدد » ؛
(٢) الإصحاح ١١ « سفر العدد »

« للشعب تقول : تقدّسوا للغد فتأكلوا لحمًا ! .. »

تأكلون لا يوماً واحداً ولا يومين ولا خمسة أيام ولا عشرة أيام
ولا عشرين يوماً ! بل شهراً من الزمان حتى يخرج من مناخركم ! وبصير لكم
كراهة لأنكم رفضتم الربّ الذى فى وسطكم وبكيتم أمامه قائلين لماذا خرجنا
من مصر؟ .. » (١)

من أين ! ..

من أين ستأكل هذه الجماعة ، وعلى رأسها شيوخها
ومن فى أيديهم أعنتها ، هذا اللحم ومن أى مصدر سيأتى كل ما يكفى هذه
الجموع من اللحم ؟ .. سؤال ، يأتى عنه الجواب من هذا المؤلف اليهودى الذى
قد راعى أن تكون الفترة الزمنية التى يتحدث عنها هى وقت هجرة طيور
السلوى من كل عام كما قدّر أن موسى ، وهو الذى كان قد عاش فى هذه
البرية سنين طويلة ، له معرفة بموعد هذه الهجرة فى هذا الوقت من كل
عام .. فخرى قلمه بالتسطير يقول بأن عندذاك تسامل موسى ، ولرب :

« قال موسى : ست مئة ألف ماش هو الشعب الذى أنا فى
وسطه وأنت قد قلت أعطيهم لحماً ليأكلوا شهراً من الزمان أذيبح
لهم غنم وبقر ليكفيهم ؟ أم يجمع لهم سمك البحر ليكفيهم ؟ ! ..
فنزّل الرب فى سحابة وتكلّم معه .. »

فخرجت ريح من قبل الرب وسافت سلوى من البحر ...
فقام الشعب كل ذلك النهار وكل ذلك الليل وكل يوم الغد وجمع
السلوى .. » (٢)

(١) الأصحاح ١١ « سفر العدد »

(٢) الأصحاح ١١ « سفر العدد »

ولكن ! ..

« إذ كان اللحم بعد بين أسنانهم ، قبل أن يُقطع ، حمى غضب الرب على الشعب وضرب الرب الشعب ضربة عظيمة جداً ! »^(١)

وهكذا .. مات مشبهوا اللحم واللحم بعد بين أسنانهم لم يقطع .. وذلك ولا شك ، كان عقاباً لهؤلاء المتمردين وأما للآخرين فكان ردعاً وإرهاباً .. ولكن ! . كيف مات هؤلاء ؟ ... هذا سؤال آخر الجواب عنه مطوى في صدر هذا المؤلف الذى لم يكفه افتراء على موسى إلا وقال بأن الموتى لم يواروا التراب إلاّ وقام موسى ،

« فدعا اسم ذلك الموضع «قبروت هتاوة» . لأنهم هناك دفنوا القوم الذين اشتبهوا ! »^(٢)

نم ؟ .. ثم عن «قبروت هتاوة» ، أو قبور الشهوة ، كان لابد من الارتحال السريع فالى أين سيزحف مؤلف هذا « السفر » بهذه الجموع وهو الذى قد أزمع أن يزحف بها صوب « الأرض الموعودة » ؟ .. وإذنه ، فلا بد من أن يسطر قائلاً إن ؛

« من قبروت هتاوة ارتحل الشعب إلى حضيروت »^(٣)

ولكن ! . حدث فى حضيروت أن ؛

« تكلمت مريم وهرون على موسى .

(١) الاصحاح ١١ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ١١ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ١١ « سفر العدد »

فقالا ؛ هل كلم الرب موسى وحده ؟ ! .

ألم يكلمنا نحن أيضاً ؟ ... » (١)

ماذا يريد مؤلف « سفر العدد » أن يقول ؟ ! . . أريد هذا المؤلف اليهودي أن يقول إن هناك سُحْبًا كانت قد بدأت تتجمع بين موسى وبين هرون منذ وقف هرون يَكهن للمجل المسبوك ، ومنذ طلعت تلك « النار الغريبة » وأحرقت ابني هرون وإن هذه السحب قد تكاثفت الآن إلى غيوم في « حضيرت » ؟

أم يريد هذا المؤلف اليهودي أن يقول إن هناك مؤامرة كهنوتية يقف على رأسها رأس الكهنوت نفسه ، هرون ؟ ! . . .
ولكن ..

هنا هو هذا المؤلف رأسه .. ورنث منه العين متألمة هذا الأخ والشريك الذي تجنّى عليه فجعله يتكاتف ومريم على إدارة الكتف لأخيه .. بيد أن سرعان ما أسففت هذا المؤلف قريحته فرأى أن من الأوفق أن تصمت من موسى ، إزاء ذلك ، الشفاء فراح يسطر ؛
« فسمع الرب !

وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً . » (٢)

لا جدال في أن مؤلف « سفر العدد » قد أراد أن يتجلى الحلم الموسوي تجلياً يرسم لنا مداه حينما جعل الشفاء منه تصمت إزاء هذا الحديث .. ولكن ، هذا المؤلف لم يرعو ! فقد راح مسترسلاً

(١) الاصحاح ١٢ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ١٢ « سفر العدد »

وراء شطحات خياله فتصور موسى يتناول بيد مريم وبالأخرى هرون
ويقودهما إلى « خيمة الاجتماع » ويسدل من ورائه على نفسه وعليهما لهذه
« الخيمة » استارا... ومن هنا راح يسطر :
« قال الرب حالاً لموسى وهرون ومريم : اخرجوا أنتم الثلاثة
إلى خيمة الاجتماع . فخرجوا هم الثلاثة .

فنزّل الرب في عمود سحاب ووقف في باب الخيمة ودعا
هرون ومريم فخرجا كلاهما .

فقال : اسمعا كلامي ! إن كان منكم نبي للرب فبالرؤية أستعملن له !
في الحلم أكله ! أما عبدى موسى فليس هكذا ! .. فما إلى قم وعياناً
أتكلم معه لا بالأعاز ! .^(١)

هفوة كبرى يقع فيها هذا المؤلف تنثني بها عنه المعرفة بأبسط
قواعد المنطق ! . لم يتنبه هذا المؤلف وهو يسطر قائلاً بأن هرون ومريم
عندما تكلمتا على موسى وقالاً « هل كلم الرب موسى وحده ؟ ألم يكلمنا
نحن أيضاً » إلا أنه من حيث أراد دحض قوليهما قد أيدهما فيما
قالا ! .. إذ قال إن الرب قد اضطر إلى الظهور في عمود سحاب ووقف
في باب « خيمته » حيث دعاها وتحدث إليهما زاجراً وكلمهما قائلاً « اسمعا
كلامي » ! ؟ ..

ولكن ! . مؤلف « سفر العدد » قد حرّر نفسه من
كل قيد من قيود المنطق ولم يرتض لفكره إلا على جناح الهوى انطلاقاً يشطح
به حسبما شاء وإلى حيثما شاء وكيفما شاء ! ... ومن ثم فهو لم يفرغ من

صياغة ماتقدم من نصوص الالينى روايته هذه قائلا بأن بعد ذلك قد :
« حى غضب الرب عليهما ومضى ! .. (١) »

كلا ، لن نساءل إلى أين مضى « رب إسرائيل » ؟ .. كلا . فان الذى
يجىء فى عمود سحاب لا بد له أن يمضى فى عمود سحاب . . . وإنما نقول إن
هذه رواية بلغت من السخف المذى الذى لا يسمع الإنسان عند سماعها إلا أن
يطلق ضحكة مججلة فهى قصة لاتصاح حتى أن تكون من قصص الأطفال ،
ولو كانت لكان مؤلفها موضع سخرية فكيف بها قصة من قصص « الكتاب
المقدس » للدين اليهودى الحالى وتعتبر ، فى نطاق التفكير الدينى اليهودى
الحالى « مقدسة » ؟

يقيناً إنه لعبث بالعقول وأى عبث أفدح من أن تعتبر هذه النصوص
ذات مصدر قدسى !! ..

ولكن ... حتماً علينا أن نوالى الإصفاء إلى هذا المؤلف
اليهودى وأن ننبه إليه وهو يزيج الأستار عن « الخيمة » ويخرج بمريم
وبهرون . . . فلقد جابهت هذا المؤلف مشكلة وهى أنه ولا بد أن يأتى
بصورة جديدة يصور فيها « غضب الرب » .. ومن ثم راح من
جديد يسطر :

« فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة إذا مريم برصاء كالثلج ! » (٢)
كلا ! . لا خوف على مريم فليس هذا بمرض قد أصابها ،

(١) الأصحاح ١٢ « سفر العدد »

(٢) الأصحاح ١٢ « سفر العدد »

كما يبدو لأول نظرة فالبرص إنما هو مرض لا يمكن قط أن يظهر فجأة .
ومن ثم فإن هذا اللون الذي كساها بخضابه لم يدم طويلا كما بذلك يحدثنا هذا
المؤلف اليهودي قائلا بأن عند ذاك .

«التفت هرون إلى مريم وإذا هي برصاء فقال هرون لموسى :

ياسيدى ! لا تجعل علينا الخطيئة التي حققنا وأخطأنا بها !»^(١)

ما هي هذه « الخطيئة » التي يدعيها ولا يريد أن يفصح
عنها حتى الآن مؤلف « سفر العدد » ؟ . .

هذا سؤال ستجيب عنه من بعد الأحداث يوم يطوى هذا
المؤلف هرون في « جبل هور » ومن أعلاه به لن يعود وأما الآن فيحدثنا
قائلا بأن بعد ذلك :

« صرخ موسى إلى الرب قائلا : اللهم اشفها !

فقال الرب لموسى : لو بصق أبوها بصقا في وجهها أما كانت
تخجل سبعة أيام ؟ ! »^(٢) تخجل سبعة أيام ! . .

وبعد ذلك ماذا هناك في جمعة هذا المؤلف ؟ . . ماذا هناك
بعد أن أوقع الحكم الموسوى على مريم بالحبس سبعة أيام ؟ . . .

« بعد ذلك ارتحل الشعب من حضيروت ونزلوا في برية
فاران » .^(٣)

لماذا ؟ ! لأن الزحف صوب « الأرض الموعودة » سيبدأ

(١) الأصحاح ١٢ « سفر العدد » (٢) الأصحاح ١٢ « سفر العدد »

(٣) الأصحاح ١٢ « سفر العدد »

من « فاران » . . فان من هناك :

« كلم الرب موسى قائلاً : أرسل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرائيل . رجلاً واحداً لكل سبط من آبائه . كل واحد رئيس فيهم .

فأرسلهم موسى من برية فاران حسب قول الرب . كلهم رجال هم رؤساء بني إسرائيل ... ليتجسسوا أرض كنعان وقال لهم : اصعدوا من هنا الى الجنوب واطلعوا الى الجبل وانظروا الأرض ماهى ؟ والشعب الساكن فيها أقوى أم ضعيف ؟ قليل أم كثير ؟ . . . وما هى المدن التى هو ساكن فيها ؟ أمخيمات أم حصون ؟ » (١)

بمدد الصبر نتذرع ونحن نوالى الإصغاء الى فحش افتراءات هذا المؤلف الذى تهادى فى تصويره لموسى بصورة هو برىء منها هذا الرسول الكريم اذ جعله يرسل جواسيس يتجسسون « أرض كنعان » ويجوبون تلك الانحاء القريبة من منابع الأردن عند مدخل حماه حتى صعدوا الى الجنوب وأتوا الى حبرون وليحدثنا بعد ذلك بأنهم قد :

« رجعوا من تجسس الأرض بعد أربعين يوماً فساروا حتى أتوا الى موسى وهرون وكل جماعة بني إسرائيل الى برية فاران الى قادش وردوا اليهم خبراً . . . وقالوا : قد ذهبنا الى الأرض التى أرسلتنا اليها وحقاً إنها تفيض لبناً وعسلاً . . . غير أن الشعب الساكن فى الأرض معتز والمدن حصينة عظيمة جداً ... المعالقة ساكنون فى أرض الجنوب ، والختيون واليبوسيون والأموريون

ساكنون في الجبل ، والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الأردن .. » (١)

من اليقين أن هذه العبارة تدلنا دلالة كافية على كثافة السكان في « أرض كنعان » وقوتهم وضخامة عمرانهم غرب الأردن عهد ذلك إزاء هذه الحفنة من بني إسرائيل وهذا ، ولا شك ، هو الذي دفع مؤلف « سفر العدد » الى أن يقول بأن هؤلاء الجواسيس قد أبوا إلا أن يسدوا النصح قائلين ؛ « لا نقدر أن نصعد إلى الشعب لأنهم أشد منا . . » (٢)

ولكن ! . . هنا حتمت سياسة هذا المؤلف اليهودي أن يضيف الى أكاذيبه أكذوبة جديدة فهو لا يصور لنا موسى وقد أشاح بوجهه عن هذا النصح وأنه قد اتّجه الى صوت له إليه يقول ؛ « بل نصعد ونمتلكها لأننا قادرون عليها » إلا ليقول بأن عند ذلك كان أن هبّت العاصفة ! :

وهنا ..

هنا يبدأ مؤلف « سفر العدد » برواية جديدة يحدثنا بها عن تمرد كهنوتيّ على موسى وعن ثورة جماعة عليه مستهلا روايته هذه بقوله بأن العاصفة قد هبت إثر تأليب هؤلاء الجواسيس جماعة إسرائيل على موسى فقد اتّجه هؤلاء الجواسيس إلى جماعة إسرائيل قائلين ؛

« الأرض التي مررنا بها نتجسسها هي أرض تأكل سكانها ! . .

(١) الأصحاح ١٣ « سفر العدد »

(٢) المصدر نفسه

جميع الشعب الذى رأيناه فيها أناس طوال القامة ! .. فكنا فى أعيننا كالجراد
وهكذا كفا فى أعينهم !...»^(١)

وسريان النار فى المشيم سرى قول هؤلاء الجواسيس فى جماعة
إسرائيل .. ؛

« فرمت كل الجماعة صوتها وصرخت ! وبكى الشعب تلك الليلة .
وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بنى إسرائيل وقال لهما كل الجماعة ؛
ليتنا متنا فى أرض مصر ! .. لماذا آتى بنا الرب إلى هذه الأرض ؟ لنسقط
بالسيف ؟ . تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة ؟ ! . أليس خيراً لنا ان نرجع
الى مصر ؟ ! .

فقال بعضهم لبعض ، نقيم رئيساً ونرجع الى مصر !...»^(٢)

رئيس جديد ؟ . لا جدال فى أنه لتمرد جديد على موسى ! ..

ولكن ! ..

هذا التمرد على موسى ، عليه السلام ، من بنى إسرائيل ليس
بغريب وان كانت هذه النصوص تجيء به تحت لون جديد فهو تمرد
لا يحمل فى ثناياه أشد التعامل على موسى فحسب وانما هو يحمل فى نفس
الوقت نوايا خلعه كرئيس والمناداة برئيس جديد !

بهذه النصوص يطلع علينا مؤلف « سفر العدد » مجاهراً بهذا
التمرد الذى سيجل انشقاق جماعة إسرائيل على موسى والآن لما كانت هذه العاصفة

(١) الاصحاح ١٣ (سفر العدد)

(٢) الاصحاح ١٤ (سفر العدد)

قد تركت ذكرها في تاريخ بني إسرائيل حتى جاءت تصورها هذه النصوص
قائلة بأن في محلة إسرائيل دوى هدير هذا التآمر وأنه ما انطلق وفي محلة
إسرائيل تجاوب إلا و ؛

« سقط موسى وهارون على وجهيهما أمام كل معشر
جماعة بني إسرائيل!... »^(١)

للخيال أن يتصور هذه الصورة التي صورها مؤلف
« سفر العدد » لموسى وهارون معاً بينما تصمت منا الشفاء ويسبح منا التفكير
في هذه الترهات التي جافت وتجاوى الصورة الموضوعية في الإطار الديني لهاتين
الشخصيتين الكريمتين.. ومن ثم فلا حاجة بنا إلى التعليق بأكثر من
ذلك على هذه النصوص التي لم تقف في تماديها عند هذا المدى وإنما استرسلت
جانحة لتحدثنا عن موقف جماعة إسرائيل من هذا المشهد الذي لم يتورع هذا
المؤلف عن أن يصوره على هذا النحو ؛

« فسقط موسى وهارون على وجهيهما أمام كل معشر
جماعة إسرائيل...
ولكن !

قال كل الجماعة ؛ أن يُرجما بالحجارة!... »^(٢)

وهنا .. هنا يقف مؤلف « سفر العدد » للحظة يحاول
خلالها جاهداً أن يأتي ببديعة أخرى يعيد بها بني إسرائيل إلى الصواب
فلا يسعفه الخيال إلا ببديعة تبتعث في الذاكرة من ذا ذكرى ذلك المشهد الذي مر

(١) الاصحاح ١٤ «سفر العدد»

(٢) الاصحاح ١٤ «سفر العدد»

به علينا من قبل .. ذلك المشهد الذى ابتدعه خيال هذا المؤلف نفسه حينما صور موسى يهب فيجمع سبعين من عرفاء بنى إسرائيل وشيوخها ويشد إليه داخل « الخيمة » منهم الوثاق . فهو لاء كان حتماً أن يأتي بهم هذا المؤلف الآن لتجديته . ويجعل من سواعدهم سياجاً يدفع من خلاله موسى ، آمناً ، إلى باب « الخيمة » حيث ؛ « ظهر مجد الرب في خيمة الاجتماع لكل بنى إسرائيل ! »^(١)

وأمّا كيف « ظهر مجد الرب » في هذه المرة ؟! .. فهذا سؤال الجواب عنه مطوى في صدر يشوع بن نون حيث كان لا يترك « الخيمة » ، إذا خلت ، خالية منه أبداً .. هذه « الخيمة » التى اتجهت إليها سطور هذا المؤلف قائلة بأن « مجد الرب » قد « ظهر » فيها عندما من داخلها إلى الجماعة في الخارج تكلم الصوت ؛

« وقال الرب لموسى : حتى متى يهيننى هذا الشعب ؟ ..

وحتى متى لا يصدقوننى ؟ .. ! »^(٢)

ترانى ماذا أفعل بهم ؟ ..

هكذا يسير منطق « إله إسرائيل » عبر نصوص مؤلف « سفر العدد » التى تسير قائلة بأن الرب قد استطرد قائلاً لموسى ؛ « إني أضربهم بالوباء وأبيدهم ! وأصيرك شعباً أكبر وأعظم منهم ! ... »^(٣)

كلا .. لا تعاقب لدينا على هذه النصوص التى تحمل بين ثناياها البرهان القاطع على انتفاء القدسية عنها ، فحسبنا منها التأمل فيما عليه تشتمل من أباطيل تؤكد ما سيقولها من نصوص لاسيما ونحن نوالى إلى هذه

(١) الإصحاح ١٤ « سفر العدد » (٢) الإصحاح ١٤ « سفر العدد »

(٣) الإصحاح ١٤ « سفر العدد »

المؤلف الإصغاء ونسمعه يأتينا برواية أخرى يأتى بها كنهاية لهذه الرواية . . . ومن ثم شمر عن ساعده وراح يسطر قائلاً بأن هذه الجماعة التى كانت تحف بأطراف « الخيمة » تنسمع إلى صوت الرب الآتى من داخلها يقول بأنه سيكيل لهم الصاع بالصاع وأنهم لو تجاسروا واستبدلوا بموسى رئيساً آخر فسيضربهم بالوباء وسيبيدهم ويستبدلهم بشعب آخر يختاره لنفسه ولن يسلّم إلا إلى موسى منه القياد، هذه الجماعة قد انتفضت فرعاً ولم تهدأ منها النفس إلا عند ما سمعت صوت موسى يرتفع مجيئاً « الرب » يناديه بأن يحدّ من حدته ويعود بذاكِرتِه إلى ما قد قطع على نفسه من عهود ووعود فلقد :

« قال موسى للرب : فيسمع المصريون ! . . . ويقولون لسكان هذه الأرض الذين قد سمعوا إنك يارب فى وسط هذا الشعب الذين أنت يارب قد ظهرت لهم عيناً لعين وسجابتك واقفة عليهم وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهاراً وبعمود نار ليلاً فإن قتلت هذا الشعب كرجل واحد يتكلم الشعوب الذين سمعوا بخبرك قائلين : لأن الرب لم يقدر أن يدخل هذا الشعب إلى الأرض التى حلف لهم قتلهم فى القفر ! فالآن لتعظم قدرة سيدى ! . . . الرب طويل الروح . . . اصفح عن ذنب هذا الشعب ! . . . » ^(١)

لاجدال فى أن هذا المؤلف قد بلغ بهذه النصوص أقصى مداه فى العبث بالعقول ! . ومن هنا نرانا ، مرة أخرى ، نقرب من هذا المؤلف كما نسلط عليه عن قرب أضواء « علم النفس » وهو يصور لنا هذه الصورة المفتراة عن موسى التى لا يجعله يتجه فيها إلى الجماعة بحرف واحد من عتاب وإنما يجعله

يتجه إلى « الخيمة » ويحجب الصوت المنطلق من داخلها بهذا الكلام المستدر من الجوانب عاطفة الحنان . فهو يحمله يخاطب « يهوه » مستعطفاً وله يصف بطول الأناة طالباً منه الصفح عن هذا « الشعب » الذى إذا صبَّ عليه نقمته وأفناه فماذا ستقول للشعوب الأخرى عن هذا « الرب » وفى مقدمة هذه الشعوب ستكون مصر ؟ ! .

وكالسهب اللا فح ، كما يحدثنا هذا المؤلف ، راح هذا القول يلفح النفوس من هذه الجماعة بلفحات الندم فكان أن انقلب العصيان إلى خنوع وكان أن عاد التيار من جذر التمرد إلى مد الاستسلام حتى عادت كل الجماعة ، كما تدعى النصوص ، تستعطف موسى . .

لا ريب فى أن هذه النصوص تحمل لونا من التفكير عجيبا . فهو لون لا يتنافى وأبسط قواعد المطلق فحسب وإنما هو يتقضه نقضاً من الأساس ! . فإى رب هذا الرب الذى يمكن أن يحاجه إنسان ولا سيما بهذه الصيغة من الحاجة ؟ ! . نعم ؛ أى إنسان كان هذا الإنسان الذى يستطيع أن يعزى هذا الحوار إلى مصدر قدسى ما خلا مؤلف « سفر العدد » هذا الذى لم ينته من سرد ما قد ابتدع من حوار إلا ووجد نفسه قد استشاط نقمة وغضباً حتى أبى إلا أن ينزل الانتقام بأولئك الذين أثاروا ثائرة الجماعة بينما رأى أن الصفح عن الجماعة هو الأنسب فى هذا المجال وإذن فليشمر هذا المؤلف مرة أخرى عن ساعديه ويستر قائلاً بأن الجواب إلى موسى قد دلف يصفح عن الجماعة ويأمر بإعدام الثائرين . . فلقد ؛

« قال الرب ؛ قد صفحت حسب قولك ! .

ولكن ! حتى أنا ! . . .

إن جميع الرجال الذين رأوا مجدى . . وجربوني إلى الآن عشر
مرات ولم يسمعوا لقولى لن يروا الأرض التى حلفت لأبائهم ! وجميع الذين
أهابوني لا يرونها ! . » (١)

وبقينا ! « حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتدمرة

على ؟ ! . .

قل لهم . . . : لأفعلن بكم كما تكلمتم فى أذني ! فى هذا القفر تسقط
جثثكم ! . . لن تدخلوا الأرض التى رفعت يدي لأسكنكم فيها ! . .
لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة على ! فى هذا القفر يفنون وفيه
يموتون ! » (٢)

وهكذا أصدر مؤلف « سفر العدد » الحكم بالإعدام على الثائرين
حكماً مشمولاً بالنفاذ إذ أسرع يقول و :

« مات الرجال الذين أشاعوا المذمة ! . . » (٣)

والآن . . الآن لنا أن نسأل هذا المؤلف قائلين من كان أولئك الرجال .
« الذين أشاعوا المذمة . » ومن مؤلف هذا « السفر » يأتينا الجواب صريحاً
يقول بأنهم أولئك الجواسيس العشرة ! . . هؤلاء الجواسيس العشرة هم الذين
أثاروا التدمير وأشعلوا نار التمرد وأوغروا الصدر الجماعى على موسى ما خلا
انثنان ، أحدهما « كالب بن يفنة » وأما الآخر فكان : « يشوع بن نون . . » (٤)

والآن ؟ الآن ، ليوالى المسمع الإصغاء إلى هذا المؤلف اليهودى

(١) الإصحاح ١٤ « سفر العدد » (٢) الإصحاح ١٤ « سفر العدد »

(٣) الإصحاح ١٤ « سفر العدد »

(٤) الإصحاح ١٤ « سفر العدد »

الذى لم يحىء بقصته هذه ويكملها بمصرع الثأرين إلا ليصور لنا مدى ما آتى به من أكاذيب بهذا المشهد الجديد الذى يرسله نصوصاً تقول بأن :

« لمّا تكلم موسى بهذا الكلام إلى جميع بنى إسرائيل بكى الشعب جداً . ثم بكروا صباحاً وصعدوا إلى الجبل قائلين : هوذا نحن نصعد إلى الموضع الذى قال الرب عنه فإننا قد أخطأنا ! » (١)
وهنا . . . هنا نرانا نقسائل : تُرى ؟ . .

تُرى ماذا سيفعل مؤلف « سفر العدد » بهذه الجماعة التى صورها باكية نادمة وبخطئها قد اعترفت حتى أنها أرادت أن تتقدّم فى السير صعوداً نحو « الأرض الموعودة » ، وهو فى نفس الوقت لم يزل يرى أن الفرصة بعد لم تسنح للاقدام على غزو « أرض كنعان » ؟ ! .

إذن ، فليخرج من هذه المشكلة التى تعترضه بأن يقول إن موسى قد وقف فى هذه الجماعة ينهاها عن التقدم نحو تلك الأرض الفيضة باللبن والعسل قائلاً :

« لا تصعدوا . . لأن المعلقة والكنعانيين هناك قدامكم ! . » (٢)

ما هذا الخلط ؟ ! . ما هذا الخلط فى التفكير الذى يأتى به مؤلف هذا « السفر » حتى المدى الذى تتناقض به نصوصه بعضها مع بعض ؟ . أليس هذا القول هو نفسه نفس ما جاء به أولئك الجواسيس العشرة من قبل وكان القتل عليه لهم عقاباً ؟ ! .

ولكن ! . إلى هذا الخلط لم يتنبه مؤلف « سفر العدد » ! فحسبه أنه قد راح بهذه النصوص يمهّد لما سيتلوها من نصوص أخرى سيحدثنا بها عن

(١) الاصحاح ١٤ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ١٤ « سفر العدد »

تلك الهزيمة التي حلت بهذه الجماعة في استهلالها تاريخ الاعتداء . فإنما هذا المؤلف اليهودي لم يرم من وراء ما تقدم من نصوص إلا إلقاء تبعه الهزيمة على هذه الجماعة التي دفعها السغب إلى « أرض تفيض لبناً وعسلاً » ف راحت تدافع نحو الجبل تدافعاً سمته الفوضى وعدم التنظيم ومن ثم كان حتماً الارتداد . ومن هنا راح يسطر قائلاً ؛

« تجبروا وصعدوا إلى رأس الجبل ... فنزل العالقة والكنعانيون الساكنون في ذلك الجبل وضربوهم وكسروهم ! » (١)

ولكن ! .. هنا يأبى هذا المؤلف اليهودي إلا أن يجعل لروايته هذم خاتمة مثيرة فأطرق وفكّر ... ثم خرج من تفكيره هذا بأن رأى أن هذه الهزيمة لا بد وأن تكون باعثاً لقلق الرؤوس من هذه الجماعة .. ولما كان هؤلاء الرؤساء أعضاء الهيئة الكهنوتية ، فقد شجذ قلمه وأجراه قائلاً ؛ بأن عند ذاك هبت في داخل الصرح الكهنوتي عاصفة قوية أشد من الأولى وأعنف أرسلت رياح التدمير ضد موسى ومن ثم راح يسطر قلمه ؛

التمرد الكهنوتي على موسى

يستهل مؤلف « سفر العدد » حديثه عن هذا التمرد الكهنوتي ضد موسى قائلاً ؛

« وأخذ قورح بن يصهار بن قهات بن لاوى ودathan وabiram ابنا اللياب وأبون بن قالت بنو رأوبين يقاومون موسى مع أناس من بني إسرائيل مثنين وخمسين رؤساء الجماعة ... فاجتمعوا على موسى وهرون وقالوا لهما ؛

كفأكمأ ! ..» (١)

أجل .. كل :

« رؤساء الجماعة ... أآتمعوا على موسى وهرون وقالوا :

وقالوا : كفأكمأ ! إن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفي وسطها الرب . فما

بالكمأ ترتفعان على جماعة الرب ؟ ..» (٢)

وهنا .. هنا رأى مؤلف « سفر العدد » ، وهو الذى جعل

هذا التمرد على موسى يأتى من « بيت لآوى » ، وهو بيت موسى نفسه ، أن يجعل

هذا لدى موسى موضع حساب . فهذا بيت لئن رفعه موسى ، على حد قول

هذا المؤلف اليهودى ، إلى الصدارة بأن أسلم ليد زمام الكهانة فليس

ذلك إلا لىستمد منه قوة وليس إلا لىتخذ لنفسه منه سياجاً وأما تمرد هذا فإنما

يحمل أخطر النتائج ! .

حقيقة أن هذا المؤلف كان ، من قبل ، قد أوغر الصدر من الجماعة

على موسى ودفعهم إلى التفكير فى إقامة رئيس جديد من بيت لآوى غير

موسى بيد أنه الآن وهو قد جعل بيت لآوى نفسه يتآمر ضد موسى

وجعل الجانب الكهنوتى يطلق صرخته مدوية فليس إلا لىسير بنصوصه

المفتراة هذه إلى أقصى المدى حتى أنه لم يعد من العجيب ، بعد ، أن نسمعه

يحدثنا قائلاً :

« فلما سمع موسى سقط على وجهه ! ..» (٣)

غفرانك يا الله ! . .

(٢) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »

(٣) المصدر نفسه

يقيناً لقد بلغ هذا المؤلف اليهودي أقصى أبعاد السفه بهذا القول غير أنه سرعان ما عاد يتماسك ويتحامل على نفسه فاستقام يسطر قائلاً بأن سرعان ما قام موسى بعد ذلك متجهاً إلى هذه الجموع من « بيت لاوى » صارخاً فيهم ؛

« كفاكم يا بني لاوى ! . . . اسمعوا يا بني لاوى . . . »

أقليل عليكم أن إله إسرائيل أفرزكم من جماعة بني إسرائيل ليقرّبكم إليه ؟ ! » ^(١)

وأنت ! . أنت يا « قورح » أصغ . . إن موسى لك يقول ؛

« أنت وكل جماعتك متفقون على الرب . »

وأما هرون فما هو ؟ حتى تتذمّروا عليه ؟ » ^(٢)

هذه نصوص لها مغزاها ولا يسهل الفكر إلا أن يعمل فيها تفكيره لا سيما وهي تسترسل في كفر بـين تقول بأنه بعد ذلك قد أنجّه موسى يستدعى الزعيمين الآخرين ، دائان وأبيرام . . وهما لنترك المسمع منا يصنى الى هذا المؤلف وهو يسترسل يحدثنا قائلاً ؛

« فأرسل موسى ليدعو دائان وأبيرام . . . »

فقالا . . . ؛ أقليل أنك أصعدتنا من أرض تفيض لبناً وعسلاً

لتميتنا في البرية حتى تترأس علينا ؟ . . كذلك لم تأت بنا إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً . . » ^(٣)

وعند ذاك ؛

« اغتاظ موسى جداً ! وقال للرب ؛ لا تلتفت إلى تقدمتهما ... » ^(٤)

(١) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »

(٤) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »

ولكن .. حدث عند ذاك أن :
« كلم الرب موسى قائلاً : بكلم الجماعة قائلاً ؛ اطعموا من حوالى
مسكن قورح ودانان وأيبرام .. اعتزلوا عن خيام هؤلاء القوم
البغاة ! »^(١)

لماذا ؟ ! ..

« لثلاثهلكوا ! إن ابتدع الرب بدعة .. »^(٢)
بقينا إنها البدعة إنما هي هذه البدعة التى تجعل الرب يبتدع « بدعة »
ولكن ! .. ما هي هذه البدعة ؟ ! ..
سؤال نلقيه الى هذا المؤلف وبالإجابة هو غير ضنين إذ يحدثنا قائلاً بأن ؛
« لما فرغ موسى من التكلم بكل هذا الكلام انشقت الأرض
التي تحتمهم وفتحت الأرض فاها وابتلعهم ! .. فزولوا وكل ما كان لهم .
أحياء إلى الهاوية ! .. فبادوا ! .. »^(٣)
وأيضاً ، كذلك « النار الغريبة » التى خرجت من عند الرب
وأكلت ابني هرون
« خرجت نار من عند الرب وأكلت المثمين والخسنيين رجلاً ! .. »^(٤)

لا جدال فى أنه لمشهد أخرجه مؤلف « سفر العدد » على مسرح
التاريخ العبرى عجيب ! .. ولكن لا تعليق يأتى منا على هذه المسرحية التى
أخرجها هذا المؤلف اليهودى بعد أن ألف فصولها من جنحات الخيال وشطحات
الهوى وإن كان التفكير منا يابى ألا أن يتخذ فى رحاب المنطق مداء فى

(١) الأصحاح ١٦ « سفر العدد » (٢) الأصحاح ١٦ « سفر العدد »

(٣) الأصحاح ١٦ « سفر العدد »

(٤) الأصحاح ١٦ « سفر العدد »

هذه الفصول التي ما انتهى من تمثيلها وعليها أسدل الستار إلا وجعل سائر جماعة بني إسرائيل يهبطون هبة واحدة سجلتها هذه النصوص تسجيلًا يمكننا من أن نطلق عليه اسم ؛

الثورة الجماعية على موسى

يوالى مؤلف « سفر العدد » حديثه قائلًا بأنه لم تمر من عمر الزمن على مصرع زعماء الثورة الكهنوتية على موسى وعلى احتراق من تضامنوا معهم ليلة من عمر الزمن إلاَّ وهبت في صبحها جماعة بني إسرائيل ترسل شرر الغضب ... فالتد ؛

« تدمر كل جماعة بني إسرائيل في الغد على موسى وهرون قائلين ؛

إنكما قد قتلتما شعب الرب ! . » ^(١)

ومن هنا ينثنى هذا المؤلف فيصوّر لنا كيف اندلع اللظى السكامن في الصدر الجماعى لهيباً دفع بالجماعة على موسى وهرون حتى هموا بالهجوم عليهما هجوماً ألبأهما إلى « خيمة الاجتماع » حيث أسرع « مجد الرب » في الترائى كما يرد عن موسى وهرون معاً غضبة الجماهير فالمؤلف يحدثنا قائلًا بأنه ؛

« لما اجتمعت الجماعة على موسى وهرون انصرفا إلى خيمة الاجتماع وإذا هي قد غطتها السحابةُ وتراءى مجد الرب ! .. » ^(٢)

وبيقيناً .. لطلما أنفذت هذه « السحابة » التي حاكها مؤلف « سفر العدد » مواقف عديدة شبيهة بهذا الموقف الذى سحب به بهذه « السحابة » سحب التذمر والتمرد والعصيان بعيداً عن موسى وجعله من خلالها يشق طريقه

(١) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »

إلى قلوب هذه الجماهير الهائجة التي ما تراءت هذه « السحابة » لها إلاّ وعدلت
عن عدوانها وعادت إلى الخطيرة منها الخطوات ..

بيد أن عند الحد لا يقف مؤلف « سفر العدد » وإنما هو قد
ارتأى أن اختتام القصة بكارثة يكون أوقع في النفوس فشمر عن ساعده وقال
إنه بينما كان « مجد الرب » يترامى كانت الجماهير في غفلة عما كان قد أصاب
الحلة من وباء .. وما بدأ هذا الوباء يحتاج بعض أفراد فيها إلا وكان ذلك بمثابة
التيار الذي حوّل منها الأعناق مستنجدة بموسى حتى المدى الذي اخفض منها
لإمرته الرؤوس وذلك بينما كان هرون ، على حد تصوير المؤلف ، يدور
بمجمرته بينها مطلقاً البخور ...

والآن ؟ .. الآن ومؤلف « سفر العدد » قد صور لنا جماهير
قد ثارت ولم تهدأ الا باجتياح الوباء « الحلة » وعن الانصراف إلى الاسترسال
في ثورتها قد صرفها الانشغال بموتاتها نرانا ننسأل ؛
تُرى ؟ .. كيف سيُنهى هذا المؤلف روايته هذه عن هذا التمرد
وعن هذه الثورة ؟ ! ..

يقيناً ليس أمام هذا المؤلف إلا أن يرى أنه لو كان أمر الكهانة
منحصرأ في هرون لما كان قد استطاع هذا الكهنوت من بيت لاوى أن يتمرد
هذا التمرد ! . وإذن .. فليُنهى هذا المؤلف روايته بهذه النصوص قائلا :

« وكلم الرب موسى قائلا ؛ كلم بنى إسرائيل وخذ منهم عصا
عصا لكل بيت أب من جميع رؤسائهم اثنتى عشرة عصا .

واسم كل واحد تكتبه على عصاه واسم هرون تكتبه
على عصا لاوى ليرأس بيت آبائهم عصا واحدة ! وضما في خيمة

الاجتماع أمام الشهادة حيث أجمع بك . » ^(١)

لماذا ؟ . هذا سؤال لا يتولى الإجابة عنه إلا هذا المؤلف نفسه الذى استرسل فى شططه ليحدثنا قائلا إن « إله إسرائيل » قد واصل الكلام قائلا ؛

« فالرجل الذى اختاره تفرخ عصاه !

فأسكن عني تذمرات بنى إسرائيل التى يتذمرونها عليهما ! » ^(٢)

حسب هذا المؤلف اليهودى أنه بهذا القول قد وجد لنفسه مخرجاً بل ووسيلة لإفراغ أمر الكهنوت فى يد هرون وبذلك أضاف إلى افتراءاته على موسى ، عليه السلام ، افتراء جديداً إذ ادّعى أنه خرج من « خيمة الاجتماع » يقول ذلك لبنى إسرائيل .. وأنه بذلك قد ؛

« كلم موسى بنى إسرائيل فأعطاه جميع رؤسائهم عصا عصا . لكل رئيس حسب بيوت آبائهم اثنتى عشرة عصا . وعصا هرون بين عصيهم . فوضع موسى العصى أمام الرب فى خيمة الشهادة ! » ^(٣)

تُرى ؟ ! . تُرى أى واحدة من هذه العصى هى التى سيجعلها هذا المؤلف تفرخ ؟ .. كلا ! . لن نسأل هذا المؤلف كيف يمكن لعصا أن تفرخ فحسبنا معرفتنا بما عليه تشتمل نصوصه من جنوح إذ أبى إلا أن يضرب موعداً لهذا التفريخ غد اليوم التالى . . ذاك « الغد » الذى جعله هذا المؤلف يوماً تمّ فيه ، على حد روايته ؛

(١) الاصحاح ١٧ « سفر العدد » (٢) الاصحاح ١٧ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ١٧ « سفر العدد »

حصر الكهانة في هارون ونسل هرون

يحدثنا مؤلف « سفر العدد » قائلاً : لقد جمع موسى العصي
الاثنتى عشرة ومن بينها عصا هرون ووضعها في « الخيمة » أمام « الرب » وتركها
لليلة . . وفي الغد : .

« وفي الغد دخل موسى إلى خيمة الشهادة وإذا عصا هرون . .
قد أفرخت ! » ^(١)

« عصا هرون . . . أفرخت ! ؟ »

سؤال ، نلقيه عبر الأجيال إلى هذا المؤلف اليهودي ليرسل إلينا
عبر نصوصه الجواب مؤكداً بأن عصا هرون لم تفرخ دون سائر العصي لبيوت
إسرائيل فحسب وإنما :

« أخرجت فروخاً ! وأزهرت زهراً ! وأنضجت لوزاً ! » ^(٢)

ما هذا المراء ؟ ! . في ليلة واحدة تفرخ عصا وتخرج فروخاً
وتزهر زهراً وتنضج لوزاً ؟ ! .

ولكن ! . ما هو الهدف من وراء هذه الأكتوبة التي اختلقها
هذا المؤلف ونسبها ، بهتاناً ، إلى موسى ؟ ! . . . يقيناً إن ذلك لم يكن إلا لغاية
يفصح عنها هذا المؤلف من خلال نصوصه القائلة بأن بعد ذلك خرج موسى
من « الخيمة » ؛

« فأخرج . . جميع العصي من أمام الرب إلى جميع بني إسرائيل
فنظروا وأخذ كل واحد عصاه . . . » ^(٣)

(١) الإصحاح ١٧ « سفر العدد »

(٢) الإصحاح ١٧ « سفر العدد »

(٣) الإصحاح ١٧ « سفر العدد »

غير خفى أن مؤلف « سفر العدد » يريد أن يقول لنا بأن أصحاب العصي قد نظروا إلى عصيهم في صمت ثم تناول كل واحد منهم عصاه وراح في أرجاء المحلة بضرب بها بلا عصيان وبدون أن تتحسس الأيدي منهم ما على عصاهرون من فروخ ومن زهر ومن لوز لأن هرون ، نفسه ، لم يتناول عصاه ، فقد ؛

« قال الرب لموسى ؛ رد عصاهرون إلى أمام الشهادة لأجل الحفظ علامة لبني التمرد ، فتكف تذرأتهم عنى لكى لا يموتوا ! . »^(١)

وهنا لا يتنبه هذا المؤلف اليهودى إلى ما يقول وهو يسترسل يحدثنا بأن عند ذلك هب سائر بنى إسرائيل بمخاطبون ؛

« موسى قائلين ؛ إننا قنبينا وهلكنا ! . . كل من اقترب إلى مسكن الرب يموت ؟ ! . »^(٢)

كلا ! . لم يتنبه هذا المؤلف إلى ما قد آتى به من بهتان بهذا الحدث الذى اختلقه ، حدث تفريخ عصاهرون ، فلقد استغرقته هذه الرواية التى رعى من ورائها إلى حصر الكهانة فى هرون ونسل هرون وحدهم فنحن نسمعه يوالى بهتانه قائلا بأن عند ذاك ؛

« قال الرب لهرون ؛ أنت وبنوك وبيت أهلك معكم تعملون ذنب المقدس . وأنت وبنوك معكم تعملون ذنب كهنوتكم . وأيضاً إخوانك سبط لاوى سبط أهلك قربهم معكم فيقترونوا بك ويؤازروك . وأنت وبنوك قدام خيمة الشهادة فيحفظون حراستك وحراسة الخيمة كلها . ولكن ! . »^(٣)

(١) الاصحاح ١٧ « سفر العدد » (٢) الاصحاح ١٨ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ١٨ « سفر العدد »

«ولكن» ماذا؟! .

«واسكن إلى أمتعة القدس وإلى المذبح لا يقتربون! ..»^(١)

ماذا؟ ..

«لثلاثموتوا! ..»^(٢)

وأما أنت أنت يا هرون ؛

«أنت وبنوك معك فتحفظون كهنتكم مع ما للمذبح وما هو داخل

الحجاب ... عطية أعطيت كهنتكم .»^(٣)

فلقد ؛

«قال الرب لهرون ؛ وهانذا قد أعطيتك حراسة وقائى مع جميع

أقداس بى اسرائيل لك أعطيتها حق المسحة ولبنيك! .. كل قرايينهم مع كل تقدماتهم وكل ذبائح خطاياهم وكل ذبائح آثامهم التى يردونها لى .. هى لك ولبنيك فى قدس الأقداس تأكلها! .

الرفيعة من عطاياهم مع كل ترديدات بنى اسرائيل لك أعطيتها

ولبنيك وبناتك معك! .. كل دسم الزيت وكل دسم المسطار والحنطة، أبكارهن التى يعطونها للرب، لك أعطيتها! أبكار كل ما فى أرضهم التى يقدمونها للرب لك تكون! . كل محرم فى اسرائيل يكون لك! كل فاتح رحم من كل جسد يقدمونه للرب من الناس ومن البهائم يكون لك! ..»^(٤)

(١) الاصحاح ١٨ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ١٨ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ١٨ « سفر العدد »

(٤) الاصحاح ١٨ « سفر العدد »

نعمة جديدة ولا تمت شك إنما هي هذه النعمة التي يجيئ بها مؤلف « سفر العدد » وبها يحصر أمر الكهانة في هرون ونسل هرون . . لا لأن الرب قد بدأ يكلم هرون مباشرة وإنما لأن هذا المؤلف اليهودي يجعل لهذه النصوص رنة خاصة يهدف اليها المسمع من سائر اللاويين فهي تقصيصهم عن مناصبهم الكهنوتية وتعلن حرمانهم من مخصصاتهم السابقة في نفس الوقت الذي تحمل الى هرون عطية سخية تتلخص في تنازل الرب عن كل ما تقدمه اسرائيل له من ضحايا لهرون ! . . وحقاً إنها العطية بالغة السخاء حتى تبدو وكأنما هي قد منحت في لحظة رضا أو استرضاء وإن كانت في واقعها ليست إلا وسيلة ابتدعها هذا المؤلف كيما يقيد هرون إلى « يهوه » فيكفل بذلك انحرافه عن رب اسرائيل إلى رب سواه . . ولكن ، ثمة سؤال يرسم هنا في أفق التفكير وهو ؛ ألم يفتن هذا المؤلف إلى ماذا سيفعل هرون وبيت هرون بهذه المآكل التي ولا بد أنها قد توفرت توفراً يزيد عن ما هم إليه في حاجة ؟ . يبدو أن هذا المؤلف قد تنبه ! فلقد أعقبت هذه العطية السخية لحظة استدراكية فراح مؤلف « سفر العدد » يستبدل بعض هذه اللحوم بالفضة ومناقيل الفضة . . فنحن نسمع النصوص تسترسل ولهرون بلسان إله اسرائيل تقول ؛

« كل فاتح رحم من كل جسد يقدمونه للرب من الناس ومن البهائم يكون لك غير أنك تقبل فداء بكر الإنسان وبكر البهيمة . . وفداؤه من ابن شهر تقبله حسب تقويمك فضة ! خمسة شواقل من شاكل القدس ! ... »^(١)

حقاً !

حقاً إن مؤلف « سفر العدد » قد برز رفاهه في الشراهة بل وإنه لشره في غير هواده ! ولا تفوق شراسته إلا افتراءاته على هرون إذ صورّه نفاقاً إليه التقدّمات فينتقى منها كل ما يشتهى وبطليب للمذاق بينما يقوم ما سوى ذلك بمثاقيل الفضة من مثاقيل القدس وإليه تحمل هذه الفضة ، طيعة صاغرة ، جماعة إسرائيل . . بيد أن وراء هذه الصورة تقف الغاية التي رمى إليها هذا المؤلف وهي من خلال سطورهِ تنطق وكأنما هي تقول . . ما لهرون ، وله قد تنازل الرب له عن مخصصاته ، يمد ببصره إلى الرياسة في إسرائيل ؟ . . .

ولكن ! . . يأبى مؤلف « سفر العدد » إلا أن يحمل هرون يمد ببصره إلى مرتبة الرياسة . . ومن ثم فليأت بنصوص أخرى يُنحى بها هرون عن منصبه ويدفع إلى المقدمة بابنه « اليعازر » الذي لذكره لا نشم رائحة دخان يبعثها مؤلف هذا « السفر » من داخل « خيمة الاجتماع » وإنما نحن نرى بالفعل هذا الدخان الذي يطلقه هذا المؤلف ويرسم به حاجزاً بين الأخوين مما يجعلنا نتبين أن هذا المؤلف لا يستهدف بذلك إلا دفع هرون إلى المؤخرة ودفع « اليعازر » إلى المقدمة . فالنصوص تنطلق معبرة عن هذه الصرخة المكبوتة بصيحة شنعاء تعلن :

« الرب يأمر بموت هرون »

من صدر مؤلف « سفر العدد » تنطلق هذه الصيحة في أعقاب مارتحال « بني إسرائيل من « برية صين » في الشهر الأول ومن « قادش » إلى « جبل هور » .. فهناك :

« كلم الرب موسى . . قائلاً ؛ يُضْمُّ هرون إلى قومه لأنه لا يدخل الأرض التي أعطيت لبني إسرائيل ! ..

خذ هرون واليعازار ابنه واصعد بهما إلى جبل هور واخضع
عن هرون ثيابه وألبس اليعازار ابنه إياها .

فيضم هرون ويموت هناك !»^(١)

بعيداً عن ضجة القوم وضجيج الجماعة رأى مؤلف « سفر
العدد » أن يصعد بموسى إلى قمة « جبل هور » فراح يصوره مصطحباً اليعازار
وصاعداً بهرون إلى قمة هذا الجبل ثم راح يضع اللسات الأخيرة لهذه الصورة
الشنعاء فشمّر عن ساعده وأطلق خياله على جناح الجنوح يتخيّل ثلاثهم وقد
غيبتهم عن عين الجماعة « قمة هور » ثم انحى على القرطاس وأجرى قلمه يسطر؛
« صعدوا إلى جبل هور أمام أعين كل الجماعة »^(٢)

ولكن ! . . سرعان ما عادت هذه الأعين تحلق مرتاعة وهى ، كما
يدعى هذا المؤلف زوراً وبهتاناً ، ترى موسى واليعازار يهبطان السفح بدون
هرون بينما قد ألقيت على اليعازار ثياب هرون ! ..
أين هرون ؟ !

كلا لا يسألن ، بعد ، سائل هذا السؤال فلقد ؛

« مات هرون !

هناك على رأس الجبل !»^(٣)

إذن .. هرون قد مات ! ..

بالإيجاب يأتى من هذا المؤلف اليهودى الجواب وفى غير ما خشية
من ضمير بصيح علام الحيرة وعلام العجب فلقد ؛

(١) الاصحاح ٢٠ ، سفر العدد

(٢) الاصحاح ٢٠ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ٢٠ « سفر العدد »

« فعل موسى كما أمر الرب ! »^(١)

حتى المدي امتدت ، في تطاول ، افتراء آت هذا المؤلف اليهودي على هذا الرسول الكريم ! . . فأى عبث هذا الذى تعبثه بالعقول هذه المسرحية المشوشة الوضع والإخراج والتي لا يستمرضها الخيال منا إلا ويعوذ بالله منها طالباً لنفسه الرحمة من عناء اللحوق بشطحات هذا المؤلف الذى افترى على موسى ، عليه السلام ، كل هذا الافتراء بهذه النصوص التى صوره بها تحت هذه الصورة الشنعاء وأشرك فيها معه ابن هرون ، نفسه ، « اليعازر » ! . .
ولكن . .

هنا تزداد سجع التفسير يخ انحساراً عن مؤلف « سفر العدد » الذى ما انتهى من روايته هذه المقترأة إلا ليسدل عليها الستار قائلاً بأن صرخات العويل قد تعالت من أرجاء هذه « المحلة » مصدرها هذه المجموعة من « بنى إسرائيل » التى راحت تذرف الدمع سخيلاً ؛
« على هرون ثلاثين يوماً ! »^(٢)

إذن لابد لهذا المؤلف من الارتحال سريعاً يبنى إسرائيل بعيداً عن « جبل هور » . . وسرعان ما قد فعل ! . فقد شمر مرة أخرى عن ساعديه وتناول فى عصبية قلعه وراح يضيف إلى أكاذيبه أكنوبة جديدة بأن صور موسى واليعازر يعتمدان يبنى إسرائيل عن « جبل هور » وليدورا بهم من حول « أرض أدوم » . . ثم التفت هذا المؤلف إلى هذه الجماعة فوجد أن الضيق الذى أصابها فى « هور » لم يوارحها وليس هذا فحسب وإنما ازدادت النفس

(١) الإصحاح ٢٠ « سفر العدد »

(٢) الإصحاح ٢٠ « سفر العدد »

منهم ضيقاً في هذا الطريق الوعر الذي أترعته الحيات السامة . فمن كل فجوة ومن كل أخذود استقبلتهم حتى لدغت وحتى أماتت منهم الكثيرين بينما كان الهمس ، كما يقول هذا المؤلف ، يسرى من « خيمة الاجتماع » بأن ذلك لم يكن إلا العقاب الذي حل بهم نتيجة على إطلاق ألسنتهم في حق موسى إثر موت هرون . . فكان أن سطر :

« فأتى الشعبُ إلى موسى وقالوا : قد أخطأنا إذ تكلمنا على الربِّ وعليك ! .. » ^(١)

وهنا . . هنا لم يجد مؤلف « سفر العدد » مخرجاً إلا أن يأتي بنصوص جديدة يضاعف بها إساءته إلى هذا الرسول الكريم . . فهو يصوِّر موسى يقوم فيصنع حية نحاسية ويرفعها على سارية كيما ينظر إليها كل لديغ بغية الإبراء . . ونحن إذا علمنا أن هذا لم يكن إلا تعويذة في مصر القديمة مرعية لعلمنا تحت أى تأثير كتب هذا المؤلف اليهودى هذه النصوص التي لم يفرغ من تسطيحها إلا ورأى أن عليه بعد ذلك أن يجعل موسى يرتحل ببني إسرائيل عن هذا المكان من مكان الحيات فراح يصوره مرتحلاً حتى جعله يأتي بهم إلى « الجواء التي في صحراء موآب » . .

ومن الجواء رأى هذا المؤلف أن طريق هذه الجماعة إلى « الأرض الموعودة » تعترضه تخوم ممالك أخرى ... وإذن ماذا عليه لو جعل موسى يرسل رسلاً يستأذنون له بالمرور بهذا الطريق ! . وإذن فليستطير بأن موسى قد أرسل :
« رسلاً إلى سيحون ملك الأموريين قائلاً : دعنى أمر في أرضك لا نميل إلى حقل ولا إلى كرم ولا نشرب ماء بئر . في طريق الملك نمشى حتى

نتجاوز تخومك ! »^(١)

ولكن ! . كان الرفض .. ؛

« فلم يسمح سيحون لإسرائيل بالمرور في نخومه بل جمع سيحون جميع قومه وخرج للقاء إسرائيل إلى البرية فأتى إلى ياهص وحارب إسرائيل »^(٢)
وهنا تمتد يد مؤلف « سفر العدد » فتورخ ؛

« واقعة ياهص »

لا جدال في أن بهذه الواقعة قد تنفّس تاريخ بني إسرائيل عن حدث كان له في نفسية هذه الجماعة أثره فيما بعد . فإنما هذه المعركة التي يقول عنها مؤلف « سفر العدد » بأنها معركة قد دارت رحاها بين الإسرائيليين من جهة وبين العاموريين من جهة أخرى لم تكن في واقعها التاريخي إلا بمثابة الانطلاقة الأولى صوب « الأرض الموعودة » لهذه الحفنة من الناس الذين يحدّثنا عنهم مؤلف « سفر العدد » بأنهم قد لقوا سيحون ؛

« فضربه إسرائيل بحد السيف وملك أرضه من أرفون إلى يبوق إلى بني عمون ... فأخذ إسرائيل كل هذه المدن وأقام إسرائيل في جميع مدن الأموريين في حشبون وفي كل قراها ! .. »^(٣)

لا غرؤ من ثم أن تنطلق، لأول مرة ، صرخة تكشف عن مدى ما يمكنه من إسرائيل الضمير ؛

« ويل لك يا موآب ! »

(١) الإصحاح ٢١ « سفر العدد »

(٢) الإصحاح ٢١ « سفر العدد »

(٣) الإصحاح ٢١ « سفر العدد »

هَلَكْتَ يَا أُمَّةَ كُوشِ !

قد صير بنيهِ هاريين وبناته في السبي ... هَلَكْتَ حشِبون
إلى ديبون ! . » ^(١)

وهكذا امتدت يد هذا المؤلف اليهودي تسجل بأن « واقعة ياهص » كانت أول انتصار حربي لإسرائيل .. وهذا في واقع الأمر ما قد حدث فان هذا « السفر » وإن كان ليس إلاّ كغيره من « الأسفار » قد أترعته المبالغات والتهاويل وشطط الخيال فإن هذا لا يمنعنا من الانتصاف للحقيقة فنقول بأن من مجريات الأحداث السياسية لذلك العصر في « أرض كنعان » يمكننا استخلاص الحقيقة من أن هذا الانتصار الاسرائيلي على موآب كان حقيقةً غير أن ما قد أحاط بهـذا الانتصار من مبالغات كان هو الشيء غير الحقيقي ! .. ونستبين ذلك تماماً إذا أحطنا علماً بموقع حشِبون الجغرافي . فان حشِبون لم تكن ، يومذاك ، إلا قرية ! .. وما زالت حتى اليوم قرية فانما حشِبون الأمس ليست إلا قرية « حَسبان » القائمة اليوم في البلقاء من شرق الأردن !

ومن هنا ندرك أن هذا الانتصار الذي سجلته اليد اليهودية كان حقيقةً وأما مدى أهميته في ضوء الواقع فلم يكن إلا في امتداد الزحف الإسرائيلي صوب ما يسمونه ، ادعاء ، « أرض الآباء » إذ ما أقام بنو إسرائيل في أرض الأموريين إلا ردحاً قصيراً من الزمن أعقبته وثبة جديدة ألصقها مؤلف « سفر العدد » بموسى حيث سطر :

« وأرسل موسى لِيَتَجَسَّسَ ! » ^(٢)

(١) الأصحاح ٢١ « سفر العدد »

(٢) الأصحاح ٢١ « سفر العدد »

وهنا رأى مؤلف « سفر العدد » أن الاستمرار في الزحف صوب
« الأرض الموعودة » قد غدا ممكناً ، فراح يسطر بأن بنى إسرائيل قد تدافعوا
وتقدموا حتى ؛

« طردوا الأموريين الذين هناك ثم تحولوا وصعدوا في طريق
باشان . » ^(١)

ولكن ! ... هنا :

« خرج عوج ملك باشان للقائهم هو وجميع قومه إلى الحرب في
إذرعى . » ^(٢)

وهنا امتدت ، مرة أخرى ، يد مؤلف « سفر العدد » فأرخت ؛
« واقعة إذرعى »

عن هذه الواقعة الأخرى يحدثنا هذا المؤلف قائلاً بأن الدائرة
على عوج وقومه قد دارت أيضاً فلقد ؛

« قال الرب لموسى ؛ لا تخف منه لأنى قد دفعته إلى يدك مع
جميع أرضه وقومه فتفعل به كما فعلت بـسيحون ملك الأموريين الساكن
في حشبون ! . . » ^(٣)

ومن ثم ؛

« فـضربوه وبنيه وجميع قومه حتى لم يبق له شارد وملكوا
أرضه ! . » ^(٤)

(٢) الاصحاح ٢١ « سفر العدد »

(١) الاصحاح ٢١ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ٢١ « سفر العدد »

(٤) الاصحاح ٢١ « سفر العدد »

ومرة أخرى، أيضاً ، امتدت يد هذا المؤلف اليهودي فسجلت أن « واقعة إذرعى » كانت انتصار حربياً آخر لإسرائيل . . ولنرى أن إلى « واقعة ياهص » ثم إلى « واقعة إذرعى » يعود بأسبابه التدافع الإسرائيلي صوب « الأرض الموعودة » تدافعا إيجابيا فلقد تحول بعد هاتين الوقعتين التوثب إلى الوثوب واستحال الإحجام إلى الإقدام ، على حد تصوير مؤلف هذا « السفر » ، إذ ليس إلا في أعقاب « واقعة إذرعى » كان ان ؛

« ارتحل بنو إسرائيل ونزلوا في عربات موآب من عبر أرض أريحا . »^(١)

وهناك .. هناك في صحراء موآب عبر أرض أريحا تنتشر صفحة أخرى جديدة يُجرى عليها هذا المؤلف قلمه وينشر بها الجديد من الأحداث... فان موآب وإن كانت قرية وشأنها في ذلك لم يكن الا كشأن أدوم وحشبون من حيث المرتبة الجغرافية إلا أنها كانت تعتبر دويلة من الدويلات التي كانت عهد ذاك منتشرة على « أرض كنعان » . ولما كان لكل دويلة ملك من رؤساء كنعان فقد ؛

« كان بالآق بن صفور ملكا لموآب في ذلك الزمان . »^(٢)

ومن هنا يبدأ هذا المؤلف اليهودي يروي رواية جديدة يستهلها قائلا ؛

« لما رأى بالآق بن صفور جميع ما فعل إسرائيل بالأموريين

(١) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

فزع ! .. »^(١)

أما موآب فقد أطلقت ، في ارتياح ، صرخة من خلالها :

« قال موآب لشيوخ مديان : الآن يلحس الجمهور كل ما حولنا

كما يلحس الثور خضرة الحقل ! .. »^(٢)

وعند ذاك هبَّ ملك موآب ؛

« فأرسل رسلا إلى بلعام بن بعور .. »^(٣)

وأما من كان بلعام بن بعور ؟ .. فسؤال ، نلقيه إلى هذا المؤلف

ومنه يأتي إلينا الجواب ؛ بأن بلعام بن بعور كان يعتبر في مديان وعند موآب

« نبياً » وكان في اعتبار قومه ، وعلى حد تعبير ذلك العصر ، شأنه كشأن

« السكلاماه » من فئة الكهنت البابلي وهذه فئة كان قد نيط بها أمر

« الكلام مع المعبود » . وهنا نترك نصوص هذا المؤلف ، نفسها ، تحدثنا

بينما نقف نحن بدون تعليق نتأمل هذه الصورة وهي في إطار هذا « السفر »

موضوعة وفي معرض التاريخ الديني اليهودي الحالي قائمة .. فالنصوص تسترسل

وفي سخاء عجيب تحدثنا قائلة بأن بالآق بن صفور قد ؛

« أرسل رسلا إلى بلعام بن بعور ... ليدعوه قائلاً ؛

هو ذا شعب قد خرج من مصر .. وهو مقيم مقابلي . فالآن تعال

والعن لي هذا الشعب ! ..

فانطلق شيوخ مديان ، وحلوان العرافة في أيديهم ، وأنوا إلى

بلعام وكلوه بكلام بالآق .

(١) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

فقال لهم : بيتوا هنا الليلة فأرد عليكم جواباً كما يكلمنى الرب . . . »^(١)

يقيناً لقد راعى مؤلف « سفر العدد » منطق العصر الذى يتحدث عنه فإن هذا النص يعود بالذكرة منا إلى معتقد بابلى قديم حمله المرتحلة من بلاد ما بين النهرين إلى حيث رفاً أيضاً على أرض كنعان وهو القائل بأن المعبود يتصل بالأتقياء عن طريق الأحلام . . . ومن هؤلاء كان « بلع فغور » وهو المعبود الذى يتحدث عنه أيضاً مؤلف هذا « السفر » بصيغة الألوهية ، ويحدثنا عنه وعن بلعام قائلًا ؛

« فأتى الله إلى بلعام وقال : من هم هؤلاء الرجال الذين عندك ؟ فقال بلعام لله ؛ بالآق بن صفور ، ملك موآب ، قد أرسل إلى يقول هوذا الشعب انخرج من مصر قد غشى وجه الأرض . تعالى ألعن لى إياه ! ... »

فقال الله لبلعام ؛ لا تذهب معهم ولا تلعن الشعب لأنه مبارك ! ... »^(٢)

ومن ثم ؛

« قام بلعام صباحاً وقال لرؤساء بالآق ؛ انطلقوا إلى أرضكم لأن الرب أبى أن يسمح لى بالذهاب معكم ... »^(٣)

لماذا ؟ ! . ألم يجد بلعام فيما منحه بالآق له من مال ما يسكنى للقيام بهذه « اللعنة » ؟ .. يبدو أن الأمر كان كذلك ، إذ ؛

(١) الأصحاح ٢٢ « سفر العدد » (٢) الإصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٣) الأصحاح ٢٢ « سفر العدد »

« عاد بالآق وأرسل أيضاً رؤساء أكثر وأعظم من أولئك فأتوا إلى بلعام وقالوا له : هكذا قال بالآق بن صفور . لا تمتنع من الإتيان إلى لأنى أكرمك إكراماً عظيماً وكل ما تقول لى أفعله ! » ^(١)

وإذن فليرفع بلعام أسهمه ! . ومن هنا ؛

« أجاب بلعام وقال لعبيد بالآق ؛ ولو أعطاني بالآق ملء بيته فضة وذهباً لا أقدر أن أتجاوز قول الرب إلآسى .. » ^(٢)
ولكن ! .

« امسكتوا هنا أنتم أيضاً هذه الليلة لأعلم ماذا يعود الرب يكلمنى به .. ! » ^(٣)

وأمام وعد باكرام جزل ووافر عطايأ حدث أن ؛
« أتى الله إلى بلعام ليلاً وقال له ؛ إن أتى الرجال ليدعوك فقم واذهب معهم ! .. فقام بلعام صباحاً وشد على أتانته وانطلق مع رؤساء مؤآب .. » ^(٤)

ولسكن ! .. ما كاد بلعام يشد على أتانته وفى رضوخ لأمره « ربه » انطلق إلى بالآق إلآً وعليه ؛

« حتى غضب الله لأنه منطلق ! » ^(٥)

لماذا ؟ ! .

(١) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٤) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٥) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

أما لماذا حتى غضب « بعـل فغور » إله بلعام على بلعام لأنه انطلق وهو الذى ، على حد ترَّاهات هذه النصوص ، كان قد أمره بهذا الانطلاق فسؤال يقذف بنفسه إلى الخطر أمام هذه المتناقضات التى تتنافى وكل معايير المنطق بينما تتولى النصوص اليهودية الإجابة عنه بحديث يطلق الخيال منا إلى عالم سحري عجيب مادته قد صيغت من عنصر التهاويل وأما كل ما يجرى فى رحابه فهو ، ولا جدال ، من صنع عقل وليد ! .

على جناح جانح ، من أوهام الطفولة الباكرة ينطلق هذا المؤلف ويتجاوز حدود المنطق ويحدثنا من ورائه بأن غضب إله بلعام على بلعام لم يحم إلا وأسرع « ملاك الرب » يمنع بلعام من الانطلاق بأتانه إلى حيث يريد . . فلقد :

« وقف ملاك الرب فى الطريق ليقاومه وهو راكب على أتانه !
فأبصرت الأتان ملاك الرب واقفاً فى الطريق وسيفه مسلول فى يده فمالت الأتان عن الطريق ومشت فى الحقل .

فضرب بلعام الأتان ليردها إلى الطريق ! » ^(١)
أبصرت الأتان « ملاك الرب » ، وفى يده سيفه المسلول ، فحادت عن الطريق فضربها بلعام ليردها إلى الطريق . ولكن ! . . ؛

« وقف ملاك الرب فى خندق للسكرور له حائط من هنا وحائط من هناك . فلما أبصرت الأتان ملاك الرب زحمت الحائط وضغطت رجل بلعام بالحائط ! فضربها أيضاً ! .. » ^(٢)

(١) الأصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٢) الأصحاح ٢٢ « سفر العدد »

ولكن ! .

هل تستطيع أتان بلعام محاورة « ملاك الرب » ؟ ! ..
كلا ! . فلقد .

« اجتاز ملاك الرب أيضاً ووقف في مكان ضيق حيث ليس
سبيل للنكوب يميناً أو شمالاً ! .. » ^(١)

وأما ماذا فعلت الأتان عند ذلك ؟ .. فإنها ؛

« لما أبصرت الأتان ملاك الرب ربضت تحت بلعام ! .. » ^(٢)
وهنا ؛

« حتى غضب بلعام وضرب الأتان بالقضيب ! .. » ^(٣)
وعندذاك ! .. عندذاك ؛

« فتح الرب فم الأتان ! .. » ^(٤)
ماذا ؟ ! ..

نعم ! . ؛

« فتح الرب فم الأتان ! وقالت لبلعام ؛ ماذا صنعت بك حتى
ضربتني الآن ثلاث دفعات ؟ !

فقال بلعامُ للأتان ؛ لأنك ازدريت بي ! لو كان في يدي سيف
لكنت الآن قد قتلتك !

فقالت الأتان لبلعام ؛ ألسنت أنا أتانك التي ركبت عليها منذ وجودك

(١) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد » (٢) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٤) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

إلى هذا اليوم ؟ هل تعودت أن أفعل لك هكذا ؟ .. »^(١)

وهنا نرنو إلى مؤلف « سفر العدد » بنظرة تخترق الأجيال إليه
في نفس الوقت الذى له نسأل ؛ وماذا كان جواب بلعام أمام هذا المعطق الذى
جاء من « الأتان » ؟ ..

وفي ثقة ويسر يجيبنا هذا المؤلف اليهودى قائلا بأن عند ذاك أجاب
بلعام الأتان ؛

« فقال ؛ لا ! . »^(٢)

ولكن .. حدث عند ذاك أن ؛

« كشف الرب عن عيني بلعام فأبصر ملاك الرب واقفاً في الطريق .. :
فقال له ملاك الرب ؛ لماذا ضربت أتانك ؟ ! .. ها أنذا قد خرجت للمقاومة ..
فأبصرتنى الأتان ومالت من قدامى .. ولو لم تمسك من قدامى لكنت الآن قد
قتلتك واستبقيتها !

فقال بلعام لملاك الرب ؛ أخطأت ! إني لم أعلم أنك واقف
تلقائى في الطريق . والآن إن فجع في عينيك فإني أرجع ! .. »^(٣)
واكن ؛

« قال ملاك الرب لبلعام ؛ اذهب مع الرجال وإنما تشكلم بالكلام
الذى أكلمك به فقط !

فانطلق بلعام مع رؤساء بالاق .. »^(٤)

(٢) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(١) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٤) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

حتى الآن لا نستطيع أن نفهم لماذا كان هذا كله ولكننا ، ولا جدال ، نفهم أن هذه الرواية ليست إلا محض خرافة حاكها الخيال من هذا المؤلف وانطلق بها على أجنحة الهوى حتى إلى هاوية الخزعبلات بها هوى ! . فهي رواية لا يقبلها العقل وترفضها البداهة ويأبأها المنطق فحسب ، وإنما هي في واقعها ليست إلا امتداداً لتلك الأسطورة التي كانت معروفة في مصر القديمة وبالتحديد في عصر الرعامسة . . . فليست رواية الأنان التي تتكلم بصوت آدمي إلا رجع العدى من قصة الثعبان الذي يتكلم بصوت آدمي ! ...

وأما تلك الرواية الأخرى التي تقول بظهور « ملائكة الرب » .. فهذه رواية ليست في واقعها ، أيضاً ، إلا امتداداً لمعتقد قديم عرفته بابل ومصر القديمة على سواء ، فأنما أساطير القدامى مترعة بالكثير من الروايات عن كائنات مجنحة بين الإلهية والبشرية ومن ثم فاللوات اليهودى إذ يأتى بهذه الصورة فأنما هو قد راعى التفكير الدينى للعصر الذى كان عنه يتحدث وهو بهذه النصوص يسترسل قائلاً :

« فلما سمع بالآق أن بلعام جاء خرج لاستقباله .. فقال بالآق لبلعام : ألم أرسل إليك لأدعوك ؟ .. أحقاً لا أقدر أن أكرمك ؟ ! . فقال بلعام لبالاق : ها أنذا قد جئت إليك .. الكلام الذى يضعه الله فى فمى به اتكلم ! .. »

وفى الصباح أخذ بالآق بلعام وأصمده إلى مرتفعات بعل فرئى من هناك أقصى الشعب . » ^(١)

(١) الاصحاح ٢٣ « سفر العدد »

وأطرق بلعام للحظة هب على أثرها ؛
« فقال بلعام لبالآق ؛ ابن لى هنا سبعة مذابح وهى لى
ههنا سبعة ثيران وسبعة كباش .

ففعل بالآق كما تكلم بلعام . وأصعد بالآق وبلعام ثوراً
وكبشاً على كل مذبح .

فقال بلعام لبالآق ؛ قف عند محرقتك فأناطلى أنا لعل الرب يوافى
للقائى . فمهما أرانى أخبرك به . . . »^(١)

وهنا نترك للخيال منا حرية التفكير فى أن يتصور هذا المشهد الذى
ترسمه هذه النصوص وهى عن بلعام تحدثنا قائلة ؛
« ثم انطلق إلى رابية فوافى الله بلعام ! . »^(٢)

أى عبث هذا العبث بالعقول ؟ !
وأى « إله » هذا الذى يوافى المرء عند الرابية ؟ ! .
نحن نعلم أن هذه النصوص لا تعنى بهذا الإله إلا « بعل فنور »
إله مؤاب ولكن ذلك لا يمنعنا من التدليل على عدم شرعية هذه النصوص
التي تقول بأن « الله » قد وافى بلعام عند الرابية حيث هناك ؛

« وضع الرب كلاماً فى فم بلعام وقال ؛ ارجع إلى بالآق وتكلم
هكذا . . . ؛ من أراهم أبى بى بالآق ملك مؤاب من جبال المشرق . تعال
المن لى يعقوب وهلم اشتم إسرائيل .

كيف ألعن من لم يلعنه الله ؟ ! وكيف أشتم من لم يشتمه الرب ؟ ! »^(٣)

(١) الاصحاح ٢٣ « سفر العدد » (٢) الاصحاح ٢٣ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ٢٣ « سفر العدد »

حقاً لقد حار الفكر منّا بين «يهوه» وبين «بعل فنور» هذين
 «الرّبين اللذين يتكلّم عنهما هذا المؤلف بصيغة الألوهية وفي هذا اعتراف منه
 صريح بوجود آلهة أخرى غير إلّاه إسرائيل ، وأن «يهوه» هذا ليس إلّاه ربّاً
 خاصّاً بإسرائيل! .. يبيّن أن تُرى أى شيء كان قد حدث ، في واقع الأمر ،
 عند تلك الرّاية ؟ ... ومن ذاك الذى كان قد وافى بلعام هناك حتى جعله ، بعد
 انقلاب إلى موآب ، على موآب ينقلب ؟! ..

إننا لن نستطيع انتزاع الجواب من صدر هذا المصدر اليهودى
 وإنّما مما لا نزاع فيه هو أنّنا نستطيع الاهتداء إليه من مجريات أحداث هذه
 الرواية نفسها . . فان بلعام كما يبدو من خلال هذه الرواية كان شخصية قد نيط
 بها حلّ ما يطرأ على القوم من ملات الأمور ومفاوضة أى عدو يريد اقتحام
 حرمة البلاد وإلالمها كان قد ناداه ملك موآب إليه وبذل له القضة والعطايا ثمناً
 لهذا الانتقال . وأما كيف جاء هذا الميل عن موآب بعد الميل إليها فلم يكن إلّا
 بعد ذلك الحدث «عند الرّاية» والذي على أثره انطلقت صيحة بلعام في موآب
 تقول «كيف ألعن إسرائيل» . . إنه ؛

« شعب يقوم كلبوة ! .. »

لا ينام حتى يأكل فريسة . ويشرب دم قتلى ! ... »^(١)

وأما إذا سألنا هذا المؤلف لماذا كان هذا الوصف ! . فالجواب
 يأتي يحدثنا بأنه قد حلّت «روح الله» على بلعام فانطلق يقول ، هذا :

« وحي بلعام بن بعور وحي الرجل المفتوح العينين وحي
 الذى يسمع أقوال الله! ... ما أحسن خيامك يا يعقوب مساكنك يا إسرائيل؟! .. »

يأكل أمّا ! . . يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل فيحطم طرفي موآب ! »^(١)

لا جدال في أن هذا المشهد ليس إلا فصلا من رواية مُثَلَّت على مسرح تاريخ هذه الجماعة التي وصفت نفسها بالقدسية وبأنها مباركة من الرب وأما النتيجة التي تفتقت عن هذا المشهد فاختلاط أبناء إسرائيل بالموآبيين في غير صدام وحتى المدى الذي يحدثنا عنه مؤلف هذا « السفر » قائلًا لقد :

« أقام إسرائيل في شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب ! »^(٢)

في « شطيم » ، « شط اليموم » في منطقة بيان ، أقام إسرائيل ، وفي عبث بالقيم الأخلاقية تنهى مسداه ، كما نفهم من مؤلف « سفر العدد » ، أوغل « الشعب المختار » في انحلاله وانحرافه الخلق ، بل ولقد بلغ الشطط بهذا « الشعب المقدس » في هوى بنات موآب أقصاه حتى أنه بغية استرضائهن قد انحرف إلى إلهه موآب عن « إله إسرائيل » وولى وجهه عن « يهوه » وأتجه يعبد « بعل فغور » ! . . فلقد :

« تعلق إسرائيل ببعل فغور ! »^(٣)

وهنا علقت عينا هذا المؤلف اليهودي بالأفق لاحتظة قدر خلاطها بميزان الغد نتأج ميل هذه الجماعة عن « يهوه » إله إسرائيل إلى « بعل فغور »

(١) الاصحاح ٢٤ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ٢٥ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ٢٥ « سفر العدد »

إِلَهُ مَوَّابَ فَكَانَ حَتْمًا عَلَيْهِ أَنْ يُشْمَرَ عَنْ سَاعِدِهِ مِنْ جَدِيدٍ وَيَسْطَر
بِقَائِلَا بَنِي عَنذَازَكَ .

« حَمَى غَضَبَ إِسْرَائِيلَ ! . ^(١) »

وَأَمَّا كَيْفَ يَعْبُرُ هَذَا الْمُؤَلَّفُ عَنْ هَذَا الْغَضَبِ ؟ فَلَيْسَ إِلَّا بِإِضَافَةِ
إِفْتِرَاءٍ جَدِيدٍ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ! فَالْقَلَمُ فِي يَدِهِ قَدْ جَرَى يَقُولُ ؛ بَأَنَّ
الرَّبَّ قَدْ وَافَى مُوسَى وَلَهُ مُنَادِيًّا قَالَ ؛

« يَا مُوسَى ! خُذْ جَمِيعَ رُؤُوسِ الشَّعْبِ وَعَلِقْهُمْ لِلرَّبِّ مُقَابِلَ
الشَّمْسِ . فَيَرْتَدُّ هُوَ غَضَبَ الرَّبِّ عَنْ إِسْرَائِيلَ !

فَقَالَ مُوسَى لِقَضَاءِ إِسْرَائِيلَ ؛ اقْتُلُوا كُلَّ وَاحِدٍ قَوْمَهُ الْمُتَعَلِّقِينَ بِيَعْلَ
خَفُورَ ! . . . » ^(٢)

نَمْ ؟ ..

« نَمْ كَلَّمَ الرَّبَّ مُوسَى قَائِلًا ؛ ضَايِقُوا الْمَدْيَانِيِّينَ وَاضْرِبُوهُمْ ! . » ^(٣)
اضْرِبُوهُمْ ؟ . . . بَلَى اضْرِبُوهُمْ فَلَقَدْ ؛

« كَلَّمَ الرَّبَّ مُوسَى قَائِلًا ؛ اَنْتَقِمْ نَقْمَةَ ابْنِي إِسْرَائِيلَ ! . . .
فَكَلَّمَ مُوسَى الشَّعْبَ قَائِلًا ؛ جَرِدُوا مِنْكُمْ رِجَالًا لِلْجُنْدِ فَيَكُونُوا
عَلَى مَدْيَانَ لِيَجْمَعُوا نَقْمَةَ الرَّبِّ عَلَى مَدْيَانَ ! . » ^(٤)

وَارْتَفَعَتْ يَدُ مُؤَلَّفِ « سَفَرِ الْعَدَدِ » بِقَلَمِهِ تَشِيرُ لْجُنْدِ إِسْرَائِيلَ
بِالْمُهْجُومِ نَمْ عَادَتْ تَسْطَر ؛

(١) الإصحاح ٢٥ « سفر العدد »

(٢) الإصحاح ٢٥ « سفر العدد »

(٣) الإصحاح ٢٥ « سفر العدد »

(٤) الإصحاح ٣١ « سفر العدد »

« أرسلهم موسى ألفاً من كل سبط إلى الحرب ! هم وفينجاس.
ابن اليعازار الكاهن إلى الحرب ! »^(١)

وتحت إمرة فينجاس وقيادته انحدرت إسرائيل على مديان ؛
« كما أمر الرب ! »

وقتلوا كل ذكر !

وملوك مديان اقتلهم فوق قتلاهم ! .. خمسة ملوك ، صناوى
وراقم وصور وحور ورابع .

وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف ! »^(٢)

كلا لن نتساءل قائلين كيف ، بعد انحراف عن قومه إلى إسرائيل .
يقتل بلعام بسيف إسرائيل ؟ .. وإنما نتساءل ؛ إذا كان كل ذكر في مديان قد
قتل بسيف إسرائيل اثماراً بأمر « يهوه إله إسرائيل » فبماذا أمر « إله
إسرائيل » « شعبه » أن يفعل بنساء مديان وأطفال مديان ؟ ! ..

سؤال ، تأتي الإجابة عنه من هذه النصوص وهى تسترسل .
صريحة تقول ؛

« سبي بنو إسرائيل نساء مديان ! .. وأطفالهم ! ونهبوا جميع بهائمهم
ومواشيهم ! »^(٣)

والمدن المديانية ؟ ... ماذا فعل بنو إسرائيل بمدن مديان ؟ ..

سؤال آخر تأتي الإجابة عنه من نفس هذه النصوص وهى فى
زهو وخيلاء تحدثنا عن توغل إسرائيل فى مدن مديان بل وفى تفاخر .

(١) الأصحاح ٣١ « سفر العدد »

(٢) الأصحاح ٣١ « سفر العدد »

تسجل عليهم بأنهم قد :

« أحرقوا جميع مساكنهم ومدنهم وجميع حصونهم بالنار !
وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم ! .. »^(١)

وأما ماذا فعل بنو إسرائيل بهذه الأسلاب والأنهاب ! .. فسؤال آخر يأتي الجواب عنه من نفس هذه النصوص الحاملة في ثناياها البرهان الدامغ على عدم شرعيتها وهي عن سؤالنا هذا تجيب :

« أتوا إلى موسى واليعازار الكاهن . . . بالسبي والنهب والغنيمة . . .

فخرج موسى واليعازار الكاهن وكل رؤساء الجماعة لاستقبالهم .. »^(٢)
ولكن ! .. هذا « الشعب المبارك » لم يكذب بطرح أمام موسى هذه الأسلاب والأنهاب بعد سبي الأطفال والنساء إلا :
« وسخط موسى على وكلاء الجيش ! .. »^(٣)

لماذا ؟ ! .. هذا سؤال آخر يأتي الجواب عنه من نصوص استقت مدادها من مادة البهتان إذ تصور موسى وقد خرج على رؤساء الجيش ساخطاً :
« وقال لهم .. ، هل أ بقيتم كل أنثى حية ؟ ! ..
افتلوا كل ذكر من الأطفال !

وكل امرأة عرفت رجل بمضاجعة ذكر قتلوها !
لكن . جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيَّات ! .. »^(٤)

(١) الإصحاح ٣١ « سفر العدد »

(٢) الإصحاح ٣١ « سفر العدد »

(٣) الإصحاح ٣١ « سفر العدد »

(٤) الإصحاح ٣١ « سفر العدد »

ما هذا العبث الساخر بالقيم الأخلاقية وبالإديان ؟ ! يقيناً إنه لعبث لا يحتاج إلى تدليل على انتفاء القدسية عن هذه النصوص ! .. ولكن . ! هنا لنا كلمة نقولها وإلى مُؤلف « سفر العدد » ناقيها عنبر الأجيال وهي ؛ أن هذه « العملية » التي قامت بقتل كل طفل ذكر وكل أنثى ميسب ولم تسبق إلا الإناث الأبقار متعة لرجال إسرائيل ليست عملية هي العنف بعينه وتحمل في ثناياها أصرخ ألوان الفسوة وأقسى ما بلفقه القسوة من ألوان الإيذاء فعصب وإنما هي عملية كان الأجدر بهذا المؤلف ألا يجعلها تقع في « مديان » ! ...

أسمى مؤلف « سفر العدد » أن مديان كانت الملجأ الوحيد الذى لجأ إليه موسى ، عليه السلام ، في أعقاب ذلك الحدث في مصر ؟ أم غفل هذا المؤلف عن أن مديان تربط هذا الرسول الكريم رابطة نسب ومصاهرة بابنين له فيها وزوجة أولى هي بنت كاهنها يثرون ؟ ! .

يقيناً لقد غاب عن ذاكرة مؤلف « سفر العدد » حديث زميله مؤلف « سفر الخروج » عندما تحدث عن استقبال يثرون لموسى وترحيبه به وببنى إسرائيل وشكره للرب على خلاصهم ، وإلا فما الذى جعل مؤلف « سفر العدد » يفعل ذلك وليس هناك أى إصباح فيما قد سبق فيه ما يشير إلى تبدل حالة الصداقة والسلم تلك إلى هذه الحالة من العداء ؟ ! ... ولكنه هو بطلع علينا فجأة بقصة هذا الغزو والفتك بالمديانيين وسلبهم وسبيهم وتدمير مدنهم وإحراقها بهذه القسوة التى بلغت أقسى ما تبلغه القسوة من ألوان الإيذاء ليحمل إلينا الدليل الكافى على ما ينطوى فى نفوس بنى إسرائيل من غلّ وحقد وشرّ ضدّ غيرهم من الشعوب والتذرّع بأنفه الأسباب إلى حربهم كهذه الذريعة التى

ساقم هذا المؤلف، نفسه، من مادة تعلق إسرائيل؛ «بعل ففور» وحلهم إليه نفس ما كانوا يحملونه إلى «يهوه» من الكباش والثيران! وهذا مما يحملنا نقول إن نسبة هذا «السفر» إلى موسى إنما هي من أفدح المآخذ التي تؤخذ على مؤلف هذا «السفر»! . فإن هذه النصوص التي تجعل موسى، عليه السلام، يسخط على الرؤساء من إسرائيل لاستيقائهم الأطفال وبعض النساء هو الذي يدفع بنا إلى أن نعلي الصوت قائلين بأن صفة القداسة ترد عن هذا «السفر» كل الارتداد والبرهان على ذلك هو نفس هذا المؤلف الذي لم يتورع من أن ينسب، افتراءً كما اعتاد وتعود، هذا الفعل إلى موسى! .. بل وفي تناول يأتي بفرية جديدة عليه، عليه السلام، فيقول بأن يومئذك :

«كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا : احصِ النِّهْبَ الْمَسْبِيَّ ، مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ ، أَنْتَ وَالْيَعَاذَارُ الْكَاهِنُ وَرُؤُوسُ آبَاءِ الْجَمَاعَةِ .. وارفع زكية للرب! .. نفساً من كل خمسمائة من الناس ، والبقر والحير والغنم من نصفهم تأخذونها وتعطونها لأليعاذار الكاهن ! .. ومن نصف بني إسرائيل تأخذ واحدة مأخوذة من كل خمسين من الناس والبقر والحير والغنم من جميع البهائم وتعطيها للآويين

ففعَلَ مُوسَى وَالْيَعَاذَارُ الْكَاهِنُ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى ! .. »^(١)

والآن ؟ . أليس هناك حد يمكن أن يقف عنده مؤلف « سفر العدد » ؟ .. كلا ! .. إنما هو يعم في الافتراء والأضاليل ويتوغل قائلًا بأن عند ذاك تقدم « الوكلاء » إلى موسى :

« .. فأخذ موسى وأليعاذار الكاهن الذهب منهم ! .. »^(٢)

(١) الإصحاح ٣١ « سفر العدد »

(٢) الإصحاح ٣١ « سفر العدد »

إلى أين سيذهب هذا المؤلف اليهودى بكل هذا « الذهب » ؟ .
 إن مؤلف « سفر العدد » قد سال في يده الذهب فتغير عن ذى
 قبل حتى إنه إلى داخل « خيمة الاجتماع » قد بدأ الآن يدخل الذهب ! . فلا
 غرو من ثمَّ أن نراه يتوغل في تضليله ويوغل في ضلالته ويسطر بأن اليد
 الموسوية قد بدأت تمنح المنح ، لا بالذهب فحسب وإنما بالمالك ! . فهو يجعلها
 تهب مملكتى « حشبون » و « باشان » لسبطى رأوبين وجاد وذلك عندما جاء
 يطلبان هذه المنحة بحجة أنهما أصحاب ماشية وأن تلك الأرض صالحة للرعى . .
 ولكن ! . هذا المؤلف اليهودى الذى أسرع بمنح هذين السبطين
 هذه المنحة قد وجد نفسه أنه بفعله هذا قد تسرع ! . فلقد تراجع هذان
 السبطان ، وبدلاً من أن يشد أزر باقى الأسباط راحا يصدان سائر إخوانهم
 عن مواصلة الترحال صوب الأردن .. ومن ثمَّ كان حتماً عليه أن يسطر ؛
 « قال موسى لبني جاد ورأوبين ؛ هل ينطلق إخوتكم إلى
 الحرب وأنتم تقعدون هنا ؟ لماذا تصدون قلوب بنى إسرائيل عن العبور إلى
 الأرض التى أعطاها الرب ؟ ! .
 هكذا فعل آباؤكم حين أرسلتهم من قادش فحصى غضب الرب
 فى ذلك اليوم وأقسم قائلاً ؛ لن يرى الناس الذين صعدوا من مصر ، من ابن
 عشرين سنة فصاعداً ، الأرض التى أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب ! لأنهم
 لم يتبعونى تماماً ! . .
 فحصى غضب الرب على إسرائيل وأتاهم فى البرية أربعين سنة !
 حتى فنى كل الجيل الذى فعل الشر فى عيني الرب !
 فهو ذا أنتم قد أقسم عوضاً عن آبائكم .. أناس خطاة ! . » (١)

ما هذا النطق المعكوس ؟ ! سؤال نلقيه إلى مؤلف هذا «السفر»
قائلين ؛ ألم يجد «يهوه» شعباً يختاره أصلح من هذا الشعب الذى يصفه بالشر
ويصف سلالاته بأناس خطاة ؟ ! . أم أن ما فى الجماعة من صفات قد وافقت من
هو الهوى ؟ ! . سؤال نلقيه إلى هذا المؤلف الذى منح نفسه مطلق الحرية فى
التكلم بلسان موسى ، عليه السلام ، غير أننا نراه فى شاغل عن الجواب بمحصر
عدد كل جماعة بنى إسرائيل من ابن عشرين سنة فصاعداً ليكون جندياً
فى إسرائيل ! . . فلقد مضت أربعون سنة وجماعة إسرائيل تتحفز للانطلاق
صوب « الأرض التى أعطاها الرب » ومن ثم فلا غرو أن نراه يتناول قلمه
ويجريه راسماً هذه الصورة التى سجلت ؛

ارتسام رقعة « الأرض الموعودة » فى إطار الفرات والنيل

فى تناول امتدت يد مؤلف « سفر العدد » ترسم على قماش الزمن
صورة « الأرض الموعودة » وفى تمامٍ نسبتها إلى موسى بل وفى افتراء سافر
على هذا الرسول الكريم راح القلم فى هذه اليد يسطر بأن موسى هو القائل ؛
« هذه هى الأرض التى تقع لكم نصيباً ؛

أرض كنعان بتخومها ! . إلى وادى مصر ! . » ^(١)

وهكذا فى إطار الفرات والنيل ارتسمت رقعة « الأرض الموعودة »
لوحةً وقف أمامها هذا المؤلف اليهودى يمنح نفسه مطلق السلطان فى تقسيمها
بين أسباط إسرائيل وكما يعطى قضيته صفة شرعية راح يقول إن موسى هو ،
نفسه ، قد تابع الكلام قائلًا لبنى إسرائيل ؛

« هذه هي الأرض التي تقسمونها بالقرعة ... هذان اسماء الرجلين
الذين يقسمان لكم الأرض ؛ اليعازار الكاهن ويشوع بن نون . »^(١)
لقد عرفنا أن اليعازار هو ابن هرون وأما يشوع فلم يطلع علينا من
قبل وله هذه الصفة الرسمية التي خلعها عليه هذا المؤلف حتى أنه فوّض اليه أمر
تقسيم هذه « الأرض » .. ثم إن اقتران اسمه باسم اليعازار يحمل في مضمونه
ارتفاعه إلى مرتبة خطيرة ذات شأن ، وهذا مما يجعل الفكر منا يتحوّل
بالانتباه إليه ! ..

ولكن ، حتى يطلع علينا يشوع بن نون تحت صورة واضحة نرانا ،
ونحن في صدد تقسيم هذه الأرض ، لا نتساءل ؟ ما هو نصيب اللاويين من
هذه « الأرض » إلاّ نلتمنقظ منا المسمع هذا الجواب ؛

« كلم الرب موسى في عربات موآب .. قائلاً ؛ أوص بني اسرائيل
أن يعطوا اللاويين من نصيب ملكهم مدناً ! . ومسارح للمدن ! .
فتكون المدن لهم للسكن ومسارحها تكون لبهائمهم .
ثماني وأربعين مدينة مع مسارحها ! »^(٢)
ولكن ...

« المدن التي تعطون للاويين تكون ست منها لاملجأ ...
ثلاثاً من المدن تعطون في عبر الأردن . وثلاثاً تعطون في أرض كنعان . »^(٣)
لماذا ؟ ! ..

« لكي يهرب اليها القاتل ... القاتل الذي قتل نفساً سهواً .. »^(٤)

(٢) الاصحاح ٣٥ « سفر العدد »

(١) الاصحاح ٣٤ « سفر العدد »

(٣ و ٤) المصدر نفسه

وهنا يطرق الفكر منا بينما تستعيد المخيلة صوراً باهتة في جبين الماضي
البعيد ولا يقطع عليه هدأة هذه التأملات الا صوت هذا المؤلف اليهودي
وقد عاودته حتى امتلاك « الأرض الموعودة » فيصيح :

أى اسرائيل

« انكم عابرون الأردن الى أرض كنعان .. ! »^(١)

من ثم عليك ، أى اسرائيل ، أن تذكر ما قد سمعته من وصايا حينما :
« كلم الرب موسى فى عربات موآب على أردن أريحا قائلاً :
كلم بنى اسرائيل وقل لهم : إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان .
فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم .. وتخربون جميع مرتفعاتهم !
تملكون الأرض وتسكنون فيها لأنى قد أعطيتكم
الأرض لى تملكوها ! .

وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون
منهم أشواكاً فى أعينكم ، ومناخس فى جوانبكم ، ويضايقونكم على الأرض
التي أنتم ساكنون فيها . فيكون إني أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم ! .. »^(٢)
أى اسرائيل ! .

إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان
لتخرجوا أهلها منها وتملكوها .. وإذن .. دكوا مشارف كنعان . اطردوا
أهل البلاد من أرضهم ، خربوا بيوتهم ! أيدوهم . اقتلوهم . إن إلهك ، يا اسرائيل ،
يأمرك بذلك ولك يقول إنك إذا لم تأتمر بهذا الأمر فسيصنع بكم ما قد انتوى

(١) الاصحاح ٣٣ * سفر العدد *

(٢) الاصحاح ٣٣ * سفر العدد *

صنعه بهم ! ..

واثتمرت إسرائيل بهذا الأمر كما تحدثنا بذلك هذه النصوص التي تحمل الإلماح الكافي لأثر الوقائع التي جرت فعلاً عند زحف بني إسرائيل صوب «الأرض الموعودة».. فقد راحوا يشفون غلاً كان بين جوانبهم دفيناً وغيظاً كان في صدورهم كظلمة حتى لميكننا القول بأن هذه النصوص هي في واقعها رجع الصدى للوقائع التي جرت مع أهل البلاد من سكانها الأصليين ... فلقد زحف أبناء إسرائيل على غرب الأردن وتغلّبوا على مساحة كبيرة فيها وقتلوا من قتلوا من الرجال بعد الاطفال والنساء كما يحدثنا بذلك هذا المؤلف اليهودي الذي يضاعف افتراء آتة على موسى ، عاينه السلام ، قائلاً ؛

« هذه هي الوصايا والأحكام التي أوصى بها الرب إلى بني إسرائيل عن يد موسى ! . » (١)

ما هذا الهراء المبتوث على موسى عليه السلام ؟ ! .. يقيناً إنه لهراء مبتوث على هذا الرسول الكريم وهذا مما يجعل الإيمان بقضية هذه النصوص هو ، بعينه ، الكُفر !. وكأننا هذا المؤلف قد أحس بأنه قد أفرط في كفره فتراخت يده وهناً عن التسطير بينما قفز أمامنا مؤلف يهودي آخر أبي إلا أن يلبصق بموسى ما قد افترفه رفاقه في حق هذا الرسول الكريم ، فهو يهب صائحاً بأن هذه هي حقاً ؛

« شريعة إسرائيل ! »

يطلع علينا هذا المؤلف اليهودي الجديد للسفر الخامس ، من الكتاب المقدس للدين اليهودي الحالي ، الحامل اسم « سفر التثنية » تارة واسم « سفر

تشنية الاشتراع « تارة أخرى ، مؤكداً بأن :

« هذا هو الكلام الذى كلم به موسى جميع إسرائيل فى عبر الأردن ...
فى السنة الأربعين .. كلم موسى بنى إسرائيل حسب كل ما أوصاه الرب
إلّهم ! .. »^(١)

وأما ما هى هذه « الشريعة » ؟ .. وما الذى تحمله من قيم ومن معان ؟ .
فسؤال بعد آخر نلقيه إلى هذا المؤلف الجديد وإلينا منه يأتى الجواب عبر قلم
فى يده جرى فصور موسى ، عليه السلام ، بصورة برّ فيما أتى بها من ألوان
الأضاليل من سبقوه من مؤلفى « الأسفار » إذ استرسل يقول :

« فى أرض مؤآب ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلاً : الرب
إلّهمنا كلنا فى حوريب قائلاً : كفاكم قعود فى هذا الجبل ! تحولوا وارتحلوا !
وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل
البحر ! . أرض الكنعانى ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات ! .. »^(٢)

هذه هى « الشريعة » ! . وهذا ما تحمله هذه الشريعة من قيم ومن
معان لا تمثّل إلا صرخة أطلقها هذا المؤلف اليهودى فى ذلك الزمن البعيد وما
زال منها الصدى يجلجل فى السمع اليهودى حتى اليوم ! .. فلم تكن هذه
النصوص إلا الصرخة التى احتفرت عقيدة امتلاك « الأرض الموعودة » فى الوعى
اليهودى غداة هب هذا المؤلف اليهودى بصيح :

أى إسرائيل ! . كفاكم قعود فلقد
استكفتم تقاعداً عن تحقيق حلم الآباء ! . ازحفوا صوب « الأرض الموعودة »

(١) الامحاح الاول « سفر التثنية »

(٢) الامحاح الأول « سفر التثنية »

وامتلكوها اثتاراً بما شرع لكم إلهكم من شريعة تقول ؛
« ادخلوا وتملكوا الأرض التي أقسم الرب لأبائكم
أن يعطيها لهم ! . » ^(١)

وأما إذا سأل سائل وقال ، ولماذا لم يعط الرب للآباء هذه « الأرض »
وهو بإعطائهم إياها كان لهم قد أقسم ؟ فإِنما لذلك أسباب وهى أنكم كنتم
فى ذلك الوقت قلة ، وأما الآن فإن ؛
« الرب إلهكم قد كثركم ! . » ^(٢)

ومن ثم فالآن يستطيع هذا المؤلف الجديد أن يرسل صرخته ولسان
موسى ، فى افتراء عليه ، يصيح ؛

أى إسرائيل ! .. لقد كنا حفنة مبعة فى راحة الأيام وأما
اليوم قد كثرنا إلهنا و ؛

« جئنا إلى جبل الأمورين الذى أعطانا الرب إلهنا . انظر !
قد جعل الرب إلهك الأرض أمامك !

اصعد ! تتملك ، كما كلمك الرب ! ..

لا تخف ! ولا ترتعب ! » ^(٣)

وعلى هذا المتوال تجرى النصوص من هذا « السفر » وخاصة الاصحاحات
الثلاثة الأوّل وهى ليست إلا تكراراً لما كان من سيرة بنى إسرائيل فى « برية
سيفاء » ومجريات الأحداث التى جرت عليهم منذ اتجاّهم نحو شرق الأردن
الى أن استولوا على دويلتى « حشبون » و « باشان » مما ورد ذكره من قبل

(١) الاصحاح الأول « سفر التثنية » (٢) الاصحاح الاول « سفر التثنية »

(٣) الاصحاح الاول « سفر التثنية »

في « سفر العدد » .. فلا شيء جديد في هذه الإصحاحات الثلاثة الا ما يفيد بأن حركة اسرائيل واتجاهها نحو شرق الأردن كانت بعد انقضاء أربعين سنة من الارتحال عن مصر وأن في خلالها كانت فكرة « الأرض الموعودة » تودع في أذهانهم حتى غدت عقيدة دينية وأما في نهاية هذه الأربعين سنة في النصوص ما يفيد بأنهم قد أصبحت عقدة نفسية يزيدها على تعقيد تعقيداً صوت هذا المؤلف الذي يزيدها إيماناً بأن على أجنحة الهوى قد شطّح به الخيال والافأى جنوح أكبر من القول على موسى عليه السلام والقول بأنه هو انتحدث إلى « يهوه » بهذه النصوص قائلاً :

« وتضرعت إلى الرب في ذلك الوقت قائلاً : يا سيدي الرب قد ابتدأت ترى عبدك عظمتك ويدك الشديدة . أي إله في السماء وعلى الأرض يعمل كإنعمالك ؟ .. »^(١)

أي إسرائيل :

« قد علمتكم فرائض وأحكاماً كما أمرني الرب إلهي لكي تعملوا هذا في الأرض التي أنتم داخلون إليها لكي تملكوها ! فاحفظوا واعملوا لأن ذلك حكمتكم وفطنتكم أمام أعين الشعب الذين يسمعون كل هذه الفرائض فيقولون : هذا الشعب العظيم إنما هو شعب حكيم وفطن . لأنه أي شعب هو عظيم له إلهة قريبة منه كإله إلهمنا ؟ ! »^(٢)

أولا تذكرون ذلك « اليوم » ؟ . وكيف لا تذكرون ذلك « اليوم » ؟ .. إنه :

(١) الإصحاح ٣ « سفر التثنية »

(٢) الإصحاح ٤ « سفر التثنية »

« اليوم الذى وقفت فيه أمام الرب أسهك فى حوريب حين
قال لى الرب اجمع لى الشعب فأسمعهم كلامى ... » (١)

ألا تذكرون حينما ؛

« تقدمتم ووقفتم فى أسفل الجبل والجبل
يضطرم بالنار إلى كبد السماء بظلام وسحاب وضباب ؟ فكلامكم الرب من
وسط النار ! .. » (٢)

حقيقة إنكم ؛

« لم تروا صورة بل صوتاً » (٣)

ولكن ! .

« هل سمع شعب صوت الله وتكلم من وسط النار
كما سمعت أنت ؟ ! .. » (٤)

كلا ! .. هذا جواب لسؤالٍ ترد عنه الشكوك ! . فمن اليقين
انه لم يسمع أحد « صوت الله » حتى ولا جماعة اسرائيل ! . ولكن هذا
المؤاف اليهودى كان يعلم تمام العلم أن هذا كان معتقد العصر الذى كان يعيش
فى خلاله ذلك الجيل من أبناء اسرائيل ومن هنا راعى ذلك عند ما غمس
بمداد الخرافات قلبه وأجراه مسطراً هذه النصوص التى نجد لها نظائر مسجلة على
الصحف الصلصالية التى ألقناها إينما المعاول الأثرية بين الرافدين ، وبالتالى ، على
البرديات التى احتفظت لنا بها يد الزمن فى وادى النيل حيث ساد هذا المعتقد
الوادى خلال العصور التاريخية قاطبة وخاصة عصر الرعامسة ، وهو المعتقد
القائل بأن المعبود يتجلى من خلال النار ... فهناك بردية تعود بكتابتها إلى عهد

(١) الاصحاح ٤ « سفر التثنية »

(٢) الاصحاح ٤ « سفر التثنية »

(٣) الاصحاح ٤ « سفر التثنية »

(٤) الاصحاح ٤ « سفر التثنية »

« رع موسى » الثانى تقول ؛

« فى اليوم الحادى عشر من شهر طوبة لا يقتربنَّ أحد من النار ...
لأن الإله رع قد تجلى فى ذلك اليوم فى النار ! . »
ومن ثم فيقينا إن هذا المؤلف اليهودى حينما سطر هذه السطور
قد راعى هذا الاعتبار لاسيما وقد كانت مصر القديمة تحتفل كل عام بذكرى هذا
التجلى للإله رع فى النار احتفالها بذكرى أخرى مماثلة وهى تجلى الرب «أوزير»
أيضاً ، من خلال النار ! ..

ومن هنا نعلم أن هذا المؤلف اليهودى وهو يحدث قومه بهذا
الحديث لم يأت بحديث على مسامعهم غريب ولذلك نراه وهو يسجل أضرابه
هذه قد تناولها الخيال منهم بالتجسيم ثم بمدد من شطحات الخيلة جرت يده
فسطرها نصوصاً « مقدسة » تتحدث عن أشياء وكأنما هى قد وقعت بالفعل ...
كما بذلك يطلع علينا ونحن نتابع إليه الإصغاء بينما يسترسل فى افتراءه ويقول إن
موسى هو ، نفسه ، الذى لإسرائيل قد قال ؛

أى إسرائيل ! . لقد اختارك الرب شعباً مقدساً ولذلك ؛

« من السماء أسمعك صوته ! . وعلى الأرض أراك ناره ! ..

وسمعت كلامه من وسط النار ! ... » ^(١)

أف ! .

أف لهذا المؤلف وأف من افتراءاته على موسى وهو عليه بتقول
وَيُؤمن فى تطاوله عليه فيقول إنه قد دعا جميع إسرائيل وقال لهم ؛ أولاً تذكرون
يوم ؛

(١) الأصحاح ٤ « سفر الشنية »

« .. سمعتم الصوت من وسط الظلام والجبل يشتعل بالنار ؟ » (١)

في ذلك اليوم ؛

« تقدمتهم إلى وقلتم .. هو ذا الرب إلهنا قد أرانا مجده وعظمته .
وسمعنا صوته من وسط النار ! ... فتقدم أنت واسمع كل ما يقول لك الرب
إلهنا وكلنا . بكل ما يكلمك الرب إلهنا نسمع ونعمل .

فسمع الرب صوت كلامكم حين كلتوني وقال الرب لى ؛ سمعت
صوت كلام هؤلاء الشعب الذى كلموك به . قد أحسنوا فى كل ما تسكلموا .
يا ليت قلوبهم كان هكذا ! ..

إذهب وقل لهم ؛ ارجعوا إلى خيامكم ..

وأما أنت فقف هنا معى فأكلمك بجميع الوصايا والفرائض والأحكام
التي تعلمهم فيعملونها فى الأرض التي أنا أعطيهم ليمتلكوها ! .. » (٢)
هراء ! ..

هراء عجيب هذا الهراء اليهودى الحامل فى نفسه البرهان على أنه
الإفتراء بعينه على موسى عليه السلام ولذلك فكل تعليق فى هذا الصدد إنما هو
قاصر على عمل العقل وإعمال الفكر .. وأما ما هى هذه « الوصايا والفرائض
والأحكام » التي يعلمها « إله إسرائيل » لموسى ، على حد افتراء هذا المؤلف ،
ليعلمها موسى بدوره لإسرائيل وليعمل بها هذا « الشعب » الذى أحسن فيما
تسكلم وليت قلبه كان مثل لسانه ؟ . فذلك افتراء آخر على موسى يأتى به
هذا المؤلف القائل بأن موسى لإسرائيل قد قال ؛

« هذه هى الوصايا والفرائض والأحكام التي أمر الرب إلهكم

(١) الاصحاح ٥ « سفر التثنية »

(٢) الاصحاح ٥ « سفر التثنية »

أن أعلمكم في الأرض التي أنتم عابرون إليها لتمتلكوها ! .

اسمع يا إسرائيل ! ..

متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي حلف لأبائك ، إبراهيم

واسحاق ويعقوب ، أن يعطيك . إلى مدن عظيمة وجيدة لم تبناها
وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها وآبار محفورة لم تحفرها وكروم
وزيتون لم تفرسها

وأكلت وشبعت .

فاحتز ! .. لا تسروا آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم

لأن الرب إلهكم إله غيور في وسطكم لئلا يحى غضب الرب إلهكم
عليكم فيبيدكم عن وجه الأرض ! .

احفظوا وصايا الرب إلهكم ^(١)

يقيناً ان هذه لنصوص أخرى هي ، أيضاً ، إلى التعليق في غير

حاجة ! . فهي بما تحمله من منطق معكوس تقدم البرهان الدامغ على انتفاء القدسية
عنها . . . غير أن فيها بما تحمله من وصف لأرض كنعان تنويه بما كانت عليه
هذه « الأرض الموعودة » من عمران وخاصة غرب الأردن الذي كان يومذاك
الهدف الرئيسي لإسرائيل . ولكن ؛ ماهي « وصايا اله إسرائيل لإسرائيل » ؟ .

من شفتي هذا المؤلف اليهودي يأتينا الجواب فيأتينا باقتراء آخر

هلى موسى جديد إذ يقول عليه قائلاً بأنه قام في إسرائيل بنادى ؛

يا إسرائيل ! ..

« متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها

لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك .. وضربتهم فانك تحرمتهم !
لا تقطع لهم عهداً !

ولا تشفق عليهم ! .. »^(١)

اسمع ؛

« اسمع يا إسرائيل ! أنت اليوم عابر الأردن اسكن تدخل
وتمتلك شعوباً أكبر وأعظم منك ... فتطردوهم وتهلكوهم سريعاً كما كلك
الرب ! .. »^(٢)

ولكن ! ..

« لا تقل في قلبك ؛ .. لأجل أنى برى أدخلى
الرب لأمتلك هذه الأرض ! .. ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك
أرضهم ! بل اسكنى بنى بالكلام الذى أقسم الرب عليه لا بآثك ! ..
ليس لأجل برك يعطيك الرب إهلك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها
لأنك شعب صلب الرقبة ! .. »^(٣)

لا شك ، يا إسرائيل ، إنك « صلب الرقبة » ! لا برّ فى طبعك
ولا عدالة فى قلبك ! ..

أو لا تذكر ، يا إسرائيل ، ماذا قد فعلت ؟ ! ..

« اذكر ! لا تنس كيف أسخطت الرب إهلك فى البرية من
اليوم الذى خرجت فيه من أرض مصر حتى أتيت إلى هذا المكان كنتم تقاومون
الرب ! ..

حتى فى حوريب أسخطتم الرب فغضب الرب عليكم ليبيدكم ! .. »^(٤)

(٢) الأصحاح ٩ « سفر التثنية »

(١) الأصحاح ٧ « سفر التثنية »

(٣) الأصحاح ٩ « سفر التثنية »

(٤) الأصحاح ٩ « سفر التثنية »

ما هذا الخلط ؟ .. وما هذا العبث ؟ ! .. وما هذه الترهات التي ينتشر عنها هذا السفر الأخير من هذا الكتاب « لتقدس » الذي يعتمد عليه يهود العالم كل الاعتماد في ادعائهم بملكية رقعة من الأرض يسمونها « أرض الآباء . ! »

ثم أى كفر هذا الذى يتمرغ فيه مؤلف هذا « السفر » وهو يواصل التسطير في افتراء على موسى إذ يجعله هو المتحدث بهذه النصوص التي تحمل البيان الكافي للخطة الوحشية التي يجب على بنى إسرائيل أن يسلكوها مع أهل البلاد من سكان هذه « الأرض الموعودة » ؟ ! .. ففي هذه النصوص بيان صارخ للخطة الإرهابية التي اعتزمتها إسرائيل نحو أهل البلاد من سكانها الأصليين واتجاه غادر نحو العدوان المباشر الهائى الى إبادة السكان في غرب الأردن والحوال محملهم بذريعة واحدة هي أنهم غير أصحاب « الأرض الموعودة » دون ما إنذار ولا دعوى انى سلم مما يسجل على إسرائيل قسوة جاحمة مصدرها ، ولا شك ، الفكرة الإختصاصية وسياسة العزلة التي تأصلت فيهم وكانت من أسباب عقدهم النفسية والتي ، ولا جدال ، كانت أقوى مظاهر ما انبثق عن نفوسهم من عدا كظيم لغيرهم من الناس . . ونظرة واحدة تلقىها على هذه الفصوص تأتى الينا باليقين على انتفاء القدسية عنها ودليلنا هو هذا المنطق المعكوس الذى يجعل هذا « الرب » يصف هذه الجماعة بقسوة القلب وعدم البرّ « وصلابة الرقبة » والشر ثم يختارها شعباً دون سائر الشعوب !

ما هذا السفه ؟ ! .. لا شك في أن مؤلف هذا « السفر » قد برّز رفاهه في الافتراء على موسى لاسيما وهو يروح مؤكداً ما قد أتوا به من ترهات هي لا يستسغيها منطق فحسب وإنما لا يقبلها عقل طفل ! . وإلا فلنصنع

إليه وهو يوالى على موسى افتراء آتاه وانستعن بمدد الصبر عليه ونحن نسمعه
يحدثنا بأن موسى قد اتجه يخاطب إسرائيل قائلاً :

يا أيها القوم الخطاة ! ألا تذكرون ؛

« حين صعدت إلى الجبل لى آخذ لوحى الحجر . . أقمت فى
الجبل أربعين ليلة لا أكل خبزاً ولا أشرب ماء . . وفى نهاية الأربعين . . قال لى
الرب قم أنزل عاجلاً من هنا لأنه قد فسد شعبك ! . هذا الشعب شعب صلب
الرقبة ! أتركنى فأبيدهم ! .

فانصرفت ونزلت من الجبل . . فنظرت وإذا أنتم قد أخطأتم إلى الرب
إلهكم ! . . ثم سقطت أمام الرب ، كالأول ، أربعين ليلة لا أكل خبزاً
ولا أشرب ماء ! من أجل كل خطاياكم التى أخطأتم بها بعملكم الشر أمام
الرب لإغاظته ! » ^(١)

وأما لماذا « سقطت أمام الرب » ؟ فليس ذلك إلا ؛

« لأننى فزعت من الغضب والفيظ الذى سخطه الرب عليكم ليبيدكم !
وصليت للرب وقلت ؛ يا سيد الرب لا تهلك شعبك وميراثك ! . .

لا تلتفت إلى غلاظة هذا الشعب وأثمه وخطيته !
لثلاثا تقول الأرض التى أخرجتنا منها إن الرب لم يقدر أن يدخلهم
الأرض التى كلمهم عنها ! . . » ^(٢)

ولكن ! .

(١) الأصحاح ٩ « سفر التثنية »

(٢) الأصحاح ٩ « سفر التثنية »

« على هرون غضب الرب جداً ليبيده !... »^(١)

آية فرية على موسى ، عليه السلام ، أشد فداحة من هذه الفرية التي يرتكبها هذا المؤلف في حق هذا الرسول الكريم إذ يصوره متجهاً إلى إسرائيل يحدّثها بمثل هذه الخزعبلات التي ، ولا شك ، ليست إلا من أوهام هذا المؤلف الذي لم يكفه ، بعد ، كل ما قد افتراه على موسى وإنما هو يَمْضِي في تقوله عليه ويقول إنه قد استرسل في حديثه لإسرائيل قائلاً ؛

« وسمع الرب لى تلك المرة أيضاً ولم يشأ الرب ان يهلكك .
ثم قال لى الرب : قم اذهب للارتحال أمام الشعب ليدخلوا ويمتلكوا الأرض
التي حلفت لأبائهم ان اعطيهم ! .

فالآن يا إسرائيل ماذا يطلب منك الرب إلهك ؟ »^(٢)

أى إسرائيل !

ان الرب إلهك لا يطلب منكم الا أن ؛
« تدخلوا وتمتلكوا الأرض التي أنتم عابرون اليها ...

فتأكل ... وتشبع !... » .^(٣)

من ثم تشددوا جميعاً وإلى « الأرض الموعودة » شدوا الرحال
جميعاً فانكم ؛

« تأكلون هناك !... وتفرحون بكل ما تمتد اليه أيديكم !...

(١) الإصحاح ٩ « سفر التثنية »

(٢) الإصحاح ١٠ « سفر التثنية »

(٣) الإصحاح ١١ « سفر التثنية »

من كل ما تشتهى نفسك تذبح وتأكل لحماً ! . . »^(١)
ثم ؛

« هذه هي الفرائض والاحكام التي تحفظون لتعملوها في الأرض التي أعطاك الرب . . . تخربون جميع الأماكن حيث عبدت الأمم التي ترثونها آلهتها على الجبال ! »^(٢)

هكذا يقول لكم ، أى إسرائيل ، إلهكم « يهوه » الذى عبدتموه ، أول ما عبدتموه وقبل أن تنقلوه إلى « الخيمة » ، على الجبال ! .
ومن ثم فإذا دخلت « الأرض » وطردت سكانها :
« فاحترز ! من أن تسال عن آلهتهم قائلاً كيف عيد هؤلاء الأمم آلهتهم ؟ فأننا ، أيضاً ، أفعل هكذا . لا تعمل هكذا ! »^(٣)

أولاً تذكر ، يا إسرائيل ، يوم طلبت من هرون أن يصنع لكم عجلاً مسبوكة فغضب الرب عليكم وعلى هرون ؟ ... من ثم فاصغ ! اصغ جيداً إلى هذا النص الذى ينسبه هذا المؤلف اليهودى الى موسى ، زوراً وافتراءً وبهتاناً ، قائلاً بأن موسى قد قال :

« إذا أغواك سرّاً أخوك . . . قائلاً : نذهب ونعبد آلهة أخرى . . من آلهة الشعوب الذين حولك . . فلا ترض عنه ولا تسمع له ولا تشفق عليه ولا ترق له . . . بل قتلاً تقتله ! »^(٤)

حتماً ، أمام هذه النصوص ، نجد الفكر منا مدفوعاً إلى استعادة

(١) الاصحاح ١٢ « سفر التثنية »

(٢) الاصحاح ١٢ « سفر التثنية »

(٣) الاصحاح ١٢ « سفر التثنية »

(٤) الاصحاح ١٣ « سفر التثنية »

ما قد رواه ذلك المؤلف الآخر ، الذى سبق هذا المؤلف ، من ترّاهات يوم راح يروى لنا رواية صعود موسى بهرون إلى قمة « هور » .. بينما الفكر منا يواصل التأمل فى اصحاحات هذا « السفر » الذى يشتمل معظمه على تحذير من الأنبياء والرّائين الذين يدعون إلى عبادة رب آخر غير « يهوه » إلّٰه اسرائيل بل وإيجاب قتلهم حتى ولو ظهرت على أيديهم « معجزات » ! اذلك أصغ ، يا اسرائيل ، إلى هذا الحكم :

« إذا قام فى وسطك نبىٌ أو حالم حلمًا وأعطاك آية أو أعجوبة ... فلا تسمع ... ذلك النبىّ أو الحالم يُقتل ! .. » ^(١)

هذا النص هو سر سياسة العدوان التى لقي بها كل « نبى » لا يدعو إلى عبادة « يهوه » إلّٰه اسرائيل الجفوة من اسرائيل ومن أشهر ضحاياهم كان المسيح عليه السلام نفسه ! .. فقتلا بقتل كل « نبى » وقتلا يقتل حتى الأخر إذا أغوى أخاه ، سرًّا ، إلى عبادة رب آخر غير « إلّٰه اسرائيل » .. بل وحتى يا اسرائيل :

« إن سمعت عن احدى مدنك التى يعطيك الرب إلّٰهك لتسكن فيها قولاً .. تذهب وتعبد آلهة اخرى . فضرّباً تضرب سكان تلك المدينة وبحد السيف وتحرمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف ! تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة ! .. » ^(٢)

لماذا ؟ .. اليك الجواب :

(١) الإصحاح ١٣ « سفر التثنية »

(٢) الإصحاح ١٣ « سفر التثنية »

« لأنك شعب مقدس ! . اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب ! . »^(١)

كلا ! .

كلا ، لا نسل يا إسرائيل لماذا اختارك الرب واختصك بهذا التفضيل على الرغم من شرور في قلبك وانحرافات في طبعك وصلابة في العنق والخلال في الخلق ! ! .

كلا ، لا نسل يا إسرائيل لماذا ؟ .. وأما إذا ألححت بالسؤال فاعلم بأن ذلك ليس إلا لكي تكونوا جهة قوية ضد كل الشعوب التي :
« .. إذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحمد السين ! .

وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة ، كل غنيمتها ، فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك !

هكذا تفعلون بجمع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما ! .. »^(٢)

اسمع ! .. ؛

« اسمع يا إسرائيل ! أنتم قريبتم اليوم من الحرب على أعدائكم ! لا تضعف قلوبكم لا تخافوا ! ...

حين تقرب من المدينة لكي تحاربها استدعها للصالح .

(١) الاصحاح ١٤ « سفر التثنية »

(٢) الاصحاح ٢٠ « سفر التثنية »

فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك
للتسخير ويُستعبد لك !

وإن لم تسالمك . . فخاصرها وإذا دفعها الرب الهك إلى يدك
فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ! . » ^(١)

بقيناً إنه لنص رهيب إنما هو هذا النص الذي يأمر باستعباد جميع
شعوب المدن التي توافق على الاستسلام وهذا قاصر على المدن البعيدة أولاً
دون مدن « أرض كنعان » التي يقع على ذكورها الحكم قتلاً بحد السيف
وأما النساء والأطفال والبهائم وجميع ما في المدينة فيكون غنيمة لرجال إسرائيل ! .

هذا هو قانون الحرب عند إسرائيل وهذا هو دستور الذي
يتم عن مشاعر سفاقة عطشى إلى الدم ممّا يعطينا صورة واضحة بل وفكرة شاملة
عن نوايا « إسرائيل » في عصرنا الحاضر تجاهنا وتجاه سائر الشعوب من غير
اليهود في اتباع لخطى هؤلاء الذين راحوا يزحفون صوب « الأرض الموعودة »
وبين جوانبهم تصطلي نيران الغلّ والحقد وفي سمعهم يدوى هذا الصوت
الصارخ :

افعل ! . . .

افعل « كما أمرك الرب إلهك ! » فانما هذه هي :

« كلمات العهد التي أمر الرب موسى أن يقطع مع بني إسرائيل في
أرض موآب فضلاً عن العهد الذي قطعه معهم في حوريب ! » ^(٢)

لا جدال في أن هذه السلطة التي يطلع بها علينا قانون الحرب في

(١) الاصحاح ٢٠ « سفر التثنية »

(٢) الاصحاح ٢٨ « سفر التثنية »

إسرائيل إنما هي سلطة مطلقة كانت قاصرة عند ذاك على أصحاب العروش وأما موسى ، عليه السلام ، فلم يكن من أصحاب العروش حتى يستطيع هذا المؤلف الافتراء عليه فيقول بأنه قد أمر بإطاحة الرؤوس ! . . . بيد أن مؤلف « سفر التثنية » وهو الذى افترى على موسى كل هذه الافتراءات ، لم يضره أن يصور موسى متوثباً لاعتلاء عرش بل ويتمادى فيصوره مُهَيَّئاً الأفتدة من هذه الجماعة إلى هذا الأمر . . . ومن هنا راح يتقول عليه قائلاً بأنه قد اتجه إلى إسرائيل ، وقد شارفوا مشارف « الأرض الموعودة » ، يناديهم ؛

يا إسرائيل ! . . .

« متى أتيت إلى الأرض التى يعطيك الرب إلهك وامتلاكتها وسكنت فيها فإن قلت أجعل على ملكا جميع الأمم الذين حولى فأنت تجعل عليك ملكا الذى يختاره الرب إلهك . وعندما يجلس على كرسي مملكته يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة فى كتاب ! . . . » ^(١)

بهذا النداء ، على حد ادعاء هذه الرواية المفتراة ، نادى موسى إسرائيل - بينما كانت يده قد انتهت من كتابة نسخة من هذه الشريعة فى كتاب هو هذه التوراة . . . فلقد ؛

« كتب موسى هذه التوراة ! . . . » ^(٢)

حتى المدى امتد بهذا المؤلف اليهودى التمادى فى حق موسى ، عليه السلام ، فأبرزه فى صورة هو منها برى . . . ولكن ! . الذى قد دار بعد فى مخيلة هذا المؤلف فأمر مستتر إذ أننا نراه فجأة وبدون سابق مقدمات يتغير

(١) الإصحاح ١٧ « سفر التثنية »

(٢) الإصحاح ٣٠ « سفر التثنية »

في يده الأسلوب وتغيير العبارة وبعد أن حاول اعلاء موسى على عرش عاد وعاودته شطحاته أشدّ عن ذى قبل وراح يلتف من حول شخصية أخرى بينما كان القلم في يده يجرى مُسجلاً .

بروز يشوع بن نون في إطار التاريخ الإسرائيلي

مرة واحدة وفي تحول عجيب تحول مؤلف « سفر التثنية » عن موسى بن عمران إلى يشوع بن نون وبينما بدأ يُجلى عن يشوع سحب الزمن بدأ يجمعها من حول موسى بل وإلى غيوم راح يحيك هذه السحب من حول موسى في تكتل رهيب ويجعل مصدرها هذا الذي كان من الجواسيس الذين استكشفوا مكان « أرض كنعان » ثم ارتفع إلى تلك المرتبة التي منحتها حق تقسيم هذه « الأرض » بين أسباط إسرائيل ولكن ، يأتي هذا المؤلف أن يستهل حديثه عن يشوع إلا بهتان جديد يضاعف به من افتراءاته على موسى ، عليه السلام ، لا لأن هذا المؤلف جاء بنصوص تصور لنا يشوع في صورة أكثر اعجازاً وأقوى من موسى شخصية فحسب وإنما لأن هذه النصوص تشير إلى بروز يشوع في إطار التاريخ الإسرائيلي في أعقاب كتابة موسى هذه التوراة وأثر نظرة خفية انسدل على أثرها الجفن من يشوع قام بعدها فأقبل على موسى يوعز إليه بالانتقال إلى مداولة سريعة ،

« فانطلق موسى وبشوع ووقفنا في خيمة الاجتماع »^(١)

لماذا ؟! هذا سؤال يأتي الجواب عنه من النصوص التي يسرى من ثناياها فحيح التهاس بأن نهاية موسى قد أمست وشيكة الوقوع ! .

(١) الأصحاح ٣١ « سفر التثنية »

كيف ؟ ..

هذا ما سيصوره لنا هذا المؤلف بعد أن يمهده بمقدمة يصور بها اتجاه إسرائيل بكتابتها إلى الصوت من موسى وهو ينطلق ، في تلك اللحظات ،
ينادى ؛

يا إسرائيل ؛

« اجمعوا لى كل شيوخ أسباطكم وعرفانكم لأنطق فى مسامعهم
بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض ! .. »^(١)

وأما ما هى هذه « الكلمات » ؟ فيها هى ذى ؛

يا إسرائيل ! يا ؛

« جيل أعوج ملتو !

الرب تكافئون بهذا يا شعباً غيباً غير حكيم ؟ ! .

أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم ! لو عقلوا لفظنوا ! .. »^(٢)

يقيناً إن يهود العالم أجمع لو عقلوا لفظنوا إلى مدى افتراءات هذا المؤلف الذى جاء يُحدثهم هذا الحديث عن ذلك « اليوم » الذى جاء انقضاؤه بفقد غدا بعده موسى طيفاً فى أفق التاريخ ! .
أين موسى ؟ ! .

سؤال ، جعله مؤلف « سفر التثنية » يدوى فى أرجاء محلة إسرائيل وجعل جوابه سبابة يشوع وهى إلى قمة « عباريم » فى جبل « نبو » تشير ؛

(١) الإصحاح ٣١ « سفر التثنية »

(٢) الإصحاح ٣٢ « سفر التثنية »

هناك ! .

هناك ، فى قمة « عباريم » من جبل « نبو » موسى ! .

إذن . متى سيعود موسى ؟ ..

سؤال آخر جعله هذا المؤلف يدور فى كل خيمة من خيام إسرائيل والعين من هذه الجماعة قد علقت بتلك القمة التى كانت السبابة من يد يسوع إليها تشير بينما انطلق الصوت منه بين هذه الجماعات بصيح ؛
إن موسى لن يعود ! ..

لماذا ؟ ! ..

سؤال آخر كان جوابه الصوت أيضاً من يسوع الذى ارتفع ،
لأول مرة ، جهيراً يقول لقد :

« كلم الرب موسى فى نفس ذلك اليوم قائلاً : إصعد إلى جبل عباريم
هذا جبل نبو فى أرض موآب الذى قبالة أربحا . وانظر أرض كنعان التى أنك
مُعطيها بنى إسرائيل ملكاً .

ومت فى الجبل ! .. » ^(١)

إذن ، لقد مات موسى ؟ ! ..

ولكن ! . كيف مات موسى ؟ ! ..

ومن شفقتى يسوع بن نون جاء الجواب : وعلام العجب وقذف
سؤال بعد سؤال ؟ ... فلقد مات موسى فى جبل نبو تماماً :

« كما مات هرون فى جبل هور ! .. » ^(٢)

(١) الاصحاح ٣٢ « سفر التثنية »

(٢) الاصحاح ٣٢ « سفر التثنية »

وهنا ..

هنا يطرق الفكر منّا وأما الشفاء فتؤثر الصمت على الكلام
بينما يلتقط المسمع منا من هذا « السفر » أصداً صرخة دوت في المحلة وأما رجع
صداها فكان أسئلة ترف من جديد على الشفاء انحصرت في كلمة واحدة وهى :
لماذا أمر « الرب » بموت موسى ؟ ! .

عن هذا السؤال يأتى الجواب من شفقى هذا المؤلف الذى لم يكن
صريح قلمه إلا رجع الصدى من صوت يشوع القائل : أندرون لماذا أمر الرب
بموت موسى ؟ ! . . . إنكم لاندرون ماذا قد حدث ؟ . .
لقد :

« كلم الرب موسى قائلاً :

مت فى الجبل ! . كما مات هرون أخوك فى جبل هور ..
لأنكما خنتماى ! . »^(١)

أستغفر الله ! . . . ولكن ، كيف ؟ .

كلاً ! . . . إن نظفر من هذا المؤلف اليهودى بجواب ما لم نجاره مجازاً فى
منطقه المعكوس فنقول : لقد قلم إن هرون ، عندما صاغ العجل ، قد خان
مرة الرب وأما موسى ؟ ! متى خان موسى الرب ؟ ! . .

وفى كفر صارخ يأتينا الجواب من هذا « الكتاب المقدس » للدين
اليهودى الحالى الذى يحتتم روايته عن وفاة موسى رامياً بإيأه بالخيانة ومُسجلاً
على نفسه هذه النظرة إليه بصوت هذا المؤلف اليهودى الذى جاء بالجواب
المؤكد أن موسى قد خان الرب ؛

« عند ماء مربية قادش ! في برية صين . . » ^(١)

يقيناً إن هذا المؤلف اليهودي إذ يعود بنا إلى « ماء مربية »
فليس ذلك إلا ليدكرنا بما قد أتى به ، نفسه ، من افتراءات لحظة تصور أن
العين من يشوع قد تنبّهت إلى اليد من موسى في نفس اللحظة التي انفضت من
كتابة « نسخة من التوراة » ! .

إلى تلك اللحظة التي استهل هذا المؤلف اليهودي نصوصه المفتراة
هذه فصور لنا موسى وقد وقف في خلالها وفي الخيلة منه ترسم رقعة « الأرض
الموعودة » والحلم بتحويلها من أرض موعودة إلى أرض لإسرائيل « مملوكة »
يقوم عليها لإسرائيل ملك يستهل أول خطوة إلى عرشه بكتابة « نسخة من
التوراة » يعود بنا هذا المؤلف فيصور لنا فيها العين من يشوع بن نون وقد
استقرت على موسى استقراراً كان له في مخيلة هذا المؤلف نتيجة التي أضاف
بها إلى افتراءات منه سبقت افتراء آخر تمثل في تصويره لموسى صاعداً إلى
حيث لم يعد من هناك أبداً بينما ارتفعت قبضة يشوع وأطبقت بمخالبها على
عنق إسرائيل وبينما كان في سفح الجبل صوت ينطلق في جماعة إسرائيل
قائلاً بأن موسى كان قد قال :

« الرب ! آلهنا كلنا في حوريب قائلاً : كفاكم قعود في هذا الجبل
تحولوا ارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربية والجبل والسهل
والجنوب وساحل البحر . . أرض الكنعاني ولبنان إلى النهر الكبير
نهر الفرات ! . . ادخلوا وتملكوا الأرض . . »

لكنكم لم تشاؤا أن تصعدوا وعصيتم قول الرب إلهكم .
وتمرتم في خيامكم . . .

وسمع الرب صوت كلامكم فسخط وأقسم قائلاً : لن يرى الناس
من هذا الجبل الشرير الأرض الجيدة التي أقسمت أن أعطيها لأبائكم ! . .
وعلى ، أيضاً ، غضب الرب بسببكم قائلاً ، وأنت لا تدخل إلى هناك !
يشوع بن نون الواقف أمامك هو يدخل إلى هناك ! .. » ^(١)

ثم إن موسى قد واصل الكلام قائلاً ، ولقد ؛
« تضرعت إلى الرب في ذلك الوقت قائلاً ، يا سيد الرب أنت
قد ابتدأت ترى عبدك عظمتك ويدك الشديدة ... دعني أعب وأرى الأرض
الجيدة التي في عبر الأردن هذا الجبل الجيد ولبنان .

ولكن !

الرب غضب على بسببكم ولم يسمع لي ! بل قال لي الرب
كفاك ! لا تعد تكلمني في هذا الأمر ! .. لا تعبر هذا الأردن وأما يشوع ..
هو يعبر ! .. » ^(٢)

نعم ! .. لقد ؛

« غضب على الرب بسببكم وأقسم أني لا أعب الأردن ولا أدخل
الأرض الجيدة التي يعطيك إلهك نصيباً ! فأموت أنا في هذه الأرض لا أعب

(١) الاصحاح الاول « سفر التثنية »

(٢) الاصحاح ٣ « سفر التثنية »

الأردن ! . » (٣)

ما هذا العبث بالعقول الذي يحىء به هذا المؤلف اليهودى بنصوص
يسيجها بالقدسية طالباً من العالم تصديق هذا المنطق المعكوس ؟ ! . بل وما
هذه الافتراءات على موسى ، عليه السلام ، التى تزداد عليه بهتاناً فتقول ؛
« قال الرب لموسى ؛ خذ يشوع بن نون . . وضع يدك عليه .
وأوقفه قدام اليعازر الكاهن . . لكي يسمع له كل جماعة بنى إسرائيل . .
حسب قوله يخرجون وحسب قوله يدخلون ! . » (١)

ولكن .. هنا نرانا نطرق ، للاحظاظ ، أمام هذا الانقلاب الواضح
الذى جعل فيه مؤلف « سفر التثنية » اليد من يشوع بن نون بموازرة اليعازر
، ابن هرون ، الكاهن الأكبر تنقاول مقاليد الحكم تناولاً مكنها من أن
تشير إلى قبة « جبل نبو » وبإسرائيل تصيح كفوا أسئلة فإنه كما من قبل قد
طوى « هور » هرون فقد طوى « نبو » موسى ! .
وهكذا طوّت هذه التوراة المفتراة لموسى ، عليه السلام ، حياة ! .

ولكن ! ؛

لئن طويت الحياة الموسوية تحت هذه الصورة التى
رسمتها شفتا يشوع بن نون وغدا موسى بعدها طيفاً فى أفق التاريخ فليس إلا
لتهب عن حوله الزمن أنفاس رفرفت عليه بقداسة خلت منها هذه « الأسفار
الخمسة » المعروفة باسم التوراة ! . . هذه التوراة التى تنسب إليه زوراً وبهتاناً
والتي تحمل البرهان القاطع على أن الدين اليهودى الحالى ، بنظرته هذه إلى

(١) الامحاح ٤ « سفر التثنية »

(٢) الامحاح ٢٧ « سفر التثنية »

موسى ، لا علاقة له بموسى على وجه الإطلاق ! ..

وكيف ؟ ! ..

إن هذا التوراة التى بين أيدينا ، وهى صدر العقيدة للدين اليهودى الحالى ، تعتبر موسى خائناً غضب الرب عليه وأمر بموته جزاء خيائته .. فكيف ، بعد ذلك ، يمكن أن ينسب هذا الدين اليهودى الحالى إلى موسى ؟ ! .. إذن ؟ ! ..

إلى من ينسب هذا الدين اليهودى الحالى ؟ .. إن هذا ما ستكشف عنه هذه التوراة نفسها وستفصح بنصوصها عن أن هذا الدين اليهودى الحالى لا يعود بمصدره إلا إلى ذاك الذى تولى قيادة بنى إسرائيل أثر وفاة موسى عليه السلام .. ذاك الذى اتخذ من موسى قاعدة بنى عليها له سلطان تحول بها موسى إلى مجرد رمز . بينما أسلس العنق الإسرائيلى لقبضته العفان .. ذاك الذى ببروزه على صفحة التاريخ اليهودى بدأ فى الواقع تاريخ هذا الدين وكان أن بدأت ، بالفعل ، حياة عقيدة « الأرض الموعودة » .. . هذا هو ، فى واقع الأمر ، الأمر الصحيح ! ..

بوفاة موسى آل أمر بنى إسرائيل إلى يشوع وهذه حقيقة يحدثنا بها مؤلف يهودى آخر أبى إلا أن يطلق على كتابه اسم ؛ « سفر يشوع » . . . فى هذا السفر ، المتصل بالتوراة اتصالاً وثيقاً والذى يكون معها وحدة مؤلفة مما حدا بكثير من العلماء إلى اعتبار التوراة ستة أسفار لا خمسة ، نتمسك بخيوط الأحداث التى عقدت فى جبين الزمن عقدة هذا الدين اليهودى الحالى وإيس ذلك لأننا نجد فيه المصادر المختلفة للتوراة فحسب ولا لأنهم اقد مزجت

فيه مزجاً فحسب وإنما لأن الحقيقة تطلع علينا من ثناياه صارخة تقول : إن بني إسرائيل قد انخرفوا بعد وفاة موسى إلى يشوع انحرافاً كلياً أصبح فيه موسى نيس إلا مجرد رمز بينما أمسى يشوع هو القائد الحربي الحقيقي والزعيم الديني لبني إسرائيل والبرهان على ذلك هو هذا الاعتراف الصادق الذي بسجله مؤلف « سفر يشوع » عند ما أبرز يشوع في صورة أكثر إعجازاً وأقوى شخصية من موسى . . . فهو يقص علينا قائلاً :

« كان بعد وفاة موسى أن الرب كلم يشوع بن نون . . . قائلاً : موسى عبدى قد مات فالآن قم أعبر هذا الأردن ، أنت وكل هذا الشعب ، إلى الأرض التي أعطيتها لمبنى إسرائيل ! . . . من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهـر الفرات ! . . . »

ولا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك . . كل إنسان يعصى قولك ولا يسمع كلامك في كل ما تأمره يقتل ! . .^(١)

إن مؤلف « سفر يشوع » يريد بنصومه هذه أن يقول لنا إنه تماماً كما كلم الرب موسى من قبل كلم الرب يشوع من بعد وليتخذ من هذا القول نقطة بداية يسير بها حتى النهاية مرسلًا القول على عواهنه ليقول بأن الرب إذا كان قد أجرى على يد موسى معجزات فانه قد آثر يشوع بمعجزات أعظم ! . إذا كان موسى قد آثره الرب بمعجزة شق البحر فانما يشوع قد بزه بمعجزات أكبر ! . . فلقد توقف ماء الأردن وانفلق لسكى يمرّ عليه يشوع يقود بني إسرائيل من ورائه ! . وهذا بالإضافة إلى المعجزة الكبرى عند مدينة جبعون

(١) الإصحاح الأول « سفر يشوع »

عندما تعطل مسير الأفلاك بإشارة من يد يشوع وتوقفت حركة الكون إبتاراً بأمر يشوع . . فلقد تكلم يشوع :

« وقال أمام عيون إسرائيل ؛ يا شمس دومي على جبعون ويا قمر قف على وادي إيلون . فدامت الشمس ووقف القمر . . وقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل ! . . . » ^(١)

هكذا يقول لنا مؤلف « سفر يشوع » ، ونقول مؤلف « سفر يشوع » لأن هذا « السفر » المترع هو الآخر بالتهاوليل والمتناقضات بالرغم مما قد مازجه من بعض الحقائق من سيرة بني إسرائيل وتحركاتهم في « أرض كنعان » ، قد أُلّف حوالى القرن الخامس ق . م . ثم نُسب إلى يشوع إبتاراً له وتعظيماً له عن موسى وفي هذا الدليل الكافي على التفاف الوجه اليهودى من حول يشوع منذ ذلك العهد الذى عاش فيه يشوع حتى هذا العهد الذى كُتب فيه هذا « السفر » الذى يحمل كل هذا التعظيم ليشوع ! . . بل وكأنما هذا التعظيم لم يكن ليكتتمل إلا عن طريق اختلاق هذه « المعجزات » التى وإن نسب بها هذا المؤلف إلى نفسه جهالة فادحة بعلم الهيئته وبالتالي بقوانين الكون قائماً وراءها يقع السبب الحقيقى الذى غفل عنا طويلاً فى تاريخ بني إسرائيل والسبب نفسه هو نفس يشوع ! . فانه هو يشوع الذى لمح بوادر الجزر الكنعانى وأدرك أن الساحة قد سنحت لغزو « أرض كنعان » واحتمال قيام ملك فيها لمن سيعبر بهذه الجماعة إلى تلك الأرض . . يشوع هو الذى انتهز فرصة الوهن السياسى الذى أصاب كنعان فامتدت قبضته تتجسس مقاليد الحكم فى بني إسرائيل فأعلن نبأ وفاة موسى بينما راح مؤيدوه يقولون :

« إن الرب كلم يشوع بن نون . . . قائلاً : موسى عبدى قد مات !
الآن قم اعبّر هذا الأردن ! . كما كنت مع موسى أكون معك ! . »^(١)

بهذا النص تبدأ السُّجف السياسية والدينية في الانحسار عن يشوع
ابن نون ، القائد الحربى والزعيم الدينى الحقيقى لبنى إسرائيل ، وعن دوره الفعّال
فى تاريخهم . . . هذا الدور الذى يفصح عنه هذا النص القائل ؛

« قال الرب ليشوع ؛ اليوم أبتدىُّ أعظمك فى أعين جميع إسرائيل
كى يعلموا أنى كما كنت مع موسى أكون معك ! ..

فقال يشوع لبنى إسرائيل ؛ تقدموا إلى هنا واسمعوا كلام الرب
إلّهمكم . . . »^(٢)

تُرى ؟ ! .

تُرى أى صوت آخر كان هذا « الصوت » الذى سمعه بنو
إسرائيل ، على حد رواية هذا المؤلف اليهودى الجديد ؟ ! . .

يقيناً إن هذه النصوص لا تحتاج إلّا لإعمال الفكر فيما تشتمل عليه من
معان !.. فهى ، أولاً ، تسوّى يشوع بموسى مساواة تامة من حيث « المكّالة »
ثم هى ، بالتالى ، ترفع من مكانة يشوع كواسطة يُسمع كلام « الرب » إلى
« شعبه » من أفراد هذه الجماعة الذين كانوا ، بعد أن أسمعهم يشوع كلام الرب
إلّهمهم ، قد ؛

« أجابوا يشوع قائلين ؛ كل ما أمرتنا به نعمله وحيثما ترسلنا
نذهب . . . كل إنسان يعصى قولك ولا يسمع كلامك فى كل ما تأمره به

(١) الأصحاح الاول « سفر يشوع »

(٢) الأصحاح ٣ « سفر يشوع »

يقتل ! . » (١)

ومن هنا ننتزع الحقيقة من صدر التاريخ اليهودي نفسه وهى أن
يشوع هو الذى انتهز الجزر الكنعانى وعرف كيف يميل وميول بنى إسرائيل
رؤساء وجماعة ويهوى على أعناقهم بقبضته فى اللحظة التى اشتد فيها تمردهم على
ذلك الرسول الكريم .. وهذه المعرفة أو بالأحرى هذه الدراية بضائر ونفوس
جماعة إسرائيل هى التى مكّنت يشوع من التمكن من ناصية بنى إسرائيل
فزعّم فيهم القيادة وانطلق بهم يسوقهم إلى ما وراء أريحا حتى عبر بهم الأردن إلى
ضفته الغربية وتمّ له الاستيلاء على هذا الجزء الغربى الذى قسمه بين « بيوت
إسرائيل » .. وتؤيد ذلك المعاول الأثرية التى تشير إلى آثار هذه الموجه العاتية
التي زحفت فدمرت « لآشيش » ثم أوغلت فأغرقت شمال « البحر الميت » واجترفت
« جريكو » ثم انخرقت فقوّضت « بيت إيل » . وهذا ما يحملنا نقول بأن
يشوع، وليس الآب يشوع، قد امتد هذا المد الإسرائيلى سميّراً فأحرق بالنار المدن
الكنعانية الواحدة تلو الأخرى وقتل أهلها برمتهم من رجال ونساء وأطفال
بل وفى حمّى لا واعيّة انطلق هذا المد مجنوناً فلم يسلم من التدمير من يده شيء
حتى السائمة !.. لم يستبق يشوع من البهائم واحدة ! البقر والغنم والحمر أحرقها
يشوع أحياء ! كل ما استولى عليه يشوع دمره تدميراً وقتله قتلاً وأحرقه حياً !
أباد يشوع كل شيء باستثناء المعادن وسبائك الفضة والذهب ! .

وهكذا تنحسر سحج تاريخ الدين اليهودى الحالى عن يشوع
كصاحب هذا الدين وبأذر تلك السياسة العدوانية الحقيقية فى تاريخ بنى إسرائيل
والتي بلغت أقصى مداها من القسوة والوحشية ! . فإنه هو الذى قبض ، فى تلك

(١) الاصحاح الأول « سفر يشوع »

اللحظة التي انحرف فيها بنو إسرائيل عن موسى ، على زمام الأمور في إسرائيل .
فأعان وفاة موسى وتولى هو فيهم الحكم بينما أسلس له أفراد إسرائيل الأعناق
إشباعاً لما في نفوسهم من أهواء مالت بهم إلى انتهاج منهجه في معاملة من سواهم
من الناس .. ولسكن !... لما كان في الالتصاق باسم موسى ما يمنحهم بين الشعوب
حيثية وكياناً وبالتالي وسيلة إلى تحقيق مآرب لهم وغايات فقد أبوا إلا أن يظهروا
بأن الأيام لا تزيدهم بموسى إلا استقطاباً وإلا بطيفه تشبثاً فتنادوا بأنهم موسويون
وأما واقع الأمر وحقيقته فليسوا هم إلا يشوعيين ! . يشوعيين قلباً وقالباً وليس
إلا كي يصبغوا أهواءهم السياسية بصبغة شرعية راحوا ياملأ من نزعاتهم هذه
يسطرون ما يتخيلون ويمعنون في أضاليلهم فينسبون هذه « الأسفار الخمسة »
إلى موسى وإنما هو برىء من كل ما جاء في هذه « الأسفار » التي بلغت المدى
في تطاولها عليه حتى رمته في نهايتها بالخيانة بقدر ما رفعت من شأن يشوع حتى
صاغت باسمه سفرأ خاصاً هو هذا الذي سجل ؛

تكوين الدين اليهودي الحالي وعودته بأصوله

إلى

يشوع بن نون

إن الأدلة التاريخية المنتزعة من نصوص « الكتاب المقدس »
للدين اليهودي الحالي تتضافر وتقدم « يشوع بن نون » على أنه صاحب هذا
الدين الذي يدين به اليهود منذ عصره حتى عصرنا الحاضر وهذا الرأي يتخذ
دعامة له من أمرين ؛

الأول ؛ أن موسى عليه السلام قد ثوى وهذه « الأسفار » التي
تنسب إليه كانت لم تكتب بعد ! . وهذا ما يجعل موسى لا صلة له بهذا
« الكتاب المقدس » إطلاقاً .

والآخر ؛ أن يشوع هو الذى بدأ به تاريخ بنى إسرائيل على
صفحة التاريخ السياسى والدينى معاً . فإذا كان إلى ما أتى به يشوع من عدوان
نقد أثبتت المعاول الأثرية أدلته المادية هو السمة البارزة فى السياسة اليهودية حتى
اليوم فأنما إلى ما أتى به يشوع من تعاليم يعود بتكوينه الدين اليهودى . .
وبرهان ذلك أن الدين اليهودى الحالى لم يتكون فيصبح لبني إسرائيل ديناً
خاصاً بهم من بين الأديان إلا بعد استيلائهم على بعض الأجزاء من « أرض
كنعان » واحتلالهم إياها ! .

من ثمّ فإذا كان لا صلة لموسى ، عليه السلام ، بهذا « الكتاب
المقدس » الذى لم يتكون الدين اليهودى الحالى إلا من نصوصه التى سارت
وفقاً لسياسة يشوع وتعاليم يشوع ... وإذا كان يهود اليوم ، بالتالى ، يتمسكون
بهذا « الكتاب » ويدعون قدسيته ويعتبرون ما يحتويه من نصوص قد كونت
لهم هذا الدين الذى به يدينون فأية صلة هناك تربط اليهود بموسى ؟ ! .
ثمّ ... !

ثمّ إذا كان هذا « الكتاب المقدس » ، نفسه ، قد انتهى فى
حديثه عن موسى إلى أن يتهمة بالخيانة وبغضب الرب عليه فقال بأن « الأمر »
يموته فى « جبل نبو » قد جاء لأنه قد « خان الرب » وهذا فى نفس الوقت
الذى يعلى من شأن يشوع إعلاء عجيبيّاً لا نتبينه فحسب من النصوص التى تقول
بأن بحر الأردن قد انقلب لأمره وأن حركة الزمن قد توقفت لإشارة من يده

وإنما من النصوص التي تجعله زعيماً دينياً كلمة الرب ومنحه سلطاناً مطلقاً على بني إسرائيل غداً به قائداً حربياً لهذه الفئة التي راح يبعث في أجزاء من « أرض كنعان » ويستن لها هذه السياسة العدوانية ضد سائر الشعوب والتي ما استقر بها في تلك الأثناء المقام إلا وكوَّنت سياسةُ يشوع لها هذا الدين الذي تفصح عن مرتبته بين الأديان هذه النصوص نفسها التي تكونه والتي سارت وفقاً لتعاليم يشوع ، فإن هذا هو ، نفسه ، البرهان على قولنا بأنَّ يهود اليوم ليسوا موسويين على الإطلاق وإنما هم يشوعيون في الصميم !... والأفكيف يمكن أن يكون اليهودي تَباع موسى وها هي ذى نظرة الدين اليهودي الحالي إلى موسى قد تكشفت من خلال كتابهم هذا « المقدس » نفسه ؟ ! ..

هاهوذا أمامكم « الكتاب المقدس » انشروا صفحات « الأسفار الخمسة » تطالعكم الحقيقة الصارخة وتناديكم من ثناياه قائلة : بأن اليهود ليسوا أتباع موسى وإنما هم أتباع يشوع ، ذاك الذي صعد مع موسى إلى قمة الجبل ثم عاذ بدونه وأعلن أن موسى من هناك لن يعود وما ذلك إلا لأنه قد خان الرب فغضب عليه وقال له اصعد إلى الجبل ومِت هناك !... وإذن ؟ ! ..

إذن ، أليس من واجب التاريخ الحاضر تصحيح إسم هذا الدين فيستبدله من الدين الموسوي إلى الدين اليشوعي ؟ ! ..

وحتماً ! كيف يمكن أن تكون هناك صلة تربط موسى بالدين اليهودي الحالي ، هذا الدين اليشوعي الذي تكونه هذه « الأسفار الخمسة » وهي التي ترميه بالخيانة وبغضب إله إسرائيل عليه وتأمُر بموته في الجبل عقاباً ؟ ! .. ثم كيف يمكن أن تكون هناك صلة تربط موسى بالدين

اليهودى الحالى وهذه « الأسفار الخمسة » التى تكون هذا الدين نفسه لم تؤلف ولم تكتب ولم تبرز على صفحة التاريخ الدينى إلا بزمان طويل بعد موسى ! .
إذن ...

متى كتبت هذه « الأسفار » ولماذا كتبت ؟ ..

إن الجواب عن هذا السؤال يُحتم علينا استعراض التاريخ السياسى لـ « بيوت إسرائيل » منذ احتل بهم يشوع بن نون تلك الأجزاء من « أرض كنعان » حيث هناك راحت تتوالى عليهم الأيام وتدرج بهم من « عهد يشوع » إلى « عهد القضاة » إلى « عهد الملوك » الأوّل الذى بدأ بـ « شاول » وبرز بيت يهوذا غداة امتلاك داود آخر حصون كنعان « صهيون » وانتهى بوفاة سليمان ..

فى خلال تلك العهد لم يؤلف « سفر » واحد من هذه « الأسفار » ! ..
ولكن ! ... بعد وفاة سليمان انقسمت مملكته إلى قسمين ؛ شمالا وجنوبا .. فأما الجزء الجنوبى بما فيه القدس فقد اقتطعه بيتا يهوذا وبنيامين وهؤلاء أقاموا عرشا اقتصر ولاته على سلالة سليمان وحفدة داود .. ولما كان « بيت داود » هـذا من سلالة يهوذا وكان هو البيت المالك فقد عرفت هذه المنطقة باسم « اليهودية » أو « مملكة يهوذا » .. وأما الجزء الشمالى ، حول سامريا ، فقد اقتطعته « البيوت العشرة » وهذه آثرت أن تطلق على هذه المنطقة اسم جدها الأعلى ، ومن هنا عرف هذا الجزء الشمالى باسم « إسرائيل » أو « مملكة إسرائيل » .

بهذا الانقسام الذى قامت به فى الشمال « مملكة إسرائيل » وفى الجنوب « مملكة يهوذا » بدأ ديبب الوهن يسرى فى أوصال تينك المنطقتين على

سواء وسرعان ما لحت ذلك « آشور » فأسرعت للاقتضاض مستهدفة المنطقة الشمالية أى إسرائيل وقد جرد الآشوريون فى عهد « شالم نصر » الثالث ، « شلمنصر » ، جيشاً على « إسرائيل » هذه فهزمتها عام ٨٤٣ ق . م ، فى موقعة « كركر » وهذه هى الموقعة التى قصت على التاريخ السياسى لإسرائيل إذ مكنت الآشوريين بعد ذلك وفى عهد « سرجون » الثانى من ضم هذه المنطقة الشمالية ، نهائياً ، إلى « آشور » فاندجحت إسرائيل ، عام ٧٢٠ ق . م ، فى آشور وإلى ذلك كان قد مهد « سرجون » الثانى ، عام ٧٢١ ق . م ، نفسه عندما نال أفراد هذه « القبائل العشر » بالقتل فسحقهم سحقاً تاماً وأفناهم إفناءً كاملاً وحمل القلعة التى تبةت منهم إلى بلاده أسرى .. وهكذا أذاب الغزو الآشورى سلالة « البيوت العشرة » من نسل إسرائيل وغيبهم التيار الزمنى تمام المغيب ومن ثم زال من التاريخ هذا القسم الشمالى المعروف باسم « إسرائيل » وُحيت « مملكة إسرائيل » من خريطة الوجود . . .

ثم حلّ البابليون فى العراق محل الآشوريين وكما فعلت آشور من قبل بالقبائل العشر فى الشمال فعلت بابل بالقبيلتين الباقيتين فى الجنوب . . فلقد ضم البابليون هذه المنطقة الجنوبية المعروفة باسم « اليهودية » إلى بابل ، عام ٥٨٥ ق . م ، وأمست فلسطين بأجمعها جزءاً من الدولة البابلية وإلى ذلك كان قد مهد « نبوخضر نزار » الثانى عندما أطاحت أسيافه ، سنة ٥٨٦ ق . م ، بأهل اليهودية ودمر الهيكل ثم حمل الرؤساء من قبيلتى يهوذا وبنيامين إلى بابل أسرى وفى مقدمتهم أفراد « بيت داود » من سلالة يهوذا وأعضاء « مملكة يهوذا » . .

هؤلاء الأسرى من سلالة يهوذا الذين أبوا إلا الجلوس على شاطئ

الفرات ييكون ويتباكون ويتذاكرون ملكا لهم كان في أورشليم قاعدته « حصن صهيون » هم الذين راحت هبّات التذاكر عنه تعصف بأفئدتهم وتستحنّ الشوق في صدورهم إلى تقيّء ظلال صهيون من جديد حتى أصبح الحنين إلى صهيون رمزاً للحنين إلى عودة المملكة الدائرة ! .

في غضون هذا المنفى ألقى أبناء يهوذا هؤلاء في تربة الزمن بذور الصهيونية بل كانوا هم الصهاينة الأول الذين بدأوا تاريخ الصهيونية غداة بدأت قرآنهم تبحث عن أجدى الوسائل لإعادة بيتهم ، « بيت داود » ، إلى مملكة يهوذا وعرش صهيون من جديد ! . فبدأت الأيدي منهم تنشر القراطيس لتجري عليها الأفلام مستهدفين من وراء ذلك شيئاً واحداً انحصر فيه تفكيرهم وهو عودة « دولتهم » الدائرة ... هذا التركيز في تعبيد الطريق نحو هذا الهدف المرسوم ، وهو العودة إلى عرش صهيون ، هو الذى صرفهم إلى استعمال معول واحد وهو هذا الذى جاء بهذه المشكلة التى تجابه جبهة الزمان إذ لم يكن هذا المعول إلاّ بدعة « الأرض الموعودة » ! .

هذا هو الواقع التاريخي ! .

وهذه هى الحقيقة ، فليس إلا لى يضمن أبناء يهوذا لبيتهم ، بيت داود ، عودة إلى صهيون جرت أفلامهم على القراطيس فكونت هذه « الأسفار » المعتبرة على موسى والى تدافعت بنصوص تترى عن أن أرض فلسطين هى لهم كانت قد منحت منحة من إلههم ، نفسه « يهوه » ، إله إسرائيل ! . . وهذه حبكة سياسية تم عن دراية تامة بالفسية البشرية ومدى تأثير العاطفة الدينية فى الجماعات إذ أن على المنحة الإلهية لا يمكن أبشر الاعتراض ! ..

وأما كيف جاءت هذه « المنحة » ومتى كانت ؟ فهذا من الطبيعي لا بد وأن يكون سباقاً على العهد الذى كانوا فيه يسطرون هذه « البدعة » . . .
ولكى يصفنوا قضيتهم بصفة شرعية بدأوا بهذا « الوعد » بأبراهيم ..

هذه الأقلام التى جرت فى أيدي أبناء يهوذا وجاءت بهذه النصوص التى غلفتها بالقدسية هى فى الحقيقة السجلات التى تكشف من أمر هذا « الوعد » الذى لم يكن فى واقعه إلا وعداً تابعاً لمآرب السياسة وألوية فى يد هؤلاء المؤلفين اليهوديين منذ بدأوا يكتبون « سفر التكوين » حتى « سفر التثنية » فأتوا بذلك هذه « الأسفار الخمسة » التى لم يكن إلا لإضفاء الصفة الشرعية عليها نسبوها إلى موسى متنادين بأنّها هى هذه « التوراة » التى أنزلت على موسى ! .

وهكذا فى ذلك العهد وفى أسر الفرات كتبت هذه « الأسفار الخمسة » التى لم تألفها إلا « تَحْيِيَّات هذا السبط من يهوذا » والتى عن مدى مرتبة مؤلفيها فى عالم الأُخلاق تفصح نصوصها أبلغ الإفصاح !.. أولاً من خلال تصويرهم موسى ، عليه السلام ، شخصية غامضة مبهمة شريرة لا عمل له إلا فرض الأتوات وذبح الضحايا ورش الدماء على الحيطان وأبام اليد اليمنى واليد الشمال وإلا الصعود إلى « يهوه » والمهبوط من لدنه ثم إسكانه « خيمة » يطلق صوته من داخلها بهذه « الأوامر » من أمور الترهات وانتهائهم بهذه الشخصية الكريمة إلى اتهامها بخيانة الرب ! . ثم من خلال تصويرهم الفاحش للوط ، عليه السلام ، وابنتيه ! . ثم من خلال إسفافهم فى تصوير إبراهيم عليه السلام ، وأهله إسفاً هوى بهؤلاء إلى الدرك

الأسفل من الأنهيـار الخلقى الذى لم يدر بخـلدهم ، وهم فى حى سعيهم هذا ، مدى عمق الهوة إلى تردّوا فيها ! . فلقد نسوا كل شىء إلا غاية واحدة مستهدفين من ورائها التمهيد لعودة « بيت داود » و « مملكة يهوذا » ولهذا كان حتماً ، كما رأينا ، أن يتحول هذا « الوعد » فى يدهم من شخص إلى آخر حتى يصلوا به إلى « ذرية داود » أى هم أنفسهم ، أما وأنهم قد بدأوا به بإبراهيم فإن ذلك لم يكن ، كما قلنا ، إلا حبكة سياسية كىما تكسب قضيتهم الصبغة الشرعية . . فلقد انبثق هذا « الوعد » عن مصالح السياسة وتحولت به « الوعود » تحولاً يتسق وهذه المصالح دون ما أدنى التفات إلى ماسطوره من إسفاف فى المنطق وطفولة فى التفكير فقد كان « الوعد » لإبراهيم لحولوه إلى إسحاق ليخرجوا منه إسماعيل ! . . ثم حولوه إلى إسحاق ليحولوه إلى يعقوب أى إسرائيل وليحصروه فى سلالة إسرائيل ! . . ثم حولوه إلى ذرية داود لينحصر ، وهم من مملكة الجنوب ، فى مملكة الجنوب دون الشمال وتعود « اليهودية » إلى الوجود ! . .

هذا هو الهدف الحقيقى من وراء هذه المحاولات المتكررة فى صورة انتقال هذا « الوعد » من شخص إلى آخر حتى ينتهى إلى « يهوذا » ومنه إلى « بيت يهوذا » ... فإنّ هناك شرياناً واحداً يجرى فى هذه « الأسفار » يمجّد « يهوذا » و « بيت يهوذا » وهذا الشريان هو الذى ينبض بفكرة « الأرض الموعودة » وهو نفسه هؤلاء الصهاينة الأوّل من « بيت يهوذا » الذين تمهدوا لفكرة « الأرض الموعودة » بالإلناء وحولوها إلى عقيدة هى فى حقيقتها ليست إلا فكرة نابغة لقيام الدولة وسقوطها فى « بيت داود » متخذين حجة على هذا التحويل « للوعد » من فرد إلى آخر بأن « يهو » كان ينسى « وعده » فيجده ! .

وهذا هو الهدف نفسه الذى دفع بهذه الفئة من سبط يهوذا ، هؤلاء الصهاينة الأول الذين حملوا لواء العودة إلى « صهيون » ، إلى كتابة هذه « الأسفار » التى لا يقوم الدين اليهودى الحالى إلا عليها ولا يتخذ يهود العالم اليوم حجّتهم فى ادعائهم بأحقّيتهم بفلسطين إلاّ ما تشتمل عليه من نصوص هى هذه التى مازالت تحرم من حولها أنفاس اليهوديين منذ اللحظة التى نفثت فيها القدسية فى ذلك العهد الذى أعادهم فيه الفتحُ الفارسى لبابل إلى أورشليم حيث هناك بدأ بروز هذه « الأسفار الخمسة » المكونة « التوراة » على صفحة التاريخ الدينى ! ..

هذه هى « التوراة » !.

هذه هى « توراة » اليوم التى لم تُكتب إلا بأقلام هؤلاء الصهاينة الأول وفى إيمان الأسر الطويل على شاطئ الفرات والتى ليس إلا على وهم من الإيمان بقدسيّتها منذ ذاك العهد الذى عاد فيه اليهوديون من الأسر إلى أورشليم حتى هذا العهد الذى يعيش فيه اليهود فى عالمنا الحاضر ، كان أن قامت ، كامتداد من هذه الصهيونية القديمة ، الدعوى الصهيونية الحالية بملكية فلسطين وافتعلت « دولة إسرائيل ! .. »

وهكذا تولّد وهم عن وهم وجاء من باطل باطل ! .. فلا سند للصهيونية الحالية إلا هذه « النصوص » التى افتعلتها الصهيونية القديمة بهذه « الأسفار » التى طلعت مسيجة بالقدسية غداة أبناء يهوذا من أسر الفرات إلى ظلال صهيون من جديد وهذا ما يجعل الغزو الفارسى ودخول « كورش » بابل فاتحاً من أبرز الأحداث فى تاريخ اليهود إذ لم تمر سنتان بعد دخوله بابل إلاّ وبدأت الفصيلة الأولى من اليهود رحلتها إلى الأرض التى كانوا قد خرجوا

منها قبل ذلك الحين بخمسين عاماً وعلى الرغم من أن هذا الجيل الجديد من أبناء
يهودا الذي جاء فلسطين لم يجد الترحيب الذي كان له ينشد ، إذ أنه قد وجد
أقواماً آخرين من « الساميين » وعلى وجه التحديد من العرب الذين تدفقوا
إليها من الصحراء السورية ومن شبه الجزيرة العربية إلا أن تولى « دارا الأول »
الحكم جاء بالجديد فلقد أقام « دارا » هذا والياً على اليهودية فرداً من « بيت
داود » نفسه هو « زر' بابل بن شالتيئل » وسمح لليهود بإعادة بناء الهيكل
فبدأوا في بنائه في السنة الثانية من حكم « دارا » وأتموه في السنة السادسة من
هذا الحكم ، عام ٥١٨ ق . م ، ومن هنا عادت أورشليم ، شيئاً فشيئاً ، مدينة
يهودية من جديد ومن جديد ترددت في هيكلها حشرات الضحايا المذبوحة بيد
أهل الكهنوت ... بينما تسارعت الأيدي الكهنوتية في تدوين هذه « الأسفار »
في نسخ كثيرة حتى يتم تداولها بين هذا الجيل الجديد من أبناء يهودا الذين
تناولوها مغلقة بالقدسية وليسيجوها بدورهم بالتقديس ثم راحوا يورثونها
لأبنائهم جيلاً بعد جيل ولتثبت بها من هؤلاء الأيدي ضئيلة بها من التبديد .
فلقد عانقهم من الإيمان وهم بأن يدهم قد امتلكت من إلههم صكاً شرعياً على
تمليكهم فلسطين وكل الرقاع المترامية من الفرات إلى النيل ! ..

هذا هو تاريخ بروز هذه « التوراة » على صفحة التاريخ الديني
وهذا هو الأصل في إحكام عقد عقدة .. « الأرض الموعودة » في صدر هذه الجماعة
إحكاماً كان في واقع الأمر محنة لهم لا منحة بما أصابهم به هذه العقيدة من مرض
نفسى تظهر عليهم أعراضه في كل مظهر من مظاهر حياتهم الخاصة والعامة ، لافي
صورة هذا التعالي والاستعلاء عن الناس « كشعب مختار » ولا في صورة هذه
العزلة التي أحاطوا بها أنفسهم منكشيين في قوقعة تخيلاتهم فحسب وإلما في
إضمارهم الإضرار بكل من سواهم واستحلالهم إيذاهم حتى القتل كما عن ذلك

يتفتق تاريخهم منذ ذلك اليوم الذى تكوَّنت فيه هذه الجرثومة السرطانية فى جسم المجتمع البشرى حتى هذا اليوم كصفة طبعت الجماعات منهم والأفراد على سواء إلا من فرد بين هؤلاء الأفراد أو آخر شدَّ عنهم بطبعه فنبذوه بطبيعتهم! . وفى مقدمة هذه الأمثال كان من قد ألحنا إليه قبل قليل ، وإلى اليهودية زربابل ابن شلتئيل .. وهنا نرانا نتمهل قليلا لنستعرض صفحة هامة من تاريخ اليهودية فى ذلك الحين لما كان لها من أثر على الأجيال فيها بعد ... فان أفراد « بيت داود » الذين عادوا إلى أورشليم معترمين أن يعيدوا دولتهم الدائلة من جديد بملك كان لا بد أن يكون من نسل داود فانما هم قد وجدوا أن اليد الكهنوتية لا تمتد وأنها كما مسحت من قبل شاول وداود وسليمان بالزيت المقدس ملوكا مسحاء تأبى أن تمسح « زربابل » بهذا الزيت المقدس ملكا مسيحاً .

والواقع أن تفكير « بيت داود » فى قيام ملك منهم وبالذات من نفس « نسل داود » كان قد جاء فى غضون الأسر البابلى وكان حتماً له أن يحىء طالما أن هذا الأسر كان قد اعترف « بيت داود » نفسه فى المقدمة وغدت سلالة دواود فى هذا الأسر تعيش كما كان طبيعياً أن يمد دعاة هذا « البيت » إلى ذلك السبيل . . وبالفعل بدأ هؤلاء يعبدون الطريق وتزعم هذا الأمر « حجي » وإلى جانبه « زكريا » ، النبی العاشر فى سجل أنبياء اليهودية الإثني عشر، كما بذلك تأنيينا الأدلة تترى من خلال سفرهما ، آخر سفرين قبل السفر الأخير فى « العهد القديم » .. وأما الآن وقد أعادهم الفرس إلى أورشليم فعاد إلى أورشليم « بيت داود » وعلى رأسه سليل داود نفسه وأبرز فرد فيه « زربابل بن شلتئيل » وهذا قد عيّن من قبل الفرس والياً على يهوذا فإن الهدف أمام بيت داود ودعائه يلوح وشيك التحقيق ولا يتوقّفن ذلك إلا على مؤازرة الكهنوت وعلى رأسه الآن « يهوشع بن يهوه صادق » وليس على

هذا الكاهن الأكبر إلا إعداد « المسحة » لمسح زربابل وإشعار السلطان.
الفارسي بإعلان هذا الوالى ليهوذا ملكا على يهوذا لاسيا ودعاة بيت داود قد
أطلقوا أصواتهم من منطقة الجليل إلى حيث تجاوبت في أورشليم ..

ولكن !..

أهل الكهنوت الذين كانوا قد لبثوا ، منذ هوت أورشليم وهُدم
المعبد الأول عام ، ٥٨٦ ق . م ، يتخيلون هذا « الملك المسيح » صاحب عرش
يفتح بيت المقدس بالسيف ويعيد فيها الدولة الدائلة ، قد عادوا بعد العودة من
الأسر ، عام ٥٣٦ ق . م ، يطمعون هم أنفسهم في هذا الملك ومشاركة بيت
داود فى الحكم وساعدهم على ذلك وداعة « زربابل » هذا الملك المنتظر والوالى
الحالى لليهودية الذى رآته أورشليم حاملا الحجارة على كتفيه لإعادة بناء المعبد
وتراه فى تنقلاته « راكباً على حمار تارة وتارة أخرى على جحش ابن أتان » كما
إلى ذلك يشير الإصحاح التاسع من « سفر زكريا » .. ومن ثم فإذا أراد بيت
داود لملكه أن يعود فذلك أمر يعترضه شرط كهنوتى واحد وهو أن يكون
الحكم بين « زربابل » و « يهوشع » مشاركة ...

بيد أن هنا تميد هوة فى تاريخ اليهودية غاب فيها « زربابل » وكأنه
لم يكن له وجود على الإطلاق بينما راح يرفأ عليها صمت عجيب تحولت به
مرة واحدة ، عام ٥٢٠ ق ، عن « زربابل » سليل داود والجد الأعلى ليوסף
النجار ، دفة التاريخ !..

وهكذا أخفق « بيت داود » وانتصر « بيت صدوق » من
أهل الكهنوت الذين راحوا مع الأيام يدفعون بهذا البيت إلى التوارى فالانمار
فى ركب الحياة وزحام المعاش بينما انتقل الحكم نهائياً إلى اليد الكهنوتية .

وهكذا هدمت اليد الكهنوتية « ملك يهوذا » .. وفي غفلة عن أن عقيدة « الأرض الموعودة » لم تكن إلا لإعادة « بيت داود » امتدت هذه اليد محومة تقبض في تشنج على « الأرض الموعودة » وتدبر دفة لاعتقد الديني إلى الناحية التي تماشى ما لها من مصالح شخصية ، ومن هنا أخذ الكهنة في وضع حكم ديني قالوا إنه يقوم على المأثور من أقول السلف وتقائيد الآباء وعلى « أوامر الرب » .. وتزعّم « عزرا » هذا الأمر فدعا الجماعة اليهودية ، ٤٤٤ ق . م ، إلى ما أسماه « اجتماع خطير » وأخذ يقرأ عليهم ما سماه « شريعة موسى » التي لم تكن في واقعها إلا تلك « الأسفار الخمسة » التي دمجها يراع أولئك المؤلفين اليهوديين الذين حسبوا أنهم قد مهدوا بها الطريق لإعادة « ملك يهوذا » .. وعندما فرغ « عزرا » من قراءتها أقسم الجميع على أن يتخذوا من هذه « الشرائع » دستوراً يسرون وفقه .. وبهذا عملوا بالفعل فقد ظلت هذه « الشرائع » دستوراً يسرون وفقه حتى اليوم ، فهو المحور الذي تدور من حوله الحياة الخاصة والعامة لهذه الطائفة الدينية ولا يزال تقيدهم به من أهم الظواهر المستقرة في معاملاتهم مع من سواهم من الناس فنذ تلك اللحظة التي ناول بها « عزرا » المجتمع اليهودي هذه « الأسفار » كتاباً « مقدساً » وعلى هذا المجتمع قد خيّم ، بلونها القديم ، ألوهية « يهوه » ورفّ دين يشوع ابن نون ! .

هذا هو ما يسميه اليهودُ بالإصلاح الديني الذي جاء به هذه الشخصية الكهنوتية التي تراها واضحة من خلال سفرها ، « سفر عزرا » ، غداة غيبت اليد الكهنوتية « زربابل » وبدأت تدفع « بيت داود » إلى الخلف .. ولكن ! . هذه الشخصية الكهنوتية التي هبت تؤيد الحكم الكهنوتي قد تنهت إلى أن هذه الجماعات التي تخاطبها إنما هي قد وعت أحداث الماضي

القريب وأن بذكرتها قد عقلت عن « زربابل » الذكري وعن « بيت داود »
الذكريات بل وما زال طيف « الملك المسيح » الذى كانت تراه أورشليم مجسداً
فى شخصية « زربابل » يحوم فى آفاق التفكير ! هذه العوامل ، مجتمعة ، هى التى
دفعت « عزرا » إلى أن يطلق نداء كان له رجع الصدى السريع فى هذه
الجماهيم وهو أن فى « زربابل » لم تتوفر فيه شروط « الملك المسيح » وأن الحكم
إذا كان قد غدا كهنوياً فليس ذلك إلا لإدارة دفعة الأمور ولفترة موقوتة ..
ستنتهى بمجيء من ستوفر فيه الشروط المطلوبة لفرد من بيت داود يمكن أن
يمسحه الكهنوت « مسيحاً » فيكون « ملك اليهود » ! ..

وهكذا حول « عزرا » الأذهان من الماضى إلى المستقبل ومن
هنا تملكت الآمال بعودة الملكية على يد سليل من آل داود راحت الفكرة
عنه تزداد مع الأيام رسوخاً طالما أن الكهنوت نفسه قد أسهم فى إبداع هذه
الفكرة فى تربة الأجيال بينما كان الزمن يسير حتى العهد الذى هب فيه من
شواطئ البحر الأبيض الأرج الغنوصى مضمخاً بعبير الفلسفات الفيثاغورية
والأفلاطونية والرواقية وأقبل يعانق نواحي فى هذه الأرجاء ما تنسمته إلا وبدأ
يمسح عنها الطابع الإشوعى القديم وإلا وبدأت يد الزمن تفصلها فصلاً باتراً عن
هذا المجتمع اليهودى العتيداً .. هذه الناحية هى التى خضبها من الفيثاغورية عمق
الزهد ومن الأفلاطونية « الطهر الأفلاطونى » و « الحب والمحبة الأفلاطونية »
و « خلود النفس » الأفلاطونى بينما كان قدر راقها من الرواقية عقيدة « اللوغوس »
أو « الكلمة » فاعتنقتها عقيدة ... ولكن ، لما كان فى الاعتقاد بهذه المعتقدات
الفكرية وبالأخص عقيدة الخلود ما يتعارض كل التعارض وتعاليم الدين
اليهودى الذى يعتبر الحياة قاصرة على هذا الحيز من الدنيا فقد انشطر هذا المجتمع
اليهودى إلى أكثر من فرقة نستطيع أن نحصرها ، فى هذا الصدد ، فى هذه

الشعب الثلاث :

الشعبة الصدوقية . والشعبة الأسينية . والشعبة الفريسية .

وأما « الشعبة الصدوقية » فهي الجانب الكهنوتي المتمثل « في بيت صدوق » وبؤازر هذا الجانب العدد الأكبر من أصحاب الثراء المادى وفي ركبها تسير الجماعات . . هذه الشعبة ، التى أنشأت الـ « ساندهارين » وجعلت من هذا الجمع الدينى اليهودى مقرأً لحكمها فى تمسكك بألوهية «يهوه» وتثبت بتعاليم يشوع ابن نون ، هى التى رفضت رفضاً حاسماً نساءم الروح الهابة بعطر الخلود وحجتها أن « توراتها » تتعارض وعقيدة الخلود .

وأما « الشعبة الأسينية » ومن هذه « الشعبة » سيكون « يوحنا المعمدان » فهى ليست إلا رَجْع انصدى للمذهب الفيثاغورى والمذهب الغنوصى معاً ! . ومن هنا اعتنقت الحب ديناً ولفظت الطقوس الدموية ورش الدماء فنبذت التطهر بالدم إلى التطهر بالماء حتى أصبح الاغتسال شعيرة مرعية فى صلب مذهبهم وتخلت عن الممتلكات الشخصية وآمنت بخلود النفس فتخلت عن دين يشوع بن نون ! . . .

وأما « الشعبة الفريسية » وهذه التى سيكون منها يوسف « النجار » حفيد « زربابل بن شالثيل » ، فهى هذه الناحية التى اعتنقت الأفلاطونية والرواقية معاً فذابت عنها مادبة السلف ذوباً تاماً وبلغت من الشفافية للمدى الذى أضفى عليها لونا من الصفاء الروحى بلغ بها الذروة من طهارة الخلق ومكارم الأخلاق حتى أصبح « الطهر الفريسي » مثلاً وحتى غدا التفانى فى ضروب الأعمال الصالحة طابعاً مميزاً فيهم وأما الزهد فقد أمسى طابعهم الذى بدأ به انسلاخهم شيئاً فشيئاً عن « يهوه » إله إسرائيل إلى ألوهية إله على هو « الأب الرحيم » . . وواكب هذه النزعة هذا الزهد الذى أخذ يشتد عليهم ظهوراً كلما اشتد

فيهم تغلغلا وكما اتضحت عليهم معالمه بوضوح تام فيما بين منتصف القرن الثاني ق . م . إلى نهاية القرن الأول ق . م وكما سجلتها أيديهم تلك التي سطرت « المزامير » ثم « الأمثال » ثم « الجامعة » .

وبقيناً إننا على أنغام المزامير ، هذا « السفر » الذي تم تأليفه في أوائل القرن الأول ق . م . ، نسمع الشفاء الفريسية تتغنى بثناء الروح ! . . وفي « الأمثال » هذا « السفر » الذي يعود تاريخه إلى منتصف القرن الأول ق . م تضرب الفريسية على ثقافة الدنيا الأمثال . . وفي « الجامعة » ، هذا « السفر » العائد بتاريخه أيضاً إلى منتصف القرن الأول ق . م . ، نرى الفريسية تشرح إشاحة . . تامة عن زخرف الدنيا وبريقها الخاطف ثم تجمع كل ما فيها جمعاً وتسميه « قبض الريح » !

وبذلك تقدم الفريسية براهينها على أن « الزهد » قد اجترفها بعيداً عن دنيا إسرائيل وعلا بها من الأرض إلى « ملكوت السماء » .

وفي الواقع أن هذه الشعبة الأخيرة هي التي كانت قد يئست مع الزمن من تجدد « مملكة يهوذا » بقوة السلاح فعاق رجاؤها بملكوت السماء . . . ولكن ، لما كان التفكير الإيجابي في « ملكوت السماء » باعثاً على التفكير في محاولة تطبيق قوانين هذا الملكوت على الأرض فليس إلا لتستشعر في نفسها أن أمامها واجباً عليها أن تؤديه . وأن هذا « الواجب » الذي ينحصر في إقامة العدالة على الأرض يدفعها إلى الإصلاح الديني وهذا يتمثل في وجوب تعديل شرائع هذا الدين الدموي حتى نسخة عن طريق هذا التعديل وذلك بالحد من سلطة الكهنة أو بالأحرى سلطان « بيت صدوق » ..

لاجدال في أن هذا « الواجب » الذي كان نفسه الدافع إلى كتابة « المزامير »

و « الأمثال » و « الجامعة » هو الذى اتخذ مظهره هذا فى الحد من طغيان الصدوقيين .. هذا الطغيان الذى استهل تاريخه منذ دُفع « زربابل » فى هوة التاريخ والذى ، بالتالى ، بلغ مداه منذ قام « عزرا » يتلو « الشريعة » ثم أسفر فى الأحوال السياسية والاجتماعية التى كانت تمر بها أورشليم وقت كتابة هذه الأسفار القريسية مما يجعل الزمن نفسه يرهص إلى ظهور « مخلص » ينشر على الأرض حكم السماء ! ..

مَلِك ؟

إن المُمْلَكُ مورث التعلق بأهداب الماديات والأيدى التى جرت فسطرت هذه الأسفار إنما هى أيدى قد سطرتهأ بإملاء نفس تأملت هذه الدنيا فنفضت أيديها هذه من كل الماديات ! .. ومن ثم فالخُلَاصُ الذى تدفع لظهوره الأحداث لن يكون ملكاً يرفع يده بصولجان وإنما سيكون روحاً هى مرآة عاكسة لروح السماء ! .. ومن ثم سيكون من صفاته التجرد عن هذا التكالب على جمع المال ! .. لن يجمع الفضة والذهب ويكيلها بمنقال ببد مثقال وإنما بيدٍ سيبدد هذا السراب وبالأخرى سيجمع البشر كافة فى رحاب أخوة عالية ويربط فيما بينهم برباط المحبة والسلام ويعلمهم إلقاء الأعمال الصالحة بذوراً ، لن تفسد أبداً ، فى تربة السماء ! .. ومن ثمَّ تصبح الأرض مملكة حكمها حكم السماء ، الكل فيها سواسية وصالح الأعمال فيها أنفس المقتنيات ! ..

من ثمَّ ...

فإن هذا « المخلص » لن يحتاج إلى مسحة من الكهنوت ! .. لا لأنَّ الذكريات عن « زربابل » جذوة نائمة تحت رماد الأيام تلهب الخيال فحسب ولا لأن قيام « مملكة السماء » على الأرض لن يحتاج إلى تأييد كهنوتى فحسب

وإنما لأن هذا « المللكوت السماوى » سيجىء لاقْتلاع فساد هذا الكهنوت ويمحق ضلاله من الأرض ويستبدل بربوبيه هذا الرب المحب لرشاش الدماء وريح القتر والقاصر على إسرائيل ، رباً آخر هو إله العالمين ورب الأرض والسما ! .
لذلك لن يحتاج « المخلص » إلى مسح من هذا الكهنوت فأنما هو سيكون « المسوح من الرب » ! .

ولسكن !

لماذا يستهزئ « بيت صدوق » ؟ . .

إن اليد الكهنوتية وإن كانت قد غيبت عن أورشليم « مخلصها » الذى كانت تراه مجسّداً فى شخصية « زربابل » فأنما عن الأذهان التى كانت قد هُيئت لقبول هذه الفكرة لم تغب ، قطّ ، هذه الفكرة عن البال ! . بل بالعكس بدأت رياح الزمن تنحسر عن هذه الجذوة وترسلها لهيباً وكأئنها ألسن تنادى بأن إلى ظهور هذا المسوح من رب العالمين ، هذا المسيح ، تنادى حاجة الزمن فى أورشليم والأيام تسير بها من بداية القرن الأول ق . م . حتى منتصفه وعلى وجه التخصيص غداة امتد الظل الرومانى عليها بل وليشتد من هذا النداء الدوى منذ هذه السنة ، ٦٣ ق . م ، السنة التى أصبحت فيها اليهودية ولاية رومانية حتى سنة ٣٧ ق . م . فلقد اشتد بالزمن هذا الإرهاص لاسميا والعهود الهيرودية قد بدأت فى الانتشار . . .

والواقع أن العهود الهيرودية قد ضاعفت هذا الإرهاص فقد قام على عرش اليهودية هيرود الأكبر ، ٣٧ ق . م . — ٤ ق . م ، وبذلك قام بيت مالك جديد يعود بنسبه إلى « أدوم » .. و « أدوم » وان كان أخا يعقوب فإنما سلالة أدوم غير سلالة يعقوب وغير سلالة يهوذا الابن الرابع ليعقوب أو

إسرائيل .. ومن ثمَّ فهذا « بيت » قد اغتصب عرشاً كان وقفاً على « بيت داود » حفدة يهوذا ابن إسرائيل وساعده على هذا الاغتصاب هذا الكهنوت من بيت صدوق عمال هؤلاء الرومان الذين أقاموا هيرود هذا عنهم قيلاً ، وقد كان من قبل لهم حليفاً ، كيما ينفذ قضاء الرومان في اليهودية . بل وإن هذا الإرهاب ليشهد عن ذى قبل شدة الأيام في هاوية الزمن تنهاوى من هيرود إلى هيرود فيجيء هيرود الثانى ، ٢ ق . م . — ٣٧ ب . م ، وتبدأ مراجل الثورة النفسية في الاشتعال ! . فالاجتماعات السرية تعقد وإلى أورشليم تبعث بشارها من الجليل وما حول الجليل وأما الصوت الذى انطلق غير هياب فكان صوت « يوحنا المعمدان » الذى انساب من « الجليل » فى غضون هذه الفترة الزمنية القلقة يعلن ؛

لقد آن مطلع « المسيح »

ومن هيرود الثانى عومل يوحنا معاملة التمردين على العرش فقتل .
يَبْدَأُ أَنْ مَصْرَعُ يوحنا جاء يرجع صدهاء من الجليل ليطوف بأورشليم .
معلنًا ؛

لقد طلع « المسيح » ! .

على صفحات التاريخ منتشرة أحداث اليهودية فى غضون هذه الفترة الخطيرة من التاريخ السياسى والدينى والتى تفتتت عنها الأيام التى جرت عبر اليهود الميرودية من هيرود الأكبر إلى الرابع ممن حمل نفس الاسم ، من ٣٧ ق . م ، إلى ٧٠ ب . م . ، وكأنما كل سطر فيها قد خط من غيوم تلبدت ينبعث من ثناياها همس راعد يتمم باسم ؛

« يسوع » ! .

تلك هي الفترة الزمنية التي نرى من خلالها انقسام اليهودية إلى فئات من حول الحامل هذا الاسم . فئة تراه الابن الأكبر ليوسف ... ولما كان يوسف حفيد زُربابل نفسه وسليل بيت داود وما لقَّب « النجار » الذي علق به إلا دلالة على احترافه صناعة النجارة وعلى ما آلت إليه حالة آل داود بعد زربابل فقد رأت أن يسوع ، وقد ثوى الآن يوسف ، هو الشخصية الجديدة بأن يكون « المسيح » . وفئة أخرى ، وهذه كانت طائفة الكهنوت من بيت صدوق ، رآته متحدياً لسلطتها وليس هذا فحسب وإنما هو قد جاء ، في صورة التكميل ، ناقضاً لشرائع دين لم يتناوله التبديل منذ قننه عزرا على أساس كان قد وضعه يشوع ابن نون ! . ولهذه الطائفة السكهنوتية يؤازر « بيت مئيرود » وهذا يراه نائراً على العرش ! . وبين تكاتف هذه الفئات المذاوثة عصفت عواصف السلطة الزمنية والدينية معاً ومرة واحدة اغبرت الآفاق بينما نرى يسوع من خلالها وقد أصبح روحاً في أفق الخلود ! .

إن المجال ليس بمجال التحدث عن المسيح والمسيحية إلا من الإلماح إلى ما لقيه المسيح ، عليه السلام ، من اضطهاد ومحاربة من اتباع يشوع ابن نون مما يجعل كل محاولة يقوم بها يهود اليوم لتبرئتهم مما يمتبزه المسيحيون دماً قدسك محاولة ترفضها رفضاً باتاً ذمة التاريخ ! .

راجعوا « العهد الجديد » وتصفحوا بدقة وعناية صفحات « الأناجيل » تنقش أمامكم قصة محنة السيد المسيح .. وبعد ذلك ستعلمون أن أي قرار يُبْرئ اليهود من « دم المسيح » ليس إلا مؤامرة استعمارية لاصاة لها

بالدين المسيحي وأنَّ المسيحية منها براء ..! بل وإنها مؤامرة تتجاهل هذا « الكتاب » الذي تحترم نصوصه من جميع المسيحيين على اختلاف مذاهبهم وتباين نحلهم ، وإصدار قرار يتعارض مع نصوصه ليس إلا مؤامرة سياسية يؤكد أنها أصحاب هذا القرار من دول خلقت إسرائيل واغتصبت لها الأرض العربية وشردت أهلها وأبرزتها إلى السكيان السياسى بقرار هذه الدول الاستعمارية لحمايتها ثم أرادت أن تدعم كيائها السياسى بقرار دينى ..! فهى من ثمَّ ، بدعة مفرضة ..! بدعة مجاملة الصهيونية على حساب دين كانت دعوة صاحبه أن آمنوا رب هو إله الجميع هى فى نظر اليهود جريمة كبرى استحق أن يحكموا عليه من أجلها بالإعدام !

وإذا قال قائل إن اليهود الذين كفروا السيد المسيح عاشوا منذ حوالى ألفى عام وإن يهود « إسرائيل » اليوم أبرياء من « دم المسيح » ، أجبنا بالقول إن إصرار اليهود على رفض الاعتراف بالمسيح وعدم إيمانهم به هو وحده البرهان الدامغ على حملهم هذه المسئولية ذاتها ..! وهذا مما يحمل أى وثيقة لا تتفق جملة وتفصيلاً مع نصوص « العهد الجديد » ليست فى واقعها إلا بدعة مفرضة ..! بدعة مجاملة الصهيونية عن طريق تزيف التاريخ ..! هل ضاقت الدنيا فى وجه الجمع السكسونى فى دورته الثالثة بمدينة روما عندما أنهى البحث فى وثيقة الكاردينال « بيا » ، أو وثيقة تبرئة اليهود من « دم المسيح » ، فلم يجد من وسيلة بناصر بها إسرائيل سوى التجسئ على التاريخ ؟ ..! هذا التاريخ الذى يبدأ عندما بين يشوعيين فى جانب ويسوعيين فى جانب آخر استهلّت أورشليم القرن الأول الميلادى .. هذا القرن الذى لم تكن مجريات الأحداث السياسية والدينية فى خلاله إلا أشد خطورة مما قد سبقه من

قرون .. لا لأنَّ هناك كان الذين نبذوا ظهوراً دين يسوع واعتنقوا ديناً مبادئ يسوع ... كلا ! . فأنما هؤلاء كانوا قلة وتاريخهم الحيوى كان لم يبدأ بعد وإنما لأن هناك كانت تلك الكثرة من أهل اليهودية التى رفضت مسيحية يسوع ، عليه السلام ، بينما علقت أنظارها بالمستقبل تنتظر ظهور «المسيح المنتظر» ! . ومن غريب المفارقات أن تصبح على رأس هذه الكثرة طبقة الكهنوت نفسها التى نبذها قد اعتنقت نفس هذه العقيدة وراحت تحاول استغلالها لتدعيم مركزها الدينى ! . .

واعتبر الحكم الرومانى ذلك تحدياً له فنار ضد اليهود جميعاً ! . . وهاجم «تيطس» اليهودية واحتل أورشليم ودمرها وهدم المعبد الثانى من جديد وقتل من تمكن من قتله من اليهود وأما من ظل منهم على قيد الحياة فليس إلا ليبدأ تاريخ التشتت فى أرجاء الأرض . . فكان هذا الحدث ، الذى استغرق مرحلة من الزمن ، ما بين سنة ٦٦ م . إلى سنة ٧٠ م ، إيذاناً ببداية نهاية التاريخ اليهودى من فلسطين .. وأما النهاية الحاسمة فقد جاءت إثر تلك الأحداث الدامية فى تاريخ أهل اليهودية وكانت آخر محاولة يهودية جاءوا بها لإحياء تراثهم فى فلسطين وذلك عند ما أعلن بعض يهود القدس العصيان على الرومان ودعوا لقيام دولتهم من جديد وقام « باركوشباس » ، ابن النجم ، ينادى بأنه هو « المسيح المنتظر » .. فهاجمهم «هادريان» ، ١١٧ — ١٢٨ م . ، واحتل المنطقة اليهودية فى القدس ودمرها تدميراً وقتل من تمكن من قتله من اليهود . . وأما ما كان قد تبقى من آثار المعبد الثانى فقد قوضه تقويضاً ثم بنى مكان مدينة القدس مدينة جديدة سماها « إيليا » حرّم على اليهود سكناها . . وبعد هذه المحاولة لم تقم لليهود فى فلسطين قائمة ولم يظهر لهم

فيها أى نشاط سياسى حتى العصر الحديث ..

هذا هو الواقع التاريخى لتاريخ هذه الجماعة من أتباع يسوع
ابن نون وتبائع دينه والذين لم يبق منهم من «بيوت إسرائيل» الاحفنة وأما العدد
الأكبر من هؤلاء اليهود فكان قد تألف من الذين كانوا قد تهودوا ... وهؤلاء
هم الذين قد راحوا ، فراراً من الجحيم الذى استعر حممه فى فلسطين إثر الفوز
الرومانى وهدم ، «المعبد» يبدأون تاريخ اليهود وقصة التشتت فى أرجاء الأرض .
لا تجمع بقعة الأفراد من هذه الجماعة الدينية إلا لتستدير حلقاتهم من حول
هذه الأسئلة ؛

أين أورشليم ؟ ..

وأين صهيون ؟ ! .

وأين «بيت الرب» ؟ ! ! .

وأين ؟ ! ! .

أين «الأرض الموعودة» ؟ ! ! .

لقد هوت أورشليم فهوت الجامعة الوطنية وهوى «المعبد»
فهوى النظام الكهنوتى وفصمت عرى الوحدة التى كانت تصل اليهودى
باليهودى ولم يعد شىء يربط هذه الجماعة إلا الذكرى ...

والذكرى ؟ .. الذكرى حالة نفسية تمر بها الجماعات كما يمر بها
الأفراد وتعتصر الفكر لدى مغيب كل أمنية ولا تعتصره إلا لتطرق من حوله
مطارق الحزن .. والحزن إذا ما طرقت الفكر مطارقه فليس إلا ليبتعث
ما تطويه الذاكرة من أصوات وما يحوم فيها من أطياف ..

تحت ضغط من دوافع هذه العوامل النفسية تفاوت اليد اليهودية،
حيثما كان مكانها من الأرض، الحلقة التي تصلها بالماضي.. هذه الحلقة المتمثلة في
« الأسفار الخمسة » والتي كان قد أصبح عليها علماً اسم « التوراة » .. وما انحنى
القلب اليهودي يراجع في هذه « التوراة » ماضيه الا وبدأ التهامس بدور في
في محبة، عانهم بغمة واحدة تترت تردد؛

إذا كانت أورشليم قد هوت فليس ذلك إلا لفترة وإذا كان
« المعبد » أيضاً قد قوض فليس ذلك أيضاً إلا لفترة .. فترة، قد تطول ولسكنها
حتماً ستنتهي يوماً طالما أن اليد تمتلك هذه « الأسفار » !. هذه « التوراة »
القائلة بأن فلسطين، بل وليس فلسطين وحدها فحسب وإنما كل الأراضي
الممتدة من انفرات إلى النيل، هي « منحة » لبني إسرائيل !.

وهكذا جاء انتشار أتباع يشوع بن نون في الأرض بمضاعفة تسييج
هذه « الأسفار الخمسة » بالقدسية لاعتبارهم إياها حجة شرعية على تملك بني
إسرائيل فلسطين... ناسين، في حمى التمسك بهذه « الأسفار »، أن هذا
الاعتبار نفسه ينفق دعوتهم من أساسها، وهذا لأمرين..

أولاً؛ هذا « الوعد » جاء قاصراً على بني إسرائيل وحدهم
وهؤلاء كانوا قد طواهم الزمن منذ أباد الغزو الأشوري « القبائل العشر »
من صفحة التاريخ ومحا من هذه الصفحة شيئاً اسمه إسرائيل وبالتالي،
منذ حمل الغزو البابلي القبيلتين الباقيتين من سلالة يهوذا وبنيامين، وهؤلاء
لم يعد منهم إلا قلة تناووها، أيضاً، التيار الزمني بالتلاشي.. وهذا مما يحمل هذا
« الوعد » حتى ولو كان صحيحاً، وهذا مجازاً، يعتبر لاغياً من الوجهة
الشرعية إذ لاصلة دم تربط هذه الجماعة من سلالة آباء كانوا قد تهودوا

واتبعوا دين يشوع بن نون بأبناء إسرائيل الذين كانوا قد تفاوهم الزمن بالقضاء
إلا من قلة تغيب في هذه المجموعة من أدعياء النسب إلى إسرائيل ! . .

والأمر الآخر هو : أن هذه « الحجة » تعتبر من الوجهة التاريخية
غير شرعية ومن ثمّ لأغية وذلك لأن هذه « الأسفار الخمسة » مفتراة على
موسى وعليه مزورة ! . .

وهنا نتساءل : أغابت ، حقاً ، عن هذه الجماعة هذه الحقيقة ؟ . .

يقيناً إن هذه الحقيقة وإن غابت عن الناحية الجماعية في هذه
الجماعة فإنما هي عن الناحية المتفككة فيهم لم تغب ! . . والبرهان على ذلك
مستمد من نفس التاريخ الفكري لذلك العصر الذي كان العقل الإنساني في
خلاله يسجل خطواته الفلسفية في اليونان الصغرى وفي اليونان الكبرى
وخاصة في الأسكندرية . . فهناك ، وتحت أشعة ذلك العصر الفلسفي وأضواء
العلم اليوناني تناول العقل اليهودي هذه « الأسفار الخمسة » وما تصفّحها إلا
وبدا يتطرق الى تفكيره الشك في كل ما احتوته من نصوص ! . .

كل ما في هذا « الكتاب المقدس » تنقضه نقضاً صريحاً هذه
الفلسفات وهذه المعلوم ! . .

كل ما في « الكتاب المقدس » من نصوص قد أترعتها الأغلاط
والثرثرات كما أترعها السفه والفحش والانحلال ! .

وفي الواقع أن هذا الشك الذي تمثّل : « فيلون » في القرن الأول
الميلادي كان قد بدأ قبل ذلك بزمان غير قصير ذلك عند ما بدأ اليهود في

الأسكندرية في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد بترجمة « العهد القديم » إلى اليونانية وأتموها حوالى سنة ٢٥٠ ق . م فنحن نرى من هذه الترجمة ، التى عرفت بالترجمة السبعينية ، أن رياح الشك قد عصفت بترجمتها وإلا لما كانت هناك كل تلك الشروح والتعليقات التى رأوا أن يضيفوها كما يفهم المعنى من وراء النصوص من هذه « الأسفار الخمسة » . . . فن هذه الشروح والتعليقات تطلع علينا تأويلات غريبة واستعارات بعيدة عن ظاهر العبارات وما يشبه الخيال من صور مجازية وكتابات خفية على النحو الذى أفاض فيه من بعد « فيلون » . . ومثلا على ذلك ما تأتى به إلينا الشروح التى أضيفت إلى السفر الأول من هذه الأسفار والتى تسهل سطورها بهذا القول : إن سفر التكوين لا ينبغى أن يؤخذ على ظاهره الساذج هذا وإنما ينبغى أن يفهم أن له معنى آخر خفياً ! .

وأما ما هو هذا المعنى الخفى فهذا ما قد تناوله من بعد « فيلون » . عندما راح يلجأ إلى « بدعة التأويل » محاولاً تأويل ما قد جاء فى هذا « السفر » من قصص أتى فى تأويلها بأخطاء أفدح منها ! . لا لأنه قد خرج بهذا التأويل عن درجة النزاهة فحسب وإنما لأنه قد أظهر بذلك شكه من حيث أراد له إخفاء

هذا المنهج هو الذى انتهجه الفكر اليهودى عندما أدرك ما يحويه هذا « الكتاب المقدس » من سفه وفحش وإحلال وترهات وأباطيل وهذا هو المنهج الذى انتهجه اليهود وظهر عليهم واضحاً بعد هدم « المعبد » وطردهم من فلسطين فلقد تغافلوا تغافلاً يميناً عن كل ما جاء فى « الأسفار الخمسة » من أغلاط تاريخية واستخدموا « المنهج الفيلونى » منهجاً فى تفسير ما يصطدمون به من نصوص « كتابهم » هذا مستهدين بذلك هدفاً سياسياً

واحداً هو احتلال فلسطين من جديد ! وأما كيف يمكنهم الاستيلاء من جديد على فلسطين فليس إلا عن طريق إيهام العالم بأنهم لموسى أتباع وأن هذه الأسفار لموسى أسفار .. ففي هذا ضمان أمام الرأي العالمى يكفل لهم الحق في مطالبتهم بهذه البقعة من الأرض كوعد روحانى جاءت به إليهم هذه « التوراة » ..!

والواقع ؟ ..

الواقع هو أن هذه الجماعة لا تعود إلى موسى بدينها لأن هذه « الأسفار » التى بها تدين ليست لموسى أسفاراً ..!

الواقع هو أن هذا « الوعد » لا يحمل أية صبغة شرعية قط ... لا لأن هذه « الأسفار » لا تعود إلى موسى فحسب وإنما لأنه « وعد » جعلوه يحنى على لسان « يهوه » إله إسرائيل وهذا رب لا صفة له عالمية قط ولا يتصف إلا بال محلية كما بذلك يطلع علينا « السفر الثانى » من هذه « الأسفار الخمسة » وكما تؤكد بقية هذه « الأسفار » وإن كان عن هذه الحقيقة يتفاضل اليهود عمداً، وكى يعطوا دعواهم صبغة شرعية راحوا يؤهمون العالم بأنهم إذ ينادون « يهوه » فلا يعنون بذلك إلا إله الكون !

الواقع هو أن هذه الجماعة وثنية المعتقد لأن عبادة « يهوه » عليها تسيطر ... وهل هناك وثنية أوغل من عبادة رب محب لرشاش الدماء يأمر عابديه باستنزاف دم من سوى جماعته من البشر ؟! ..

هذا هو الواقع فى تاريخ هذه الجماعة منذ بدأوا يلعبون على مسرح التاريخ هذه الرواية المماجنة حتى هذا العصر الحاضر الذى بدأت اليدُ العربية

تسدل فيه الستار على آخر فصول هذه الرواية الهزلية . . . وهذا هو ما سجلوه بأنفسهم على أنفسهم عندما سطوروا « التلود » بعد أن كتبوا ؛

الـ « مشنا »

لم تسكد مدينة أورشليم تسقط في أبدى الرومان ولم يكبد الرومان المنتصرون على اليهود ينهالون على أكثرهم تقتيلاً واستعمال القسوة مع الباقين فالطرد وبذلك بدأ التيه حول الأرض إلا ورأى خاصة اليهود ، وعلى رأسهم الحاخام « يوخاس » ، حوالى عام ١٥٠ م ، أن كل ما يستطيعون عمله بعد فقدم « الجامعة الوطنية » هو اتخاذ لوحدة العقيدة ، المتمثلة في عقيدة « الأرض الموعودة » ، وسيلة للعودة إلى أورشليم ، وذلك عن طريق تقوية الرابطة الدينية بين جماعاتهم المتفرقة في أنحاء العالم وأن السبيل إلى ذلك يتلخص في تقييد سننهم بعناية ودقة . . وبدأوا العمل فراحوا يسجلون قوانينهم الخاصة وعاداتهم المتوارثة وتقاليدهم الدينية وسننهم الموروثة في كتاب أطلقوا عليه ، نسبة إلى هذه السنن ، هذا الاسم ؛ « مشنا » وما تم وضعه في منتصف القرن الثالث الميلادى إلا وعملوا بكل ما لديهم من قوة على تداوله بين أيدي جميع يهود الأرض . .

يبدأ أن الـ « مشنا » كان موجزاً تترعه النواحي الغامضة والمتشابهة ومن ثم كان افتقاره إلى تفصيل وتجلية وإيضاح . واضطلع خاصتهم بهذا الأمر فراحوا يضعون شروطاً وتعليقات يفصلون فيها مجمله ويحلون بها غامضه ويقولون الكلمة الحاسمة في شأن ما قد جاء فيه من متشابه الكلام فجاءوا بشروح دعوها باسم « جامارة » . . ومن هنا نعلم أن الـ « مشنا »

لمشروحة على هذه الصورة مع « جامارة » كونه كتاباً يحمل تعاليم الدين اليهودي وهو ؛

« التلمود »

إن « التلمود » كلمة معناها باللغة العبرية « تلمذة » أو « تعليم » اختصاراً لكلمة « تعاليم » بيد أن معناها الديني أو بالأحرى مفهومها اليهودي أعمق من هذا بكثير وأخطر إذ أن التلمود يعتبر لديهم « انثورة الشفوية » !.

« إن إله إسرائيل قد أملى التلمود على موسى شفويّاً ! »

هذا هو قول حاخامات اليهود من مؤلفي « التلمود » وأما تاريخ « التلمود » فشيء آخر ! ..

إن تاريخ « التلمود » ينحصر في عهود ثلاثة هي نفسها العهود التي استغرقت وضعه حتى آتامه وهذه هي ؛

العهد الأول ؛

عهد « تانايم » أو المعلمين .. وهذا عهد جاء في أعقاب سقوط أورشليم عندما أسس « يوحنا بن زاكاي » في منطقة منعزلة بالقرب من يافا مدرسة « هامدراس » وبدأ بنفسه في وضع السطور الأولى من هذا « التلمود » حتى أتم هو وأثنان من خلفائه وضع القسم الأول منه وهو المعروف تحت اسم « التلمود الأورشليمي » ..

العهد الثاني ؛

عهد « عمورايم » ، أو الشُّراح .. وهذا عهد جاء عقب الانتقال إلى العراق وتأسيس مدرسة « سورا » هناك ، حوالي عام ٢٤٠ م ،

حيث تم القسم الأخير من « التلمود » وهو المعروف تحت اسم « شلقان عراق » أو « التلمود البابلي » . .

العهد الثالث والأخير ؛

عهد الـ « صبوراييم » أو المحققين .. وهذا عهد جاء وقـد تم بناء هيكل التلمود ولم يبق إلا التحقيقات الأخيرة من أنه قد جاء مطابقاً لما جاء في « الأسفار الخمسة » من نصوص .. وتوَلَّى حاخامات اليهود هذه المقارنة وقاموا بهذا التحقيق وما آتت أيديهم ، دون إضافة أى شىء جديد ، اللمسات الأخيرة لهذا الهيكل وتم الاتفاق فيما بينهم على أنه قد جاء حقاً يمثل تمثيلاً صحيحاً شريعة « إله إسرائيل » إلا وكانت الأيام قد جرت إلى حوالى سنة ٥٥٠ م . وهذا هو العهد الذى تم فيه وضع « التلمود » ! .

هذا هو تاريخ « التلمود » .. سطور كتبت بأيدي حاخامات اليهود كما قد كتبت من قبل سطور « الأسفار الخمسة » بأيدي اليهوديين ! .. ومن هنا جاء « التلمود » حاملاً نفس الصفات المادية الموروثة والمبـادى الدموية المتوارثة .. ومن هنا لا نتناوله وننشر منه الصفحات إلا وتفوح منها ، كريهة ، رائحة الذبائح والدماء وإلا وتضج المسامع منا من أهوال ما فيها من استنزاف دماء البشر ! ..

وهنا ..

هنا يجب علينا ، حتماً ، أن نأتى ببعض ما يشتمل عليه التلمود .. ومع علمنا بأنه ليس إلا المرآة العاكسة لما فى « الأسفار الخمسة » من نصوص فلا بد لنا من استجلائه على حقيقته فنقول ؛ إن « التلمود » عدة أجزاء تبلغ

الثمانية ولكن يُوحَّد فيما بينها روح واحدة تسرى في جميع هذه الأجزاء وتسير عبر سطورها كفتح أفعى تنفث السموم! عطشى هي إلى الدم أبداً ، لا تترنوى إلا بسفكه ولا تقيم لها عيداً إلا على استنزافه قطرة قطرة . . . لا هدف لها إلا التخاذ « الأرض الموعودة » مقراً وحكم العالم من على عرش فيها سيقوم : « مسيح منتظر » وإبادة سكان الأرض جميعاً من مسيحيين ومن كان في عهد آتسام هذا التلمود من غير المسيحيين . . . وهذه هي بعض النصوص التلمودية الخاصة بهذا الموضوع الذي طرّفناه والتي جاءت في « شلقان عراق » ^(١) هذا التلمود البابلي المتداول بين يهود العالم في عصرنا الراهن . . .
فلنقـرأ ؛

خلاصة تعاليم التلمود وأصول شرائعه

يقدم « التلمود » قبل كل شيء صورة لإلّاه إسرائيل فيقول ؛
إن النهار اثنتا عشرة ساعة .

« في الثلاثة الأولى منها يجلس يهوه يطالع الشريعة .

وفي الثلاثة الثانية منها يحكم .

وفي الثلاثة الثالثة يطعم العالم .

وفي الثلاثة الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك .

ولكن !

في لحظات من هذه الساعات يهب « يهوه » يبكي ويزأر

(١) طبعة امستردام سنة ١٦٤٤

وطبعة براج سنة ١٨٣٩

وطبعة فارسوفيا سنة ١٨٦٣

فلفد ؛

« اعترف يهوه بأخطائه في تصريحه بتخريب الهيكل فصار
يبكى ويزأر قائلاً ؛ تبألى لأنى صرحت بخراب بيتى وإحراق الهيكل ! . »
بيد أن لا بأس . ؛

« ليس يهوه معصوماً عن الطيش والغضب » ! .
ولكن « يهوه » وإن كان غير معصوم عن الطيش والخطأ إلا
أن هذا لا يمنع من الندم على هذا الطيش والغضب اللذين جرّأ على « شعبه المختار »
هذه الحالة من التعاسة حتى إنه كثيراً ما يبكى كل يوم ويلطم .
نعم ! . . . ؛

« يندم يهوه على تركه اليهود في حالة التعاسة حتى أنه يلطم ويبكى
كل يوم ! . »

وكيف لا يبكى « يهوه » ندماً فيزأر ويلطم و ؛

« أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح » ! .

لماذا ؟ ..

« لأن الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية ! . »

وعلاًّم العجب وهذا هو الواقع فاسمعوا ؛

« كان آدم يأتي شيطانة عظيمة اسمها « ليليت » لمدة مائة وثلاثين
سنة فولد منها شياطين .

وحواء أيضاً اتصلت خلال هذه المدة بذكور الشياطين فصارت
لا تلد في هذه الفترة إلا شياطين .

هؤلاء الشياطين الذين من نسل آدم أيضاً ومن نسل حواء هم

غير اليهود من الناس ! . »

لذلك ؛

« يستطيع الإنسان في بعض الأحوال أن يقتل الشياطين ! . »

م لما كان لا مكان للشياطين في النعيم ومكانهم هو الجحيم فإن ؛

« النعيم مأوى أرواح اليهود ولا يدخل الجنة إلا اليهود ! . . »

أما الجحيم فمأوى كل غير اليهود وفي مقدمتهم المسيحيين !

ولا نصيب لهؤلاء في الجحيم سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة

والطين ! . »

أَوْشَكُ في أن المسيحيين مكانهم الجحيم ؟ ! .

أَنِّي يمكن أن يكون غير ذلك وسيلحق المسيحيون ،

حتمًا ، بمن اتبعوه فإن ؛

« يسوع الناصري موجود في لجّات الجحيم بين الزفت والقطران

والنار ! . »

لماذا ؟ ! .. لأنّ ؛

« يسوع الناصري ارتدّ عن الدين اليهودي ! . »

م ؛

« ان أمه مريم أمت به من الجندي « ياندارا » بمعاشرته الزنا ! . »

لذلك نقول ؛

« إن الكنائس المسيحية بمقام القاذورات وإن الواعظين فيها

أشبه بالكلاب النابحة ! . »

ولذلك ؛

« من الواجب الدينى أن يلعن اليهودى ، كل يوم ، ثلاث مرات
رؤساء المذهب المسيحى ! . »
بل إن ؛

« من الواجب الدينى على كل يهودى أن يلعن المسيحيين ، كل
يوم ، ثلاث مرات ويطلب من إلهه أن يبيدهم ويفنى ملوكهم وحكامهم ! . »
إن من الواجب ؛

« على اليهود أن يعاملوا المسيحيين كحيوانات دنيئة غير عاقلة ! . »
لذلك فإن ؛

« العهد مع المسيحى لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهود به ! . »
ولذلك ، تُعتبر ؛

« كنائس المسيحيين كبيوت الضالين ومعابد الأصنام ، فيجب
على اليهود تخريبها ! . »
بل إن ؛

« قتل المسيحى من الأمور الواجب تنفيذها ! . »

اعلموا ؛

« أن كل مسيحى هو عدو ليهوه ولايهود ! وايس من العدل أن
يشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم ! . »
ولكن ! .

هنا تنبهوا ! .

إن المسيحيين ليسوا هم وحدهم أعداءكم وإنما سائر الأمم ، يأياها
اليهود ، لكم أعداء ، لأنهم لا يدينون بدينكم ولذلك فإنه ؛

« لا قرابة بين اليهود وبين الأمم الخارجة عن دين اليهود :

لأنهم أشبه بالحير !

يجب أن يعتبر اليهود يموت باقي الأمم نظير زرائب للحيوانات !..»

بـل :

« إن الخارجين عن دين اليهود خنازير نجسة !

خلقهم الله على هيئة إنسان ليكونوا لائقين لخدمة اليهود الذين

« خلقت الدنيا من أجلهم !.. »

كيف ؟ !..

« نحن شعب الله في الأرض !..

لأجل رحمته ورضاه عنا سخر لنا هذا الحيوان الإنساني وُهم كل

الأمم والأجناس !.. سخرهم لنا لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من

الحيوان :

نوع آخرس ، كالذئاب والأنعام والطيور . ونوع ناطق ، كاليسوعيين

وغيرهم من سائر الأمم من أهل الشرق والغرب .

سخرهم لنا ليكونوا في خدمتنا !.. وفرقنا في الأرض لنمتطي

ظهورهم ونمسك بعنانهم لمنفعتنا !.. »

ولذلك فإن :

« اليهودي لا يخطئ إذا اعتدى على عرض غير اليهودية لأنَّ

المرأة غير اليهودية تُعتبر بهيمة !.. »

لا جدال في :

« أن لليهود الحق في اغتصاب النساء غير اليهوديات !.. »

كلا ولا شك في ؛

« أن الزنا بغير اليهود ، ذكوراً كانوا أو إناثاً ، لا عقاب عليه
لأن غير اليهود هم من نسل الحيوانات !.. »
لا شك ؛

« أن الفرق بين درجة الإنسان والحيوان يماثل الفرق بين اليهودي
وباقى الشعوب !.. »

كلا ، وليس هذا فحسب وإنما الواقع هو ؛
« أن اليهودى عند الله أفضل من الملائكة ! لولا اليهود لزال
البركة من الأرض واحتجبت الشمس وانقطع المطر !.. »

ولذلك ؛

« يجب على كل يهودى أن يبذل جهده لمنع استملاك
باقى الأمم فى الأرض لتبقى السلطة لليهود دون سواهم !.. »
وهذا حتى ؛

« يحكم اليهود نهائياً باقى الأمم !.. »

ولكن !..

« قبل أن يحكم اليهود نهائياً على باقى الأمم يجب أن تقوم الحروب
على قدم وساق ويهلك ثلثا العالم !.. »
وأما إذا سألتهم ؛ ما هى الوسيلة إلى هذه الغاية ؟..

فإليك الجواب وهو ؛ إن هذه الغاية لا يمكن أن تتحقق إلا عن طريق التآمر !
ولذلك ؛

« يجب أن تصبح الأمة اليهودية غاية فى الثراء !.. »

أتسألون ما هي الوسائل إلى الإثراء؟ . إليكم الجواب؛

« إن السرقة والربا هما أسرع الوسائل إلى الإثراء ! . »

السرقة؟ . نعم ! . ؛

« إن السرقة غير جائزة من اليهودى لليهودى ومسموح بها إذ كانت من مال غير اليهودى !

السرقة من غير اليهودى لا تعتبر سرقة بل استرداداً لمال اليهودى !
حلال هي ومباحة كالأموال المتروكة أو كرمال البحر التى يمتلكها
من يضع يده عليها أولاً ! .. »

تعلم ! .. ؛

« تعلم من الحاخام صموئيل الذى ابتاع من غير يهودى
آنية من الذهب ظلمها الأجنبى نحاساً ودفع الحاخام ثمنها أربعة دراهم فقط ثم سرق
منها درهماً ! . »

ثم إن هناك أسلوباً آخر من أساليب السرقة وهو اربا . - بل
والربا الفاحش ! .. فتما ؛

« مسموح لليهودى غش غير اليهودى وسرقة ماله بواسطة اربا
الفاحش ! . »

لأن ؛

« الله يأمر بأخذ الربا من غير اليهود وأن لا تقرضه إلا تحت
هذا الشرط ! وبدون ذلك نكون قد ساعدناه مع أنه من الواجب علينا
ضرره ! .. »

كيف ؟ ...

« إن حياة غير اليهودى ملك لليهودى فكيف بأمواله ؟ »

ومن ثمّ تنبهوا !..

« إذا احتاج غير اليهودى بعض النقود فعلى اليهودى أن يستعمل

معه الربا المرة بعد المرة حتى يعجز عن سداد ما عليه إلا بتنازله عن جميع أمواله ! .. »

ولذلك ؛

« لليهودى أن يستحل في معاملة غيره ، فيما عدا اليهود ، كل

وسائل الغش والخداع ! .. »

وإذن ! .. ؛

« إذا جاء أماءك ، بدعوى ، يهودى وغير يهودى فإذا أمكنك أن

تجعل اليهودى راجعاً فافعل ! .. »

كيف ؟ ! ..

« استعمل الغش والخداع في حق غير اليهودى حتى تجعل الحق

لليهودى ! .. »

ولذلك ؛

« مُصرّح الك أن تحلف أيماناً كاذبة ! »

أجل ؛

« لليهودى أن يؤدى عشرين يمينا كاذبة ولا يُعرّض أحد إخوانه

اليهود لضرر ما ! .. »

بل .. ؛

« يجوز لليهودى أن يشهد زوراً وأن يقسم بحسب ما

تقتضيه مصلحته عند اللزوم ويؤول ذلك في سره ! .. »

تقوا ! .. !

« إن كل خير يصنعه يهودى مع غير يهودى هو خطيئة عظمى !

وكل شر يفعله معه هو قربان ليهوه يثيبه عليه ! .. »

كل شر يفعله اليهودى بغير اليهودى هو قربان ليهوه ، حتى السلام
غير جائز ! .. فأنما ؛

« محظور على اليهودى أن يُحيي غير اليهودى بالسلام ما لم يخش
ضرره أو عداوته والنفاق جائز في هذه الحالة ، فلا بأس من ادعاء محبة غير
اليهودى إلى غير اليهودى إذا خاف اليهودى من أذاه !

ولذلك مُصرح لليهودى أن يوجه السلام إلى غير اليهودى ولكن
على شرط أن يستهزئ به سراً ! .. »

ولكن ! .. ! تنبهوا ! .. !

« لليهودى أن يستحل في معاملة غيره ، فيما عدا اليهود ،
كل وسائل القس والخداع ! .. !

بل والقتل أيضاً ! .. »

القتل ؟ ! .. نعم ، القتل بدون استثناء ! .. !

يا أيها اليهودى ! .. ! اقتل ! .. !

« حتى الصالح من غير اليهود

حلال قتله بيد اليهودى ! .. »

اقتل ! .. !

« اقتل الصالح من غير اليهود ! فإِثْمًا محرّم على اليهودى أن ينجّى أحداً
من غير اليهود من هلاك ! .. »
كلا ! .

« لا يصح لليهودى أن ينقذ حياة أحد من غير اليهود ! .. »
لا تشفقن ! ..

« إن الشفقة ممنوعة بالنسبة لغير اليهودى !
إذا رأيته واقعاً في نهر أو مهدداً بخاطر فيحرم عليك أن تنقذه ! .
إذا رأيته واقعاً في حفرة لا تنقذه بل عليك أن تسدها عليه بحجر ! .. »
هذا هو العدل ! .. فأثما ؛

« من العدل أن يقتل اليهودى بيده كل غير يهودى !
لأنّ من يسفك دم غير اليهودى بقربّ قرباناً إلى يهوه ! .. »
يا أيها اليهود ! .. لا تتوانوا ! .. فأثما ؛
« على اليهودى أن يقتل من يتمكّن من قتله فاذا لم يفعل
ذلك يخالف الشرع ! .. »

هذه هى شريعتكم ، يا أيها اليهود ، وأنتم فى حال السلم وأما فى
حال الحرب فأعدوا أنه ؛
« إذا انتصر اليهود فى موقعة وجب عليهم استئصال أعدائهم عن بكرة أبيهم ! .. »
اعملوا بذلك ، يا يهود العالم ، فإن ؛
« من يخالف ذلك فقد خالف الشريعة ! .. »

يا يهود العالم ! ..
هذه شريعتكم شريعة إلهكم « يهوه » الذى اختاركم لنفسه

« شعبا مختاراً » .. لا يتخلقن أحد منكم عن العمل بأوامرها حتى يسرع الزمن
فيأتي ؛ « مسيحكم » فإنه ؛

« لا يأتي المسيح الحقيقي إلا بعد انقضاء حكم الأشرار هؤلاء
الخارجين على دين بني إسرائيل ! »

سارعوا إلى العمل بأوامر شريعته حتى يسرع الزمن و ؛
« يأتي المسيح ... وفي ذلك الزمن ترجع السلطة لليهود وكل
الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له ! وفي ذلك الوقت يكون لكل يهودي ألفان
وثمانمائة عبد يخدمونه ! »

عند ذاك ؛

« يتحقق أمل الأمة اليهودية .. وتكون هي الأمة المسلطة على
باقي الأمم ! »

وأما حتى ذلك الحين فإن ؛

« اليهود يعيشون في حرب عوان مع باقي الشعوب منتظرين
ذلك اليوم يوم يأتي المسيح الحقيقي ويحقق النصر المرتقب ومحكم اليهود
نهائياً باقي الأمم يوم يكون اليهود قد أصبحوا غاية في الإثراء لأنهم
يكونون قد حصلوا على جميع أموال العالم ! »
يومذاك !

يومذاك ، يا يهود العالم ، ستكون ألامكم كلها أعياداً
كأيام هذين العيدين المقدسين ، عيد « البوريم » وعيد « النصح » .. هذين

المعدين الذين لا تتم لكم فيهما الفرحة إلاّ بأكلكم الفطير المزوج بالدماء البشرية ! .. (١)

نعم — ! ...

« عندنا مناسبتان دمويتان مُرضيان إلهنا يهوه .. عيد الفطائر المزوجة بالدماء البشرية ! »

والآن ؟ ..

الآن هذه هي خلاصة تعاليم التلمود وأصول الشرائع التلمودية التي جاءت تفرض هذا القدر المحتوم للذين يعيش اليهود بينهم أو تدوس أقدام اليهود أرض بلادهم وكان المقصود بذلك هم المسيحيون أولاً وبالتالى أصحاب الأديان الأخرى قبل أن تشمل هذه التعاليم الإسلام ..

وأما الآن والتعاليم التلمودية لا تقتصر على صبّ هذا القدر المحتوم على المسيحيين وحدهم وإنما على المسلمين وعلى كل أصحاب دين من غير اليهود فإنّ الأمر ليس بالمهل البسيط ! .. أقول ذلك وأؤكد أنه الحقيقة التي يخفونها عنا والتي لا يستطيعون أن يتخلّوا عنها ما لم يتخلّوا عن دينهم نفسه !. إن نظرتهم إلى أنفسهم تفرض عليهم قتلتها لأنها هي صلب دينهم وصميمه وليس ذلك إلاّ لاعتبارهم أنفسهم « الشعب المختار » وأنهم وحدهم هم البشر الحقيقيون ومن عداهم فهم من نسل تلك الشيطانة التي ارتصل بها آدم وأولئك الذكور من الشياطين الذين كانت تتصل بهم حواء !. لذلك وضعوا من سواهم من أصحاب الأديان الأخرى في مرتبة السأمة ولذلك حلّل « التلمود » ذبحنا

(١) راجع الأسانيد الخاصة بهذه « الذبائح البشرية » تجدها في صفحة « المراجع » الخاصة بهذا البحث .

دون تمييز بين شيخ منّا أو طفل فالإبادة هي مصير البشرية من غير اليهود في شريعة « الأسفار الخمسة » و « التلمود » .. ومن ثمّ فالقتل هو نصيب أهل البلاد التي أهداها « يهوه » لشعبه « المختار » من نهر مصر إلى نهر الفرات أو لأنهم ، بالتالى ، كل العالم ! .

أجل ... هذه هي خلاصة الشرائع التلمودية التي جاءت تفرض هذا القدر المحتوم للذين تدوس أقدام اليهود أرض بلادهم وما ذلك إلا لأن « التلمود » هو تقنين الدين اليهودى فى جوهره وتفسيراً للصفة للمادية التي تصف بها « الأسفار الخمسة » ولذلك عرف بأنه « التوراة الشفوية » وليس ذلك إلا لأنه المرآة العاكسة لما فى « الأسفار الخمسة » من تعاليم تجعله وإياها صنوين بمعنى أن أحدهما لا يفترق عن الآخر وأنها يمثلان وجهين لعملة واحدة ! ..

أجل ! . هذه هي خلاصة الشرائع التلمودية التي تُمثّل أصدق تمثيل الدين اليهودى الحالى « دين الأسفار الخمسة » التي كتبها اليهوديون الذين أسسوا الصهيونية . فإتّما الصهيونية ، والصهيونية تعتبر الامتداد الطبيعى للدين اليهودى والتطور التاريخى لهذا الدين ، هي نفسها الامتداد الطبيعى للشرائع التلمودية .. وإذا كانت الصهيونية تستمد الركائز لدعوتها الإجرامية من « الأسفار الخمسة » فإنها هي تستمد دستورها الرهيب من هذه « التوراة الشفوية » التي يتخذها يهود العالم ، لا الصهاينة وحدهم لحسب ، دساتير ساروا عليها حتى العصر الحاضر منذ ذلك العصر الذى انتهت فيه أيدي الحاخامات من كتابتها فى زمن كان تاريخه قبل مشرق الرسالة الإسلامية بقليل وكان فى خلاله قد عمّ انتشار هذا التلمود بين يهود العالم والعدل لما جاء فيه شاكراً لك

البقعة من شبه الجزيرة العربية والتي كانت تسمى « يثرب ! . . » . وهنا لنا كلمة نقولها وهي :

إنَّ الإسلام حينما جاء ، جاء وهذه الشرائع التهودية كانت هي الدساتير المعمول بها عند يهود شبه الجزيرة العربية كما كان الدين اليهودي دين « الأسفار الخمسة » فيها مُمثلاً ومن هنا نفهم لماذا جاء القرآن الكريم مُرشدًا إلى أن ما في أيدي اليهود من توراة هي توراة افتروها على موسى عليه السلام « يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله يشتروا به ثمناً قليلاً ! »^(١) ومن هنا نفهم لماذا نسخ الإسلام ، مع اعترافه برسالة موسى ، لهم ديناً لا يعود بتكوينه إلاَّ إلى هذه « الأسفار الخمسة » أو « التوراة المكتوبة » وإلاَّ إلى هذا « التلمود » أو « التوراة الشفوية » والأولى قد ألفها اليهوديون مؤسسوا الصهيونية الأولى والآخرة ألفها الحاخامات من رؤساء هذا الدين الذي يستحل ذبح من لا يدين به واستنزاف دمه قطرة بعد قطرة ! . .

جاء الإسلام فوجدهم يعبدون رباً رمزاً هو للهِجْية والوحشية يسمونه « يهوه » ويدعونه إله إسرائيل ويلقبونه « رب الجنود » ويصورونه سفاحاً متعطشاً لسفك دماء البشرية من غير اليهود ، الشعب المختار هذا الذي عليه أن يقدم القرابين البشرية لإرضائه ومزج ما يستنزف من دماها بفطير كل عيد ! . ثم هم يحتكرون أنفسهم له ويحتكرونه لأنفسهم ويريدون إحلاله على عرش الألوهية مكان « الله » رب العالمين ! . .

جاء الإسلام فوجدهم يقدسون « كتاباً » هو صورة للبذاءة تكشف عن حقيقة تكوين هذا الدين بما نسبوه فيه للأنبياء والمرسلين من

ارتكاب المعاصي والذنابل والفجور ، وبما أباحوه فيه من ألوان الانحلال الخلقى والسرقة ، وبما انتهجوه فيه من أساليب فى الحياة ملتوية كل الالتواء تناولت نفس « الوصايا العشر » التى جاء بها موسى ، عليه السلام ، يوم جاء لهدايتهم فأبوا عليه إلا تمرداً وتآمراً وخيانة . . . فان هذه الوصايا الناهية عن القتل والسرقة والزنى لا تؤخذ لديهم إلا على معنى لا تقتل اليهودى ولا تسرق اليهودى ولا تزن بيهودية . . !

جاء الإسلام فوجدهم يتداولون « تلموداً » مثلاً على الفحش والرزيلة والانحلال بها جمون فيه السيد المسيح ، هذا الذى سفه بتماليه أحلامهم وشدّ عن خططهم الجهنمية وأساليبهم الملتوية فى الحياة ، بأسلوب قذر وهم ينكرونه ولا يعترفون برسالته ولا يقتصرون على ذلك وإنما هم يتطاولون إلى عرض مريم نفسها فيرمونها بأشنع رمية بينما جاء الإسلام يعترف بابن مريم مسيحاً وروحاً إلهياً و « كلمة الله » المتجسدة لهداية البشرية . وأما مريم فيصون شرفها فى نظرة قدسية سامية ، وينعتها بأطهر نساء العالمين قاطبة . ثم هذه الصوامع مراكز الرهبان وهذه الكنائس مراكز القسيسين يعتبرها اليهود مسكان قاذورات ، ولا يعتبرها الإسلام إلا مراكز لإشعاع الطهر والحب والسلام . !

جاء الإسلام فوجدهم يعيشون على الربا ويتوصلون بواسطة هذه القاعده الأولى التى يتركز عليها كيانهم إلى خططهم الإجرامية الهادفة إلى استعباد من سواهم من البشر . . وجدهم يستخدمون هذا السيف البتّار للنظام الاجتماعى فى تحقير من سواهم وتدنيس أعراضهم وتلوّث شرفهم وامتصاص دمائهم . . وجدهم يتخذون رائداً القتل الفردى والقتل الجماعى ، تارة عن طريق الذبح وتارة أخرى عن طريق تسميم الآبار فيخربون البلاد التى يعيشون فيها ولا

يحفظون لأهلها جواراً بل ويمعنون بين جنباتها تخريباً وفساداً مما يجعلهم
يكونون فيها بؤرة بغى وفساد ومنكر !.

ومن ثم كان طبيعياً أن يقع الصدام بين دين يدعو إلى مكارم الأخلاق
وبين دين يدعو إلى الفحشاء بنشر الرذيلة حيثما كان ويحارب الفضيلة في كل مكان
فإنما هم :

« لا يقتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ! »^(١)

كان طبيعياً أن يقع الصدام بين دين يدعو إلى التواضع والدعة
ولا يفرق بين عربى وغير عربى إلا بالتقوى وبين دين يدعى التعالى ويتبرعه
الفرور ويملاء البغض والحقد والكراهية لسائر الشعوب ! ..

كان طبيعياً أن يقع الصدام بين دين يحتم المساواة بين الناس
ويدعو إلى البذل والعطاء وعدم خزن الفضة والذهب وبين دين يرى سائر
الناس شياطين أو سائمة ويعبئُ الفضة ويؤله الذهب !.

كان طبيعياً أن يقع الصدام بين دين يرفع من شأن إبراهيم ولوط
وموسى ومريم وابن مريم ويصفهم بألوان من المحامد وبين دين ترميهم ككتبه
بأرجس الصفات فالتوراة تصف إبراهيم بالفسوق ولوطا بالفحشاء وموسى
بالخيانة ! . و « التلود » يقدح في « كلمة الله » ويتناول عرض « البتول »
وينالها بالمثالب في تعريض صارخ ! ..

هذا هو السرّ في التفرقة التي وضعها القرآن الكريم بين موسى
و « صحف موسى » وبين اليهود وصحفهم هذه من « تورات مكتوبة » ومن

(١) الآية ٧٩ (سورة المائدة)

« توراة شفوية » ! أو هذه « الأسفار الخمسة » وهذا التلمود ! .

هذا هو السر في إلغاء الإسلام لهذا الدين اليهودي الذي كان وبأوه قد انتشر ودأوه قد استشرى لا في « يثرب » فحسب ولا فيما حول يثرب فحسب وإنما في أطراف شبه الجزيرة العربية عند مشرق الإسلام ! .

هذا هو السر في استئصال الإسلام لهذا السرطان من جسم المجتمع العربي والذي كان لا ينمو إلا على حساب الفتك به فتكا لاشفقة فيه ولا راحة ! .

هذا هو السر في محاربة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، اليهود شبه الجزيرة العربية وأما في استئصاله شأفة من هناك منهم فلم يكن ، عليه السلام ، إلا أول محارب لأسس الصهيونية والعامل الأول في حقل التاريخ الذي استطاع معوله اقتلاع جذور ذلك النبت الضار من هناك قبل أن يتفقم نموه كما نما في غيرها من البلدان وأثمر هذه الأشواك السامة التي تلتفح سمومها في عالم الشرق الأوسط الآن ! . .

هذا هو الواقع التاريخي . .

ومن ثم فإني إذا قلت إن محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، كان أول محارب لأسس الصهيونية وإنه قد تمكن من اقتلاع نبتها من تربة شبه الجزيرة العربية فإني بقولي هذا أكون قد قررت واقعاً تاريخياً وأما إذا قلت إنه ، عليه السلام ، قد حاربها محاربة إيجابية بأن ألغى إلغاء تاماً الدين اليهودي الحالي فإني أكون قد قررت حقيقة تاريخية لأن الصهيونية هي اليهودية واليهودية هي الصهيونية ! . فما اليهودية والصهيونية إلا وجهان لجسم مسوخ واحد وكلتان للتعمير عن داء واحد خبيث ! .

كيف ؟ .

هذا سؤال يشارف بنا الهدف من موضوع هذا البحث
ويجابهنا نفسه بهذا السؤال :

ما هي الصهيونية وما هي اليهودية ؟ .

وما هي الرابطة بين الصهيونية واليهودية ؟ .^(١)

في الواقع أن اليهودية كدين وأن الصهيونية كحركة سياسية
لا يختلفان . . فانما اليهودية كدين ليس ديناً كسائر الأديان لأنه دين لا يعبر عن
طائفة دينية فحسب وإنما هو يعبر أيضاً عن حركة سياسية امتدت أصولها منذ أن
قُوض « بيت يهوذا » ودالت « دولة يهوذا » وزالت من خريطة الوجود . .
ومن هنا كان ارتباط اليهودية بالصهيونية منذ ذلك التاريخ . . منذ ذلك التاريخ
أصبحت اليهودية والصهيونية صنفين بمعنى أن أحدهما لا يفترق عن الآخر
وأصبحتا تمثلان وجهين لمشكلة واحدة ومن هنا يجيء مفهوم الصهيونية وهو
أنها الحركة اليهودية التي تسعى بكل قواها وبكل ما تستطيع اتخاذه من الوسائل
إلى إعادة « مملكة اليهودية » وبناء هيكل سليمان على أنقاض « المسجد الأقصى »
ومن ثم السيطرة على العالم وحكمه من القدس على يد ملك يهودى هو « المسيح
المنتظر » ومن هنا عرفت الصهيونية بأنها « الامتداد الطبيعي لليهودية والنطور
التاريخي لهذا الدين » وهذا هو الواقع التاريخي لأن الدين اليهودى
لا يعبر عن طائفة دينية فحسب وإنما هو يعبر عن حركة سياسية أيضاً بدأ عملها
الجدوى منذ أдал البابليون من « مملكة يهوذا » .

(١) دائرة المعارف البريطانية (ZIONISM)

ومن هنا كان ارتباط اليهودية بالصهيونية بمعنى أن اليهودية قد ظهرت على حقيقتها تحت هذا الطابع الصهيوني البحت . وأما لماذا نشأ في أذهان الكثيرين أن الصهيونية شيء واليهودية شيء آخر فليس ذلك إلا لأن مفكرى اليهود قد حرصوا ، منذ مسهل الدعوة الصهيونية الحديثة ، على ألا يكشفوا عن هذه الحقيقة بدفع من حرصهم على إخفاء نواياهم الحقيقية محاولين أن يخلعوا على إعلان « الحركة الصهيونية » وأهدافها ومبادئها وبرامجها ثوباً إنسانياً عاماً بأن راحوا يوهون العالم بأن الهدف منها هو مد يد المساعدة إلى اليهود « المضطهدين » في أرجاء العالم والبحث لهم عن ملجأ يخيمون فيه ويحيون فيه لغتهم ويمارسون فيه طقوسهم الدينية بحرية تكفل لهم الطمأنينة وأما أنهم يطلبون فلسطين ملجأ فليس ذلك إلا لأنها لبني إسرائيل « منحة إلهية » ! . هذا من ناحية وأما من ناحية أخرى فقد خشى اليهود أن يكون لإعلان الحركة الصهيونية رد فعل ضد اليهود في بعض الدول الغربية التي كانت قد اضطرت إلى التنكيل بهم بالفعل نتيجة حتمية لحاربهم الاقتصادية إياها في الخفاء ولاستنزاف دماء من كانت تقع عليه أيديهم من أهلها عملاً بشرائع التلمود . . ولذلك نفى الصهاينة كل صلة بين الحركة الصهيونية وبين مجموع اليهود في العالم زاعمين أن الحركة الصهيونية حركة مستقلة ، وخاصة بعدد قليل من المفكرين اليهود ولكن ! . الواقع التاريخي القديم يثبت بطلان هذا الزعم بشكل لا يقبل الجدل ويؤيده الواقع التاريخي الحديث وهذا مستمد ، نفسه ، منهم ! . فإنا هم أنفسهم الذين أعلنوا هذه الحقيقة الصارخة صريحة تقول :

« إن العقيدة الصهيونية ليست إلا الإيمان باليهودية وما تعنيه

من مفاهيم وتاريخ وعادات وتقاليد من ناحية الهجرة إلى فلسطين للإقامة . .

بقصد بناء الدولة الجديدة من الفاحية العملية كأرض منحت من الإله !
ومن ثمّ فلا يمكن تدمير الصهيونية إلا بتدمير اليهودية . .
« وايزمان »

هذه هي الحقيقة فإنه ؛

« حينما يسكون الصهيوونيون عاملين نشطين تكون اليهودية
حيّة فعالة ! » (١)
« شختر »

هذا هو الواقع ولذلك وضع المؤتمر الصهيوني الأول هذه الحقيقة
بصورة صريحة أعلنت ؛

« إن العودة إلى صهيون يجب أن تسبقها عودتنا إلى اليهودية »
« هرتزل »

هذه هي الحقيقة . فإن بين اليهودية ، كدين ، وبين الصهيونية
كحركة سياسية ، صلة ليست بالوثيقة فحسب وإنما هي واحدة لأن الصهيونية
لا تستمد مبدأ وجودها إلا من اليهودية ... فالركائز التي ترتكز الصهيونية
عليها في دعوتها السياسية هي « الأسفار الخمسة » والدستور الذي تسير وفق
تعاليمه هو « التلمود » فإن ؛

« الشعور الديني هو مصدر الصهيونية والحافز لقيامها هذا
الشعور الناجم عن التقاليد والمعتقدات الدينية والمبنى على أقدم الذكريات للبلاد
التي نشأت فيها الحياة اليهودية الأولى والتي مارس اليهود فيها حريتهم ! .
« هرتزل »

هذا هو مفهوم الصهيونية وأما الصهيونية في مبنائها ومرماها فقد تبيننا أنها حركة تابعة لقيام الدولة وسقوطها في « بيت داود » وأما اسمها هذا فليس إلا كلمة اشتقت من اسم « صهيون » كانت كنعان قد أطلقتها على ذلك الجبل الواقع ناحية الشرق من مدينة « القدس القديمة » ، « أورشليم » ، بمعنى الصون والتحصين لأن المكان كان فعلا من حصون الروابي العالية . وأما المرمى من وراء انتساب الصهاينة إلى هذا الجبل فمحبتهم الجوهريّة هي هذه النصوص ؛

« وأخذ داود حصن صهيون وأقام داود في الحصن وسماه مدينة داود ! . » ^(١)

هذا هو الأصل من هذه الكلمة وهذا هو مصدر التمسك بها ! .. فإذا كانت « صهيون » هي « مدينة داود » فمعنى ذلك أن « صهيون » هي عاصمة مملكتهم ورمز مجدهم ومن هنا بدأ تاريخ الصهيونية في الانتشار كحركة تبعت قيام الدولة وسقوطها في « بيت داود ! . » وهذه هي حقيقة الصهيونية في واقعها التاريخي ، حركة سياسية قديمة تعود بأصولها إلى أعقاب الغزو البابلي لأورشليم . . فإن أولئك اليهود الذين كانوا قد سيقوا إلى بابل أسرى ، عام ٥٨٦ ق . م ، كانوا هم أنفسهم بذور الصهيونية ! .. أولئك هم أول من ترنم باسم صهيون ذلك الترّنم الذي ولد فكرة « العودة » إلى صهيون . . فلقد ارتسمت هذه « الفكرة » في عقولهم عن طريق التبكي والمراثي والرناء والنواح على دولة دالت وأرض انقطعت بينهم وبينها الصلات فلم تعد إلا ذكرى تتردد

(١) الاصحاح ٥ « سفر صموئيل »

وترانيم تنفى وآهات تنفس عن صدور كلمة لجد بال يريدون أن يبعثوا فيه الروح من جديد! ... هذه هي حقيقة الصهيونية في واقعها التاريخي ، وهذا هو أصل هذه « الفكرة » التي بدأت منذ ذلك العهد تمر بمراحل كان لها تأثيرها النفسى في تاريخ هذه الجماعة الدينية . . ومن أبرز هذه الحركات على التاريخ ظهوراً كانت حركة « يهوذا المكابى » في عهد أنطيوخوس الرابع ، أيفانوس ، الذى بدأ حكمه عام ١٧٤ ق . م . وكانت هذه الحركة من أشد الحركات عنفاً وعتواً حتى أنها تمكنت من تدمير معبدهم صهيون من جديد ومن ترميم الهيكل وبناء المعبد وحتى أصبح تاريخ يوم تدشينه عيداً عند اليهود يحتفلون به ثمانية أيام من كل عام ابتداء من يوم ٢٥ ديسمبر . . وأما آخر مراحل هذه الحركة الصهيونية القديمة فكانت حركة « باركوشباس » في عهد « هادريان » ، ١١٧ — ١٢٨ م ، وهى التى حثت اليهود على السعى للانجتماع في فلسطين وإعادة بناء المعبد الذى كانت قد هوت عليه الماعول الرومانية مرة أخرى من سنة ٦٦ إلى سنة ٧٠ م ، كما عملت على تأسيس « دولة يهودية » وتنصيب ملك عليها من « بيت داود » حتى أمست هذه « الفكرة » تعبر عن حقيقة قائمة في نفوسهم وحتى تأصلت في أعماقهم بتوالى القرون التى تلت انهيار « دولة يهوذا » على أيدي الرومان سنة ١٣٥ م . انهياراً كاملاً ينما بدأ يتراكم على ذكراها ركام السفين . .

أجل . .

لروح من الزمن ظلت هذه « الفكرة » ، فكرة العودة إلى صهيون ، في مرحلة ركود لا تحتل من الخيلة اليهودية إلا كما يحتل الخيال أى حلم بعد المنال لا تخطر على خواطرهم إلا خواطر تبعثها أناشيدهم الدينية فستعيد

ذكرها في نفوسهم وتذكرى في هذه النفوس لها لظى فيما كانت ذكريات
 اللذات الرومانية لم نزل عالقة في نفوسهم وتدفع بهذه « الفكرة » إلى التوارى
 وراء غيم داكن كان قد تكتل في آفاق الذاكرة ولا سيما عند دخول فلسطين
 في حوزة الدولة العربية عقب ظهور الإسلام . فقد بدأ كل أمل لليهود في العودة
 بالنالشي كما أن سياسة الكنيسة الكاثوليكية التي بادلتهم العداء وموجات
 الانتقام التي عرضوا أنفسهم لها والحملات التي أثاروها على أنفسهم فثارت ضدهم
 في معظم البلاد العربية قد جعلتهم ينطوون على أنفسهم ، غير أن الفرصة لم
 تكد تسنح أمامهم من جديد إلا وكانت حركة صهيونية أخرى مشابهة لحركة
 « باركوشباس » ومثلها في المصير وذلك كانت حركة « موزس الكريتي » .. غير
 أنه مع مرور الأيام بدأت فكرة « العودة إلى صهيون » في الظهور على مسرح
 التاريخ الحديث ، فقد ظهرت بيمض المحاولات الفردية بين حين وآخر في صورة
 دعوى تدعو الجماعة اليهودية إلى الأرض الممنوحة لهم من إلههم .. ولكن
 لما كانت هذه العودة قد ارتبطت في أذهانهم بظهور « المسيح الحقيقي » الذي
 سيقم « دولة يهوذا بن إسرائيل » فقد ارتبطت هذه الفكرة الدينية بالفكرة
 السياسية وكان مظهر هذا الارتباط أكثر من حدث :

الأول : ظهور « دافيد روبيني » ، خلال القرن السادس عشر ، يؤازره
 تلميذه سولومون مولوخ ، ١٥٠١ — ١٥٣٢ ، موجهاً الدعوة إلى زعماء اليهود
 لفوز فلسطين وتأسيس « دولة يهودية » في أرضها الممنوحة لهم حسب نصوص
 التوراة والتلمود ! .

الثاني : ظهور « منشة بن إسرائيل » ، ١٦٠٤ — ١٦٥٧ ، داعياً إلى

توطين اليهود في بريطانيا توطئة لإعادتهم إلى فلسطين ! .

الثالث والأخير ؛ ظهور « شبتاي زيفي » خلال القرن السابع عشر ، ١٦٢٦ — ١٦٧٦ ، ومناداته بنفسه « المسيح المنتظر » المختار من « إله إسرائيل » لإعادة « مملكة يهوذا » والعودة بـ « أبناء إسرائيل » إلى « أرضهم » الممنوحة لهم حسب نصوص التوراة والتلمود ! .

فأما الحدث الأول فقد نسب الأذهان اليهودية إلى إخراج فكرة « العودة إلى صهيون » من حيز الأمل إلى حيز العمل .

وأما الحدث الثاني فقد كان النواة الأولى للصهيونية الحديثة التي وجدت لها أرضاً خصبة في بريطانيا ترعرعت فيها ونمت .. فلقد استطاعت بعد ذلك وفي مدى ثلاثة قرون من الزمن أن تسخر القوى البريطانية من أجل تحقيق أهداف الصهيونية خاصة واليهود عامة ! .

وأما الحدث الثالث والأخير فقد كان إخفاقه في دائرة العصر الذي نبت فيه ، والذي نجد سيرته في كتب التاريخ الحديث ، هو السبب المباشر في يقظة السلالة الخزرية وفي ؛

انتقال عقيدة « الأرض الموعودة »

من المجال العاطفي إلى المجال السياسي

نبه فشل « شبتاي » الأذهان من مفكرى اليهود بين شعوب الغرب ، وهم السلالة الخزرية التي كانت قد وزعت على الدول المختلفة في شرق أوروبا ، إلى إمكان الاتحاد مرة أخرى ليكونوا « دولة يهودية » على غرار مملكتهم تلك « مملكة الخزر » التي كانت تتحكم في شرق أوروبا .. نبههم

الى ذلك علمهم بأن انتظار « مسيح منتظر » لن يكون إلا انتظاراً فاشلاً ! . فاذا كان الأمل في العودة إلى صهيون عن طريق « مسيح منتظر » ان يتحقق أبداً فانما في المجال السياسي عوضاً عن هذا المجال العاطفي .. ومن هنا بدأ الاتجاه السياسي يبرز على الاتجاه العاطفي حتى أصبح عملاً إيجابياً له دوره الفعال غذاء استهل نشاطه ، في فرنسا منذ سنة ١٧٩٨ ، بأولئك الكتّاب الغربيين الخزيرين الأصل الذين انطلقوا يثيرون حماسة اليهود لإعادة دولتهم الدائلة في فلسطين ومن أخطر ما جرت به الأقلام اليهودية عام ١٧٩٨ كان ذلك النداء الذي تقتطف منه الفقرات التالية ؛

« أيها الاخوان ! ... »

لشدّ ما رزحتم تحت أثقال الجور والاضطهاد فهلا تنوون أن تتخلصوا نهائياً من هذه الحالة المقرونة بالإذلال والانحطاط التي وضعكم فيها أناس من الهمج ؟ ..

إننا نرى الازدراء مرافقاً لنا في كل مكان فالبدار البدار ! ..

نم !

قد آن الأوان لهوضنا واحتلال المركز اللائق بنا بين الأمم فهياً بنا أيها الإخوان لتجديد هيكل أورشليم ! ...

إن عددنا يبلغ ستة ملايين مفتشرين في أقطار العالم . وفي حوزتنا ثروات طائلة واسعة وممتلكات عظيمة شاسعة فيجب أن نتذرع بكل ما لدينا من الوسائل لاستعادة بلادنا وإن الفرصة لسانحة ومن واجبتنا اغتنامها !
يجب العمل بالوسائل التالية لتحقيق هذا المشروع المقدس وهي ؛

إقامة مجلس ينتخبه اليهود المقيمون في الخمسة عشر بلداً التالية وهي
إيطاليا وسويسرا والجزر وبولونيا وروسيا وبلاد الشمال وبريطانيا العظمى وإسبانيا
وبلاد ويلز والسويد وألمانيا وتركيا وآسيا وأفريقيا .

إن اللجنة الممثلة لليهود المقيمين في هذه البلدان كلها يمكنها
أن تبحث في مهمتها وتتخذ من القرارات ما تراه نافعا في صدها ويكون من
الواجب على جميع اليهود قبول هذه القرارات وأن يحملوها بمثابة قانون لا مندوحة
لهم من الخضوع له . أما البلاد التي تنوى قبولها باتفاق مع فرنسا فهي ؛ إقليم
الوجه البحري من مصر مع حفظ منطقة واسعة المدى يمتد خطها من مدينة عكا
إلى البحر الميت ومن جنوب هذا البحر إلى البحر الأحمر . فهذا المركز هو الملائم
أكثر من أى مركز آخر في العالم يجعلنا قابضين على ناصية تجارة الهند وبلاد
العرب وأفريقيا الشمالية والجنوبية ! . ثم إن مجاورة حلب ودمشق لنا تسهل
تجارتنا . وموقع بلادنا على البحر المتوسط يمكننا من إقامة المواصلات بسهولة
مع فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وغيرها من بلدان أورو . ولما كانت بلادنا في
موقع متوسط من العالم فإنها ستصبح كمستودع لجميع الحاصلات التي تنتجها البلاد
الغنية ..

أيها الإخوان ؛

يجب ألا تدخروا وسيلة أو تضحية في سبيل الوصول إلى هذه
الغاية . أى الرجوع إلى بلادنا ! ..
يا أيها الإسرائيليون ! ..

إن الفرصة الآن سانحة فحاذروا أن تفلت من أيديكم !»^(١)

(١) يقظة العالم اليهودي ايل ليني أبو عسل « مطبعة النظام مصر ١٩٢٤ »

هذا الذراء الذى جاء فى صورة خطاب والذى قد مهد الطريق أمام المرحلة التالية للصهيونية العالمية هو نفسه الذى أشعل حماس اليهود فى فرنسا بادية ذى بدء ودفع بهم إلى « نابليون » يحملون إليه المال سلاحاً ويطرحونه بين يديه مساعداً فى امتلاك الشرق العربى مقابل وعده بإيام بمنحهم فلسطين .. ولعب المال اليهودى دوره وسجل التاريخ بأنه بناء على دعوة من نابليون قد تمّ اجتماع المجلس اليهودى الأعلى الـ « ساندهارين » !

فى نفس اللحظة التى عُقد فيها الـ « ساندهارين » بدأت الصهيونية القديمة فى التنفس ! . بدأت الجرثومة القديمة التى تكونت فى غصـون الأسر البائلى فى التحرك إذناً بأن الحياة قد بعثت فيها من جديد ! . فلقد مضى على ذلك النداء قرن كامل من الزمن كانت المعاول اليهودية خلاله قد عملت كادحة فى تعبيد الطريق إلى ما كانت قد أشارت إليه من أطماع تطاولت إلى الوجه البحرى من مصر حاملة باغتصاب مياه النيل لإرواء صحراء النقب ونقل الوعد النظرى بـ « الأرض الموعودة » إلى حقيقة واقعة . . .

وكانت المعاول اليهودية هى الذهب ! . .

فى الحقل البريطانى

عملت هذه المعاول أول ما عملت فى بذر السموم فيه فى صورة الاسترلىنى والذهب مفرغة بذلك ما فى جمعيتها من نقمة كانت مكبوتة فى الصدر منذ خرجت من هذه البلاد طرداً فى عهد إدوارد الأوّل عام ١٢٩٠ حتى عادت إليها ، عام ١٦٥٦ ، تدفع ثمناً لهذه العودة تأييدها المادى الواسع لثورة « كرومويل » . .

وحذا اليهود العائدون إلى بريطانيا حذو هذين الممولين ، منشئة ابن إسرائيل وموزس كارفاجال ، اللّدين مؤّلاً بسخاء ثورة « كرومويل » فتدقق

المال اليهودى على بريطانيا تدفقاً على أسس مدروسة رُوعى في بذله توطيد جسم هذا السرطان في البلاد حتى لا يتعرض إلى ما قد تعرض له من قبل !.

وأمام سياسة التسامح التى كان لا بدّ على « كرومويل » أن يفرضها على أهل البلاد من المسيحيين مقابل هذا العون المادىّ أخلّ اليهود فى استغلال النفوس وإذلالها بالمال عن طريق تساطعهم على ميادين الاقتصاد والسياسة . ففى مجال الصحافة سيطر اليهود على دور النشر حتى امتلئوا بها . وفى مجال الاقتصاد أصبحوا القوة الجبارة المتحكمة فى اقتصاديات البلاد . وفى المجال السياسى وصلوا إلى أعلى المناصب حتى تمكن هذا الأخطبوط من نشر أذرعه الفتاكة على الجزيرة البريطانية ! . ومن أبرز مظاهره الحديثة كانت مذكرة « اللورد شافتسبرى » إلى وزير خارجية بريطانيا فى خلال مؤتمر لندن ، الذى عقد عام ١٨٤٠ ، وكانت ثمرة ذلك أن أعلنت بريطانيا حمايتها لليهود فى فلسطين وفقاً للرسالة التى بعث بها « بالمرستون » رئيس وزراء بريطانيا حين ذاك إلى القنصل البريطانى فى القدس ، ولم تكن هذه الحماية إلّا المقدّمة لذلك الوعد الذى أصدرته بريطانيا فيما بعد وسمى « وعد بلفور » ! . وهو هذا الوعد الذى مكّن هذا الأخطبوط من نشر أذرعه الفتاكة أيضاً فى سائر الأقطار الأوروبية ولم ينج بلد من بلدان هذه القارة القديمة من قبضاته العاتية التى ما أطبقت عليه من أطرافه إلّا وامتدت بأذرع أخرى راحت تعصر عصر القارة الجديدة وإلّا لتبدأ هذه اليهودية التى أصبحت الآن عالمية تسفر عن حقيقتها مطالبة أولئك الساسة الذين كانت قد ابتاعت نفوسهم وأذلّتهم مادياً بأن لها حقّاً عليهم هو مساعدتها على العودة إلى « أرضها » . . فقد آن الآن لى لى تعود إلى « صهيون » وتستقرّ فى « أرضها الموعودة » ! .

واستجمع الأخطبوط اليهودي قواه وتحرك للافتراس فكانت
حركته هذه هي التي سجّلت ؛

انبثاق « الصهيونية »

استهلت الصهيونية العالمية تاريخها الحديث بطابع فردي في أوّل
الأمر مثله إمّا شخصيات بارزة أو منظمات متناثرة في مناطق شتى من العالم
كانت تقوم على تمويل أساطين المال من أمثال « مونتفيوري » و « روتشيلد » .
ولكن جهودها لم تلتق كلها في حركة واحدة ويبدأ ستار التاريخ في الانحسار
لميشهد العالم ميلاد الفكر اليهودي الحديث وأسس العمل المنظم لإنشاء
« الدولة اليهودية » في الظاهر و « مملكة الخزر » في الواقع إلاّ إثر مذبحة اليهود
في روسيا حيث شعر سلالة الخزر بأنه لم يعد في إمكانهم إعادة مملكة الخزر
اليهودية في نفس الرقعة التي كانت تحكمها فنقلوها إلى صعيد الشرق الأوسط
ووجدوا في عقيدة « الأرض الموعودة » وسيلة لتحقيق أهدافهم وهذا
هو الذي أدّى إلى ظهور « ثيودور هرتزل » ، ١٨٦٠ — ١٩٠٤ ، على
مسرح التاريخ وعقده أول مؤتمر صهيوني ونشره كتابه « الدولة اليهودية » .
لأوّل مرة ارتفع الصوت اليهودي جهوراً ينادي العالم بأنه تبعاً
لنصوص « النوراة » والتلمود يتحتم تكوين مجتمع يهودي يحكم نفسه بنفسه
في فلسطين كأرض هي لليهود قد منحت من إله إسرائيل وبرهان ذلك هذه
« الأسفار » وهذا « التلمود » . . ومن هنا نفهم الصهيونية بمعناها الخاص
كفكرة تابعة من عقائد « الأسفار الخفية » و « التلمود » كما نفهم محتواها الفكري
من « هرتزل » نفسه الذي كان أوّل من رفع صوته بهذا القول ؛

« إن هدف الحركة الصهيونية هو ؛

تنفيذ شريعة التلمود القائمة على أسس الأسفار الخمسة بإنشاء
وطن قومي يهودي في فلسطين ! .. »

« فلسطين — بين ؟ ! .. »

أجمل .. !

« إن فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لن ننساه ! .. »

أنسى هذا الصوت الخزري الأصل أن وطنه التاريخي لم يكن
قط ، فلسطين ؟ ! .. كلا ! لم ينس ولكنه تناسى واستطاع أن يؤهم العالم
بأن صرخته إنما هي صرخة نابعة من أعماق التاريخ ! ..

وهكذا كان المؤتمر الصهيوني الأول ، الذي عقد عام ١٨٩٧ ،
بزعامة سليل الخزر هذا بمثابة حجر الأساس في بناء هذه الحركة على أسس
سياسية تستهدف إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين يكفل قيامه القانون
المولى ! ..

وأما كيف ؟ .. فلقد عرف هرتزل ، بنفسه ، في هذا المؤتمر
الحركة الصهيونية بأنها ؛

« حركة الشعب اليهودي في طريقه إلى فلسطين ! .. »

وهكذا أعطى « هرتزل » لليهودية معنى جديداً إذ أخرجها من النطاق
المخلق إلى المسرح السياسي الدولي . . وبهذا الاتجاه نحو إثبات أن اليهودية
دين وشعب وقومية وأن فلسطين هي وطن هذه القومية اليهودية ثم التحول
للقيام بمقيدة « الأرض الموعودة » من المجال العاطفي إلى المجال السياسي

وأصبحت هذه المقعدة النفسية مشكلة دولية معقدة لاستمدادها أصولها من الفكر الصهيوني النابع ، نفسه ، من عقائد « الأسفار الخمسة » وشرائع « التلمود » ولاستمدادها حيويتها من ارتباط الفكر الجماعي اليهودي بما جاء في هذه التوراة وفي هذا التامود ! .

لا جدال في أن « هرتزل » قد لجأ إلى طريق الأسطورة ليؤيد سياسته بينما كانت يده تسطر صفحات مؤلفه « اندولة اليهودية » الذي أثار من الاهتمام والحفاة ما قد شجّع اليهود على عقد أول مؤتمر لهم هو الذي عقد في ٢٩ أغسطس من عام ١٨٩٧ متوخين أن يستعيدوا به ذكرى ذلك اليوم الذي أдал فيه الرومان « دولتهم » من فلسطين نهائياً ، ٢٩ أغسطس من عام ٧٠ م إلهاباً للمشاعر وإرساء حجر الأساس في بناء هذه « القومية » التي أعطاها « هرتزل » طابعها عندما قام هو نفسه بفتح جلسة هذا المؤتمر الأول بهذا القول :

« إننا هنا لنضع حجر الأساس لبناء المأوى الذي يأوى الشعب اليهودي ... إن الصهيونية هي عودة اليهود إلى اليهودية حتى قبل عودتهم إلى الأرض اليهودية !.. »

إن الصهيونية هي القومية الجديدة للشعب اليهودي ! . »

في المؤتمر الصهيوني الأول أطلقت هذه الصرخة لتكوين النواة من قرارات هذا المؤتمر التي تلخص فيما يلي :

استعادة « أرض مملكة إسرائيل » بحدودها التاريخية .

إعادة تكوين « الشعب اليهودي » في وطنه القديم .

إيقاظ « الوعي القومي » بين يهود العالم .. !

ومن ثمَّ وُضع في هذا المؤتمر شعار العلم اليهودي ، وهو المكون من اللونين الأزرق والأبيض ، لون رداء الصلاة إلى «يهوه» كما وضع النشيد القومي اليهودي «الأمل» ، كما وضعوا رمزاً لأنفسهم يتمثل في «الأفي» .. كما وُضعت أسس الهيئات الصهيونية العالمية .. وليفرض على كل يهودي الاكتتاب سنوياً بمقدار « شيكيل واحد » ، وهو ما يعادل نصف دولار ، لبناء « دولة إسرائيل » ! .. وهكذا خرجت الصهيونية العالمية إلى الوجود واغتمرت كل فرد يهودي كقضية بالغة القِدَم متصلة بالدين اليهودي نفسه وأصبحت جزءاً من تفكير كل يهودي ! ..

هذا هو الواقع ... فمن اليقين الذي لا شك فيه ، أن القلب اليهودي ، حينما كان مكانه من الأرض ، لا بدَّ وأن يعتنق مبادئ هذا المؤتمر كعقيدة لانصاها بالدين اليهودي نفسه حتى لقد أصبحت محور تفكير كل يهودي مهما أخفاها ، خوفاً ، وتستر فنفهاها عن نفسه ! ..

من ثمَّ ! ..

لا تصدِّقوا يهودياً يقول لكم إنه غير صهيوني ! .. وأنى يمكن لأى يهودي ، مهما كانت جنسيته ، رفض هذه المبادئ الصهيونية وهي دعامة دينه وقوام كيانه ، ولو رفضها لرفض يهوديته ودينه وكيانه نفسه ؟ ! ..

من ثمَّ ! ..

لا تصدِّقوا يهودياً يقول لكم إن الصهيونية شئٌ واليهودية شئٌ آخر .. كلا ! .. فإنَّ الصهيونية متصلة بالدين اليهودي نفسه كعقيدة بالغة القدم وضاربة بأعراقها في أعماق تاريخية ولم تتخذ لها شكلاً بارزاً إلا في أعقاب هذا المؤتمر الذي كان ، بالفعل ، نقطة بدء ونقطة تحوُّل هامة في تاريخ اليهود للأسباب الآتية ،

أولاً ؛ أضيف هذا المؤتمر على العقيدة اليهودية القديمة ثوباً جديداً حين أكد أن الصهيونية هي القومية الجديدة « للشعب اليهودي » على اعتبار أن هذه الطائفة المبعثرة الأفراد بين الشعوب تُؤلف « شعباً واحداً » وبالتالي لتحديده هدفاً واحداً وهو إعادة « مجد إسرائيل » عن طريق إقامة « دولة » خاصة بهذا « الشعب » وهذا هو الهدف الذي يتطلع ، نحوه ، كل يهودى . . .

ثانياً ؛ وضع خطة عملية مدروسة لتحقيق هذا الهدف عن طريق تشجيع برنامج الإستعمار واحتلال أرض العرب بشراء الأراضي من العرب من ناحية وعن طريق تشجيع هجرة اليهود من ، ناحية أخرى ، إلى فلسطين كأرض هي لهم موعودة ! . . .

ثالثاً وأخيراً ؛ نقل المشكلة اليهودية إلى الصعيد العالمى بعد أن كانت تعتبر مشكلة داخلية للدول التي يقيم فيها اليهود

وهكذا نرى أن الصهيونية الجديدة التي رسمها « هرتزل » في مؤتمره جاءت تتركز على دعائم ثلاث ، هي شراء الأرض من العرب والهجرة اليهودية والدخول في معترك السياسة الدولية لكسب عطف الدول الكبرى وتأييدها من أجل خلق « دولة يهودية » في فلسطين ، ليست إلا الصهيونية القديمة في صورة جديدة وأنه لم يفعل شيئاً إلا أنه ابتعثها من مضجعها فأكد وجودها بأن نقلها من الماضي إلى الحاضر وأخرجها من النطاق الذي كان قد أغلقه عليها الرومان إلى المجال الدولي الذي أفسحه أمامها الاستعمار وكانت سبباً له مجريات الأحداث في خلال القرن التاسع عشر عندما استطاعت السلالة الخزرية باسم الصهيونية أن تشغل لها مكاناً وسط أحداث القارة الغربية واتخذت

من التنافس بين الدول الغربية وبروز سياسة التحالف والتكتل الدولى وظهور الأفكار القومية وسيلة استغلالها لمصلحة اليهود إلى درجة أن أحسن زعماء اليهود أن الظروف الدولية أصبحت تسمح باخراج « الوطن القومى اليهودى » إلى حيز الوجود ومن ثم تمكن « هرتزل » من نشر كتابه « الدولة اليهودية » الذى كان ، ولا جدال ، فاتحة عهد جديد بالنسبة لليهود إذ أصبحت أمانتهم مائلة أمام أعينهم كحقيقة محسوسة بعد أن كانت مجرد خواطر ومحض آمال فتمدُّ نُشر هذا الكتاب ، عام ١٨٩٦ ، والفقرات منه تلهب الخيلة اليهودية ! .

فى « الدولة اليهودية » جمع « هرتزل » هؤلاء الأفراد من هذه الطائفة الدينية وأوهم العالم أن هذه الطائفة ، التى ينتمى أفرادها إلى شعوب مختلفة ، هى « شعب » له كيانه الخاص ! .

فى « الدولة اليهودية » استطاع « هرتزل » أن يكون من مادة الأساطير حجر الأساس فى بناء صرح « دولة يهودية » ! .

فى « الدولة اليهودية » أرشد « هرتزل » هذه الجماعة إلى فلسطين ومن خلال سطورهِ أرسل فخيجه هو نفسه كـرأس لهذه « الأفى » يناديهم ؛ إلى فلسطين ! .

« إن فلسطين هى وطننا التاريخى الذى لن ننساه ! ... »
لاغرو من ثم أن يكون لهذا « الكتاب » ، الذى أعطى لـامقيدة الدينية القديمة طابعها السياسى الحديث اعتماداً على الحق الروحانى ، أثره العميق ..
فقد أضرم فى صدر كل يهودى ضرام الجروح ! .
وهكذا ! .

بدأ سلب العرب بشراء الأراضى من العرب ! .

وهكذا بدأ احتلال الأراضي العربية في صورة الهجرة اليهودية ..
وهكذا بدأ النداء « بالقومية » و « بالجنسية اليهودية » ! .

ومن ثمَّ فإذا كان الأمل في « مسيح منتظر » قد صادف في تاريخ
اليهود الإخفاق تلوا الإخفاق فقد نقله « هرتزل » من إخفاق في دائرة الدين إلى نجاح
في دائرة السياسة الاستعمارية ، ودليلنا على ذلك الأحداث التي تلت نشر هذا
الكتاب ومدى الأثر الذي تركه هذا المؤتمر الصهيوني الأول في نفوس اليهود
من التصريح الذي أدلى به « هرتزل » في صحيفته بقوله :

« لو طُلب إلى تلخيص أعمال المؤتمر فيني أقول بل أنادي
على مسمع الجميع ؛ إنني قد أسست الدولة اليهودية .. !
إن العالم سيشهد بعد خمس أو خمسين سنة قيام الدولة اليهودية
حسباً تعليمه إرادة اليهود بأن تنشأ لهم دولة » .. !

وتمكنت عينا هذه « الأفي » من تنويم أجزاء من هذا العالم
وأرسلت فيحها هذا إيحاء ، حتى أنه لم تمض خمسـون سنة من هذا المؤتمر
الصهيوني الأول إلا وأعلنت « الأمم المتحدة » ، ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، قرارها
بتقسيم فلسطين وقيام « دولة خزرية » دعية النسب إلى إسرائيل باسم « دولة
إسرائيل » .. !

لا غرو من ثمَّ أن نرى صورة كاتب « الدولة اليهودية »
تصدر قاعة الـ « كنيس » وهو يكرم رسمياً كرسول لهذه « الدولة » التي
افتعلها من مادة الأساطير بينما يتغافل أصحابها عن أنها « دولة » خزرية الأصل
أسطورية المادة تقوم قوائمها على أساس من نصوص « الأسفار الخمسة » و
« شرائع التلمود » .. !

ومن عنصر هذا « الحق » الموهوم الذى استهل تاريخ انبثاقه بهذا الفصل الوارد فى السفر الأول من « الأسفار الخمسة » المفتراة على موسى والقائل بأن « الرب » قد قطع مع أبرام ميثاقاً قائلاً ؛

« لنسلك أعطى هذه الأرض !.. »

من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات ! »^(١)

هذا النص الأسطورى هو الأساس الدينى لهذه الدولة الأسطورية وبالتالى لادعاء اليهود امتلاك فلسطين والدعامة الجوهرية التى تتخذها الصهيونية عقيدة تبنى عليها دعوتها لدعوة اليهود إلى « العودة » إلى الأرض الممنوحة لهم من « إلههم » وإلى « دولة » لهم فيها تتخذ من نصوص التوراة والتلمود دساتير حتى تتمكن هذه « الأفعى » أن تزحف من هناك وتطبق بمخالبها على جسم المجتمع البشرى ثم تطويقه كله تطويقاً لا تبقى له بعد باقية وحينذاك تستطيع أن ترفع رأسها ويكون العالم كله لها ملكاً وليس ذلك ، كما تدعى ، إلاّ أثماراً بأمر « إله إسرائيل » وتمسكاً بهذا « الحق الروحانى » الممنوح لها من « يهوه » والمسجل فى « الأسفار الخمسة » وفى « التلمود » ! .

وبقينا ، لم يكن إلاّ على أساس من هذا « الحق الروحانى » وحده الذى ادعته الصهيونية وما زالت تدّعيه — استطاعت أن تغوص إلى عالم الأساطير ثم تطفو على صفحة الحاضر وبلعبة « سحرية » تفتعل صرح وليلتها « دولة إسرائيل » ! .. وهذا مما يجعلنا نتساءل ؛

ما هو تاريخ هذا « الحق الروحانى » الذى تدّعيه الصهيونية لوليلتها « دولة إسرائيل » وهى فى ذلك تتخذ « الأسفار الخمسة » دعائم

و « التلمود » مساند؟!.

أمّا تاريخ « الأسفار الخمسة » فسنعرض له بعد قليل
محتتمين به هذا البحث وبذلك نسدل الستار على فصول هذه المهزلة التي لعبت
دورها الخطير على مسرح التاريخ السياسى باسم الدين . . وأما تاريخ « التلمود »
فقد عرضنا ، قبل ، بعض نصوصه المتعلقة بهذا البحث وبذلك تبين لنا أنه
ليس إلا المرآة العاكسة لما جاء فى « الأسفار الخمسة » من نصوص لأن كل ما
يحتويه من شرائع ليس إلا تقنيناً لهذه « الأسفار » !.

ولكن ! لما كانت الصهيونية قد اتخذت من النصوص
التلمودية شريعة ومن تعاليمها منهجاً وضعت على أسسه خططها لامتلاك العالم
فنحن نستطيع القول بأن ما وضعته الصهيونية من دساتير عليها سارت وعليها
تسير ليس إلا مرآة تعكس ، بدورها ، شرائع التلمود . . وهذه الدساتير تطلع
علينا واضحة كل الوضوح من خلال تلك المجموعة من « الوثائق السّرية »
التي تمخضت عنها حركة « هرتزل » يوم رأس أول مؤتمر صهيونى واتخذ إلى جانب
القرارات العلنية قرارات أخرى سرية . فأما العلنية فتمهزنا بها وأما « السرية »
فهى تلك التى قررها هذا المؤتمر الصهيونى الأول يوم ضم كبار اليهود الذين
أطلقوا على أنفسهم لقب « حكماء صهيون » ووضعوها دساتير لما سيتلو هذا
المؤتمر من مؤتمرات أخذت تنعقد سنوياً فى أكثر من بلد من بلدان الغرب وتضم
رؤوس هذه « الأفعى » من اليهود الذين يطلق عليهم أيضاً لقب « حكماء
صهيون » وهذا مما يحتم علينا أن نلقى نظرة على هذه « القرارات السرية » التى
تمخض عنها هذا المؤتمر الصهيونى الأول لحكماء صهيون الأول وكما أرسلتها رؤوس
هذه « الأفعى » خيجاً فى كل متجّه وكما سطروها هم أنفسهم بعد أن ناقشوا الخطط
والوسائل التى تمكنهم من إطباق مخابهم على كل بقعة من بقاع العالم وعلى كل

شعب فيه الواحد بعد الآخر مما . . يسجل؛

ارتسام الحركة الصهيونية

في « بروتوكولات حكماء صهيون »

تحمل إلينا هذه « الوثائق السرية » ، والتي لم تعد سرّاً منذ اكتشافها عام ١٩٠٢ ، صورة القرارات التي قننت المؤامرة الصهيونية التي وضعها المؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧ . لا ننشرها إلاّ ونرانا نقول بأنهم حقاً قد راعوا فيها بدقة بالغة شرائع التلمود ! . .

تستهل هذه « البروتوكولات » قراراتها بمواد خمس صاغتها معاول لهدم العالم المسيحي أولاً والإسلامي وباقي الأديان ثانياً كيما يستطيع اليهود بعد ذلك إخضاع العالم جميعاً لسيطارتهم وهذه هي ؛

المادة الأولى ؛

زعزعة كل مقومات العالم الحاضر ونظمه لتسكين اليهود من الاستئثار بحكم العالم والاستحواذ على خيراته لأن اليهود ، وهم « الشعب المختار » ، هم وحدهم من نسل آدم وحواء ولذلك ما خلق العالم إلّا لهم وإلاّ ليكنونوا سادته . ومن حقهم وحدهم ، استعباد من فيه وحكمهم وتسخيرهم بكل الوسائل . إن الناس ، ما عدا اليهود ، ليسوا إلاّ شياطين وبهائم ! .

المادة الثانية ؛

تحقيق سيادة الصهيونية باقامة امبراطورية يهودية عالمية تحكم العالم قاطبة ويتعاقب على عرشها ملوك ممن يملون بشرية « التوراة » و « التلمود » ويكون مقرها « أورشلیم » أولاً ثم تستقر في « روما » إلى الأبد وبذلك تكون قد

قامت مكان الامبراطورية الرومانية التي أدالت « دولة يهوذا » وفي نفس الوقت تكون قد احتلت القاعدة الحالية للدين المسيحى الذى يجب أن يزول ! .

إن الامبراطورية اليهودية العالمية لن تقوم إلا إذا زالت جميع الأديان بصفة عامة والمسيحية بصفة خاصة . ومن ثمَّ يتحتم القضاء على الأمم المسيحية حتى يمكن بعد ذلك القضاء على بقية الأمم ولأديان ! ..
إن القضاء على الأمم المسيحية يتيح الفرصة للقضاء على الأمم والأديان لأنَّ المسيحية أوسع الأديان انتشاراً وأهمها أقوى الأمم وأوسعها نفوذاً ولها الزعامة في التوجيه العالمى . فاذا ركزت الصهيونية طليعة ضرباتها وأعنفها على الأمم المسيحية وأمكن القضاء عليها كانت هزيمة بقية الأمم ومحو باقى الأديان أيسر وأسرع ، فلا يبقى بعد ذلك إلا الدين اليهودى وإلا القومية اليهودية !

وأما الوسائل التى يتحتم اتخاذها لبلوغ هذه الغاية فتتضمن فى العمل على إفساد أنظمة الحكم الحاضر ! .

المادة الثالثة :

يتحتم أن يصبح زعماء الأمم جميعاً كقطع الشطرنج فى أيدينا ! نستميلهم ونفريهم من طرق شتى أهمها الرشوة والنساء ! كما أن منها العنف والارهاب بل والقتل فى الخفاء إذا لم تنجح وسيلة غيره !
يتحتم أن تُعامل أفراد الأمم جميعاً بالحيلة تارة وبالعنف تارة أخرى بأن تساس كما تساس قطعان الماشية !

المادة الرابعة :

ينبغى للصهيونية أن تسيطر على كل وسائل النشر والإعلام من صحف وكتب وأن تستخدم ، بسخاء ، الذهب !

المادة الخامسة ؛

إن الثشت الذى أصاب اليهود « الشعب المختار » فى كل أقطار العالم ليس ، كما يبدو ، مصدر ضعفهم وإنما هو فى الواقع مصدر قوة لهم ! فإنّ هذا الثشت فى أقطار العالم مع تماسكهم قد جعلهم ذوى نفوذ فى كل قطر إذ يستطيعون من خلال ثشتهم هذا أن يتسللوا إلى كيان الدول لتسخيرها لمصالحهم الذاتية !

والآن ؟ ! ..

هذه المواد الخمس هى فى الواقع ليست إلا عبارات اقتطفناها مما جاء فى « بروتوكولات حكماء صهيون » وهى وإن كانت لا تغنى عن قراءة التقارير كلها إلا أنها تعطينا فكرة واضحة عن خطة الصهيونية وأساليبها لإخضاع العالم قاطبة وإقامة عرش صهيون على الدنيا على أساس أنهم العنصر الإنسانى الوحيد ومن عداهم من البشر فى مرتبة السائمة فهم أولاد حواء وآدم وأمّا نحن فننسل من الشياطين ! .. هذا هو السرّ فى سياسة العزلة التى يحيط بها اليهود أنفسهم وهذا هو السرّ فى استعلائهم على الناس حتى تمادوا فراحوا يزعمون أن « يهوه » لم يعد ذلك الرب القبلى بين الأرباب القدامى وإنما هو قد ارتقى إلى مصاف الألوهية وأصبح إلّاه العالم وأنه إلههم وحدهم وأنهم « شعبه المختار » وليس للأمم الأخرى حظ من رضا . ولذلك لا يمكن لليهودى أن يقبل مشاركة أحد فى هذا الاحتكار وليس فى استطاعته أن يقيم سلطانه على عقيدة عامة تشاركه فيها الأمم الأخرى لأنه يرفض التنازل عن عقيدة « الشعب المختار » التى ميزه بها « يهوه » على شعوب العالم جميعاً ! . ولذلك أقول لا يلتبسنّ عليكم إذا سمعتم يهودياً يقول بأنه يؤمن بإلّاه العالم ويمعبده فإنما هو لا يقصد بهذا القول إلا « يهوه » هذا الذى يدعوه فى صلاته باسم « إلّاه إسرائيل ! » .

إن كلمة « الله » هي في ذهن كل يهودى صفة لاحقة لهذا الرب الخرافى الذى تصورته هذه الطائفة من عبدة أنه إن يرضى عنها إلا إذا استنزفت ماؤنا قطرة بعد قطرة !... ولذلك أقول أيضاً إن اليهودى يهودى قبل كل شئ مهما تكن جنسيته وإنه صهيونى أولاً وآخرًا لحماً ودمًا فكراً وعقيدة !.. صهيونى هو مهما تشكلت أسماؤه وتباينت أصوله وخالفت جنسية الواحد منه الآخر !... فهو قد ينتمى إلى جنسية أو أخرى ويتبع مذهباً سياسياً أو آخر ولكن ، إذا تعارض ذلك ومصالحته الأولى كيهودى أصبح يهودياً ويهودياً فقط صهيونى النية والفعل !...

وإلا فمن هو اليهودى ؟..

أليس اليهودى هو الذى يدين باليهودية كدين ؟..
أليست اليهودية ، كدين ، هي نفس « الأسفار الخمسة » و « التلمود » ؟..

ثم .. ما هي الصهيونية !..

أليست الصهيونية هي تقنين التلمود والتلمود هو تقنين الدين اليهودى ؟ !..

إن الصهيونية لا تستمد قوامها إلا من « الأسفار الخمسة » ولا تتخذ دساتير لها إلا شرائع التلمود وليس أدل على ذلك من نصوص « البروتوكولات » التى نحن بصدها والتى تنص على قرارات تفصح عن ما يمكنه الضمير من كل يهودى نحونا وفي نفس الوقت ترسم صورة واضحة للأخلق اليهودى ، ونقتطف منها القرارات التالية :

« القرار الأول » :

إن الغاية تبرّر الوسيلة . ومن ثمّ فعلينا ، ونحن نضع خطتنا لامتلاك العالم ، أن لا نلتفت إلى ما هو خبير وأخلاقي بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضرورى ومفيد . ولذلك يجب أن يكون شعارنا كل وسائل الدهاء وأن يكون جواز المرور لدينا هو الخديعة والكذب والادّعاء ، فإن حقنا في قوتنا ! لا عيب ولا عار في أن تكون جاسوساً أو دسّاساً بل هذه فضيلة لأنها ستمكّننا من إقامة « دولة صهيون » ! ..

« القرار الثانى » :

إن الصحافة كلها وجميع وسائل الإعلام هى التى يمكننا عن طريقها أن نحصل على توجيه دفة الأمور لصالحنا ، وهذه قد حصلت عليها أيدينا ! فلقد أصبحنا ، بفضل الصحافة ، قوة دولية ومن خلالها أحرزنا نفوذاً وبفضلها كدّسنا الذهب ! فيجب ألا تغفل من أيدينا بل ويجب أن تصبح حكومتنا مالكة للجزء الأعظم من الصحف ! ..

« القرار الثالث » :

فى إمكاننا الآن أن نؤكد لكم أننا قد أصبحنا على مدى خطوات قليلة من هدفنا ولم تبق إلا مسافة قصيرة كي تتم الأفعى الرمزية ، شعار شعبنا ، دورتها ! وحينما تغلق هذه الدوائر ستكون كل دول الغرب المسيحية محصورة فيها بأغلال لن تتحطّم ! ..

تذكروا ! ..

أن الثورة الفرنسية من صنع أيدينا . وأننا منذ ذلك الحين ونحن نقود الأمم من خيبة إلى خيبة تمهيداً للملك من دم صهيون نعدّه لحكم

العالم ! ..

« القرار الخامس » :

لقد أصبحنا أقوىاء جداً واقتصاديات العالم تعتمد علينا . المال كله في أيدينا ، فأيدينا تملك أعظم قوة في هذا العصر وهي الذهب ! . وإن الحكومات لا تستطيع أبداً أن تبرم معاهدة ما ، ولو صغيرة ، دون أن تتدخل فيها سرّاً ! ..

إن شريعتنا تقول إننا مختارون من الله لنحكم الأرض وقد منحنا الله العبقريّة كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل ! .

بكل ما قد عرضناه من الوسائل سنحفظ على الأمم المسيحية حتى تضطر إلى أن تطلب منّا أن نحكمها دولياً ! وعندما نصل إلى هذا الهدف سنستطيع مباشرة أن نستنزف كل قوى الحكم في جميع أنحاء العالم . وعند ذاك نستطيع أن نشكّل حكومة عالمية عالياً ! .

« القرار السابع » :

لقد اعتادت البلاد جميعاً أن تستغيث بنا عند الضرورة ومتى لزم الأمر . ولذلك يجب علينا أن ننشر في سائر الأقطار الفتنة والمنازعات ! أولاً في كل أقطار العالم الغربي . ثمّ بمساعدة العالم الغربي ، نفسه ، ننشر في سائر أقطار العالم الفن والخصومات .. بهذه الوسائل سنتحكم في أقدار كل الأقطار ! .

إن لما القدرة على خلق الاضطرابات في كل قطر كما نريد ! فقد نصبنا شبكاتنا في جميع الحكومات ولم نحبكها إلا عن طريق الخدمات المذنية

والاتفاقات الصناعية أيضاً ! . وبشباك المال سوف نتصيد جميع الحكومات وبشباك المكائد والدسائس سوف يعادى بعضهم بعضاً وعند ذلك نكون قد وصلنا إلى ما نريد . ولكن ! لكي نصل إلى هذه الغاية يجب أن ننطوى على كثير من الدهاء خلال المفاوضات والاتفاقات بأن نتظاهر بعكس ذلك كي نظهر بمظهر الأمين المتحمّل للمسئولية وبهذا سننظر إلينا الحكومات كأننا متفضلون ومنقذون للإنسانية ! ...

« القرار التاسع » :

إننا مصدر إرهاب بعيد المدى ! فإننا نسخر في خدمتنا أناساً من جميع المذاهب والأحزاب ، من رجال يرغبون في إعادة الملكيات .. وسواهم . ولقد وضعناهم جميعاً تحت السرج ! وكل واحد منهم على طريقته الخاصة ينسف ما تبقّى من السلطة ويحاول أن يحطم كل النظم الحاضرة والقوانين القائمة . وبهذا التدمير تتعذب الحكومات وتصرخ طلباً للراحة وتستعد ، من أجل السلام ، لتقديم أى تضحية .. ولكن ! . ان نمنحهم أى سلام حتى يعترفوا صراحة بحكومتنا الدولية العليا ! .

لقد خدعنا الجيل الناشئ من الأمميين وجعلناه فاسداً متمغنفاً بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التام .. ولقد حصلنا على نتائج مفيدة خارقة ! .

« القرار العاشر » :

لابدّ أن يستمر في كل البلاد اضطراب العلاقات القائمة بين الشعوب والحكومات فتستمر ، بذلك ، العداوات والحروب والموت ! . هذا مع الجوع والفقر ومع تفشى الأمراض ! . ولا بدّ أن يمتد كل هذا إلى حد أن لا يرى

الأمميون أى مخرج لهم من متاعبهم غير أن يلجأوا إلى الاحتماء بأموالنا !
وبأموالنا ستمتد سلطتنا الكاملة ! ..

« القرار الحادى عشر » ؛

إن الأمميين كقطع الغنم وإنا الذئب !..
هل تعلمون ماذا تفعل الذئب بالغنم ؟ !..
إذن ، ادفعوهم إلى هذا المصير ! ..

لقد شتتنا إلهنا فى أرجاء الأرض لفعل ذلك ، وهذا هو السر من وراء هذا التشتت الذى حلَّ بنا . فإن من رحمة « يهوه » أن « شعبه المختار » قد شُتت ، لأن هذا التشتت الذى يبدو ضعفاً فنياً أمام العالم قد ثبت أنه كل قوتنا التى إذا ما طبقناها على هذا المثل وصلنا ، حتماً ، إلى أعقاب السلطة العالمية !.

« القرار الرابع عشر » ؛

حين نُمكِّن لأنفسنا فنصبح سادة العالم لن نبيع قيام أى دينٍ غير ديننا ! ..

« القرار الثانى والعشرون » ؛

فى أيدينا تتركز أعظم قوة فى الأيام الحاضرة ونعنى بها الذهب !..
فى خلال يومين نستطيع أن نسحب أى مقدار منه !..
أفلا يزال ضرورياً لنا بعد ذلك أن نبرهن على أن حكمتنا هو إرادة إلهه إسرائيل ؟ !.

« القرار الثالث والعشرون » ؛

إن ملكتنا سيكون مختاراً من « يهوه » ! . وعندئذ نستطيع أن

نرفع أصواتنا ونصرخ في وجه العالم قائلين ؛

صَلُّوا ليهوه !

واركعوا أمام هذا المَلِك الذي أعاد « مُلْك داود » والذي يقود

يهوه ، نفسه ، نجمة ويتوجه ملكاً على العالم بأجمعه ! .

لامكان بعد ذلك لبابوات المسيحيين ، فسيصبح « ملك اليهود »

هو « البابا » « البابا » الحقيقي للعالم بأكمله ! ..

والآن ؟ .

الآن ، وهذه هي بعض قرارات من « بروتوكولات حكماء

صهيون » ماذا نرى ؟ ! .

نظرة واحدة نلقها على هذه النقطة الأساسية في « بروتوكولات

حكماء صهيون » ترينا أنها ليست إلا صــــورة مطابقة لأوامر

« التوراة المكتوبة » و « التوراة الشفوية » .. فأما التوراة الشفوية ، أو

« التلمود » فهو كتاب قد مررنا بتاريخ كتابته ومن ثمَّ فهو لا يمت إلى موسى ،

عليه السلام ، بأسباب ! .. وأما إلصاق « التوراة المكتوبة » بموسى فلم يكن ذلك

إلاَّ استغلالاً لاسمه لأن هذه « الأسفار الخمسة » التي يقوم عليها الدين اليهودي

الحالي قد وُضعت ، كما سنرى بعد قليل ، بعد مضي قرون من الزمن طوال على

وفاة موسى وأما هذا الفجيج السَّام الذي ينبعث من سطور هذه « البروتوكولات »

ينفث شرر النقمة في كل متجه ، متذرعاً بأن علة ذلك هي محاربة العالم لهم فإن

لنا في هذا الصدد كلمة وهي : إن قول اليهود بأن محاربة العالم لهم ، وهو ما يسمونه

بالاضطهاد ، هو علة هذا الجهاز التنفيذي لدينهم والمسمى بالصهيونية وأن قيام

الصهيونية يقضى على هذه العلة ! إنما هو يقول لا أساس له البتَّة من الصحة !

لأن الصهيونية ، نفسها ، هي أعراض لداء مزمن وهذا الداء هو في اليهود أنفسهم بل هو اليهود أنفسهم !... وإلا فمن اضطهدهم يوم اضطهدوا أنفسهم ويوم تردوا على موسى ، عليه السلام ، وخانوه وكتبوا في أسفارهم ، هذه التي ينسبون لها إليه ، أنه قد « خان الرب » وأن عليه غضب الرب وقال له اطلع إلى الجبل ومت هناك في الجبل ؟ ! ..

من اضطهدهم يوم انقسموا على أنفسهم في مملكة سليمان ثم تقاسم كل شطر من شطريها على أهله وراحوا يترشقون بسهام العداء ؟ ! ..

من اضطهدهم يوم وصفوا أنفسهم بأنفسهم بالفساد والشر وغلظة الطبع وصلابة الرقبة ؟. وإن يصممهم أعدى أعدائهم بشر ممّا وصموا به أنفسهم في « أسفارهم » هذه التي من عجيب المفارقات أن يتخذوها في الوقت نفسه دعامة وسنداً !.

إنهم هم الذين قضوا على أنفسهم وجروا على أنفسهم ، « الاضطهاد » في كل بقعة وفي كل عصر وبين كل قبيل ، لأن العلة ليست في غيرهم وإنما فيهم وإيس للأُم من حيلة معهم إلا أن تُخضعهم آخر الأمر ! فإن آفتهم الكامنة فيهم أنهم كأنهم ممسوخ من الوجهة الاجتماعية لأنهم جماعة مقتضية لم تصبح أمة ، واشتبكت مع العالم وهي في مرحلة غير نامية وغير قابلة للنمو لاتصافها بصفات ليست ناجمة عن الحروب التي عرّضت نفسها لها عبر القرون الطويلة ولسكها وليدة الدين اليهودي نفسه فإن الخلق اليهودي الذي لم يكن في جميع العصور إلا ولاء يهود سلامة المجتمع البشري وأمنه وأواصره بالفساد ليس وليد « الاضطهاد » وإنما وليد الدين اليهودي نفسه !.

إن الخلق اليهودي الذي استباح أبغض الوسائل لتحقيق أغراضه

وسعى جاهداً لينفرد بسلطان المال على مصير المجتمع فخاربه بأخس الوسائل وعمل
وسعه على إفساد أخلاقه وتمزيق أسرهم وهدم أديانه وقيمه ومقوماته لكي يتسلط
عليه فيستخره في مصالحه ويستأثر بخير العالم دونه ، ليس وليد « الاضطهاد » وإنما
هو وليد الدين اليهودى نفسه ! ..

إن الخلق اليهودى الذى يهدر المبادئ الإنسانية ويقوّض
مقاييس الأخلاق ، إنما ينبع من العزلة التى يفرضها أصحاب هذا الخلق على
أنفسهم وإن موقفهم العدائى من كل أمة يحملون جنسيتها ومعاداتهم كل الأديان
ولا سيّما المسيحية والإسلام ، ليس إلا وليد هذا الدين اليهودى نفسه المبني
على التوراة والتلمود وعلى ما فيهما من تعاليم وشرائع ترسم بوضوح خطط تدمير
العالم كي يحكم اليهود على أنقاضه ! .

ولما كانت الصهيونية لا تسعى إلا لتحقيق هذه الأهداف التى يرسمها الدين
اليهودى فإنما ذلك لأن الصهيونية هى اليهودية أو بعبارة أوضح معنى وأصح
قولاً ؛ هى الجهاز التنفيذى للدين اليهودى ! ..

وإذن ؟ .. هل يمكن لليهودى ، كائنًا ما كان ، أن يعارض
الصهيونية وهى ليست إلا الجهاز التنفيذى لدينه ؟ ! ..

كلا ! .. .

لا جدال فى أن الصهيونية هى الجهاز التنفيذى
لليهودية .. فإنما اليهودية القديمة هى الصهيونية الحديثة والصهيونية الحديثة هى
الصهيونية القديمة التى انبثقت فى غضون الأسر البابلى لأوثلك الذين كتبوا
« الأسفار الخمسة » من سبط يهوذا وحولوا بدعة « الأرض الموعودة » إلى عقيدة
دينية وصاغوها لواء حملوه للعودة إلى « صهيون » فاستسوا بذلك الصهيونية
وجعلوها الجهاز التنفيذى لهذا الدين الذى جاءت شرائع التلمود تمثله تمام التمثيل

وهذا هو الدليل الدامغ — على أن اليهودية هي الصهيونية والصهيونية هي اليهودية وهذا مما يجعلنا نقول إن « حايم وايزمان » ، خليفة « هرتزل » في قيادة الحركة الصهيونية الحديثة ، كان على حق عندما قال :

« إن الصهيونية واليهودية متلازمتان متلاصقتان ولا يمكن تدمير الصهيونية دون تدمير اليهودية » ! ..

وهنا ..

هنا أقول إن الحركة الصهيونية ، سواء منها الصهيونية الغربية التي كان يتزعمها « هرتزل » أو الصهيونية الشرقية وهذه كان يتزعمها « وايزمان » أول رئيس لـ « دولة إسرائيل » الأسطورية وتفتقها عن صهيونية عالمية ، قد تناولها أكثر من قلم في عصرنا هذا بالشرح . .^(١) ومن ثم فالحديث عنها ككرة أخرى ليس إلا تكراراً ولذلك قد قصرت هذا البحث على سبر الأسس التي تقوم عليها الصهيونية وهي الدين اليهودي الحالي ووضعت موضع المقارنة : الأسس الجديدة للصهيونية الحديثة والأسس القديمة لليهودية الحالية في « الأسفار الخمسة » وفي « التلمود » حتى يتبين لنا أن خليفة مؤلف « الدولة اليهودية » ومن كان أول رئيس لهذه « الدولة » الأسطورية كان صادقاً عند ما قال بأن اليهودية والصهيونية متلازمتان متلاصقتان وأنه لا يمكن تدمير الصهيونية دون تدمير اليهودية ! ..

وهذا هو الواقع ..

إن الحركة الصهيونية ليست إلا الجهاز التنفيذي لهذا الدين اليهودي الحالي الذي بنى يشوع بن نون ولذلك انصب بحثنا على سبر « الأصول »

(١) ومن أهم هذه المراجع « الصهيونية العالمية » للاستاذ عباس محمود العقاد

و «الظروف» و «النيارات» و «العوامل» و «الأسباب» التي أفضت إلى تكوين «الفكرة» التي تستمد الصهيونية منها مبدأ وجودها ألا وهي «عقيدة الأرض الموعودة» .. هذه «العقيدة» التي لم تفتعل «دولة إسرائيل» الحالية إلا على أساس منها ولم تقم إلا غداة تجمع «أبناء الخزر» في تكتل وأطلقوا من حناجرهم صيحة واحدة كان رجوع صداها تلك «الحجة» التي تذرع بها ممثلهم وتجاوبت في أرجاء «الأمم المتحدة» تقول ؛

« قد لا تكون فلسطين لنا عن طريق الحق السياسي أو القانوني ولكنها حق لنا على أساس روحاني فهي الأرض التي وعدنا بها الله وأعطانا إياها ! . ومن الفرات إلى النيل ! . . »
ولذلك ؛

« يجب على كل يهودي أن يهاجر إلى فلسطين وإن كل يهودي أقام خارج إسرائيل منذ إنشائها يعتبر مخالفاً لتعاليم التوراة ! .. »
إن هذا اليهودي يكفر يومياً بالدين اليهودي ! .. »^(١)

هذه الصيحة التي دوت ، ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٦٠ ، عندما عُقد في القدس المؤتمر الصهيوني العالمي الخامس والعشرون لم تكن في مداها الواقعي إلا ترديداً من تصريح أبرز زعيم من زعماء الحركة الصهيونية الحديثة وأول رئيس لـ «دولة إسرائيل» لأنها لم تكن ، بالتالي ، في واقعها الإيجابي إلا باكورة لحركة «شيبات زيون» ، أي «محبّة صهيون» ، التي امتدت فروعها الأخطبوطية في كل ركن من أركان الغرب والشرق حتى تفتتت عن الحركة

الصهيونية العالمية التي تعتبر جميع يهود العالم أعضاء في جنسية واحدة تسميها « الجنسية الإسرائيلية » وإن واجبها ينحصر في تطبيق هذا المبدأ وهو :

« توطيد دعائم دولة إسرائيل وتقويتها وجمع شعب يهود العالم فيها واعتبارها وطن جميع اليهود في كل أنحاء العالم ! » ^(١)

من هنا نفهم إلى أى مدى تطورت الصهيونية حتى غدت عالمية ، لا تستهدف إلا مرمى واحداً وتتخذ من « دولة إسرائيل » قاعدة لهذا المرمى !.. فالصهيونية العالمية اليوم ترى أفى إقامة « دولة إسرائيل » عاملاً أساسياً لتجميع جميع يهود العالم على أساس التظاهر بأن هذا هو الحال الوحيد لقضية كل يهودى وأما المرمى من وراء ذلك فهو التكتل في فلسطين ثم الزحف منها على العالم ولذلك اتجهت الدعوة الصهيونية الحديثة في كافة أنحاء العالم إلى تعلم اللغة العبرية كوسيلة نحو التكتل القومى ومظهر صادق من مظاهر ربط الولاء إلى هذه القومية الجديدة في فصح للولاء الذى كان يربطهم بالبلاد التي نشأوا فيها وللجنسيات التي يحملونها !.. ولا حائل يحول بين اليهودى وبين ذلك طالما أنه يدين باليهودية ، فاليهودية هى الصهيونية ، وبذلك ظهرت اليهودية بمظهرها الحقيقى باسم الصهيونية العالمية .. هذه الصهيونية التي ليست في حقيقتها ، سواء منها القديمة والحديثة والغربية والشرقية وهذه العالمية ، ليست إلا اليهودية الشيوعية الأصلية !..

كيف ؟ ..

إن الجواب عن هذا السؤال يأتي من نفس أسس هذه الحركة الصهيونية العالمية القائمة على ركائز أربع هى :

أولاً ؛ الروابط التاريخية والدينية القديمة التي تربط اليهود بأرض

(١) « وايزمان »

فلسطين والصهاينة بصهيون .

ثانياً ، يمثل اليهود في شتى أنحاء العالم شعباً واحداً ينتمى إلى أصل واحد مرجعه ، إلى فلسطين ومن ثمّ يعتبر جميع يهود العالم أعضاء في جنسية واحدة هي « الجنسية الإسرائيلية » .

ثالثاً ، إن « الأرض الموعودة » التي وعد بها « إله إسرائيل » شعبه « المختار » لتكون لهم وطنًا وملكاً أبدياً هي فلسطين وما حولها من أراضٍ تمتد من الفرات إلى النيل !.

رابعاً وأخيراً ، أن « الرب » قد تعهد بأن يرقى بذرية إسرائيل في النهاية إلى السيادة على العالم ... ولذلك تكون فلسطين قاعدة الامبراطورية اليهودية العالمية المنشودة ! .

هذه هي الركائز الأربع التي تمثل أسس الحركة الصهيونية العالمية وليس علينا إلا أن نناقشها ركيزة ركيزة وكل واحدة على حدة حتى يقين لنا ماهية هذه الدعايم التي تستند إليها الصهيونية وعليها تركز دعاواها ..
أولاً ،

ما هي هذه الروابط التاريخية والدينية القديمة التي تربط اليهود بأرض فلسطين والصهاينة بمجمل صهيون ؟ .. لنجعل الفصل في هذا القول هو الاحتكام إلى التاريخ التاريخ السياسي ، أولاً ، ثم التاريخ الديني .. وهذا ما يدفع بنا إلى أن نقسم : هل لليهود حق سياسي في فلسطين ؟ ..

إن الحق السياسي في أي إقليم إنما تقرره أصول ثابتة أساسية تتلخص في الصفة العنصرية وفي الأسبقية إلى سكناه وطول مدة الحكم

واستمرارها .. ومن ثمّ فلنعمد إلى البيانات التاريخية الخاصة بفلسطين ..

لقد عُرفت فلسطين في التاريخ القديم بـ « أرض كنعان » نسبة إلى قبائل الكنعانيين التي استقرت فيها إثر إحدى تلك الهجرات من جزيرة العرب إلى الشمال في الألف الثالث ق . م . ولقد عرفنا أن هذه البقعة ظلت تسمى بأرض كنعان حتى مغرب الألف الثاني ق . م . وليس إلا بعد أن غزتها ، حوالي سنة ١٢٠٠ ق . م ، تلك القبائل الآرية من كريت وعن طريقها وفي مقدمتها قبيلة « فيليستيا » ثم استقرت على شواطئها بين يافا وغزة وبعد أن اندمج الكريتيون والكنعانيون ، بالاختلاط والتصاهر ، سميت تلك المنطقة نسبة إلى هذه القبائل باسم فلسطين وأصبح هذا الاسم يطلق على جميع الأراضي الساحلية والداخلية التي كان يسكنها الكنعانيون .. ثمّ لم يلبث أن ساد العنصر الكنعاني على فلسطين مرة أخرى وأصبح سكانها هم أهلها الأول من هؤلاء الكنعانيين العرب .

وفلسطين بحكم موقعها الجغرافي بين القارات الثلاث القديمة كانت طوال تاريخ الحضارة تقريباً جسراً يعبره الغزاة من الغرب إلى الشرق ومن الشرق إلى الغرب كما يمر عليه الفاتحون من الشمال بجاذبة الساحل إلى الجنوب حيث الجزيرة العربية ومن أفريقيا الشرقية إلى الشمال . كما كانت بالنسبة لخصب تربتها واعتدال مناخها قبلة للقبائل الرحّل المتنقلة من الجنوب والشرق والغرب وليس إلاّ في فترة من تاريخ ذلك العهد كان أن ارتحلت من الفرات الأدنى تلك العائلة العائدة بأصلها إلى « عابر » فاختارت « أرض كنعان » ملجأً وسكنت بين أهل هذه الأرض من الكنعانيين ! ..

أجل . .

لقد خضعت هذه البقعة لعناصر شتى ، وفي فترة خاصة من تاريخها كانت خاضعة لحكم هذه الجماعة من سلالة إسرائيل ولم يكن ذلك كان لفترة وجيزة من الزمن وكما دالت ممالك غيرها في هذه المنطقة دالت هي أيضاً بل وذابت سلالة إسرائيل نفسها في تيّار الزمن ولم يعد هناك إلاّ يهود كانوا قد تهودوا ولا تربطهم بأبناء إسرائيل نفسه صلة عنصرية فما هي ، بعد ، هذه الروابط التاريخية التي تربط يهود اليوم بفلسطين والصهاينة بصهيون ؟ . .

أى الروابط التاريخية تربط يهود العالم بينى إسرائيل وتربط سلالة الخزر بينى إسرائيل ؟ !..

إن الصلة بين صهيون والصهاينة إنما هي صلة لا تحمل من المعنى الجغرافى إلا الاسم ولا شىء غير ذلك ! . وأما الصلة التى تربط اليهود بفلسطين فليست إلا من خيوط الوهم المحض قد حيكت منها الروابط !..

هذه هي الحقيقة النابعة من أغوار التاريخ !..

فأما صلة الصهاينة بفلسطين فلقد ذكرنا هذه الحقيقة التاريخية فى مصطلح بحثنا هذا عندما فرقنا بين « العبريين » وبين « بنى إسرائيل » وبين « اليهود » وقلنا إنه فى نهاية القرن السابع عشر الميلادى أبدى « بولان » ملك الخزر رغبته فى الاطلاع على الدين اليهودى ، ثم وافق هوأ فاعتنقه ولم يلبث أن أرغم شعبه على اعتناقه وهكذا أصبحت تلك المملكة التى كانت تحتل منطقة تقع بين جبال الأورال شرقاً ووسط أوروبا غرباً وشمال البحر الأسود جنوباً بمملكة يهودية صرفة ! . ثم تعرضت هذه المملكة لغزوات شتى وتفرق أبناؤها ، وكان عددهم يربو على عشرة ملايين نسمة ، على دول شرق أوروبا وهؤلاء هم اليهود الغربيون

من سكان شرق أوروبا وهؤلاء هم أصحاب الحركة الصهيونية الحديثة وإذن !. أى الروابط التاريخية هناك تربط هؤلاء الصهاينة بفلسطين ؟..

أى الروابط التاريخية تربط سلالة الخزر بسلالة إسرائيل ؟ !..

إن الخزر شعب غير سامى ومن الوجهة العلمية فى علم الأجناس ينتهى إلى سلالة القبائل المنغولية التى كانت تسكن أواسط آسيا ثم طُرد فى القرن الأول الميلادى فراح يتوغل فى شرق أوروبا وليس إلا بعد سبعة قرون من الزمن اعتنق اليهودية ديناً فأى الروابط التاريخية ، إذن ، تربط هذا الشعب غير السامى الذى لم تكن له صلة إطلاقاً بالقبائل السامية التى عاشت يوماً فى « أرض كنعان » بالقبائل السامية التى عاشت يوماً فى أرض كنعان ؟ ! .

ثم ، بالتالى ، أى الروابط التاريخية تربط يهود العالم الحاضر بفلسطين وأية قرابة لهم ببني إسرائيل ؟ !..

إن يهود عالم اليوم ليسوا من سكان فلسطين الأصليين والعودة إلى التاريخ نفسه إنما هى على هذه الحقيقة برهان ... حقيقة أقدم جاء الفتح الفارسى لابل وسمح لليهود بالعودة إلى فلسطين فعاد منهم كثيرون وأقاموا معبدهم بل وأنشأوا فيها حكومة لهم ولكن !. المجموعة الساحقة من هذه الجماعة الدينية لم تكن إلا جماعات قد تهودت !.. فقد كانت اليهودية ، كدين ، فى خلال القرون الطوال قبل الميلاد وبعده قد انتشرت فى أجزاء مختلفة من العالم .. فقد أعتنقها جماعات صغيرة من الشعوب التى كانت تسكن نفس فلسطين . ثم أسهم أسرى الحروب والتجار والمشردون من اليهود بنقلها إلى شعوب القبائل فى شمالى أفريقيا حتى مراکش وحتى الحبشة وتوغلوا بها حتى الصين والهند والبن ومن هنا انتشر الدين اليهودى بين فئات كانت تنتمى إلى كل الأجناس المعروفة ..

ففي كل جنس كنا نجد أقلية صغيرة تهودت واعتنقت اليهودية ديناً.. ومن ثمّ فإن هؤلاء اليهود ينتمون إلى أجناس لا صلة لها قط بتاريخية بفلسطين ولا يوجد أي الروابط التاريخية تربطهم بفلسطين ولا أية قرابة لهم ببني إسرائيل؟!.. إن إسرائيل نفسه وأساباطه الإثنا عشر لم تكن لهم صلة تاريخية بفلسطين ، فكيف بسلالة الخزر وبفئات تهود أسلافها وتوارث دينها هذا عن هؤلاء الأسلاف ولا يعود العنصر منها إلا إلى أجناس مختلفة متفرقة في أرجاء العالم ؟!..

وإذن!.. فإن الحجّة الأولى للصهيونية الحديثة ، وهي القائلة بالروابط التاريخية لليهود في فلسطين ، تنهار من أساسها!.. لا لأنه لا رابطة تاريخية لسلالة الخزر بفلسطين فحسب ولا لليهود ، وبالتالي ، ولا لأن بني إسرائيل أنفسهم لا صلة لهم بتاريخية بفلسطين فحسب وإنما لأن بني إسرائيل أنفسهم لا وجود لهم اليوم إلا كأطياف عابرة في مخيلة التاريخ!..

إنّ يهود اليوم ليسوا من سكان فلسطين الأصليين ولم تكن لهم بفلسطين في عهد من العهود صلة عنصرية ولا روابط تاريخية يمكنهم الاستناد إليها وهذه حقيقة تكشف عن ماهية الدعوى التي يستند إليها الصهيونيون في « حقهم السياسي » فلسطين وهي الدعوى القائمة على قيام حكم لبني إسرائيل فيها ، هو في الواقع حكم لم يندثر ويتلاشى منذ نيف وثلثين قرناً من الزمن فحسب وإنما هو حكم لم يدم إلّاّ للمحة في جفن الزمن كما أنه لم يبسط سلطانه على كل فلسطين!..

ولكن ! .

ما زال الصهيونيون يستندون في مطالبهم الإقليمية في فلسطين

إلى هذه الفترة من الحكم التي كان فيها لبني إسرائيل وهي الفترة التي بدأت بـ « شاول » وانتهت بالغزو البابلي لمملكة الجنوب .. بئيد أننا هنا ننسأل ؛ ألا يرى هؤلاء الصهاينة اليهود واليهود الصهاينة أن هذا التحديد نفسه يهدم دعواهم من أساسها ؟ !.. فإن حكم « شاول » لم يكن قط ذا سيادة حقيقية على البلاد التي كانت أكثر بقاعها تقع تحت الظل الكنعاني والفلسطيني كما كانت ، بالتالي ، تقع تحت نفس هذا الظل إبان السنوات السبع من حكم داود في حبرون قبل أن يهزم الفلسطينيين ويستولى على آخر حصون كنعان ، حصن صهيون ، ويتخذ من القدس عاصمة لمملكةه هي ولئن بلغت ذروتها في عهد سليمان إلا أن القسم الأكبر من فلسطين لم يكن لها بالطاعة ولم يعترف لها بالسلطان !..

ثم إن هذه المملكة ، التي لم تعمّر أكثر من تسعين عاما ، قد انشطرت عقب وفاة سليمان وانقسمت إلى « مملكة إسرائيل » في الشمال و « مملكة يهوذا » في الجنوب وهذا الانقسام ، نفسه ، لم يجز أيضا بالاستقلال الحقيقي لـ كلتا المملكتين لأن كلا منهما كانت تخضع إلى دولة عظمى خارجة وإلى حماية هذه الدولة كانت باستمرار وجودها تدين حتى جاء الغزو الآشوري فاكتمسح « مملكة إسرائيل » ومحارها محوّا من صفحة التاريخ ثم جاء الغزو البابلي فأدال من « دولة يهوذا » من الجنوب ثم حمل « يواقيم » آخر ملوكها من « بيت يهوذا » والآلاف من رجال « اليهودية » أسرى إلى بابل وفي مقدمتهم « سبط يهوذا » نفسه وهؤلاء هم الذين تعمّدوا فكرة « الأرض الموعودة » بالإثماء عندما رفّ عليهم ذلك الأسر وابتعث الذكريات عن حال مماثل كان في أرض النيل للآباء فراحوا يصبّون الثقمة على الفرات والنيل معاً ويسطرون بأن « الأرض

الموعودة» من الفرات إلى النيل ، بينما لم يسعهم إلاّ النباكي على أورشليم
الضائعة والترنم على ضفاف الفرات بذكرى صهيون !.

ومن ثمّ فنحن إذا سلّمنا بأن مدى الحكم لبني إسرائيل ، لا
للإهود ، في فلسطين كان من «شاول» ١٠٠٧ ق.م ، إلى «يواقيم» ٥٨٦ ق.م ،
فإننا نتوصل إلى حكم دام نيفاً وأربعة قرون من الزمن وهذا المدى الزمني
فقط هو الذي يستند إليه الصهيونيون في مطالبهم الإقليمية في فلسطين ويستمدون
منه الرابط التاريخي والحق السياسي في أرض لا تربطهم بها صلة تاريخية ، قط ،
وذلك لسبب واحد آتٍ من نفس تاريخهم نفسه وهو أنهم ليسوا بإلهوداً من
نسل آباء كانوا قد تهودوا وليسوا ، قط ، ببني إسرائيل ! .

وهنا لنا كلمة نقولها وهي ؛

إن هؤلاء الإهود الذين يستندون إلى هذا
المدى الزمني في مطالبهم الإقليمية في فلسطين إنما هم يتجاهلون المدى الزمني
لحكم العرب فلسطين ! .. ألا يذكر الصهاينة المدى الزمني لحكم العرب
فلسطين ؟ ! ..

إن الفتح العربي ، ٦٣٦ ، قد اغتمر فلسطين .. بل واغتمرها اغتاراً
كان من أثره أن ضاعف صبغها بالصبغة العربية الخالصة ، فلقد أمتد للعرب حكم
في فلسطين لم يدم نيفاً وأربعة قرون من الزمن وإنما ! .. إنما نيفاً وأربعة عشر
قروناً من الزمان ! .

يقيناً إن هذه الفترة من تاريخ فلسطين لكفيلة بالرد على مزاعم
الصهاينة في ندائهم بالحق السياسي للإهود في فلسطين وهي نفسها ، بالتالي ، البرهان
على تثبيت دعائم العروبة في فلسطين تثديتاً تنهار أمامه ما تستند إليه الصهيونية

العالمية من حُجَج ومزاعم ...

هذا هو الواقع إذ عدنا إلى استعراض التاريخ ، فليس إلا على أساس إحصائي صرف تتكشف هذه الحقيقة ونخلص بها إلى النتيجة الحتمية من هذا السؤال الذى ألقيناه لنجد أن أصحاب « الحق السياسى » فى فلسطين إنما هم : العرب ! ..

وهنا ..

هنا يجابهنا هذا السؤال ؛

هل لليهود « حق قانونى » فى فلسطين ؟ ..

منطقيًا أن الجواب عن هذا السؤال هو : لا أحقية لشعب فى فلسطين إلا لشعب فلسطين ..

ولكن ... من هو « شعب فلسطين » ؟ ...

من الأسانيد التاريخية نستطيع أن نتخذ من العصر الكنعانى ؛ بداية فنقول إن من الكنعانيين ، والكنعانيون موجة عربية بحتة قذفها شبه الجزيرة العربية ، قد تكون شعب فلسطين فهو شعب عربى محض ! ..

حقيقة أن الدم الكنعانى قد ذاب فى الدماء التى مازجته والتى كان ، فى خضم الغزوات والفتوح ، بها قد امتزج . غير أن هناك مازالت نسبة مثوية من الدم العربى أعلى من النسبة المثوية لأى دم آخر وذلك يعود بأصوله إلى هذا الأصل الكنعانى العربى البحت كما يعود بأسبابه إلى ذلك التدفق العربى على البلاد واستيطانه لها خلال نيف وأربعة عشر قرنًا من الزمان .. وهذا مما يجعل ، من المنطقى ، والنسبة المثوية العليا هى لادم العربى ، أن نقول إن فلسطين هى أرض

العرب وإن العرب هم أصحاب « الحق القانوني » في فلسطين .
ومن ثم ، فإن هذه الحجة
الصهيونية القائلة بالرابطة التاريخية والدينية لليهود في فلسطين إنما هي حجة إذا
جزمنا بصحتها ، على أساس من معبد كان لهم فيها وهيكل كان قد بناه سليمان ،
فليس إلا لنقول ؛

متى كانت الرابطة الدينية حجة للاستيلاء على بلدٍ يقوم فيه رمز
من حوله تترايط أفئدة بالإيمان ؟ ! ..
هذا هو العالم المسيحي ! . أبتخذ من وجود قبر السيد المسيح ، عليه
السلام ، في القدس ذريعة للاستيلاء على فلسطين ثم الزحف منها على بلاد
العالم ؟ ..

وهذا هو العالم الإسلامي ! . هل يتخذ من وجود « البيت الحرام »
في مكة أو يتخذ من وجود ضريح الرسول ، عليه السلام ، في المدينة ذريعة
للاستيلاء على أحد البلدين ثم الزحف منها على بلاد العالم ؟ ! .

كلا ! ..

وإذن ! . فإن حجة الصهاينة من حيث التذرع بذكرى هذا الارتباط
الديني لليهود بفلسطين إنما هي حجة واهية لا تقوم على أساس سليم من المنطق .
بل وإنما حجة تنقض نفسها بنفسها لأن الارتباط الديني بأى بلد لا يمنح لأحد
« الحق السياسى » أو « الحق القانونى » فى الاستيلاء عليه ! .

وهكذا تنهار الركيزة الأولى من الركائز الأربع المثلة أسس
الحركة الصهيونية العالمية .

وأما الركيزة الثانية وهى القائلة بأن اليهود يمثلون فى شتى أنحاء العالم شعباً واحداً ينتمى إلى أصل واحد مرجعه إلى فلسطين ، ومن ثمَّ يجب أن يُعتبر جميع يهود العالم أعضاء فى جنسية واحدة هى «الجنسية الإسرائيلية» فهذه ركيزة تقترب منها بهذا السؤال :

هل « للجنسية الإسرائيلية » وجود ، حقاً ، ؟ .

هذه الركيزة القائلة بأن جميع يهود العالم ينتمون إلى « بنى إسرائيل » ومن ثمَّ فهم يُكوّنون « جنساً » وبالتالي « شعباً » ثمَّ « أمة » ومن هنا يريدون الاستقرار فى وطنهم السابق إنما هى ركيزة لا سند لها من الواقع التاريخى إطلاقاً وليست فى واقعها إلا خرافة تاريخية ابتدعتها الدعاية الصهيونية ، يدحضها البحث العلمى الصحيح وينقضها العلم الأثنولوجى الحديث .

البرهان ؟ ..

البرهان مستمد من علماء اليهود أنفسهم . فلقد وضع « جروفتش » ، أستاذ علم الأجناس فى « الجامعة العبرية » ، تقريراً أوضح فيه نتائج التجارب التى قام بها على المهاجرين اليهود الذين وفدوا إلى « إسرائيل » من مختلف أنحاء العالم . وكان الرمى من وراء هذه التجارب هو فحوص دماء هؤلاء الذين دفعت بهم « الوكالة اليهودية » إلى فلسطين لبيان ما إذا كان اليهود جنساً واحداً له فصيلة واحدة من الدم طالما أن العلم الأثنولوجى الحديث قد تمكن من تعيين فصائل الدم لكل شعب من الشعوب على أساس من براهين أثبتت أن الدم موروث وأن كل شعب من الشعوب القديمة له فصيلة من الدم ورثها عن أسلافه وأورثها لسلالته .. وقد أوضحت هذه التجارب أن

نسبة ضئيلة جداً من يهود الأقطار العربية هم من نسل سامى الجنس وأما المجموعة الكبرى من يهود العالم وخاصة يهود أوروبا الشرقية فلا ينتمون إطلاقاً إلى الفصيلة السامية ! .

ومن ثمَّ فإنَّ الركيزة الثانية التى أقامتها الصهيونية الحديثة على أساس أن يهود العالم أجمع يمثلون أعضاء فى «جنسية واحدة» وأن لهم على هذا الأساس حقاً فى فلسطين إنما هى ركيزة متداعية لاستحالة اعتبار اليهود جنساً واحداً له مميزاته الأثنولوجية الخاصة وهذا ما يجعلنا نفرق بين «بنى إسرائيل» وبين انتشار الدين اليهودى وبين انتشار اليهود فنذكر أن الدين اليهودى الذى أخذ فى الانتشار فى عهد الدولة الرومانية عامة وبعدها خاصة قد أنشأ طوائف من اليهود لآمنت إلى «بنى إسرائيل» بأوشاج قرابة ولاصلة سوى صلة العقيدة ومن هؤلاء هذه النسبة الضئيلة من يهود اليوم الذين ينتمون إلى الفصيلة السامية ومن هؤلاء أيضاً يهود العالم العربى ، وخاصةً أوروبا الشرقية ، الذين لا ينتمون إطلاقاً إلى الفصيلة السامية ولاصلة لهم بإسرائيل ولا بأبناء إسرائيل ، هؤلاء الذين طوام تيار الغزوات المتوالية والمتتالية فى لجة التاريخ .. ومن ثمَّ ! .

على هذا الأساس العلمى البحت تنهار للصهيونية الحديثة حجّة تقول بأن يهود العالم أجمع أعضاء فى جنسية واحدة هى «الجنسية الإسرائيلية» طالما أن العلم الإثنولوجى قد أثبت بأنه ليس هناك فى «علم الأجناس» شىء اسمه «الجنسية الإسرائيلية» .. !

يقيناً ! . يقيناً علمياً ، لا نقش فيه ، أنه ليس هناك بين الأجناس البشرية شىء اسمه «الجنسية الإسرائيلية» وبهذا كانت قد أقرت ، أيضاً ،

« المجلس اليهودى الأمريكى » معترفاً ؛

« إن اليهودية لم تكن جنسية فى يوم من الأيام بل إنها دين والجماعات البثرية التى يطلق عليها اسم يهودى جماعات تتمتع بجنسية الدولة التى تنتمى إليها » !..

هذا الاعتراف بجانب ما قدمناه من برهان أثنولوجى على انتفاء الجنسية الإسرائيلية « عن اليهود هو بدوره جانب من الدعامة التى نستند إليها قائلين ؛

إن اليهود ليسوا شعباً بل طائفة دينية تضم جماعات مختلفة الأجاس من الناس اعتنقوا ديناً واحداً ! .
وإذن !..

متى كان لطائفة دينية تضم جماعات مختلفة من الأجناس وطن واحد ؟ !.

إن يهود العالم أجمع ليسوا إلا طائفة دينية تضم جماعات مختلفة من الأجناس وليس لطائفة دينية حقوق قومية ولا حقوق تاريخية فى بلد من البلدان ومثل هذا الادعاء لا يقره « القانون الدولى » لأنه لا يعترف بالأديان كأساس قومى ولا يقيم العلاقات الدولية على أسس دينية وإنما يعترف بالجنسيات وإلا لطالبت كل جماعة دينية أن تكون لنفسها دولة استناداً إلى هذا القول ! .
وهذه هى « البهائية » يمكن أن نتخذها مثلاً .. ينتشر البهائيون فى كل ركن من أركان الأرض وينتمى أفرادها إلى جنسيات مختلفة ويمثلون طائفة دينية واحدة تستمد وجودها من مصدر إيرانى بحث فاذا يكون حكم المنطق التاريخى

عليهم إذا حاولوا التجمعُ وادعوا امتلاك إيران ١٤ .

ومن ثمّ تنهار من أساسها هذه الركيزة الثانية التي استطاعت بها الحركة الصهيونية العالمية ، تحت وهم « الجنسية الإسرائيلية » ، تجميع اليهود في فلسطين وإقامة « دولة » لهم فيها تحت اسم « دولة إسرائيل » .. هذه « الدولة » التي يُعد قيامها افتياتاً على القانون الدولي وخرقاً صريحاً للمواثيق الدولية ! ..

وهنا نأتى إلى الركيزة الثالثة التي تمكنت بها الصهيونية العالمية من افتعال « دولة إسرائيل » بالفعل الا وهى القائلة بأن فلسطين هى « الأرض الموعودة » التي وعد بها « يهوه » إله إسرائيل « شعبه المختار » لتكون لهم وطناً ومملكا أبدياً يشمل كل ماحوله من أراضى تمتد من الفرات إلى النيل .. وذلك على أساس ؛

« مصدر عاطفى دائم مستقل عن الزمان والمكان ، قديم قدم الشعب اليهودى ذاته ويتمثل فى الوعد الإلهى بالعودة .. ذلك الوعد الذى يرجع إلى قصة اليهودى الأول الذى أبلغته السماء أن سأعطيك ولذريتك من بعدك جميع أرض كنعان ملكاً أبدياً » ..^(١)

ومن ثمّ

وهت كل حجة فى يد الصهيونية الحديثة والصهيونية العالمية على هذا الادعاء إلا حجة واحدة بها تنشبّت وهى هذه التى تتمثل فيما تحمله فى يدها من « كتاب » تحفّه بالقدسية وتُسجّل نصوصه « الأسفار الخمسة الأول » الممثلة للتوراة هذا « الوعد » بأرض كنعان المترامية فى أحضان الفرات والنيل ! ..

(١) « بن جوريون »

كلا!..

كلا ، ليس هذا بالقول الجزاف وإنما هو الواقع المرتسم سطوراً
على مدخل الـ « كنيسة » بنادى ؛

« حدودك يا إسرائيل من الفُرات إلى النيل !. »

ثمّ من « تل أبيب » ما زال يصيح ؛

« ومن البحر المتوسط حتى الفرات ، ومن لبنان حتى نهر

النيل !. » ^(١)

لا جدال أن هذا « الوعد » مصدره « التوراة » ، ولكن !.. حتى نقنول هذه
« التوراة » ونضعها ، بعد قليل ، في ميزان التاريخ ونسلّط عليها أشعته سابرين
ماهيتها وشرعيتها من حيث الصحة والبطلان وعند ذلك تنهار من أساسها هذه
الركيزة الثالثة ، نسترسل قائلين ؛

إننا من هنا نرى أن الصهيونية الحديثة لا

تقف عند المدى الذى مكّنها من افتعال « دولة » لها في فلسطين وإنما هى على
أساس من هذه النصوص الواردة في « التوراة » تمادى بأطماعها إلى الاستيلاء
على الشرق الأوسط بأجمعه وتستهدف مد نفوذها على سائر هذه الأنحاء التى
حدّتها « الأسفار الخمسة » ومن هنا راحت تطلق الصيحة فى كل الأرجاء قائلة
بأن رقعة « الأرض الموعودة » غير قاصرة على فلسطين وإنما هى تشمل كل
البقاع الممتدة من الفرات إلى النيل وأنه يجب الاستيلاء على كل هذه الرقاع
تحقيقاً للنصوص الواردة فى التوراة !..

وهنا نأتى إلى الركيزة الرابعة وهى القائلة بأن « يهوه » قد تمهّد

(١) المصدر نفسه

بأن يرقى بذرية إسرائيل في النهاية إلى السيادة على العالم ومن ثمّ تكون فلسطين قاعدة الإمبراطورية اليهودية العالمية ..!

نعم ، إنَّ ؛

« على الشعب اليهودى أن يجمع قواه لتحقيق هذه الأهداف والاستعداد للوصول إلى الهدف النهائى فى بناء الدولة اليهودية التى تضمُّ يهود العالم جميعاً وتحقيق النصوص الواردة فى التوراة ! »^(١)

ومن ثمّ فإننا من هنا نرى أن بقاء «دولة إسرائيل» فى فلسطين لا يُعدّ إلاّ مرحلة إذا لم تُحد فستفتق عن مراحل أخطر طالما أن الشرق الأوسط قد غدا فى العقيدة اليهودية هــو الرقعة من الأرض التى منحها لهم الهـمهم !. إن «دولة إسرائيل» بحدودها الحالية لا تعدّ فى النظر اليهودى الحديث قاعدة استقرار وإنما موطئ قدم للتحفز والوثوب ورأس جسر لتحقيق نصوص التوراة بإنشاء «الدولة اليهودية الكبرى» على قاعدة تمتد من الفرات شرقاً إلى النيل غرباً ..! كلا !.

كلا ، ليس هذا بالقول العابر ولما هو بالرهل من الحديث فإنما المسمع منا قد طرقته هذه العبارات القائلة ؛
« إننا لم نحقق بعد هدفنا !.. »

نحن حتى الآن لم نحرّر من بلادنا سوى قسم واحد فقط ولذلك سنجعل الحرب حرفة حتى يتم تحرير بلادنا كلها بلاد الآباء والأجداد !..
وسنحقق رؤى أنبياء إسرائيل !..

(١) « بن جويون » فى عام ١٩٤٨

وسيعود الشعب اليهودى بأسره إلى أرض آباءه وأجداده !... »
« بن جورويوت »

هذه الأهداف التى تستهدفها هذه « الدولة » القائمة على أساس وهمى من القول بـ « الجنسية الإسرائيلية » والمهادنة إلى جمع شتات يهود العالم فى « فلسطين » ثمّ إفساح حدود « إسرائيل » حتى ينفصح الجبال لتوطين اليهود الوافدين إليها من مختلف أنحاء العالم بحيث تشمل فلسطين « التاريخية » من الفرات إلى النيل ، كانت موضوع البحث الرئيسى للمؤتمر الصهيونى الثالث والعشرين يوم عقد فى القدس ، أغسطس ١٩٥١ ، وطالب فيه ممثلو اليهود من أعضاء هذا المؤتمر :

« ألا يجب أن أحد من اليهود عن الجهر بعزم الصهيونية على جمع يهود العالم فى الدولة اليهودية !... »

وكرجع العدى من هذا الرجاء دوت فى أرجاء الـ « كنيست » ، عام ١٩٥٥ ، هذه الصيحة الأخرى تقول :

« إن إسرائيل لن يكتب لها البقاء ما لم تشنّ حرباً وقائية على الدول العربية وتعمل على مدّ حدودها داخل هذه الدول حتى تضمن سلامتها وتحقق الحلم الذى طالما راود فلاسفة الصهيونية ألا وهو إقامة امبراطورية إسرائيلية ممتدة الأرجاء تفرض سلطانها قوياً يخشاه الجميع !... »
« موسى شاريت »

ومن « تل أبيب » انطلقت صيحة أخرى تقول :
« إن إسرائيل بوضعها الحالى لا تمثل إلاّ خمس ما يجب أن تكون »

عليه أرض الآباء .

ومن ثمّ يجب العمل على تحرير الأربعة الأخماس الباقية ! .

« مناحيم بييجن »

والآن ؟ .

الآن ندور اللّوالب الفكرية منّا ، مرة أخرى ، على

هذا السؤال ؛

ما هي هذه « الأربعة الأخماس الباقية » ؟ ..

إن الجواب عن هذا السؤال قد سبقت منّا الإشارة إليه في مستهل بحثنا هذا ونؤكدّه الآن قائلين ؛ إن تعريف هذه « الأربعة الأخماس الباقية » لا يأتينا إلّا من الخريطة الجغرافية التي وضعها اليهود لامبراطوريتهم المرتقبة وهي نفسها الخريطة الرسمية المستعملة في المدارس اليهودية .. فنحن لا نلتقي عليها نظرة إلّا ونعلم أن هذه « الأربعة الأخماس الباقية » هي ؛ شرقي الأردن وسوريا ولبنان والقسم الأكبر من العراق ومن أراضي الإقليم الجنوبي بما فيها سيناء كلها والدلتا المصرية ، كما تضم أراضي جنوبي العقبة بما فيها « المدينة المنورة » حيث يقوم « الضريح النبوي الشريف » ! .

هذه هي الخريطة الجغرافية الرسمية المتبعة اليوم في « دولة إسرائيل » وتندريس النشء كما يفتح كل طفل يهودي عليها عينيه ويشجذ للفد قواه أملاً في احتلال كل هذه الرقاع مستهلاً عدوانه على الأجزاء العربية من فلسطين وشرقي الأردن ، هذه الأجزاء التي تسميها هذه الخريطة ؛ « إسرائيل المحتلة من العرب ! » .

ومن ثمّ فإنّ هذه الخريطة الرسمية لـ « إسرائيل » ، بالإضافة إلى التصريحات التي مررنا بها والصادرة عن شخصيات لها اعتبارها السياسي في سياسة « إسرائيل » ، هي إن دلت على شيء فإنما تدل على إصرار الصهيونية العالمية على ألا تقف عند حدّ إقامة « دولة إسرائيل » ! . كلا ! .. وإنما هي تعلن ، صراحة ، أنها تترقب الفرص وتتحين الظروف المواتية لتحقيق الحلم الكبير من الفرات شرقاً إلى النيل غرباً في نفس الوقت الذي تستخدم فيه جميع الوسائل وتستغلّ جميع الفرص وتزود بكل الإمكانيات لتحقيق هذا الحلم الذي بدأت ، بالفعل ، تتخذ إليه الطريق ! .

أولم نقل :

« على الشعب اليهودي أن يجمع قواه . . . والوصول إلى الهدف النهائي في بناء الدولة اليهودية التي تضم يهود العالم جميعاً وتحقيق النصوص الواردة في التوراة ؟ ! .. » .^(١)

وإذن ! ..

« التوراة » ، وليس إلّا « التوراة » ، هي الباعث الأساسي لهذه الصرخة المحمومة التي تطلقها الآن « إسرائيل ! . » . « التوراة » وليس إلّا « التوراة » بما تحمله من نصوص هي مبعث كل هذه الشرور لأنها هي نفسها الأساس الذي تقوم عليه نفس « دولة إسرائيل ! » فإن وجود هذا الشرّ المسمى « إسرائيل » في هذه المنطقة من شرقنا العربي وتماديها في التوسع وتحوّلها إلى التفنن في أساليب المدوان علينا لا يقوم إلّا على دعائم من نصوص هذه « التوراة » وهذا ما يجعلنا نقول بأن اتجاهنا نحو توطيد الاستقرار في منطقة

(١) « بن جوريوت »

الشرق الأوسط يحتم علينا ألا نفعل المصدر الوحيد الذي استمدت منه هذه « الدولة » الأسطورية السماء « إسرائيل » وجودها ومنه تستمد كيائها وقوتها وبقائها ألا وهو هذه « التوراة ! » .

أجل ..

إنَّ مما لا شك فيه هو أن تحقيق الحلم الذي طاف على الجبين اليهودي طويلاً بقيام « دولة » لهم في فلسطين يرجع إلى مساندة المصالح الاستعمارية وتأييدها كما أنه مما لا شك فيه هو أن جهود الاستعمار قد تضافرت مع جهود الصهيونية منذ أمد بعيد على ابتداء « دولة إسرائيل » وأن الصلة التي تدعمت بين هذين الجانبين من خلال الأساليب التي انتهجتها الصهيونية قد أدت إلى افتعال هذه « الدولة » التي تمكنت من أن تلعب دوراً هاماً على مسرح التاريخ السياسي والسياسة الدولية وأن تبرز على صفحة الحاضر كقوة سياسية ولكن !.. حجر الأساس في بناء هذه « الدولة » لم يكن إلا « التوراة » ! .

هذا هو الواقع التاريخي ! ...

بقيناً ! ..

بقيناً إنَّ هذا هو الواقع التاريخي فليس إلاَّ استناداً إلى هذه « التوراة » المفتراة استطاعت الصهيونية العالمية استدرار العطف على اليهود وبرعت بصفة خاصة في فن إثارة عواطف الشعوب في العالم القديم والعالم الجديد حتى تمكنت من أن تدخل في روع الجماعات أن هناك روابط دينية عميقة تربط اليهود بفلسطين كأرض هي لهم « موعودة » !.. فلقد كانت دعاياتها من التنظيم والقوة بحيث أقنعت المجموعة الكبرى في هذين العالمين بأن هذه الأسطورة حقيقة ! . ولذلك أقول بأن كل محاولة عن إمكان الاستقرار في

منطقة الشرق الأوسط ان تأتى إلى الغد بنتيجة فاصلة طالما ظلت الشرعية الوهمية تحف بهذا المصدر الذى تتخذه « إسرائيل » سلاحاً حاداً فى يدها وسنداً لها فى حجتها والذى منه انتزعت الصهيونية الحديثة ركيزتها الرابعة والأخيرة إلا وهى القائلة بأن « الرب » قد تعهد بأن يرقى بذرية إسرائيل فى النهاية إلى السيادة على العالم ! .

والآن ؟ .

الآن والصهيونية العالمية لا تقف عند المدى من افتعال « دولة » لها فى فلسطين انتزعت الحجّة على « شرعيتها » مما فى يدها من « تورا » تزعم أن دعوتها منها مشتقة وعليها مبنية . .

الآن والصهيونية العالمية تأبى إلا التمدى وهى عطشى إلى الدماء تتحول ناحيتنا بأسلحة صاغت من النصوص الواردة فى « التورا » وشجذت منها النصل على غلاف « التلود » مستهدفة هتك أستارنا واستنزاف دماننا والتضحية بنا قرايين ترفعها إلى « يهوه » إلهها على أساس من نصوص هذه « التورا » القائلة بأن « الأرض الموعودة » تشمل كل الرقاع الواقعة من الفرات إلى النيل ..

الآن ورقة « الأرض الموعودة » قد اتسعت مساحتها فى الخيلة اليهودية اتساعاً لا يقتصر على فلسطين ولا على أنحاء من شبه الجزيرة العربية لها كل التقديس وإنما أصبحت تطوى معاً الفرات والنيل لتكون كل هذه الرقاع بمثابة قاعدة تستطيع هذه « الحيّة » السامة الزحف منها على العالم حتى تتم تطويقه كله بحسدها واعتصاره عصره حتى الإفناء لتقيم على أبقاض مديانته

وأشلاء أهله « الأمبراطورية اليهودية العالمية » عملاً بنصوص التوراة !..

ومن ثمّ قالآن ..

الآن ورأس هذه « الحيّة » قد ارتفع مُرسلاً فجيحه السّام
في كل متجه بنصوص من « التوراة » فليس إلا لنجد أنه قد آن لنا أن نتناول
تناولاً سابراً هذه التوراة التي لا تستمد هذه « الحيّة » حياتها إلا منها ولا
يقوم لها كيان إلا بها ولا يرتفع لها رأس إلا على مساندها ولا يزحف لها جسد
تُشكله هذه المجموعة من « أبناء الأفاعى » ، كما تسميهم أسفارهم ، إلا على ما قد
جاء من نصوص هذه التوراة التي لا نتناولها إلا لنضعها في ميزان التاريخ وإلا
لنسلط عليها أشعته وأضواءه وليس إلا في هذا الميزان وتحت هذه الأشعة
والأضواء نطرحها أمام الرأى العالمى ونسأل المنطق العالمى الحكم على مدى
شرعية « الأرض الموعودة » وحياة « إسرائيل ؟ ! » .

التفقيص

عقيدة « الأرض الموعودة »

في ميزان التاريخ

إن المنطق الصهيوني العالمي الذي يرسل اليوم في مسمع العالم فحيحه سميراً يصبح أن فلسطين هي أرض اليهود لم يأت بجديد ، فما هذا الفحيح الذي تنفته هذه « الأفى » إلاّ ترديداً لفحيح لها قديم وحديث . . . أقدمه يوم تماسكت وهي في أسر الفرات وفي تطلع نحو وكر لها انخذه من جبل صهيون راحت تنفث شرر النقرة على الفرات وعلى النيل ، وأحدثه يوم زحفت هذه « الأفى » إلى داخل « هيئة الأمم المتحدة » ورفعت رأسها من على منبره وأطلقت فحيحها يطلب « الاعتراف » بقيام « دولة إسرائيل » وبصحيح ، شاهرأ في وجه العالم هذه « التوراة » بدعوى أنها الحجّة الشرعية التي تحمل نصوصها هذه المنحة الأبدية لليهود ، قائلاً :

« قد لا تكون فلسطين لنا على أساس حق سياسى أو قانونى
ولكنها حقّ لنا على أساس روحانى .

فهى الأرض التى وعدنا بها وأعطانا إياها الله ! . »

إن هذا الفحيح وإن كان قد نفث سماً ولم يعن بكلمة « الله » هنا ربّ العالمين وإنما « يهوه » إله إسرائيل فإنما هو في واقع الأمر لم يقل إلاّ صدقاً ! . فلا سند لليهود يمنحهم فلسطين إلا هذه « الأسفار الخمسة » التى تُكوّن نصوصها مادة هذا « الأساس الروحانى » الذى استطاعوا إيهام الجانب الأكبر من العالم بصحته حتى تمكنوا من أن يقيموا عليه هذا البناء الأسطورى والوكر الصهيوني المسمى « إسرائيل . . . ! » .

وهذا هو ما قد وقع بالفعل . فإن « دولة إسرائيل » ، هذه « الدولة » القائمة من نسج خرافة تاريخية كبرى ، قد أصبحت مرتعاً لهذه « الأفعى » التى تغالفت الأجيال السابقة عن سحق رأسها حتى اشتدت فاجترأت وأخذت تزحف نحونا اليوم تشهر سلاحاً فى وجهنا صاغته من نصوص هذه « التوراة » وشحذت منه الفصل على غلاف « التلمود » ! . .

هذا هو الواقع فأما « إسرائيل » التى تطاولت اليوم بالعدوان علينا لم تكونْ إلا من مادة هذا « الحق الروحانى » الذى استمدته هذه « الأفعى » من نصوص هذه « الأسفار الخفية » التى تكونْ هذه « التوراة » ، ومن هنا قلنا إن الصهيونية ليست إلا الجهاز التنفيذى لهذا الدين اليهودى الحالى الذى بناه يشوع بن نون ، هذا السفاح الذى بذر هذه السياسة العدوانية فى تاريخ هذه الطائفة غداة قبض على زمام الأمور فى تلك اللحظة التى انحرف فيها بنو إسرائيل عن موسى وتمردوا عليه ودارت أعينهم بحثاً عن رئيس حتى استقرت عليه هذا السفاح الذى أساس له العنق من هذه الجماعة إشباعاً لما فى نفوسهم من أهواء مالت بهم إلى انتهاج منهجه فى معاملة من سواهم من الناس ثم راحوا يلقون له خطوات سجلتها عليهم « توراتهم » هذه التى تتحدث عنه قائلة بأنه صعد مع موسى إلى قمة ذلك الجبل ثم عاد بدونه وأعلن أن موسى لن يعود أبداً وما ذلك إلا لأنه قد خان « إله إسرائيل » فغضب عليه وقال له ... « اصعد إلى قمة عباريم من جبل نبو .. ومت هناك ! » .

ولكن لما كان بنو إسرائيل قد وجدوا أن فى الالتصاق باسم موسى ما يمنحهم بين الشعوب حيثية وكياناً وبالتالى وسيلة إلى تحقيق مآرب لهم وغايات فقد اتخذوا موسى رمزاً وأبوا إلا أن يظهروا بأن الأيام لا تزيدهم بموسى إلا تعلقاً وله استقطاباً وأما واقع الأمر وحقيقته فليسوا هم إلا يشوعيين قلباً وقالباً ،

سياسةً وميولاً ، عقيدةً وديناً ولا صلة لموسى ، عليه السلام ، بهذا الدين اليهودى الحالى على الإطلاق !... ومن أين جاءت هذه الصلة وهذه هي «توراتهم» التى يفترونها عليه وينسبونها إليه تنتهى إلى أن ترمى هذا الرسول الكريم بالخيانة وبغضب «يهوه» ، إله إسرائيل ، عليه ؟ ! .

كلا ! . ولا تقف «توراتهم» هذه عند هذا الحد من التطاول على هذا الرسول الجليل وإنما هى قد أقصته عنها بهذا النص الذى وجهته إليه قائلة «إصعد إلى الجبل . . ومت هناك» وذلك كما أقصت من قبل هارون ، ذلك النبي الجليل الذى حدثنا عنه هذه «التوراة» بأن «الأمر بموته» فى الجبل قد صدر أيضاً على نفس هذه الصورة فى أعقاب ذلك اليوم الذى فزع فيه إلى أخيه يستنجد به منهم ويناديه :

« . . استضعفونى وكادوا يقتلونى ! . . . لا تجعلنى مع القوم الظالمين ! » ^(١)
حقاً ! . .

حقاً لقد صدقت فيهم فإساة موسى يوم أشاح عنهم إلى الله رب العالمين يتضرع إليه ويناديه :
« رب ! إني أملك إلاّ نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ! » ^(٢)
حقاً ! . حقاً لقد فسق بنو إسرائيل يوم تمردوا على موسى ومالوا عنه إلى يشوع ، ولذلك :

« . . باءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ! . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ! . » ^(٣)

(١) الآية « ١٥٠ » من «سورة الأعراف»

(٢) الآية « ٢٥ » من «سورة المائدة»

(٣) الآية « ٦١ » من «سورة البقرة»

حقاً ! . حقاً لقد فسق بنو إسرائيل يومَ مالوا إلى يشوع في ميل
عن موسى لتلحق بهم لعنة هذا الرسول الكريم الذي نعتهم بالجحود ولهم ؛

« . . قال ؛ بثماً خلفتموني من بعدى ! » ^(١)

وأما كيف تمكنت هذه الطائفة الدينية ، أتباع يشوع بن نون ،
من إيهام العالم بأنها دينها اليسوعي هذا إلى موسى تدين ؟ فتلك بدعة جرت
بها الأفلام في أيدي سبط يهوذا وهم في أسر الفرات يعبثون بها الطريق إلى
إعادة « مملكة اليهودية » من جديد فليس إلا ليصبغوا دعواهم بصبغة شرعية
راحوا يأملاء من نزعاتهم هذه يسطرون هذه « التوراة » وينسبون لها إلى موسى
وهو بريٌّ منها ومن كل ما جاء فيها من خش وسفه وإسفاف وانحلال واستهتار
وترهات والتي ليس إلا من نصوصها ينتزع اليهود حقاً دينياً موهوماً في
فلسطين هو هذا الذي يدّعون أنه ، اليوم ، حقاً روحانياً ! ..
ومن ثمّ ! ..

من ثمّ ، فقد آن لنا الآن أن نحاصر هؤلاء اليهود أتباع يشوع
ابن نون بالأدلة والبراهين ونلقى أضواء التاريخ على هذه « الحجة » التي تسجل
هذا « الوعد » الذي يجعلونه قد أتى إليهم من « إله إسرائيل » ، ونكرّر
القول من « إله إسرائيل » لأننا لا نستطيع أن نفرض الطرف متجاهلين ما
تحمله هذه الجملة القائلة « . . . أعطانا إياها الله » من معنى نعلم به تمام العلم ،
كما يعلمون هم أيضاً هذا العلم نفسه وبه يعترفون ، بأنّ المقصود بكلمة الله هنا
ليس إلا « يهوه » رب إسرائيل . . . فنتساءل ؛

هل لليهود حق روحانيّ ، ومن ثمّ دينيّ ، في فلسطين ؟ ..

هذا السؤال هو الأخير وهو الأهمّ . . . فيالئ المقياس الأخير من ثمّ
وإلى الحجة الفاصلة في « قضية فلسطين » نأتى الآن . . . ومن هنا يتحتم علينا أن

(١) الآية « ١٥٠ » من « سورة الأعراف »

نضع عقيدة « الأرض الموعودة » في ميزان التاريخ وأن نسلط للتاريخ أشعة على هذه « الحجة » التي تحمل هذا « الحق الروحاني » سابرين ماهيتها من حيث الحقيقة والبطلان وبذلك نضع ؛

« الأسفار الخمسة » أو « التوراة »

تحت أضواء التاريخ

تصدر « الأسفار الخمسة » الكتاب « المقدس » للدين اليهودي الحالي والنصوص من هذه « الأسفار الخمسة » الحاملة اسم « التوراة » هي الحجة الوحيدة التي يبني عليها يهود العصر الحاضر مطالبهم والصهاينة مشاريعهم اعتماداً على أن كل نص من نصوصها يعود إلى موسى متناسين أنهم قد رموه بالخيانة وبغضب « الرب » عليه وأنهم ليس إلا ليعطوا دعواهم الصبغة الشرعية نسبوا هذه « التوراة » إليه وجعلوا النصوص منها إملأً صدر إليه عن « يهوه » إله إسرائيل ! .

كلا ! ..

كلا ، لن نتناول في هذا الصدد البحث في أمر صدور هذه « الأسفار » عن رب اسمه « يهوه » لا لأننا لا نؤمن بوجود هذا الرب الخرافي « يهوه » فحسب وإنما لأن الأخرى بنا أن نبعث أولاً ونثبت ثانياً عما إذا كانت هذه « الأسفار » ، حقيقةً ، صادرة عن موسى ! .

أين البرهان ؟ .

عَبثًا تُقَلَّبُ اليَدُ مِنْهَا الصَّفَحَاتُ تَلُو الصَّفَحَاتُ مِنْ هَذِهِ

« الأسفار » بِحُجَّتِ عَنْ هَذَا الْبَرْهَانِ فَلَا تَعَثُرْ إِلَّا عَلَى النَّقِیْضِ .. !

كلاً ! .

كلاً ، لا برهان هناك يأتي من ثنايا هذه « الأسفار » على أنها قد أُمليت على موسى إملاءً من غيره أو حتى أن موسى كان قد أملاها ، على غيره ، ! .. وإنما على العكس وعلى النقيض كل حرف منها يُنادى ويصرخ بالاعتراف بأن نسبتها إلى موسى إنما هي نسبة خاطئة كل الخطأ ! .. لا لما تنتهى إليه من فحش القول بقذفها موسى ، عليه السلام ، بالخيانة وبغضب الرب عليه فحسب وإنما لأن نسبتها إلى هذا الرسول الكريم هي نسبة خاطئة من الجهة التاريخية ! ..

هذه هي الحقيقة الصارخة التي تطلع علينا ونحن نلقى أضواء التاريخ على هذه « الأسفار » وتسلسل بما تحتويه من نصوص في نسق تاريخي متسلسل يجعلها تفصح بنفسها عن نفسها في اعتراف صريح بأن أكثر من مؤلف من « سلالة يهوذا » وأعضاء « بيت داود » قد اشترك في كتابتها وأن عهوداً من الزمن طوالاً كانت تفصل بينهم وبين موسى ! . وبرهاننا الأول على أن هذه الأفلام اليهودية لم تجر في أيدي مؤلفي هذه « الأسفار » إلا بعد اكتساح الغزو البابلي لأورشليم وإدالة « دولة يهوذا » وحمل أبناء يهوذا أسرى من ظلال صهيون إلى ضفاف الفرات هو أن شرياناً واحداً يجري فيها لا يمجّد إلا يهوذا وسلالة يهوذا ولا يستهدف إلا إعادة « مملكة يهوذا » إلى الوجود من جديد ! . واستهدف هذا الهدف هو الذي حدا بهذه الأفلام إلى تعهد فكرة « الأرض الموعودة » وإتمامها إلى عقيدة أبوا الآتطاولاً بها على الفرات والنيل ، كما أملت ذلك عليهم عقدة نفسية في صدورهم سجلوها بأيديهم على أنفسهم يوم جلسوا في رسف هذا الأسر على شاطئ الفرات يتأملون ما قد آل إليه حالهم من حال

ابتمث في ذا كرتهم ذكرى حالٍ آخر مماثل كان في أرض النيل للآباء
فاستشاطت جوانبهم بنيران النعمة على النيل وعلى الفرات وراحوا يوحى من
مخيلة محمومة يتخذون هذه «العقيدة» وسيلةً إلى غاية انحصرت في إعادة بيتهم هذا ،
«بيت داود» ، إلى الملك من جديد فتعود به «مملكة اليهودية» إلى الوجود !..
وهذا مما يجعل القول بنسبة هذه «التوراة» إلى موسى هو ، بعينه ، الامتراء
والافتراء والبهتان ! ..

الدلائل ؟ ..

إن الدليل على انتفاء نسبة هذه «الأسفار الخمسة» إلى
هذا الرسول الجليل يأتيها مما تذكره نصوص هذه «الأسفار» نفسها من مجريات
أحداث ومن أسماء بلدانٍ وقبائلٍ ومن تاريخ ملوك .. ومن ثم حتم علينا أن نتناول
كل «سفر» من هذه «الأسفار الخمسة» على حدة مستهلين بالأول منها ، فنضع :

« سفر التكوين »

تحت أشعة التاريخ

في هذا «السفر» المسمى بالعبرية «براشيث» ، وم معناها
«البدء» نسبة إلى الكلمة التي يبتدئ بها ، توجد كلمة ينهار بها الركن الأول
من نسبة هذا السفر إلى موسى .. إذ يتبين لنا بها من الوجهة التاريخية أنه «سفر»
قد كُتب بعد عهد موسى بزمان غير قصير وهذه الكلمة هي :

« دان »

هذه المنطقة في فلسطين والمسمّاة «دان» كانت تُعرف حتى «عهد
القضاة» ، وعلى وجه التخصيص عهد «شمشون» ، باسمها الكنعاني «لأيش» .

وكان ، حتماً ، هذا اسمها في عهد موسى لأنها لم تُسمَّ « دان » إلا في أعقاب وفاة شمشون سنة ١١٢٠ ق . م . ! ..

البرهان ؟ ..

إنَّ البرهان مُستمدّ من نفس هذا « الكتاب المقدس » للدين اليهودي الحالى والذي بـ « شرعيته » يتحدّانا الصهاينة ويستمدون منه هذا « الحق الروحاني » الذى له يدعون بل ومنزع من سابغ سفر فيه وهو المسمى « سفر القضاة » . . فهذا السفر ، « سفر القضاة » ، الذى يأتى بعد « سفر يشوع » مبائرة يتحدّث فى الإصحاح الثامن عشر عن « قبيلة دان » قائلاً بأن هذه القبيلة قد ظلت حتى « عهد القضاة » تضرب عصا الترحال من مكان إلى مكان ويهيم أفرادها حيارى بين كل هذه الجهات حتى استقرت أعيانهم فى أعقاب وفاة شمشون على « لايش » وما لبثوا أن هاجموا وقتلوا اهلها وأحرقوها ثم بنوا على أنقاضها مدينتهم الجديدة هذه التى نسبة إلى أبيهم القبلى ، « دان » ، سموها « دانا » . . !

وهذه هى النصوص من « السفر » المُشار إليه تحدّثنا كيف ؛
« .. هبّ الخمسة الرجال وجاءوا إلى ، لايش » ! .

ثم ؛

« .. ارتحل من عشيرة الدانيين .. ست مئة رجل مُتسلحين بعدة الحرب وصعدوا وحلّوا . لذلك دعوا ذلك المكان محلّة دان » ! .

ومن ثمّ ..

حسب هذا التوقيت التاريخى نجد أن اللؤاف الذى كتب « سفر التكوين » ، هذا السفر الأول من « الأسفار الخمسة » المنسوبة إلى موسى

والذى يفتزع اليهود من الإصحاح الخامس عشر فيه هذا « الحق الروحانى »
الذى يدعون لهم فى فلسطين ، لابد وأنه قد عاش بعد أن قويت « قبيلة دان »
وتمكنت من الزحف على « لآيش » واحتلالها . ولما كانت « لآيش »
لم تصبح « محلة دان » إلا بعد وفاة شمشون فإن هذا البرهان كف على أن هذا
« السفر » لا يعود إلى عهد موسى وإلا فكيف يمكن أن يحى الذكر فيه
عن « دان » على لسان موسى وتكن على عهد شمشون مدينة باسم « دان » لم
حتى تكون على عهد موسى ؟ ..!

ثم ..

ثم ، إلى جانب هذا البرهان يتى برهان آخر ينبع من أغوار
الترتيب التاريخى نفسه ومكانه من نفس هذا « السفر » ، « سفر التكوين » ،
الإصحاح السادس والثلاثون الذى يستهل الحديث بذكر الترتيب النسبى لنسل
عيسو الإبن الأكبر لإسحاق والذى ، كما تغير اسم يعقوب إلى إسرائيل ، كان
قد تغير اسمه ، أيضاً ، من عيسو إلى « أدوم » ثم ، بالتالى ، كما أصبح نسل
إسرائيل يعرف بالإسرائيليين أصبح نسل أدوم هذا يعرف بالأدوميين . . . وعلى
قائمة طويلة بأسماء هؤلاء الأدوميين يشتمل هذا الإصحاح حتى ينتهى بنا فى
الحديث عنهم إلى كيف توالى عليهم الأزمان فكونتهم إلى قبائل وعشائر
مكنتهم بعد ذلك من احتلال « جبل سعير » حيث أقاموا فيه لأنفسهم ملكاً
مستقلاً من ملك بنى إسرائيل . . . ثم ، بعد أن يحصى كاتب هذا الإصحاح
« أبناء أدوم » يقول :

« وهؤلاء هم الملوك الذين مَلَكَوا فى أرض أدوم قبلما مَلَكَ مَلِكُ

لبنى إسرائيل ١ . »

ومن ثم . . .

حسب هذا الترتيب اللّسبى نجد أن هذا المؤلف نفسه الذى كتب هذا «السفر» الأول من أسفار خمسة نُسبت ، زورا ، إلى موسى لم يعش بحسب فى أعقاب « عهد القضاة » وإنما هو قد شاهد « عهد الملوك » ! . لا بد وأنه قد عاش بعد أن قام ملك فى بنى إسرائيل وإلا فكيف يتسنى التحدث عن ملوك إسرائيل ما لم يكن قد قام ملك فى إسرائيل ؟ ! .

وإذن . ! .

إذن ، فمن اليقين المنطقي أن العهد الذى كُتب فيه هذا « السفر » لا يمكن بأى حالٍ أن يكون العهد الذى عاش فيه موسى ! . وإلا فكيف يمكن أن تجرى على لسانه ، عليه السلام ، قائمة بأسماء ملوك أدوم ومناطق حكمهم وعلى عهده وفى زمنه لم تسكن توجد تلك المناطق ولا كان الملوك أدوم قد بدأ عهد ؟ ! .

ثم ، كيف يمكن أن يجرى على لسانه ، عليه السلام ، أى ذكر لملك قام فى إسرائيل وهذا عهد بدأ بـ « شاول » عام « ١٠٠٧ » ق . م وتفصله عن عهد موسى فترة زمنية استوعبت حقبة من الأجيال تربو على اثني عشر قرناً من الزمان ؟ ! .

ومن ثمّ فهذا برهان ثانٍ يُؤيد البرهان الأول وينهار به ركن آخر من نسبة هذا « السفر » إلى عهد موسى فى نفس الوقت الذى يرجح فيه لدينا الرأى بأنه « سفر » قد كتب فى عهدٍ أعقب انهيار « مملكة يهوذا » وزوال ملك « بيت داود » والبرهان على ذلك كلمة نلتقطها من نفس هذا « السفر » نفسه وتاريخها لا يتجاوز نفس هذا التاريخ ، وهذه الكلمة هى ،

« الكلدان »

يتحدث مؤلف « سفر التكوين » في إصحاحه الحادى عشر قائلا بأن « أبرام » قد خرج من « أور الكلدانيين » . . ولما كان هذا الاسم ، الكلدان ، لم يعرف فى صفحة التاريخ الجغرافى إلا بعد أن سقطت « نينوى » عام ٦٠٦ ق . م فإن هذا يؤكد لدينا اليقين بأن مؤلف هذا « السفر » قد عاش فى فترة زمنية جاءت حتما بعد أن انتهى الوجود السياسى لأشور وحل الكلدانيون محل الآشوريين ! . وبما أننا نعلم أن الكلدانيين قد حلوا مكان الآشوريين لدى ثلاثة أرباع قرن من الزمن « ٦٠٦ — ٥٣٩ ق . م » وأن بابل قد استعادت فى خلال ذلك مكانتها السياسية القديمة كعاصمة للعالم السامى فمكنت ملكها « نبوخذ نصر » الثانى من تحطيم أورشليم سنة ٥٩٦ ق . م ونقل من نقل من أهل اليهودية فى أصفاد الأسر إلى ضفاف الفرات وأن فى خلال هذه الفترة الزمنية المشار إليها آنفاً قد عرف العالم القديم اسم « الكلدان » وطلع على التاريخ اسم « الكلدان » فإننا من هنا نستطيع أن نقول إن هذا « السفر » ، « سفر التكوين » ، لا يعود بتاريخه إلى عهد موسى ولا صلة لموسى به على الإطلاق ! . .

والآن ؟ . .

الآن ، وقد أنهى الركن بعد الركن من بناء هذا « السفر » الأول من « الأسفار الخمسة » المنسوبة إلى موسى فتصدع الصرح نفسه من « عقيدة الأرض » بل وتقوض ووقفنا على أساس له لا يعود إلا إلى عهد متأخر عن عهد موسى ، أفلا نستطيع أن نعلى الصوت قائلين إن الشرعية تنفى عن « سفر التكوين » انتفاءً قاطعاً لا شك فيه ؟ ! .

ومن ثمَّ . .

ما هو حكم المنطق العالمى على دعوى اليهود ومطالب

الصهاينة ومطالبهم ودعواهم ليست إلا من هذا «السفر» نابعة ، وعلى الإصحاح الخامس عشر فيه إنما عقيدة « الأرض الموعودة » قائمة ؟ ! .

ما هو حكم الرأى السياسى على « دولة » لم تتخذ مبدأ وجودها إلا على أساس من هذا « الحق الروحانى » وسجله هذا النص الأسطورى الوارد فى الإصحاح الخامس عشر فى نفس هذا « السفر » وهو الذى جاء فى صورة ذلك « الميثاق » ومكانه كان رحاب المنام آمراً بأخذ « عجلة وعنزة وكبش وحمامة وبمامة » علامة على منح حنفية من الناس ، لا وجود لها اليوم فى صفحة الزمن ، كل رقاد هذه « الأرض الموعودة » و « من نهر مصر إلى نهر الفرات » ؟ ! .

ثم . . . ما هو حكم أتباع يشوع بن نون ، هؤلاء اليهود الصهاينة والصهاينة اليهود أنفسهم ، على هذا « السفر » . . هذا « السفر » الذى يحملونه بيدهم ويقدمونه للعالم بدعوى أنه الحجة الشرعية التى تسجل لهم « حقاروحانياً » جاء وعداً فى منام ولفتة من الناس طوتهم راحة الزمن وانسدل عليهم جفن الأيام ؟! كلا وليس هذا فحسب وإنما هذا « الوعد » الذى جاء فى منام وجماعة لا تربطها بهؤلاء الأدعياء إلا صلة العقيدة الدينية لم يسكن فى واقعه إلا حلمًا حاكته عقدة نفسية عقدها الأسر البابلى فى صدور أصحاب « مملكة اليهودية » من أعضاء « بيت يهوذا » أنفسهم ! .. فهو حلم طاف على جبين سلالة يهوذا وهم فى الأسر البابلى قد جاسوا على شاطئ الفرات يتذاكرون حالاً راهناً لهم تساوى فى نظرهم بحال آباء لهم وأجداد عاشوا الزمن ، أيضاً ، مستعبدين على ضفاف النيل . . . تماثلت الحالتان فى الخيلة الأسيرة بينما كان الأمل بإعادة « مملكة يهوذا » والعودة إلى صهيون يراود من أصحاب هذه الخيلة الجنن فهدرت

الصدور بحجم النقطة على النيل معاً والفرات وجرت الأقلام في اليد المحمومة بإملاء من خيال جانح تسطّر بدعة « الأرض الموعودة » وتمدّ رقعة هذه الأرض من الفرات إلى النيل ! .

والآن ! ..

الآن وقد تبين لنا أن « السفر » الأول من هذه « التوراة » ، التي يعتبرها يهود العالم صكاً في أيديهم يمنحهم امتلاك كل الرقاع المرتسمة في إطار الفرات والنيل ، ليس من الوجهة التاريخية إلا صكاً باطلاً تنقضه من الأساس نفسُ نصوصه التي لا تمت إلى موسى بصلة على الإطلاق ، كلا ؛ وليس هذا فحسب وإنما هو صك خرافي كتب بقلم يهودى في غضون أسر الفرات وبإملاء خيالٍ طاح إلى الماضي فنذكر عهداً كان لآباء له وأجداد طوام فيه أسر النيل لأجيال فهب محموماً ينادى بأنه سيطوى معاً النيل والفرات ، فليس إلا اثنين مدي ضعف الدعائم التي تستند إليها الصهيونية العالمية وميد الأسس التي يرتكز عليها بناء « دولة إسرائيل » وليس إلا ليتلاشى من جبهة العالم ، بتلاشي القدسية عن هذا السفر ، وهم هذا « الحق الروحاني » فيتلاشى بذلك لهذه « الدولة » الأسطورية وجود لا يقوم إلا على أساس من هذا « الحق الروحاني » الموهوم ! ..

والآن نتناول السفر التالي من هذه « التوراة » فنضع ؛

« سفر الخروج »

تحت أشعة التاريخ

في هذا « السفر » المسمى بالعبرية « شموث » ، ومعناها أسماء ، توجد كلمة ينهار بها الركن الأول من بناء هذا « السفر » إذ يقين لنا أنها أن نسبته إلى

موسى ، عليه السلام ، إنما هى نسبة خاطئة أيضاً من الوجهة التاريخية ، وهذه الكلمة هى ؛

« فلسطين »

هذه المنطقة من الشرق الأوسط كانت تعرف فى التاريخ القديم باسم « أرض كنعان » وكان ، حقاً ، هذا اسمها فى عهد موسى ، عليه السلام ، لأنها لم تسم « فلسطين » إلا بعد الغزو الكريتي بأجيال ؛ الغزو الذى وإن كان قد بدأ سنة ١٢٠٠ ق . م فأنما هذا الاسم ، فلسطين ، لم يطلع على صفحة التاريخ الجغرافى إلا بعد أن قويت قبيلة « فيليستيا » ، وكانت بين هذه القبائل اليونانية التى جاءت عبر كريت ، حتى استطاعت إخضاع الكنعانيين وحتى أمكنها أن تطلق اسمها على جميع هذه الأراضى الساحلية والداخلية التى كان يسكنها الكنعانيون ! ..

ومن ثمَّ ..

حسب هذا التوقيت التاريخى نجد أن المؤلف الذى كتب هذا « السفر » الثانى من « الأسفار الخمسة » المنسوبة ، زوراً ، إلى موسى لا بدَّ وأنه قد عاش فى فترة زمنية جاءت بعد أن سادت قبيلة « فيليستيا » على جميع تلك القبائل وتمكنت من السيطرة السياسية على كل هذه الأرجاء ، وهذا مما يجعلنا نقول بأنَّه من المستحيل ، تاريخياً ، أن يكون موسى صاحب هذا السفر !

كلاً ؛ ولا يمكن بحال أن يكون صاحب تلك النصوص التى جاءت فى الإصحاح الخامس تقول بأنَّه قد رفع هذه الترنيمة إلى « إله إسرائيل » متغنياً ؛ « أَرَمِّمِ للربِّ فَإِنَّهُ قد تعظَّم .. تأخُذ الرعدة سكان فلسطين » ! ..

لا جدال ، من ثم ، في أن الاعتقاد بنسبة هذا « السفر » إلى موسى ، عليه السلام ، هو في الواقع الوقوع البين الغلط في التاريخ ! .

ثم ..

ثم ، إلى جانب هذا البرهان يأتي برهان آخر مستمد ، أيضاً ، من نفس هذا « السفر » ومكانه الإصحاح السادس عشر القائل :

« وأكل بنو إسرائيل المنّ أربعين سنة حتى جاءوا إلى أرض عامرة . أكلوا المنّ حتى جاءوا إلى طرف أرض كنعان ! .. »

ومن ثم ..

إذا كان موسى ، وفقاً لنصوص أخرى ستوافينا بعد قليل ، قد توفي في موآب وأرض موآب كانت غير عامرة ولا تقع في طرف أرض كنعان ولم يكن إلّا يشوع بن نون هو الذي بلغ بهم هذه الأرض العامرة وجاء بهم إلى طرف أرض كنعان فيكون الاستحالة بعينها أن موسى ، عليه السلام ، هو صاحب هذا « السفر » ! . وإلا فكيف يتسنى لمحدث أن يتحدث عن حدثٍ حَدَثَ بعده بسنين إن لم يكن بقرونٍ أو بأجيال ؟ ! .

ثم ..

ثم إلى جانب هذا البرهان يأتي ، أيضاً ، برهان ثالث وهذا ينبع من تاريخ كتابة اللغة العبرية نفسها .. إن الكتابة في اللغة العبرية حديثة العهد نسبياً لأنها لم تُبتكر إلّا بعد عهد موسى ببضعة قرون . ومن ثمّ فما هو حكم التاريخ اللغوي على هذا النصّ الذي يحى في الإصحاح الرابع والثلاثين من نفس هذا « السفر » يقول بأن موسى قد ؛

« .. كتب على اللوحين كلمات العهد ؟ ! . »

كيف يقسنى أن يكون موسى ، عليه السلام ، قد كتب كتابة لم تكن قد تكونت بعد والحروف منها لم تكن قد خطت على صفحة التاريخ؟! .

ثمّ ..

ثمّ ، إلى جانب هذا البرهان على حداثة هذا « السفر » يأتي برهان آخر وهذا تمثله مجموعة الإصحاحات التي تُكوّن نفس « سفر الخروج » . . .

يحدثنا هذا « السفر » بأن « الرب » قد كلّم موسى ، في خلال ذلك التيه لأربعين سنة في الصحراء ، قائلاً بأنه قد عين « بصلاييل » من سبط يهوذا صائغاً ليعمل في الذهب والفضة والنحاس ونقش حجارة للترصيع ونجارة الخشب.. وأنه على الفور صدع بالأمر وبدأ في عمل أكاليل من الذهب الخالص وصحاف وصحون وكاسات من ذهب نقيّ وسلاسل مجسّدة من ذهب نقيّ وجلال من ذهب نقيّ وصفائح من ذهب نقيّ ومئارة من ذهب نقيّ ومائدة رُصّت عليها أوانيها من ذهب نقيّ ! .
ما هذا الخلط ؟ ! .

كيف يتأتى لهؤلاء الذين كانت تتقاذفهم متاهات الصحراء أن يصوغوا كل هذا الذهب ؟ ! . بل ومن أين كان لهم كل هذا الذهب ؟ ! . وكيف يتأتى لهؤلاء الذين كانوا لا يجدون إلا « المن » طعاماً أن يصوغوا للمائدة أدوات كلها من ذهب ؟ ! .
ثمّ . . .

من أين كانت هذه الحجارة الكريمة التي يكيّلها كيلاً الإصحاح السابع والعشرون من هذا « السفر » ؟ ! .

من أين كان لهؤلاء كل هذا الزبرجد والزمرّد والياقوت
الأصفر والياقوت الأزرق !؟.

من ثمّ !.. فلا جدال في أن المؤلف الذي كتب هذا « السفر » لا بدّ
وأنه قد عاش في فترة من الزمن متأخرة بكثير عن فترة ذلك التيه الذي يحدثنا
عنه ! .. بل لا بدّ أنه قد عاش بعد انهيار « مملكة يهوذا » وأمسى ذكر
الصعاف من الذهب والحلى من الأحجار الكريمة التي كانت للملك « يهوذا » مادة
لستوره هذه التي أبى بها ، أيضاً ، إلا أن يفرغ كل ذلك في يد واحد من أبناء
يهوذا .. ولما لم يجد من اليهوديين أحداً في عهد موسى إلّا « بصلائيل » فقد
جمعه صائفاً وأفرغ بين يديه كل ذهب وجوهر « ملك يهوذا » ! .
ثمّ ..

إلى جانب هذا الحديث عن الجوهر وعن الذهب يحدثنا
نفس هذا المؤلف عن لون آخر من البذخ مادته تلك الثروة الحيوانية التي يدعى
أنها كانت لبني إسرائيل خلال تلك المسفحة التي يحدثنا نفس هذا المؤلف عنها
ويقصّ علينا كيف كابدوا متاعبها في تلك المتاهات حيث عضهم الجوع واشتهوا
اللحم ولم يجدوا إلّا « النّ » قوتاً ! ..

يزخر « سفر الخروج » بأصناف من الضحايا التي كانت ، على
حدّ قول مؤلف هذا « السفر » ، تخبّئ بها تلك الجماعات إلى باب « خيمة
الاجتماع » من ثيران وبقر وكباش وماعز وغنم وتيوس ودجاج وحمام ويمام
ومن طواجن ومن أقراص الفطير ومن رقاق الفطير ومن الدقيق الملتوت بالزيت ..
إننا لنسأل ؛

من أين كان لهؤلاء الذين شحّت عليهم السماء

إلا من قطرات «المن» ، هذا الثراء الغذائي في ألوان المأكول وأصناف اللحم؟! .
كيف أمكن أن يكون ذلك في فترة رقت فيها مجاعة طاحنة
وأن تكون هذه الثروة الغذائية في متناول أيدي جماعة جائعة ضالّة في صحراء
لا تجد في فيافيها غير المنّ طعاما وغذاء وما كلاً؟! .

وإذن! ..

ما هو حكم المنطق العالمي على هذا «السفر» المنسوب
زوراً إلى موسى ولليهود الصهاينة دعاوى وللصهاينة اليهود مطالب ليست إلا
من وهم القدسية التي تحفّ بهذا «السفر» مستمدة ونابعة ؟ . .

ما هو حكم العقل على هذا «السفر» وأيس إلا من سراب
القدسية التي تُكونه قد تكونت عقيدة «الأرض الموعودة» ؟! .

وما هو حكم الرأي العالمي على جماعة هي بهذا «السفر» تنسب
وله بالقدسية تغلف وفي وجه العالم تشهره حجّة شرعية تدعى بها «حقاروحانياً»
لها في أرض تترامى في أحضان الفرات والنيل ؟! .

ها هو ذا «سفر الخروج» أمامكم وقد خلا من كل منطق
فأى منطق ، بعد ذلك ، هذا الذي يقول بقدسية «سفر» لا يعود إلى موسى
ولا منطق فيه ؟! .

والآن . .

الآن وقد أذابت أشعة التاريخ القدسية الوهمية التي أحاطت
بهذا «السفر» فذابت بذلك الشرعية عن هذا السفر الثاني من أسفار هذه
التوراة المفتراة فليس إلا لنجد أنه قد آن لنا أن نتناول «السفر» الذي يتلوه

وبذلك نضع :

« سفر اللاويين »
تحت أشعة التاريخ——

في هذا « السفر » المسمى بالعبرية « ويقرا » ، أى « ودعاً » ، توجد كلمة ينهار بها الصرح نفسه من هذا السفر ، إذ يتبين لنا بها أنه « سفر » ، كسابقه ، باطل النسبة إلى موسى وإلى عهده ، عليه السلام ، بتاريخ كتابته لا يعود . . وهذه الكلمة مكانها الإصحاح الخامس القائل بأن « الرب » قد كلم موسى قائلاً :

« . . إذا خان أحد خيانة . . . يأتى إلى الرب بذبيحة لاثمه كبشاً صحيحاً من الغنم بتقويمك من شواقل فضة على شاكل القدس ! . »

من المعلوم أن مدينة القدس لم تسكن قد فتحها اليهود بعد كما هو المفروض عندما جاء هذا النصّ المنسوب إلى موسى . ولما كنا نعلم أنه لم تضرب في القدس عملة إلا بعد أن احتلها اليهود فيكون الكلام في عملتها مقدماً خطأ في الترتيب الزمني للحوادث ! . . ومن ثمّ فيقينا أن المؤلف الذى كتب هذا « السفر » لا بدّ وأنه قد عاش في فترة من الزمن جاءت بعد أن دخل اليهود القدس وضربت في القدس عملة . . وعلى ذلك يكون هذا « السفر » باطل النسبة إلى موسى ولا يمكن بأيّ حال أن يكون صاحبه موسى ! . .

والآن . .

الآن وقد أذابت أشعة التاريخ القدسية عن « سفر

اللاويين » نوجدنا نقاول « السفر » الرابع من هذه « التوراة » فنضع :

« سفر العدد »

تحت أشعة التاريخ

في هذا « السفر » المسمى بالعبرية « بمدير » ، نسبة إلى ما يشتمل عليه من تعداد « بنى إسرائيل » عند طردهم من مصر ، توجد جملة لو تنبه إليها الباحثون من حول موضوع نسبة هذا « السفر » إلى موسى لما كان قد طال بينهم الجدل والجدل . وهذه الجملة مكانها الإصحاح الثانى والعشرون والتي تجىء في صدد الحديث عن بالآق بن صفور ملك موآب وتحدثنا عن تراجمه مخافة محاربة موسى . ولما كان هذا قول يجعل بالآق معاصراً لموسى وكان من المفروض ، بالعالى ، أن موسى على حد ادعاء هذا المؤلف هو صاحب هذا « السفر » وأنه هو نفسه المتحدث فكيف يتسنى أن تجىء هذه الجملة التي تدل دلالة قاطعة على حداثة هذا « السفر » وهى القائلة :

« وكان بالآق بن صفور مَلِكاً على مُوآب فى ذلك الزمان !؟ »

من ثم ! .

لا شكَّ فى أن المؤلف الذى سطر هذه العبارة لا بدَّ وأنه قد عاش فى فترة زمنية بعيدة كل البعد عن الرواية التى يرويها بدليل أنه يقول . « .. فى ذلك الزمان ! . »

أى زمن تُراه كان هذا الزمن الذى يتحدث فيه مؤلف هذا :

« السفر » عن « .. ذلك الزمان » ! ؟ .

لا جدال فى أن « .. ذلك الزمان » كان زمناً طالت بينه

وبين هذا المؤلف المسافات وإلا لما كان قد تحدث عنه بصيغة الماضى البعيد ! .

وهذا برهان منطقي على أن هذا «السفر» الرابع من أسفار هذه «التوراة» الحالية لا صلة لموسى ، عليه السلام ، به على وجه الإطلاق ولا يمكن بحال أن يكون صاحبه موسى ! ..

والآن ..

والآن وقد أذابت أشعة التاريخ الشرعية عن «سفر العدد» وبانتفاء نسبته إلى موسى انتفت عنه القدسية نجدنا متساؤل «السفر» الخامس الذي تكتمل به هذه «التوراة» المفتراة فنضع :

« سفر التثنية »

تحت أشعة التاريخ

في هذا «السفر» المسمى بالعبرية «دبريم» ، أى «إعادة» ، ينبغ بنا الفكر ذروة الإغراب إذ نقرأ في هذا الجزء من هذه التوراة ، المنسوبة زوراً إلى موسى ، هذا النص ؛
« فأت هناك موسى . . . ودَفَنه في الجواء في أرض موآب مُقابل بيت فغور .

ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم ! . . »

بهذا الإصحاح الرابع والثلاثين والأخير من آخر «الأسفار الخمسة» نُختتم «التوراة» . . فنطويها جانباً ونطرق للعظة ثم نهب ونسأل ؛
كيف قبلت العقول الاعتقاد بأن موسى ، عليه السلام ، هو صاحب هذه «التوراة» ؟ ! .

كيف يُعقل أن يكون موسى هو ، حقاً ، صاحب هذه التوراة

أو المؤرخي إليه بها ومن غير المنطقي أن يتحدث إنسان ، كائن من كان ،
عن موته ودفنه قبل حدوث هذه الأحداث ؟ ! . كلا وليس هذا لحسب ، وإنما
كيف يمكن أن يتحدث موسى عن قبره ، نفسه ، ويقول ؛
« ... ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم » ! . .

« ... إلى هذا اليوم » ؟ ..

حقاً أن هذه العبارة الأخيرة تحمل البرهان القاطع
على أن هذا « السفر » قد كتب في عصر متأخر جداً عن عهد موسى ، عليه
السلام ، بدليل أنه لم يعد يُوجد أحد يعرف أين مكان قبر هذا النبي
الجليل . . !

والآن ..

الآن وهذه هي أضواء التاريخ قد ألقيناها على هذه
« التوراة » التي يتداولها يهود اليوم وهذه هي أشعته قد سلطناها على كل
« سفر » من هذه « الأسفار الخمسة » على حدة في تركيزٍ على النصوص التي
تستقيم بها الحجة على انتفاء القدسية عنها وبطلان نسبتها إلى موسى ، عليه
السلام ، أفلا نستطيع ، بعد ذلك ، أن نعلى الصوت قائلين ؛

لقد تقطّع الخيط الوحيد الذي يربط الصهاينةُ به أنفسهم بفلسطين
وانقطع قتهاوى هذا « الحق الروحاني » وهوى في هاروة الأضاليل فلا شئٌ
يبقى ، بعد ، من مقومات هذه « الدولة » التي لم تقم إلا على أساس وهى من
إيهام العالم بهذا الحق الموهوم ؟ ! .

أى شئٌ يبقى ، بعد ، من مقومات هـذه
الأضالوة المسماة « إسرائيل » وقد وهت الحجة الوحيدة التي يربط اليهود بها
أنفسهم بفلسطين ؟ ! .

إليكم هذه « التوراة » ! ..

ها هي ذى « التوراة » ، التى يستمد منها الصهاينة مطالبهم ويعتبرها يهودُ العالم الحاضر أجمع ، سواء أظهروا صهيونيتهم أم خافوا فأخفوها ، حجة شرعية تمنحهم فلسطين منحة أبدية ، قد تكشّفت فى واقع التاريخ الصحيح عن حجة باطلة ومن ثمّ غير شرعية ... فلقد وضعناها فى ميزان التاريخ فارتفعت كفة الحق عنها وترفعت وفى كفة الباطل هوت هويّاً إلى الحضيض ! .

وها هي ذى عقيدة « الأرض الموعودة » ، هذه العقيدة التى لم تنبت إلاّ من هذه « التوراة » ، قد وافقنا الأدلة عنها وأتانا البرهان من نفس نصوص « توراتهم » هذه على أنها ليست إلاّ مجرد خرافة بكل ما تتضمنه هذه الكلمة من معنى علمى وأن من هذه الخرافة التاريخية استطاع الصهاينة أن يصوغوا مادة وهمية بنوا بها على أساسى سرابىّ بحث أركان هذه الدولة الأسطورية المسماة « إسرائيل » .. فلقد تتبعنا هذه الأسطورة وتيّار الزمن بها يجرى من فكرة مبعثرة إلى عقيدة دينية مستحكمة فوجدناها قد استحالت ، حقاً ، إلى مجرد خرافة ومحض حلم ووهم بحث ! .. فهى خرافة نسجت غفوةً فى إبهار ظلمة التاريخ وهى حلم سجله على نفسه الإصحاح الخامس عشر من « سفر التكوين » فى استبهار لىلى الأمر على شاطئ الفرات والحلم بأرض النيل وهى وهم ! .. وهم قد تبدد فى بهرة ضوء الحاضر وتحت معاول التاريخ الصحيح ! .

وإذن ! ..

إذن ، فلقد آن الآن لنجاوب المنطق الصهيونى الحديث الذى كلما حاصرته الحجج السياسية والقانونية راح يشهر فى وجه العالم هذه « التوراة

المكتوبة « ولها يلجأ وبها يحتجى ومُتخذاً لمزاعمه منها مساند بصيح ؛ » قد لا تكون فلسطين لنا على أساس حق سياسى أو قانونى ولكنها حق لنا على أساس دينى وحق روحانى مستمد من التوراة « ، قائلين ؛

ها هى ذى أشعة التاريخ قد أذابت مادة القدسية عن هذه « التوراة » ونفت كل صلة لموسى ، عليه السلام ، بهذا الدين اليهودى الحالى القائم على هذه التوراة المفتراة وعن نصوص غير شرعية قد تكشف هذا « الصك » الذى يقوم عليه كيان هذه الدولة الأسطورية المسماة « دولة إسرائيل » ومن ثم فما هو ، بعد ، هذا الأساس الدينى و « الحق الروحانى » لليهود فى فلسطين ؟ ! .

أين هو هذا « الحق الروحانى » وقد تلاشت القدسية عن هذه « التوراة » فتلاشى هذا « الحق الروحانى » إلى ... لا شئ . . .

والآن ؟ ..

الآن ومن مدد ما قد انتزعناه من صدر التاريخ من حقائق تردعنها أبسط الشكوك ، إلى جانب ما قد خلصنا إليه فى بحثنا هذا أيضاً من تعقب تاريخ إسرائيل وآباء إسرائيل وأبناء إسرائيل ، إلى أنه ليس هناك شئ فى واقع التاريخ الحاضر اسمه « إسرائيل » ولا شئ هناك اسمه « بنو إسرائيل » ولا شئ هناك اسمه « شعب يهودى » ولا شئ هناك اسمه « الجنسية الإسرائيلية » نستطيع أن نلقى بهذا التعقيب قائلين ؛

لا مكان شرعى فى فلسطين شئ اسمه « إسرائيل » ! . .

كلاً ! ..

لا مكان شرعى فى فلسطين للصهيانية وإلى ترهات قد استجالت إلى هذه

« الحجة » التي اعتمدت عليها الصهيونية في دعوتها وفي افتعال هذه « الدولة » الأسطورية المسماة « إسرائيل » وعن نصوص مفتراة على موسى ومُزورة عليه قد اتضح تحت أشعة التاريخ هذا « المصك » الذي شهرته الصهيونية في وجه العالم وما زالت ، في غير تورّع ، نشره سَجلاً يُمْنَع اليهود به أنفسهم فلسطين ملكاً أبدياً ... !

كلا ! . لا مكان شرعىّ في فلسطين لهؤلاء اليهود الصهاينة والصهاينة اليهود وإلى أساطير سطرتها أيدي ذليلة بإملاء محلية جامحة جنحت بها شطحاتُ الخيال على أجمعة فكر قليل عليل أوردتها —وارد الشطط قد استعالت هذه « التوراة » المفتراة على موسى ! . . هذه التوراة التي ، بانتفاء نسبتها إلى هذا الرسول الكريم ، تنتفى عنها انتفاءً تاماً صفة القدسية التي دثرت بها كما تتلاشى عنها ، بالتالي ، الشرعية التي أُسبغت على ما جاء فيها من « أسفار » هي هذه التي تعمل هذا « الحق الروحاني » الموهوم لليهود في فلسطين ... !

كلا ! . لا مكان شرعىّ في فلسطين لهذا الخليط من الأجناس الذي يتجمع خلايا سرطانية في جسم المجتمع البشرى تحت اسم « الجنسية الإسرائيلية » . ! . فلقد ذابت هذه الاكذوبة الروائية المسماة « الجنسية الإسرائيلية » في خضم النوع البشرى الذي منه ، كأفراد ، قد طفت هذه الطائفة الدينية التي لا تربطها بفلسطين إلاّ أوشاج وهم حيكت من مادة الخرافة ! .

كلا ! ..

كلا ، لا مكان شرعىّ في أرض عربية لهذه السلالة الخزرية التي تزعم طائفة من اليهود تنتمى إلى جنسيات مختلفة من شعوب العالم تعتنق ديناً

قد واثقنا الأدلة عنه من « توراتهم » هذه بأنه لا يعود بأصول تكوينه إلى موسى ، عليه السلام ، وإنما إلى يشوع بن نون ذلك السفاح الذي تُردّد « توراتهم » هذه لصوته الآثم مقالة آئمة رمت هذا الرسول الجليل بالخيانة وبغضب إلههم عليه وجعلت جزاء ذلك « الأمر بموته » ، ثم هي في اجترأ عجيب تحدثنا أشنع حديث عن أشنع حدّث لست أدري كيف لم تفتن إلى مضمونه ، من قبل ، الأجيال ! . . لا ولست أدري كيف لم يفتنه من قبل فكركم باحث إلى ما تشتمل عليه « توراتهم » هذه من نصوص تحدثنا عن استصحاب هذا السفاح لموسى ، عليه السلام ، إلى أعلى ذلك الجبل ثم العودة بدونه ليعلم أن الأمر بموت موسى قد تمّ تنفيذه وفقاً لما قد طلب « الرب » . . !

كتلاً ! . لست أدري كيف فات الأجيال وغاب عن الوعي الفكري حتى الآن مفهوم هذه النصوص التي تدّين بها هذه الطائفة وفي نفس الوقت هي تدينهم بأكبر جرم هم بنصوصهم هذه ، نفسها ، به يعترفون ! . . فإنما هم بهذه النصوص يحمّلون أنفسهم بأنفسهم دم موسى نفسه ! . . إن « توراتهم » هذه تلتطخ أيديهم بدم هذا الرسول الكريم يوم تمردوا عليه وانحرفوا عنه إلى هذا السفاح الذي لم يسلم من يده شيء حتى الحيوانات أحرقتها أحياء ! . ولذلك ؛

« . . باءوا بغضب من الله وضربت عليهم الذلة والمسكنة ! . . ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله . . . ويقتلون الأنبياء بغير حق ! . . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ! . » ^(١)

(١) الآية « ١١٢ » من « سورة آل عمران »

كلّا ! . لا مكان شرعىّ في فلسطين لهذه الطائفة الدينية اليسوعية الدين العاملة بشرائع توراتها هذه « المكتوبة » وتوراتها الأخرى « الشفوية » أو هذا التلمود الذى لم نطوه جانباً إلّا وقد علمنا لماذا يستحل اليهود قتلنا وهتك أستاذنا وسفح أعراضنا . . فنحن في شريعتهم التلمودية ، مسيحيين ومسلمين ، كائناتٌ ممسوخة ، استولد آدم بعضنا من الشيطانة « ليليت » وولدت حواء بعضنا الآخر من اتصالها بالذكور من الشياطين . . وأما اليهود فهم ، وحدهم ، نسل آدم وحواء ! . .

كلّا ! . لا مكان شرعىّ في فلسطين لهذه الطائفة الدينية من عبدة « يهوه » وأتباع يشوع بن نون ، وليس ذلك لأنه ليس لطائفة دينية الحق في امتلاك أى بقعة من بقاع الأرض فحسب وإنما لأن هذه الطائفة تدين بدينٍ يشوعىّ المنبت والمصدر والشرائع توارثته عن تلك الجماعة التى انحرفت عن موسى ، عليه السلام ، فتبرأ منها و :

« قال ؛ رب انى لا أملك إلّا نفسى وأخى ، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ! . » ^(١)

كلّا ! لا مكان شرعىّ في فلسطين لهذه الطائفة الدينية الفتاكة بالقيم السفّاحة للأعراض والمتطاوله بأطاعها إلى النيل والفرات بدافع من عقدة نفسية توارثتها وأتانا عنها البرهانُ القاطع من نفس نصوص « توراتهم » هذه بأنها بدعة انبثقت في غصون الأسر البابلى بأعضاء « بيت يهوذا » يوم هدرت صدورهم بحمم النعمة على النيل والفرات فصاحوا ؛ من الفرات إلى .. النيل ! . . إذن ! . .

فلتمحَ هذه السطور المنقوشة على واجهة ال « كنيست » والقائلة ؛

(١) الآية « ٢٥ » من « سورة المائدة »

« إن حدودك يا إسرائيل . . من الفرات إلى النيل ! .. »

لتمح هذه السطور التي باقنها تلقيناً كل طفل يهودى يولد صهيونياً بالطابع وبالطبيعة والنفطرة فهو يفتح عينيه على الحياة ويستقبل العالم على أهazيج الوم القائل بأنه فرد من شعب إسرائيل مختار ومواطن فى دولة يهودية عالمية وأن فى يده حجة ورائة شرعية تمنحه فلسطين وكل الرقاع المترامية فى إطار الفرات والنيل ملكاً أبدياً ! . .

ولتخدم تلك الصبيحة التى دوت يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٦٠ ، غداة عُقد فى القدس المؤتمر الصهيونى العالمى الخامس والعشرون ، تقول ؛

« إن كل يهودى يجب أن يهاجر إلى فلسطين وإن كل يهودى أقام خارج إسرائيل منذ إنشائها يعتبر مخالفاً لتعاليم التوراة ! . . »

داود بن جوريون

« التوراة » ؟ ! .

إن هذه « التوراة » المفتراة التى اتخذتها الصهيونية حجة فى يدها وتمسكت بها من إقامة هذه الدولة الأسطورية واحتلال فلسطين قد تلاشت عنها القدسية وفى سراب التاريخ قد ذابت ذوباً « عقيدة الأرض الموعودة » وفى حلم غابت كما من أضغاث حلم قد حيكت وفى آفاق الحاضر عبثاً تنلفت بحثاً عن شئ اسمه « شعب إسرائيل » فلا نجد إلا طائفة دينية تسكوت من شتى شعوب العالم وشذاذه الأفاق تدين بدين يشوع بن نون تستحل قتلنا وتستبيح استنزاف دماننا وانتهاك أعراضنا وهتك أستارنا ولا تعرف عيداً إلا إذا عجنت فطائرهُ بدماء بشرية أشهى ما تكون لديها الدماء المسيحية قبل الدماء الإسلامية ! .

تلفت فلا نجد إلا طائفة دينية تدين بهذا الدين الذي حاكته قبضة
يشوع بن نون وإلا سلاطة خزرية من أدياء النسب إلى إسرائيل لم تستطع أن
تعيد « مملكة الخزر » اليهودية إنما استطاعت من مدد هذه الخرافة التاريخية
عقيدة « الأرض الموعودة » أن تقيم لها « دولة » هي بوضعها الحالي لا تمثل إلا
جزءاً يسيراً من حقيقة « الدولة الصهيونية العالمية » وهذا ممّا يحملنا نقول إن
بقاء هذه الدولة الخرافية المسماة « إسرائيل » في صفحة الحاضر على وجه التعميم
وفي أرض عربية على وجه التخصيص لا يمثل لحسب الشوكة السامة في جنبات
شرقنا وإنما وجودها في أرض العروبة يمثل الخطر القائم الذي يهدد العالم بكل
بقعة فيه . . فإن احتلال فلسطين من قبل الصهيونية وقيام « دولة » لم فيها لا
يمثل احتلال جزء من شرقنا العربي وإنما يمثل خطة استعمارية شاملة بعيدة المدى
رسمتها رؤوس هذه « الأنقي » الذين أطلقوا على أنفسهم لقب « حكام صهيون »
فهي خطة تستهدف إفناء كل فرد غير يهودي وإقامة عرش صهيون على دنيا
يرف عليها دين يشوع بن نون ! ..

هذا هو الواقع فإن قيام « إسرائيل » على أرض فلسطين لا يعنى
تشريد العرب من ديارهم واغتصاب وطنهم لحسب كما أنه لا يعنى قيام قاعدة جديدة
للاستعمار الغربي في العالم العربي هي حجر عثرة بين جزئى العروبة في آسيا وأفريقيا
وتشطر الوطن العربي إلى قسمين منفصلين وتقطع الشريان الذى يربط بينهما في
قضاء على الوحدة الجغرافية الطبيعية بين سوريا والعراق وجزيرة العرب من
ناحية ومن ناحية أخرى بين بلاد المغرب والجمهورية العربية المتحدة وإنما بقاء
« إسرائيل » يحمل إلى العالم معانى أكثر بعداً وأعق غوراً ! . معانى
تتصل اتصالاً مباشراً بمستقبل العالم كله وتحمل تهديداً مباشراً للسلام العالمى

قاطبة ولهذا السبب ارتبطت حالة الاضطراب والتوتر داخل حدود المنطقة العربية بالموقف الدولي العام وأصبح سلام المنطقة جزءاً لا يتجزأ من سلام العالم وأخذ النزاع « العربي — الصهيوني » مظهره الحقيقي حيث أضحى صراعاً حاداً بين الاستعباد والحرية وبين الحرب والسلام وهذا مما يدفع بنا إلى القول بأنه إذا كانت « دولة إسرائيل » لا تقوم، أساساً وبنیاناً ، إلا من نصوص هذه « التوراة » وهذه قد استحالت إلى خرافة فلا مكان إذن يجب أن يبقى لهذه « الدولة » الأسطورية على صفحة الحاضر . . .

وإذن . . .

ماذا ينتظر العرب ؟ ! .

ماذا ننتظر وقد اتضح أمامنا أن قضية فلسطين ، هذه المشكلة التي تُعتبر أعقد مشكلة في جبين الشرق الأوسط ، ليست إلا نسج خرافة تاريخية بكل ما تشتمل عليه هذه الكلمة من معنى علمي ؟ ! .

إذن ! . . .

ليطلق العالم العربي صوته حتى تروح برجع صده الآفاق

ربن ينادى ؛

لا مكان لهذه « الدولة » الأسطورية المسماة « إسرائيل » في أرض عربية لأنّ المدد الذي استمدته الصهيونية العالمية لقيام هذه « الدولة » ليس إلا خرافة ذابت تحت أضواء التاريخ الصحيح وتلاشت مادة وهمية ! . . .

لا مكان لهذه الجرثومة السرطانية المسماة « إسرائيل » في قلب العروبة النابض لأنّ الدعائم التي اتخذتها الصهيونية ركائز لصرح « دولتها » قد مادت في أغوار التاريخ إلى ترهات وأباطيل ! . . .

وأما ! .

أما إذا أوى عبدة «يهوه» وأتباع يشوع بن نون إلا إصراراً على الباطل وظل عبدة هذا الرب الخرافي الحب لرشاش الدماء وأتباع هذا السفاح الذى امتد جنونه إلى أن يحرق الحيوانات أحياء صرعى هذيان هذه التوراة المفتراة فاعلموا أن أشعة التاريخ ، وهى أقوى علاج ، لم تغد فى تذويب هذا التضخم السرطاني الذى استفحل داؤه واستشرى فى جسم المجتمع البشرى يهدده بالقناء وأن الوقت ، من ثم ، قد آن لبتز هذا السرطان . . .

وإذن هبوا ! . . .

هبوا ! . . .

ليهنّ العالم العربى قوياً ، وجعماً وجميعاً ، ذوداً على الحق وردعاً خلفاء الباطل ، وفى صبر جميل يُغذّيه اليقينُ بالله ليعدّن عدته لبتز هذا السرطان الذى ينهش جسم المجتمع البشرى نهشاً ولا يعيش إلا على امتصاص دمائه قطرة بعد قطرة . . يسرق ، بأساليبه ، الأموال سلباً ويهتك ، بهتكه ، للأعراض سترأ ! . .

يا أيها العرب ! .

يا أيها العرب ، مسيحيين ومسلمين ، إنى أطلقها صيحة فى مسامعكم حيثما كان مكانكم فى أرجاء هذا الشرق الرحيب تخاطب كل فريق منكم على حدة . . .

ويا أيها المسيحيون ! . .

هل نسيتم ماذا أصاب السيد المسيح ، عليه السلام ، على أيديهم ؟! . . راجعوا وصفهم له فى « تلمودهم » وراجعوا سيرته فى « أناجيلكم » وقارنوا بين السيرتين ! . . لا تقولوا إن هذه نظرة تلمودية فإنما هم أبناء

التلود وهم لا يسرون إلا على سذنه ! . . . إنهم لا يزالون يرون « المسيح » فيكم ولذلك فهم يستحلّون دماءكم قبل دماءنا ! . . . هم يستهدفون تدميركم قبل تدميرنا ! . هم يبتزون إفناءكم قبل إفنائنا ! . . راجعوا ماذا يضمرون لكم في وثائقهم ^(١) . . تلك الوثائق التي سطرها أقلام « حكماء صهيون ! . . »

وأنتم يا أيها المسلمون ! .

هل نستطيع أن صاحب الرسالة الإسلامية ، عليه السلام ، قد ألقى هذا الدين اليهودي الحالى إلغاءً باتاً ! . . أذكروا أنه ، عليه السلام ، فرّق بين « صحف موسى » وبين « صحفهم » هذه التي وصفها بتوراة مُحَرّفة مفتراة كتبتها أيديهم ونسبوها ، بهتاناً ، إلى مصدر قدسى ! . . اذكروا أنه ، صلى الله عليه وسلم ، قد دعاهم إلى الإفلاع عن هذا الدين الذي افتروه على موسى ، عليه السلام ، فلما أبوا إلا التصاقاً بالباطل تناول ، عليه السلام ، مِبضع البتر واستأصل هذا السرطان من جسم المجتمع العربى حيثما كان وحيثما قد وجد ! . استأصل ، عليه السلام ، جرثومة هذا الداء لامن يثرب وحدها فحسب وإنما من يثرب وفيما حول يثرب ومن كل مكان من أرجاء شبه الجزيرة العربية كان فيه قد توغل هذا الداء الخبيث وتغلغل واستشرى ! . .

إذن ! .

يا أيها العرب ! . .

هَبّوا . . . هَبّوا ، مسيحيين ومسلمين ، جميعاً ومن أجل الخير الأسمى انفضّوا من حول مَنْ في يده اليوم هذا المِبضع الباتر ! . .

التفّرو ، إذا ابتغيتم سلاماً ، من حول مَنْ خلق هذا المجتمع العربى

(١) راجعوا القرارات؛ الثالث والخامس والثالث والعشرين من «بروتوكولات حكماء صهيون» .

الكبير وبَسَطَ ذراعيه تحتضنكم احتضاناً في غير تفرقة بين مسيحي منكم
ومسلم ...!

التقوا بعزيمة لا تعرف تردداً ولا تماذلاً من حول صاحب هذا
الصوت الذي انطلق جبهة وجهراً وجهراً يرنُّ في مسمع الحاضر ويخلد في
ذاكرة الند بندا راح رجع صده في قلب كل عربي حُرُّ وروح دويماً
وهديراً هادراً يتجاوب :

« إن الشر الذي وُضع في قلب العالم العربي لا بد أن يُقْلَع . »

« جمال عبد الناصر »

ها هي ذى اللحظة الحاسمة لإستئصال جرثومة هذا الداء الخبيث
من جسم المجتمع البشري قد اقتربت إن لم تكن قد أزفت وتناول صاحب هذا
الصوت المبضع البائر يمدّه للبر وأقْدَم ، من أجل الخير البشري والسلام
العالمى وبنفس ارتضت الإسلام ديناً ومحمد رسولا وآمنت بموسى وبالمسيح
وبسائر الأنبياء والرسل الكرام ، يَسْحَق بيد رأس هذه « الأفعى » وبالأخرى
يُطَوِّح بهذه « النجمة السوداء » إلى أفق الآفول بينما من حوله وحولكم قد
ارتفعت يد الزمن وتأهبت لتحفر في وعى التاريخ وتسجل في صفحة الخلد بأن
المبضع العربي قد استأصل من جسم المجتمع البشري هذا السرطان المسمى
« إسرائيل » ...!

المراجع العربية

« القرآن الكريم »

« الكتاب المقدس » — « العهد القديم » و « العهد العتيق »

« المشنا »

« التلمود » طبعات فارسوفيا وبراج وأمستردام .

« الكنز المرصود في قواعد التلمود »

د . روهلنج ترجمة د . يوسف نصر الله ١٨٩٩

« الذبائح التلمودية »

« بقطة العالم اليهودى » إلبى ليفى أبوعسل

« الصهيونية العالمية » الأستاذ عباس محمود العقاد

« الخطر الصهيونى » أو « بروتوكولات حكماء صهيون »

الأستاذ محمد خليفة التونسى

« الصهيونية وربيتها دولة إسرائيل »

الفريق محمد فوزى والأستاذ عمر رشدى

« خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية »

السيد / عبد الله التل

« الدولة العربية الكبرى »

الأستاذ محمود كامل المحامى

« بلاد ما بين النهرين » « الحضارتان البابلية والآشورية »

دبلا بورت . ترجمة الأستاذ / محرم كمال

« محنة العذراء » الأستاذ عصام الدين حفى ناصف

أهم المراجع الإفرنجية

- | | |
|--|------------------------|
| "Antiquities of the Jews" | By F. Josephus. |
| "Wars of the Jews" | " " " |
| "History of the Jews" | „ Milman - I,II,III,V. |
| "Israel in Egypt" | „ F. Petrie |
| "The Exodus" | „ Ali Shaffei. |
| "Historical Notes on the Pelusiatic Branch". | |
| "The Red Sea Canal and the Route of the Exodus". | |
| "The Bible". | |
| "Dictionary of the Bible" | Hastings. |
| "The Archeology of the Bible" | By F. Kenyon |
| "The Bible and its Background" | „ A. Robertson, V. |
| "The God of the Bible" | „ Evans Ball. |
| "Hebrew Religion and its developments" By Osterly & Robinson. | |
| "Shulkan Araq" | |
| "Jewish Ritual Murder" | By A. Leess "1938" |
| "Cuneiform Parallels to the Old Testament" | E. W. Rogers. |
| "The Cuneiform texts of Ras-Shamra" | C. P. Shaeffer. |
| "The Ras-Shamra tablets" | J. W. Jack. |
| "Babylonian Historical texts" | S. Smith. |
| "The World's Earliest Laws" | Ch. Edwards. |
| "History of Babylon" | L. W. King. |
| "Israel and Babylon" | Wardle. |
| "The Archeology of Palestine" | W. F. Albright. |
| "The Religion of the Semites" | Robertson & Smith. |
| "Religion on Ancient Egypt" | By G. Maspero. |
| "The Passing of the Empires" | " " " |
| "The Life and Time of Akhnaton" | „ A. Weigall. |
| " " Egypt" | „ J.H. Budge. |
| "Histoire de L'Egypte" | „ J.H. Breasted. |
| "Histoire ancienne des peuples de L'Orient Classique" Maspero. | |
| "The Ancient History of the Near East" | Hall. |
| "The People of the Sea" | „ |
| "Zionism" | E. B. |
| "The World's Great Restoration, or Calling of the Jews" | Sir ; H. Finch. |
| "Judenstaat" | Th. Hertz. |

الفهرست

صفحات

التمهيد	١٩ - ٥٦
الحقل التاريخي لمنطقة « الأرض الموعودة »	٥٧ - ٧١
الإطار التاريخي لمنطقة « الأرض الموعودة »	٧٣ - ٨٧
انبثاق فكرة الأرض الموعودة	٨٩ - ١٣٣
النهد التاريخي لمولد « إسرائيل »	١٣٣ - ١٥٢
طرد بني « إسرائيل » في مصر	١٥٢ - ١٧٦
انحسار الزمن عن مطلع عقيدة « الأرض الموعودة »	١٧٦ - ٢٧٦
الزحف الإسرائيلي صوب « الأرض الموعودة »	٢٧٦ - ٣٣١
ارتسام رقعة « الأرض الموعودة » في إطار الفرات والنيل	٣٣١ - ٣٥١
بروز « يشوع بن نون » في إطار التاريخ الإسرائيلي	٣٥١ - ٣٦٣
تكوين الدين اليهودي الحالي وعودته بأصله إلى « يشوع »	٣٦٣ - ٤١٦
انتقال عقيدة « الأرض الموعودة » في المجال العاطفي إلى المجال السياسي	٤١٦ - ٤٦٤
التعقيب	٤٦٥ -
عقيدة « الأرض الموعودة » في ميزان التاريخ	٤٦٧ - ٤٩٩